

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

معهد الآثار

جامعة الجزائر-2-

أطلس العمارة العسكرية بالجزائر في العهد العثماني
من خلال المصادر المادية والكتابية

أطروحة دكتوراه العلوم في الآثار الإسلامية

إشراف الأستاذ الدكتور:

عز الدين بويحياوي

إعداد الطالب :

محفوظ بوطبة

السنة الجامعية: 2017 - 2018

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

معهد الآثار

جامعة الجزائر-2-

أطلس العمارة العسكرية بالجزائر في العهد العثماني من خلال المصادر المادية والكتابية

أطروحة دكتوراه العلوم في الآثار الإسلامية

إشراف الأستاذ الدكتور:
محفوظ بوطبة

إعداد الطالب :
عز الدين بويحيوي

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب :	الرتبة :	الصفة :	الجامعة الأصلية :
خيرة بن بلة	أستاذة التعليم العالي	رئيسا	جامعة الجزائر -2-
عزالدين بويحيوي	أستاذ التعليم العالي	مقررا	جامعة الجزائر -2-
هجيرة تمليكشت	أستاذة محاضرة - أ -	عضوا	جامعة الجزائر -2-
علي بوتشيشة	أستاذ محاضر - ب -	عضوا	جامعة الجزائر -2-
محمد بن حمو	أستاذ محاضر - أ -	عضوا	جامعة تلمسان

السنة الجامعية: 2017 - 2018

كلمة شكر

أتقدم للأستاذ المشرف

الأستاذ الدكتور عز الدين بويحياوي

بجزيل الشكر وفائق الامتنان والتقدير

على التوجيهات والإرشادات العلمية القيمة

التي أمدني بها طيلة فترة البحث

كما أشكر كل من ساعدني

على إخراج هذا العمل العلمي إلى النور

الإهداء

أهدي هذا العمل ثمرة جهدي

إلى روعي والدي

وإلى والدتي الكريمة

وإلى زوجتي و أبنائي

وإلى إخوتي وأخواتي

وإلى كل الأهل والأقارب والأصدقاء

قائمة المختصرات:

باللغة العربية:

*-م.و.ك.: المؤسسة الوطنية للكتاب.

*-د.م.ج.: ديوان المطبوعات الجامعية.

*-ش.و.ن.ت.: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

*-د.ت.: دون تاريخ.

باللغة الفرنسية:

***-U.N.E.S.C.O.: Organisation des Nations Unies pour L'Education la Science et la Culture.**

***-E.P.A.U. : Ecole Poly Technique D'Architecture et D'Urbanisme.**

***-B.S.G.A.O. : Bulletin de la Société de Géographie et D'Archéologie D'Oran.**

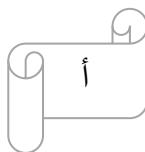
***- R.N.M.S.A.C. : Recueil des Notices et Mémoires de la Société Archéologique de la province de Constantine.**

مقدمة:

إنَّ هوس السُّلطة داء زعزع منظومة الحكم بالمغرب الأوسط بطرفيها الحفصي والزَّياني وعجل في لفظ أنفاسها الأخيرة، وكان سببا في تحريك أطماع الأعداء المتربصين بها وعلى رأسهم الأسبان، للإستلاء على أراضيها واتخاذها قواعد لتنفيذ مخططاتهم العسكرية وحماية مصالحهم الإقتصادية بالمنطقة، وقد تجسّد ذلك ميدانيا بإخضاع عدد من المدن على امتداد الشريط الساحلي لها.

بعد مرور حوالي عقد من الزمن عن الوجود الإسباني بالبلاد الجزائرية، ظهر في مسرح الأحداث منافسين لهم من الأتراك بقيادة الأخوين بربروس، جاؤوا تلبية لنداء الاستغاثة من أبناء الأمة الواحدة، وقد استطاعوا في ظرف قصير أن يفرضوا أنفسهم ويقلبوا موازين القوة لصالحهم بتمكنهم من تحرير المدن المحتلة وتنظيمها تحت سلطة رسمية واحدة، وذلك بفضل الإستراتيجية السياسية والعسكرية السديدة، وصرامتهم التي مكنتهم من تملك البلاد وتسيير شؤونها بإحكام لمُدّة ثلاثة قرون من الزّمن.

إنَّ التّوجه العسكري للسلطة التّركية بالجزائر لم يكن موجّها إلى إحكام قبضتها على زمام الأمور بالبلاد بقدر ما كان سدّا منيعا أمام الخطر الخارجي، بالإعتماد على وسائل هجومية ممثّلة في البحرية الجزائرية القوية، أو دفاعية باستعمال بنايات معمارية متنوعة و مجهزة بترسانة حربية متطوّرة بمنظور ذلك العهد.



ولقد ثبت ميدانيا أن النظام الدفاعي المعماري الذي كانت تتوفر عليه الإيالة الجزائرية خاصة مدنها البحرية تتقدمها مدينة الجزائر، أنه له الفضل في إدبار العدو في أغلب حملاته، ما نتج عنه كسبها لإحترام أهم القوى الأوروبية آنذاك.

دفعنا هذا الطابع المعماري الذي يعكس قوة الدولة الجزائرية الحديثة إلى محاولة حفظ هذه الصفحة من التاريخ العسكري للجزائر، وذلك من خلال تعداد بنائاتها الحربية وتخصيص دراسة معمارية لها، ولتحقيق ذلك أدرجنا هذا البحث تحت عنوان "أطلس العمارة العسكرية بالجزائر في العهد العثماني من خلال المصادر المادية والكتابية".

اسباب اختيار الموضوع:

وقع اختيارنا على هذا الموضوع لعدة أسباب، في مقدمتها قلّة هذا النوع من البحوث الأثرية، حيث تمثل الدراسات الأكاديمية التي خصّصت للعمارة العسكرية بالجزائر في الفترة الحديثة نسبة قليلة من هذا المجال الواسع، إضافة إلى عدم امتلاكنا لأطلس أثري إسلامي نستند عليه في بحوثنا، إذ لا نزال نعتمد على "الأطلس الأثري الجزائري" لمؤلفه ستيفان غزال Gsell St. الذي يعتبر عمله من المخطّفات العلمية للفترة الاستعمارية الفرنسية، ورغم قيمته المعرفية إلا أن من عيوبه أنه يشمل حيّزا ضيقا مخصّصا للآثار الإسلامية، كما أن حالة الحفظ السيئة التي تواجهها أغلب المعالم والمواقع الأثرية ببلادنا عامل يضاف إلى جملة الأسباب التي جعلتنا نختار هذا البحث.

أهداف البحث:

نهدف من وراء هذا الموضوع إلى التعريف بالعمارة العسكرية الجزائرية في الفترة الحديثة وبالتالي شدّ انتباه السلطات المعنية إليها لرد الاعتبار لها، بتوفير الحماية والعناية بها وتوجيهها لخدمة المصلحة العامة من الناحية العلمية والثقافية والإقتصادية تحت ما يعرف بالسياحة الأثرية.

نسعى أيضا إلى توفير مادة علمية كتابية يستند عليها الطلبة والباحثون في هذا النوع من الدراسات، إضافة الى تحفيزهم المعنوي في التوجه إلى إعداد دراسات شاملة لمظاهر العمارة المختلفة ببلادنا، وإذا ما تحقّق ذلك نكون قد بلغنا ذروة مبتغانا الزامية الى إعداد : "الأطلس الأثري للعمارة الإسلامية بالجزائر".

إشكالية الموضوع:

لإثراء جوانب البحث، أثّرنا إشكالية عامّة تتعلّق بالجانب التاريخي والمعماري، وقد صغناها على النحو الآتي: - كيف يمكن إنجاز أطلس أثري للعمارة العسكرية بالجزائر في العهد العثماني انطلاقا من المصادر المادية والكتابية ؟

تتفرع من هذه الإشكالية مجموعة من الإشكاليات الفرعية والتي يمكن حصرها في

مايلي :

- كيف كانت الأوضاع الأمنية بالجزائر خلال الحكم التركي، وهل كانت لها إنعكسات

على هذا النمط من العمارة؟

- هل عرفت العمارة الحربية في هذه الحقبة انتشارا وتطورا بالبلاد الجزائرية؟

- ماهي أشكال العمارة الدفاعية بالإيالة الجزائرية، وأهم خصائصها ومظاهرها المعمارية؟

منهجية البحث:

إعتمدنا في بحثنا على المنهج التاريخي في عرض الأحداث التاريخية خاصة في

الفصل الأول والثاني، ووظفناه كذلك في فصل المصطلحات لتتبع التطور التاريخي للبنىات

العسكرية وملاحقها المعمارية الدفاعية، واستعملنا أيضا المنهج الوصفي المناسب لهذا النوع

من الدراسات الأثرية، حيث اقتصر على المعالم التي حضيت بالمعينة الميدانية.

استخدمنا أيضا المنهج التحليلي، إما منفردا في تحليل الظواهر المعمارية أو رفقة المنهجين

السابقين، أو بالإعتماد عليه في تحليل بعض الأحداث التاريخية لإبراز علاقتها بتطور

التحصينات المعمارية بالجزائر خلال الحكم التركي لها.

خطة البحث:

لمعالجة موضوع البحث و ضبط عناصره، قمنا بتقسيمه إلى مقدمة وستة فصول

وخاتمة، جاءت على النحو التالي :

فيما يخص المقدمة، تشمل التعريف بالموضوع وأهميته وأسباب اختياره والهدف منه و إشكالياته، ومنهجيته وخطته والمصادر والمراجع المعتمدة في دراسته، والعراقيل التي صادفتنا عند انجازه.

أما الفصل الأول، خصصناه للجانب التاريخي الذي تناولنا فيه دخول الأتراك إلى الجزائر وبسط سلطتهم عليها، و لتحديد التنظيم السياسي والإداري لها خلال هذه الفترة قصد وضع المعالم المدروسة في إطارها الجغرافي الخاص بها.

يليه الفصل الثاني الذي تطرقنا فيه إلى الأوضاع الأمنية الداخلية والخارجية للجزائر و إنعكاسها على تطور العمارة الدفاعية بها، مركزين في ذلك على مدينة الجزائر عاصمة الإيالة، التي تعتبر أنموذجا يخدم تطلعاتنا العلمية المرجوة من البحث، وأدرجنا عنصرا آخر في هذا الفصل يتمثل في جانب التسليح حتى لا نحصر القوة العسكرية للدولة في قدرة تحصيناتها المعمارية فقط، مع إبراز أهم أنواع الأسلحة ومصادرها.

أتبعنا هذين الفصلين بفصل ثالث كتقديم لدخول الدراسة التطبيقية، تناولنا فيه مفاهيم للبنىات الحربية التي استعملها المسلمون في نظامهم الدفاعي وأهم العناصر المعمارية الملحقة بها، وعرضنا فيه أيضا التطور التاريخي لعمارتها مع إبراز وظيفتها الدفاعية.

قمنا في الفصل الرابع بتعداد المباني الحربية بدار السلطان، حيث قدّمنا فيه معطيات خاصة بموقع وتاريخ المعالم التي يتوفر عليها هذا الإقليم، وأرفقنا المعالم التي عاينّاها ميدانيا بدراسة معمارية وصفية.

ألحقنا بإيليك دار السلطان بالفصل الخامس الذي خصّصناه لدراسة تحصينات بإيليك الشرق الذي حلّ ثانيا في الدراسة التطبيقية من حيث التسلسل المنهجي، ومعيّارنا في ذلك سعة رقعة الجغرافية وأهميته الاقتصادية في الإيالة خاصة من ناحية العائدات المادية على الخزينة، وقد تعرّضنا إلى تحصيناته بناء على أهميتها، حيث انتقلنا من دراسة تحصينات عاصمته قسنطينة وأهم مدنه البحرية والداخلية وعلى رأسها بجاية وعنابة، ثم تطرّقنا إلى البنىات الدفاعية المستقلة القائمة بذاتها والموجهة لحماية طريق دار السلطان المؤدية إلى المقاطعة الشرقية.

ختمنا الدراسة التطبيقية بفصل سادس، تطرّقنا فيه إلى العمارة العسكرية بإيليك الغرب الذي تميّز بديمومة التأهب العسكري للسلطة التركية بالمنطقة، بسبب مشاطرتها جوانب من هذا الإقليم مع العدو الإسباني، وسعيها الدائم لإنهاء وجوده من خلال تطوير النظام الدفاعي لعدد من مدنه، واتخاذها عواصم وقواعد عسكرية تنطلق منها حملات الجيش الجزائري ضدّ

العدو، إضافة إلى استعمالها رفقة الحصون المستقلة لقطع الإمدادات وتشديد الخناق عليه خلف أسوار معاقله بوهران والمرسى الكبير.

كما خصصنا جانبا من هذا الفصل للعمارة الدفاعية ببابلك التيطري، درسنا فيه عددا من التحصينات بعاصمته المدية وحصونه المستقلة المتمثلة في برج بوغني، وبرج حمزة، و برج سور الغزلان، وبرج السواري.

أنهينا هذه الفصول بخاتمة اشتملت على نتائج البحث مع بعض الاقتراحات والتوصيات، كما أرفقناها بملحق للخرائط والمخططات والأشكال التوضيحية و آخر للصور والفهارس.

- المصادر والمراجع المعتمدة في البحث:

نظرا لإتساع موضوع البحث وتعدد جوانبه، اعتمدنا في تدعيمه على مصادر ومراجع متنوعة، فمن المصادر العربية نذكر بعض كتب الرحالة والجغرافيين العرب مثل " صورة الأرض " لإبن حوقل النصيبي، و " أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم " للمقديسي، وكتاب " المسالك والممالك " للبكري، "ونزهة المشتاق في اختراق الأفاق" للشريف الإدريسي، استعملناها في تتبع المسار التاريخي لأسوار المدن المعنية بالدراسة، إضافة إلى اعتمادنا على مصادر تاريخية هامة تمثل مرحلة انتقالية ما بين الفترة الوسيطة والحديثة ببداية الحكم التركي للجزائر، وتتمثل في كتاب " وصف إفريقيا "للحسن الوزان الفاسي، وكتاب "إفريقيا" لمارمول كاربخال، اللذين نالت تحصينات الجزائر نصيبا في مؤلفيهما.

كما استعنا بعدد وافر من المصادر المعاصرة للفترة العثمانية، استقينا منها معلومات قيمة تخدم بحثنا من الناحية التاريخية والمعمارية، ككتاب " مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب اشرف الجزائر" لصاحبه أحمد الشريف الزهار، و "المرآة" لحمدان خوجة، و"النفحة المسكية في السفارة التركية " لمؤلفه التمجروتي، تضاف إليها مجموعة من المصادر التي تعود إلى نفس الفترة أفردنا مؤلفوها بصفة خاصة لتاريخ مدينة وهران نذكر منها، " الحل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية" لأبي راس الناصري، و " التحفة المرضية في أخبار الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية" لمحمد بن ميمون، و " طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر و اسبانيا وفرنسا في أواخر القرن التاسع عشر" للأغا بن عودة المزاري.

مراجع البحث هي الأخرى متنوعة، إلا أننا سجلنا نقصا كبيرا في الدراسات المتخصصة التي لها علاقة بالعمارة الحربية خلال هذه الحقبة الزمنية، وما تيسر الحصول عليه تمثل في كتاب " المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان" للأخوين وليم وجورج مارسى، الذي كان سندنا لنا في دراسة بعض التحصينات بمدينة تلمسان الزيانية التي تواصل استغلالها من قبل الأتراك، و " خطط مدينة الجزائر " لديفولكس ألبيرت"، و"القلع والحصون في الجزائر" للدكتور علي خلاصي، ويعتبر مؤلفه الدراسة الحديثة الوحيدة الشاملة لتحصينات الإيالة الجزائرية، وأخيرا كتاب " المدفعية الجزائرية في العهد العثماني" للأستاذ لخضر درياس.

تضاف إلى هذا الرصيد المعرفي مجموعة من الرسائل الجامعية مثل "المعالم الأثرية الإسلامية ببجاية ونواحيها" للدكتور عزوق عبد الكريم، و "أثار حواضر بايلك الغرب في العهد العثماني" للدكتور بلجوزي بوعبد الله، الذي خصص جانبا هاما من بحثه لتحسينات مدن الغرب الجزائري.

أما المصادر المعتمدة في البحث باللغة الأجنبية، وظفناها بشكل وافر تزامنت مع فترات مختلفة من الحكم التركي للجزائر وهي:

-Fray Diego De Haedo ; **Topographie et histoire générale d'Alger.**

-Fray Diego De Haedo ; **Histoire des rois d'Alger.**

-Venture du Paradis ; **Alger au XVIII siècle.**

-Dr. Shaw ; **Voyage dans la Régence D'Alger.**

-Rozet et Carette. ; **L'Algérie.**

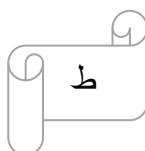
اعتمدنا أيضا على عدد من المراجع والمقالات التاريخية والمعمارية، نشرت أغلبها في المجلة الإفريقية وحوليات قسنطينة، نكتفي بذكر البعض منها:

-Henn klein ; **Feuillets d'El-Djezair.**

-Adrien Berbrugger ; **Les Epoques militaire de la Grande Kabilie.**

-Alfred Nattement ; **Histoire de la conquête d'Alger.**

-De Palza Mikel, Vilar Jean Bta ; **Plans et cartes hispaniques de l'Algérie XVI-XVIII^{ème} siècle.**



-Vaysettes (E.) ; « **Histoire de Constantine sous la domination Turque de 1517 à 1837** »

-Charles Féraud ; « **Histoire des villes de la province de Constantine** »

-Charles Féraud ; « **Notes sur Bougie** »

- Don José Valléjo; « **Contribution a L’histoire du vieil Oran** ».

صعوبات البحث:

ككل الدراسات الأثرية المعمارية، واجهتنا صعوبات كان لها تأثير سلبي على موضوع البحث بصفة عامة، فهذا النوع من الأعمال العلمية مشروع دولة يتطلب تضافر الجهود لإنجازه على أحسن صورة، نذكر منها العوائق الطبيعية وذلك لقلة التهيئة لبعض المواقع والمعالم الأثرية، أو لإنعدام الأمن بها، ما صعب من معاينتنا الميدانية لها، إضافة إلى وجود صعوبات إدارية كغياب التسهيلات من بعض المصالح التي لم تسمح لنا الوصول إلى الوثائق الأرشيفية التي لها علاقة بموضوع البحث، وقد شكّل تبعية الكثير من البنايات العسكرية لبعض مؤسسات الدولة أو تملكها من طرف الخواص عائقا اتجاهاً ومنعنا من تقديم دراسة وافية لها، واكتفينا في هذه الحالات بتتبع مسارها التاريخي دون إرفاقها بالدراسة المعمارية المطلوبة، وبالمناسبة لايفوتنا التنويه بدور الجهة الوصية على التراث الثقافي المادي والممثلة " بالديوان الوطني لتسيير وإستغلال الممتلكات الثقافية المحمية " في تسهيلاتنا الإدارية ومرافقة ممثليها لنا في بعض الولايات عند قيامنا بالأعمال الميدانية.

الفصل الأول

مدخل تاريخي

دخول الأتراك إلى الجزائر:

شهدت الجزائر أواخر القرن 15 م وبداية القرن 16 م، أوضاعا سياسية مضطربة، وذلك نتيجة الصراع الموجود في البلاط الزياني على السلطة⁽¹⁾، وقد استغل الأسبان هذا الظرف لتنفيذ مشروعهم الاستعماري المتمثل في احتلال المدن الساحلية الجزائرية، كونها كانت قواعدا للقرصنة تهدد أمنهم ومصالحهم في حوض البحر الأبيض المتوسط⁽²⁾، كما حفّزهم على ذلك المكانة التي تحتلها الجزائر في شمال البحر الأبيض المتوسط بموانئها الهامة، التي يمكن اتّخاذها كقواعد لتنفيذ مخططاتهم في المنطقة، حيث اعتمدوا عليها في الإسناد والإمداد في عملياتهم العسكرية، وقد أغراهم أيضا الرخاء الاقتصادي الذي كانت تشهده العديد من المدن مثل مدينة وهران⁽³⁾ الذي يعدّ ميناؤها أهم موانئ تلمسان لهذا العهد نظرا للدور الذي كان يؤديه في تنشيط التجارة الداخلية والخارجية.

¹ - محمد درّاج، **الدخول العثماني إلى الجزائر**، ط.1، الأصاله للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 105-106.

² - الحسن بن محمد الوزان الفاسي، **وصف إفريقيا**، ترجمة: محمد حجي وآخرون، ج.2، ط.2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1983، ص. 30-38. **راجع:**

- Georges Marçais; **Villes et campagnes d'Algérie**, éditions du Tell, Alger, 2004, P.62.
- Fernand Braudel; « **Les espagnols et L'Afrique du Nord de 1492 a1577** », in: **Revue Africaine**, N° 334, Année 1928, P 364.- Fray Diego De Haedo; **Topographie et histoire générale D'Alger**, Traduit de l'espagnol par : Dr. Monnereau et A. Berbrugger, 1870, P.19.

³ مارمول كرخال، **إفريقيا**، ترجمة: محمد حجي وآخرون، ج.02، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، المغرب، 1984، ص. 339. **راجع:** - محمد بن ميمون الجزائري، **التحفة المرضية في أخبار الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تقديم وتحقيق: محمد بن عبد الكريم ش.و.ن.ت، الجزائر، 1981، ص 203.

لم ينتظر الاسبان كثيرا حتى بادروا باحتلال عدد من المدن البحرية الجزائرية، أولها المرسى الكبير سنة 1505 م⁽¹⁾ وبعدها بأربعة سنوات تمكن الكونت (بيدرو نافارو- Pedro Navarro) من احتلال مدينة وهران، وكان ذلك سنة 1509 م⁽²⁾، وهو نفسه الذي أخضع مدينة بجاية لسلطته بالسواحل الشرقية الجزائرية سنة 1510 م⁽³⁾، وأول ما قام به عند دخولها هو ترميم وإنشاء عدد من الحصون بها⁽⁴⁾.

بعد احتلال بجاية أصبحت مدينة الجزائر هدفهم المقبل، ما جعل سكانها وعلى رأسهم حاكمها الشيخ "سالم التومي" يرسلون وفدا إلى بجاية للتفاوض مع القائد الاسباني، وخلص الطرفان إلى اتفاق يضمن سلامة مدينة الجزائر مقابل دفع ضريبة سنوية للإسباني وكان ذلك سنة 1511 م⁽⁵⁾، وفي نفس السنة سار سكان مزغران ومستغانم على خطا أهل مدينة الجزائر عارضين تبعيتهم للإسبان نظير التزامات مالية وأدبية جاءت في اتفاقية عقدت بينهما⁽⁶⁾.

على غرار المدن السابقة تواصل خضوع المدن الجزائرية للاحتلال الاسباني مثل مدينة تنس ودلس⁽⁷⁾ وشرشال وأرشكول التي ألحقوا بها الخراب⁽⁸⁾ إضافة إلى مدينة هنين التي دخولها عنوة سنة 1531 م، وأقاموا بها إلى سنة 1534 م تاريخ خروجهم منها، بعد أن

¹ الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ص. 31. -راجع: أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792، ط. 03، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص. 96-102.

- Rene Lespès; « Oran ville et port avant l'occupation française 1831 », in: Revue Africaine N° 360 Année, 1934, P.296.

²-Fray Diego de Haedo; Op.cit, P17.

³-Adrien Berbrugger; Les époques militaires de la Grande Kabylie, Paris, 1857, P49.

⁴- الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر نفسه، ص. 51.

⁵- محمد درّاج، المرجع السابق، ص. 114-115.

⁶-Elie de La Primaudie; « Documents inédits sur l'histoire de l'occupation espagnole en Afrique 1506-1574 », in : Revue Africaine, Année 1875, P.73-74.

⁷- Adrien Berbrugger ; OP.Cit, P 50.

⁸ -Djelloul Neji ; «Eau et fortifications au Maghreb au Moyen Age », Colloque international, Université de Tunis, Tunisie, Novembre 2007, P.218.

عاثوا بها فساداً⁽¹⁾، وأمام هذا الوضع لم يبق للسلطان الزياني بتلمسان - أبو حمّو الثالث - الذي فشل في ردّ الاسبان عن أملاكه بالمغرب الأوسط، إلى عقد الصلح وإعلان التبعية لهم مقابل امتيازات اقتصادية للطرف الاسباني⁽²⁾.

رغم خضوع الكثير من المدن البحرية الجزائرية للاحتلال الاسباني، إلّا أنّ هذا لا يعني أنّ أبناءها الأوفياء بقوا مكتوفي الأيدي، حيث دعا علماءها إلى جهاد العدو ودفعه عن البلاد، وذلك بإحياء الروابط وإمدادها بالرجال⁽³⁾.

تزامنت هذه الحركة الاستعمارية الاسبانية مع ظهور قوة بحرية إسلامية غير رسمية بالسواحل الجزائرية بقيادة الإخوة باربروس، وذلك في مطلع العقد الثاني من القرن 16م، حيث تمكنوا من تحرير جيجل سنة 1514 م⁽⁴⁾، واتخذوها قاعدة لأعمالهم العسكرية في حوض البحر الأبيض المتوسط، وفي الضفة الجنوبية منه ضدّ القوى الأوروبية وفي مقدمتها إسبانيا، التي حاولوا الانتزاع منها إحدى أهم قواعدها العسكرية بالساحل الجزائري، ونقصد بذلك مدينة بجاية في مناسبتين سنة 1512 م و 1514 م⁽⁵⁾ وذلك لموقعها البحري الهام.

¹-George Marçais ; «Recherches d'archéologie musulmane, Honain »; in :Revue Africaine, N°337, 1928, P344. **voir**: -Fernand Braudel ; **Op.cit.**, P352, et **voir**:

- مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ط.02، ش.و.ن.ت. 1981، ص. 45.

²- محمد درّاج، المرجع السابق، ص. 91-92.

³- ابن سحنون الراشدي، الثغر الجمانى في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم: المهدي البوعبدلي، مطبعة البحث قسنطينة، الجزائر، 1973، ص 23.

⁴- الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ص. 52.

⁵- خير الدين باربروس، مذكرات خير الدين باربروس، ترجمة: محمد درّاج، ط1، الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص. 70-72، راجع:

- Bibesco (N.) ; « Les kabyles du Djurdjura » in : Revue des deux Mondes, T. 62, Paris, 1866, P. 115.- Abd Elhadi Ben Mansour; **Alger XVI- XVII siècle**, Les éditions du Cerf, Paris, France, 1998, P.59.

في سنة 1516 م، تلقى القائد عروج دعوة من سكان مدينة الجزائر يطلبون مساعدته للخلاص من جحيم الإسبان، وذلك نظرا لقيمته العسكرية العظيمة وكفايته في محاربة المسيحيين⁽¹⁾، فجهّز حملة عسكرية لذلك كانت مدينة جيجل قاعدة لها، حيث أرسل من البحر 16 سفينة على متنها 1500 رجل، وقاد برّا قوات تتألف من 800 تركي و500 من الأهالي⁽²⁾، وفي طريقه إلى الجزائر عرّج على مدينة شرشال^(*) ففتحها وترك بها قوة عسكرية لحمايتها⁽³⁾، ومنها اتجه إلى الجزائر التي لقي ترحيبا من أهلها، وبدخلها نصب بطارية يستهدف بها الحامية الإسبانية التي كانت تحتمي في "حصن البينون"، إلا أنّ ضعف مدفعيته لم تمكنه من تحقيق النتائج المرجوة⁽⁴⁾، فمكث بالمدينة يحفظ أمنها وينظم أمورها الإدارية والمالية⁽⁵⁾ وبمقتل شيخها سالم التومي نصّب نفسه حاكما عليها، وضرب السكة وحصن القصبّة⁽⁶⁾.

¹ - الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ص. 39.

² - Bibesco (N.) ; **Op.cit.**, P. 115, **Voir** : Adrien Berbrugger ; **Op.cit.** , 51.

* قام الأخوين باربروس في حملتهم لتحرير مدينة الجزائر بفتح مدينة شرشال أولا، وذلك لأنهما على علم أن تطهير مدينة الجزائر من الإسبان سيتطلب وقتا، والذي استمر من 1516م إلى 1529م، خاصة بتحصنهم في قلعة البينون، ولا بدّ من تأمين أماكن مناسبة لرسو الأسطول البحري التركي وحمايته من المدفعية الإسبانية، وبالتالي اتخاذ مدينة شرشال كقاعدة لعملياتهم، باعتبارها نقطة قريبة من مدينة الجزائر، إذا ما طال الحصار وحاجتهم إلى الدعم والإسناد، كون مدينة جيجل القاعدة الوحيدة لهم بالساحل الجزائري، وهي بعيدة عن هدفهم مقارنة بمدينة شرشال التي يمكن توظيفها أيضا في قطع الطريق أمام الإسناد الذي قد تتلقاه الحامية الإسبانية بالبينون من القواعد الإسبانية بالغرب الجزائري: بكل من تنس ومستغانم ووهران والمرسى الكبير مثل ما حدث في الحملة الإسبانية سنة 1518.

كما ساعد اتخاذ المدينة ضمن القواعد البحرية التركية بالإيالة الجزائرية للمزايا التي يتوفر عليها موقعها الاستراتيجي من ميناء طبيعي ووفرة المادة الأولية لصناعة السفن، إضافة إلى قربها من جزر البليار وإسبانيا، ما يساعد على عمليات الجهاد البحري، وينعكس إيجابيا على الجانب الاقتصادي من خلال المبادلات التجارية بين موانئ الضفتين. راجع:

-Fray Deigo De Haedo ; **Histoire des rois d'Alger**, traduite et annotée : H.D. de Grammont, Adolphe Jourdan, Alger, 1881, p.80.

³ - Abd Elhadi Ben Mansour; **Op.cit.**, P. 59.

⁴ - Fray Deigo De Haedo ; **Idem.**, p.20.

⁵ - وليم سينسر، الجزائر في عصر رياس البحر، تعريب وتعليق: عبد القادر زبادية، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1980، ص. 32.

⁶ - Fray Deigo De Haedo ; **Ibid.**, P.80.

بعد أن بسط القائد عروج نفوذه على مدينة الجزائر، اتخذها قاعدة عسكرية لأعماله التوسعية، حيث توسع على حساب المنطقة الغربية بضمّ مدينة تنس سنة 1517 م⁽¹⁾ والمدينة وبرشك اللتين كانتا تابعتين لها على العهد الزياني⁽²⁾ إضافة إلى مدينة مليانة، وامتد نفوذه غربا إلى مشارف وهران بكلّ من مستغانم وقلعة بني راشد، وبهذا وضع حدّا لسلطة العديد من الأمراء الصغار⁽³⁾ وتمكن من إنهاء وإلغاء القيود المفروضة من الاسبان على عدد من المدن البحرية من جيجل شرقا إلى مستغانم غربا والتي سيكون لها مستقبلا وزن في التاريخ العسكري للإيالة الجزائرية تحت السلطة التركية، وبهذا انقلبت موازين القوى بالميدان حيث فرض على الاسبان التحول من موقع الهجوم إلى موقع الدفاع وراء أسوار بعض المدن والقلاع التي بقيت تحت سلطتهم بكل من بجاية وحسن البينون بالجزائر وبمدينة وهران وقلعة المرسى الكبير⁽⁴⁾.

عرفت سنة 1518 م حدث استشهاده القائد عروج بنواحي تلمسان، فخلفه أخوه خير الدين على الحكم، الذي أعلن انضمامه إلى الدولة العثمانية سنة 1519 م، وأمر بضرب السكة وقراءة الخطبة باسم السلطان سليم خان⁽⁵⁾، وقد واصل على خطى أخيه في توسيع نطاق سلطته بإخضاع مدينة القل سنة 1520 م، وكانت حينها تمثل ميناء هاما في المعاملات التجارية بين الأوروبيين وسكان المنطقة⁽⁶⁾، وحرص على تحصين المدن القريبة من مدينة وهران، قاعدة الاسبان بالغرب الجزائري حيث حصّن كل من مدينة مستغانم ومليانة وتنس، ومناطق أخرى قريبة من وهران⁽⁷⁾ لانتقاء شرّ العدو وتشديد الخناق عليه.

¹- خير الدين باربروس، المصدر السابق، ص. 80-85.

²-الحسن بن محمّد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ص 33-41. راجع: مارمول كربخال، المصدر السابق، ص. 355.

³- وليم سبنسر، المرجع السابق، ص. 34.

⁴- محمّد درّاج، المرجع السابق، ص. 223-225.

⁵-خير الدين باربروس، المصدر نفسه ، ص. 95.

⁶-Adrien Berbrugger, « Epoque de l'établissement des turcs a Constantine », in: Revue Africaine, N° 05, Année 1857, P.401.

⁷-Abd Elhadi Ben Mansour; **Op.cit.** P.60.

كما واجه في هذه الفترة من حكمه ظروفًا أمنية داخلية مضطربة بسبب خروج عدد من المدن عن طاعته وتمرد الكثير من القبائل⁽¹⁾ مثل قبائل جرجرة بقيادة ابن القاضي الذي تمكن من احتلال مدينة الجزائر سنة 1521 م.

أمام هذا الظرف اضطر خير الدين للانسحاب إلى جيجل أين مكث يراقب الأوضاع ويحضر نفسه، يتحين الفرصة المناسبة للنيل من عدوه، وكان له ذلك سنة 1527م، حيث تواجه الطرفين بثنية بني عائشة، ولقي أمير "كوكو" مصرعه واستعاد خير الدين ملكه الضائع، ودخل من جديد مدينة الجزائر وتمكن هذه المرة من إنهاء الوجود الإسباني بها والممثل بالحامية المقيمة بحصن البينون، وكان ذلك في ماي 1529 م⁽²⁾.

بعد استرجاع مدينة الجزائر، ضمّ إلى أملاكه مدينة قسنطينة سنة 1535م⁽³⁾، وفي سنة 1540م انتزع مدينة عنابة من الأسبان الذين استولوا عليها بعد احتلالهم لتونس بقيادة الإمبراطور شارل الخامس سنة 1535 م⁽⁴⁾.

لم يكتف الأتراك بضمّ المدن الساحلية والداخلية لسلطتهم، بل واصلوا مدّها جنوبًا، ففي فترة حكم حسن آغا (1533م-1544م) وبعد إجهاض حملة شارل الخامس على مدينة الجزائر سنة 1541م تمكن من ضمّ مدينة بسكرة⁽⁵⁾، وفي سنة 1554م تمكن الأتراك على عهد صالح رايس دخول تلمسان ووضع حدّ نهائي لعرش بني زيان، بعد أن

¹ - محمد درّاج، المرجع السابق، ص. 227.

² - أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص. 211-218.

³ - Charles Monchicourt ; « La Frontière Algéro-Tunisienne dans le Tell et dans la Steppe » ; in : *Revue Africaine*, N° 82, 1938, P.32.

⁴ - محمد ابن ابراهيم جندلي، عنابة في سياق التاريخ وعمق الجغرافيا، ط.1، مطبعة المعارف، عنابة، الجزائر، 2007، ص.331.

⁵ - أحمد توفيق المدني، محمد بن عثمان باشا داي الجزائر، 1766-1791، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص. 27.

كانت المدينة في أخذ وردّ بينهم وبين الإسبان⁽¹⁾ منذ أن دخلها بابا عروج أول مرة في سبتمبر سنة 1517م⁽²⁾.

واصل الحكام الأتراك سياستهم العسكرية التي تقضي بمضايقة الإسبان بالسواحل الجزائرية وقطع سبل الإمداد عنهم، وذلك باستهداف المدن التي لا تزال تحت سلطتهم، ففي سنة 1555م، وجّه صالح باشا حملة عسكرية ضدّ الحامية الإسبانية بمدينة بجاية، وبمساعدة من القوات الغير نظامية التي أمده بها أمير "كوكو"، قام بمحاصرة المدينة بحرا وبرّا، حيث استهدف تحصيناتها من الناحية البرية أعلى المدينة باستغلال المرتفعات التي ساعدته في استعمال المدفعية عكس الحملات السابقة 1512م-1514م التي ركّزت فيها القوات التركية على الواجهة البحرية، وقد تمكّن الجزائريون في هذه الحملة من الاستيلاء على الحصن الملكي (برج موسى) وبعده برج البحر (برج سيدي عبد القادر) بعد صمود حاميته لخمسّة أيام، أمّا القصبّة التي كان يقيم بها حاكم المدينة "الدون لويس دوبرالتا" Don Luis de Peralta فظلّ صامدا مع من تبقى من حاميته بالمدينة أربع وعشرين يوما، موعد استسلامه وتسليمه القصبّة مقابل ضمان سلامته وسلام حاميته⁽³⁾، وبعد هذا النصر ترك صالح باشا حامية يتراوح عددها ما بين 150 إلى 200 رجل موزعين على الحصون الثلاثة السابقة الذكر⁽⁴⁾.

1- شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة، ج2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1985، ص.207. راجع: أحمد توفيق المدني، محمد بن عثمان باشا...، ص.28. -- الحسن بن محمّد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ص. 40.

- Charles Brosselard ; « Les inscriptions arabes de Tlemcen », ; in : Revue Africaine, N° 14, 1858, P.84.

2- Fray Deigo De Haedo ; Histoire..., P.28-31.

3- Rozet et Carette ; L'Algérie, Paris, France, 1850, P.48. Voir : -Charles Féraud; « Conquête de Bougie par les Espagnols », in : Revue Africaine, N° 71, 1868, P.348-349.- Adrien Berbrugger, Les époques ..., P. 89-90.

4 - Charles Féraud; « Histoire des villes de la province de Constantine », in : R. de Constantine, N°03, _ Année 1869, P.292.

حاول حكام الجزائر جاهدين تحرير مدينة وهران من الاحتلال الاسباني، إلا أنّها بقيت ممتنعة عنهم، إلى غاية عهد الداي "بكداش" الذي أرسل من مدينة الجزائر 8500 رجل مع سلاح كثير ومدفعية ضخمة وكمّيات هائلة من البارود تفوق الثلاثة ألاف قنطار، وعيّن على رأس هذه القوة صهره "أوزن حسن" لإسناد "مصطفى بوشلاغم" باي الغرب الذي سار بدوره إلى مدينة وهران مدعما بألاف المتطوعين من الجزائريين، وعندما تمّ لمّ شمل الجيش الجزائري أوائل سبتمبر 1119هـ/1707م، بادروا بمنازلة وهران والتضييق عليها، فكانت القيادة العليا للوزير "أوزن حسن" وإدارة العمليات للباي بوشلاغم⁽¹⁾.

قامت القوات الجزائرية بمهاجمة الحصون الرئيسية للمدينة تباعا، أولها برج العيون في 04 ربيع الأول 1119هـ/ 14 جوان 1707م، وبعد ستة وخمسين يوما من الحصار تمكّنوا من الاستيلاء عليه، وكان ذلك في يوم 10 جمادى الثانية 1119هـ/ 08 سبتمبر 1707م وأسروا إثر هذه العملية 545 رجلا.

توجه الجزائريون بعدها إلى برج مرجاجو وحاصروه من الخميس إلى السبت يوم الفتح 27 من جمادى الثانية سنة 1119هـ/ 25 سبتمبر 1707م، ولقد ولّد ذلك عند المجاهدين سعادة كبيرة نظرا لمناعة هذه القلعة، ومكانتها الدفاعية الهامة ضمن الحصون الرئيسية للمدينة، وقد أسروا فيه مائة وستة رجال وست نسوة، إضافة إلى الأسلحة من المدافع والذخيرة.

بعد هذا الإنجاز حوّل الجزائريون أنظارهم إلى برج "بن زهوة" "Saint Gregoire" وبقي البرج ممتنعا وحاميته صامدة رغم استعمال نفقين للألغام، إلا أنّهما لم يحدثا فارقا في الميدان إلا بعد استعمال نفق ألغام ثالث، تمكنوا بواسطته من إحداث منفذ في أسوار

¹ - احمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة ... ، ص 456.

الحسن واستولوا عليه يوم 05 شعبان سنة 1119هـ / 06 نوفمبر 1707م⁽¹⁾، وبهذه الإستراتيجية تقدّمت القوات الجزائرية أكثر نحو الواجهة البحرية، حيث جعلت هذه المرة البرج الأحمر (البرج الجديد) آخر نقطة دفاعية بالناحية الشمالية الشرقية للمدينة هدفا لها، وفرضوا عليه الحصار، وفي نفس الوقت كان الجزائريون قد نقلوا المعركة إلى داخل أسوار المدينة، ما دفع قائد البرج إلى عقد اتفاق مع القائد العام الجزائري "أوزن حسن" يقضي على أن تقف أعمال الحرب حول البرج، فإن تمكّن الجزائريون من احتلال مدينة وهران فالبرج سيستسلم لهم تبعا للمدينة⁽²⁾، وبعدئذ هاجم الجزائريون برج لامون آخر تحصينات المدينة بالواجهة البحرية الشمالية الغربية حيث الميناء، وكان دخوله أكثر سهولة من سابقه نظرا للحالة المعنوية المحبطة لحاميته⁽³⁾.

مهّد هذا النصر للجزائريين دخول واحتلال القصبّة، وكان حاكمها العام "ماسوردي افيلانيدا"، قد غادرها مع رعيته إلى قلعة المرسى الكبير، وبهذا تمّ فتح وهران واستسلمت حامية البرج الجديد لتنفيذ للعقد الذي تمّ بين الطرفين، وكان فيه أربعمئة رجل، أمّا السلاح والمؤن والأمتعة المختلفة فتفوق الحصر⁽⁴⁾.

بعد مرور خمسة أشهر من تحرير المدينة، تمكّن الجزائريون من تحرير قلعة المرسى الكبير آخر معاقل الإسبان بالبلاد الجزائرية، وذلك بعد أن دكوا أسوارها باستعمال الألغام، وواجهوا حاميتها التي كانت تقدّر يومها بـ 3000 رجل إلى أن اضطّرت إلى الاستسلام في 16 أبريل من سنة 1708 م⁽⁵⁾.

¹ - محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص. 212-224. راجع:

-Albert Devoulx; <<Tachrifat>> ; In: Revue Africaine, Imprimerie du Gouvernement, Alger, 1852, P.1 .

² - أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة...، ص. 461.

³ - Ernest Mercier ; **Histoire de L'Afrique Septentrionale**, T.03, Paris, France, 1868, P.334.

⁴ - أحمد توفيق المدني، المرجع نفسه...، ص. 462.

⁵ - Albert Devoulx ; **Idem.**, P.17.

نقل الباي بوشلاغم عاصمته من معسكر إلى وهران، وأقام بها يحكم بايليك الغرب إلى غاية 1732م، تاريخ خضوعها من جديد للاحتلال الاسباني، وانتقل على إثر ذلك إلى مستغانم، حيث اتخذ منها عاصمة مؤقتة لمقاطعته⁽¹⁾.

اتضح ممّا سبق أنّ الخطة الهجومية التي طبقها الجيش الجزائري خلال حملته على وهران سنة 1708م بقيادة "أوزن حسن" والباي "بوشلاغم"، كانت منظمة ومدروسة، بعد الاطلاع والكشف عن نقاط القوّة والضعف بتحصينات المدينة، حيث تمّ الإنزال بميناء أرزيو، وهاجمت القوات الجزائرية مدينة وهران من البر لاستحالة حصارها من الناحية البحرية، وذلك لجاهزية البحرية الإسبانية، إضافة إلى القوّة الدفاعية لقلعة المرسى الكبير⁽²⁾.

اتجهت بعد ذلك قوآت الجيش إلى أعلى المدينة ونصبت مدفعيتها، حيث جبل المائدة، هذا المكان الذي سبق وأن اعتمده الحكام الأتراك في حملاتهم على المدينة مثل حملة إبراهيم باشا⁽³⁾ مستغلين إشراف هذا الموضع على أعلى تحصينات المدينة (برج المرجاجو) ب 40 م⁽⁴⁾، ما جعله هدفا سهلا للمدفعية الجزائرية، هذا ما يؤكد وجود خلل في النظام التحصيني الاسباني لمدينة وهران، بمخالفة تحصين النقاط المشرفة لقطع الطريق أمام العدو في استغلالها.

كما استهدف الجزائريون برج العيون الذي يحتل موقعا استراتيجيا، كونه يعدّ المدخل إلى المدينة بالنسبة لقاصديها من الريف، والاستيلاء عليه يعني السيطرة على أهم مورد حيوي

¹ - أحمد بن عبد الرحمن الشقراني الراشدي، القول الأوسط في أخبار بعض من حلّ بالمغرب الأوسط، تحقيق: ناصر الدين سعيدوني، ط.1، لدار الغرب الإسلامي، لبنان، 1991، ص. 71.

² - نفسه، ص. 71.

³ - الأغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق: يحيى بوعزيز، ج.1، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990، ص. 227.

⁴ - René Lespès; **Oran, etude de géographie et d'histoire Urbaines**, librairie Félix Alcan, Paris, France, S.D., P.16.

للمدينة والمتمثل في الماء، وهذا للزيادة من شدة الحصار والتعجيل باستسلام حاميتها إضافة إلى استغلال ما تتوفر عليه هذه الحصون الخارجية من مؤن وعتاد حربي لتزويد الجيش الجزائري بما يحتاجه طيلة عملية الحصار، التي امتدت من شهر سبتمبر 1707م إلى شهر أبريل 1708م، وفي هذا إضعاف للعدو كلما طالّت مدّة الحصار من جهة - كل محاصر مأخوذ- وتقليل في التكاليف الحربية من جهة أخرى، ويظهر ممّا سبق في قول "عبد الرحمن الجامعي" في برج العيون عندما فتحه الجزائريون أنّه كان به من: <<البارود والسلاح والأقوات والأطعمة ما يستغني به أهله لمدّة حصره...>>⁽¹⁾.

كان أيضا الغرض من التركيز على انتزاع هاتين البنايتين قبل غيرهما من البنايات الحربية، تأمين المساحات المحصورة بينها وبين التحصينات السفلية من مدفعية العدو، وفي ذلك حماية لظهر القوات الجزائرية، واكتساب أفضلية عند استخدامها في محاصرة ومهاجمة الخصم.

تدعمت هذه الخطوة باستهداف التحصينات الإسبانية واحدة تلوى الأخرى، بداية من برج "سانتا كروز" أعلى المدينة إلى برج لامون عند الميناء، ما يسهّل من عملية الاستيلاء عليها بأخفّ الأضرار، وهي دليل على إدراك القيادة الجزائرية للخلل الدفاعي الموجود في النظام التحصيني المعماري للمدينة، خاصة في غياب سبل الإمداد لهذه الحصون من داخل المدينة، وإسناد الأبراج لبعضها البعض، وما يؤكد هذا الخلل قيام القيادة الاسبانية بوهران بعد احتلالها سنة 1732م بإنجاز تحصينات جديدة، لتدعيم النظام الدفاعي السابق، وتغطية نقاط الضعف به، بالربط بين حصون المدينة فيما بينها، بحفر الأنفاق لضمان تموينها عند الضرورة، وإنشاء حصون جديدة مثل: حصن فرديناند

¹ - محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص. 215.

Fort Ferdinand وحصن القديس "شارل"، كما أتموا وحسنوا بعض الأعمال الدفاعية بعدد من الحصون، منها حصن المرجاجو وحصن القديس فليب⁽¹⁾.

استقرّ الإسبان بوهران بعد أن حسّنوا من قدراتها الدفاعية، بإضافة تحصينات جديدة أو بتطوير التّحصينات القديمة للمدينة لتغطية نقاط الضعف التي كان يعاني منها النظام الدفاعي المعماري للمدينة، والتي ساعدت حملة الباي بوشلاغم سنة 1708م في الكشف عنها⁽²⁾.

بقيت وهران في قبضة الإسبان إلى أن حلّ شتاء 1789م - 1790م، حيث قام محمّد الكبير باستدعاء قادة القبائل وأعلمهم بمشروعه المتمثّل في غزو وهران، وقام بتحضير الوسائل الضرورية من الأسلحة وحشد القوات، وقد صادف هذه العملية زلزال عنيف ضرب المدينة في ليلة الثامن والتاسع من أكتوبر 1790م ما ألحق أضرارا كبيرة بالمدينة وبدفاعاتها، وهلك فيها خلق كثير، حيث قتل بإحدى ثكنات الجيش بالقصبة لوحدها 750 جندي⁽³⁾، وكانت هذه الحادثة سببا في تعجيل باي الغرب حملته على وهران التي حلّ بها أربعة أيام بعد ذلك⁽⁴⁾ وقام بمحاصرتها، إلّا أنّه عجز على اقتحام أسوارها وافتكاك حصونها، رغم تضرر الدفاعات المعمارية للمدينة بما فيها الحصون الرئيسية مثل: حصن القديس "أنديري" وحصن القديس "فليب" وحصن "المرجاجو" وحصن القديس غريغوري...الخ⁽⁵⁾.

¹- Don José Vallejo ; « Contribution a l'histoire du vieil Oran » ; Traduit et annoté : Jean Cazenave, in : *Revue Africaine*, N° 322, Année 1925, P.325-326.

² - René Lespès; *Oran, étude de géographie...*, P. 73-74.

³- Don José Vallejo ; *Idem.*, P. 333.

⁴- Ernest Mercier ; *Op.cit.*, P. 432.

⁵ - Henri-Léon Fey ; *Histoire D'Oran, avant, pendant et après la domination espagnole*, Adolphe Perrier, Algérie, 1858, P.235-242.

نتيجة لذلك قرّر الباي محمّد الكبير تنظيم الحصار، وعاد إلى معسكر لتوفير كلّ الوسائل الضرورية للهجوم، وفي أبريل 1791م عاد الباي إلى وهران وبدأ الهجوم على برج المرجاجو وبرج العيون، وطال حصارهما إلى أن استولى المجاهدون على هذا الأخير بعد أن فجّروا مخزن البارود به، وكان ذلك يوم 29 جوان 1791م، وفي نفس الليلة أمر الباي بهجوم عام، واستمرّ إلى غاية جويلية 1791⁽¹⁾.

أمام هذا الوضع اضطرّ إسبانيا إلى طلب الصلح مع الجزائر بقيادة الداي "حسان باشا" ودخل الطرفين في مفاوضات تمّ وفقها استرجاع وهران والمرسى الكبير مقابل بعض الامتيازات الاقتصادية لإسبانيا، ونفّذت ميدانيا يوم 24 فيفري 1792 تاريخ دخول محمد الكبير وهران، وأنتهت بذلك إحدى أطول صفحات الاستعمار بالتاريخ الحديث التي كانت الأراضي الجزائرية مسرحاً لها⁽²⁾.

يضاف إلى هذا الإنجاز ضمّ كلّ من تقرت و ورقلة الذي تم على عهد "صالح رايس" (1552م-1556م)⁽³⁾، وفي عهد الباي محمد الكبير قاد من مدينة معسكر عاصمة بايليك الغرب، حملة عسكرية ضدّ الأغواط ونواحيها لامتناع سكانها الخضوع لسلطة الأتراك، وفي طريقه إليها خضعت لطاعته العديد من المدن، ولمّا حلّ بمدينة الأغواط التي تتميز عن غيرها بحصانتها لكثرة أسوارها، قام بحصارها وتمكّن من اختراقها بعد أن هدم الكثير منها، وعندما أيقن سكانها أنّه لا سبيل لهم للنجاة طلبوا عفوه فكان لهم ذلك، وأعلنوا خضوعهم له وقبلوا بتأدية ما عليهم من الضرائب، وكان ذلك في سنة 1785⁽⁴⁾.

¹-Ernest mercier ; **Op.cit.**, P.434.

²-أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة...، ص 526.

³-أحمد توفيق المدني، محمد بن عثمان باشا....، ص 28..

⁴-أحمد بن هلال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري، حررها وقدمها: د. محمد بن عبد الكريم، ط.1،

المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 2004، ص. 51-62. راجع:

Gorgus (A.) ; « Notice sur le Bey D'Oran », in : *Revue Africaine*, N° 05, 1875, P412.

بهذا المسار تشكّلت على العموم ملامح الإيالة الجزائرية خلال الحكم التركي، وإن كانت هذه السلطة لم تكن مباشرة وثابتة بهذه الرقعة الجغرافية الواسعة في أغلب الأوقات خاصة في الجنوب، وفي منطقة القبائل التي اشتهرت بكثرة ثوراتها ورفض سكانها الخضوع للسلطة التركية لسبب أو آخر، إضافة إلى الصراع القائم بين الجزائر وجارتها خاصة الإيالة التونسية حول ترسيم الحدود، هذا الصراع الذي امتدّ إلى بداية القرن 19 م، وكان له تأثير على التواجد العسكري وتحصين بعض المدن بالمناطق الحدودية⁽¹⁾.

التنظيم السياسي والإداري للجزائر خلال الحكم التركي:

نظام الحكم بالإيالة الجزائرية:

اتصف نظام الحكم في الإيالة الجزائرية خلال الحكم التركي لها بتعاقب عدّة أنظمة سياسية على السلطة، مقسمة إلى أربعة مراحل تاريخية، شهدت أحداثا داخلية وخارجية تباينت انعكاساتها على جوانب الحياة في البلاد من مرحلة إلى أخرى.

مرحلة الباي لارباي 1518-1587:

ابتدأت من تاريخ تولي "خير الدين بربروس" الحكم وإعلانه دخول الجزائر تحت لواء الدولة العثمانية، ونال نظير ذلك لقب الباي لارباي "أمير الأمراء"⁽²⁾، وامتدت هذه المرحلة إلى سنة 1587، وتعاقب على حكمها 12 أميرا للأمراء كـ "حسن آغا" و"صالح باشا" و"عرب أحمد"⁽³⁾، شخصيات ارتبطت أسماؤهم بالأعمال الجليلة التي قاموا بها في سبيل الدفاع عن البلاد الجزائرية، وتحرير أراضيها من الاحتلال الإسباني، وأقاموا لأجل ذلك دفاعات هامة خاصة بمدينة الجزائر مثل تحصينات الميناء وحصن الإمبراطور وبرج عالج علي...الخ، منها التي لا تزال قائمة، ومنها التي تخذل لنا تاريخها الكتابات الأثرية

¹- Charles Manchicourt; Op.cit., P.33-34.

²- محمد بن إبراهيم جندلي، المرجع السابق، ص.319.

³- أحمد توفيق المدني، محمد بن عثمان باشا...، ص. 27-32.

المحفوظة بالمتاحف الوطنية⁽¹⁾، إضافة إلى ما وصل إلينا من معلومات حولها في ثنايا النصوص التاريخية المعاصرة للفترة التركية أو بعدها.

مرحلة الباشوات 1587م-1689م:

تداول على هذا المنصب ثلاثون حاكما يتقدمهم "دالي أحمد باشا" (1587-1589)، ويتذيلهم في الترتيب "إبراهيم باشا" (1656-1659)، وهؤلاء يعينون ويرسلون من طرف الباب العالي لحكم البلاد لمدة لا تتجاوز ثلاثة سنوات⁽²⁾، واتصفت هذه الفترة بكثرة الاضطرابات والفوضى، مما ساعد الأغوات على الاستيلاء على الحكم تدريجيا عن طريق مجلس الأوجاق الذي يرأسه عادة أحد الأغوات، وبذلك ابتدأت المرحلة الثالثة في تاريخ نظام الحكم بالإيالة، وهي مرحلة الأغوات⁽³⁾.

مرحلة الأغوات 1659م-1671م:

هي أقصر مراحل الحكم مقارنة بالمراحل الثلاثة الأخرى، أشرف عليها أربعة أغوات انتهجوا في تسيير شؤون البلاد سياسة مستقلة عن الدولة العثمانية⁽⁴⁾، إلا أن ذلك لم يغيّر في الأوضاع شيئا، حيث اشتدت الفتن وكثرت الاغتيالات، ومن ضحاياها "علي آغا" (1565-1671) الذي كان مقتله سببا في العزوف عن تولي هذا المنصب، ما دفع

¹- Gabriel Colin ; **Corpus des inscriptions arabes et turques de L'Algérie**, Ernest Leroux, Paris, France, 1901.P.76.

²- أحمد توفيق المدني، محمد بن عثمان باشا...، ص. 32-39.

³- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية 1800-1830، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص. 23-24.

⁴- ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، ج 4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص. 15.

بمجلس الديوان إلى إلغاء نظام الآغوية وتعويضه بنظام أكثر استقرارا وأضمن للراحة والهدوء، و ذلك باستحداث نظام الدايات⁽¹⁾.

مرحلة الدايات (1670-1830):

أطول وآخر مرحلة في نظام الحكم في الإيالة الجزائرية، تداول على تسيير شؤونها حكام منتخبون لهم مطلق الصلاحية في التصرف في شؤون الإيالة، ولا يحد من نفوذهم سوى مجموعة من الموظفين الكبار والقادة العسكريين الذين كانوا يجتمعون عادة بالديوان لتقديم النصح والمشورة لهم⁽²⁾.

عرفت هذه الفترة على الصعيد الأمني حدثا هاما يتمثل في تحرير مدينة وهران والمرسى الكبير من الإسبان من طرف الباي "مصطفى بوشلاغم" سنة 1708م للمرة الأولى منذ دخول الأتراك إلى الجزائر، كما شهدت هذه الفترة على الصعيد الخارجي تصعيدا عسكريا بين الجزائر وبعض الدول الأوروبية، خاصة إسبانيا التي بلغ الصراع معها إلى أوجّه على عهد "محمد بن عثمان باشا" (1766-1791) أظهر خلال هذه الحرب حنكته العسكرية وجاهزيته الدفاعية، مكّنته من إرهاب عدّوه ومهّد الطريق للتحرير النهائي لمدينة وهران الذي كان سنة 1792م.

إن هذه المكاسب لن يطول الحفاظ عليها، فبعد أربعة عقود من هذا الإنجاز أفل نجم الإيالة الجزائرية على يد الفرنسيين على عهد "الداي حسين" آخر دايات الجزائر سنة 1830م.

¹ - أحمد توفيق المدني، محمد بن عثمان باشا... ، ص. 40-41.

² - ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص. 15.

التنظيم الإداري بالإيالة الجزائرية:

ظهرت بوادر التّنظيم الإداري للبلاد الجزائرية إلى فترة متقدمة من الحكم التركي لها، فبعد أن تولى "عروج" الحكم سنة 1516م، وبسط نفوذه على المناطق المجاورة لمدينة الجزائر، قسّم أملاكه إلى قسمين: القسم الغربي بقيادته ومقرّه مدينة الجزائر، والقسم الشرقي تحت حكم أخيه "خير الدين" ومقرّه مدينة دّلس⁽¹⁾.

بعد وفاته سنة 1518م خلفه "خير الدين باشا" قام هو الآخر بتنظيم دولته، واستعان في تسيير شؤونها بعناصر محلية، فنصّب "أحمد بن القاضي" واليا على الناحية الشرقية من الجزائر، وجعل مركزها ببلاد القبائل الكبرى، وعيّن "محمد بن علي" واليا على الناحية الغربية⁽²⁾.

واصل الحكّام الأتراك توسيع سلطتهم على مناطق كثيرة من البلاد الجزائرية وتوحيدها تحت رايتهم، حيث لم يقتصر ذلك على المناطق الساحلية والداخلية، بل امتد جنوبا إلى عاصمة الزاب مدينة بسكرة على عهد "حسن آغا" بعد حملة "شارل الخامس" على مدينة الجزائر سنة 1541م وتمكّن "صالح رايس" (1552-1556م) احتلال تقرت وورقلة⁽³⁾، وبهذا الإنجاز وصعوبة تسيير المجال الجغرافي الواسع تحت سلطة مركزية واحدة اضطر "حسن باشا" إلى تقسيمه إلى أربع ولايات⁽⁴⁾: دار السلطان، بايليك الشرق، بايليك الغرب، وبايليك التيطري⁽⁵⁾. أنظر الخريطة رقم: (01).

¹ - الحسن بن محمّد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ص. 42.

² - أحمد توفيق المدني، محمد بن عثمان باشا...، ص. 25. راجع:

- Adrien Berbrugger ; << **Epoque de l'établissement des turques a Constantine** >>, in : revue africaine, N 5 /1857, P. 61.

³ - أحمد توفيق المدني، المرجع نفسه، ص. 26-28.

⁴ - محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص. 35-36.

⁵ - Vayssette (E.) << **Histoire des derniers Beys de Constantine** >>, in: Revue Africaine, N° 14 / 1858, P.111.

دار السلطان:

تمتدّ من دّلس شرقا إلى شرشال غربا، ومن ساحل البحر شمالا إلى سفوح الأطلس البليدي جنوبا، وتضمّ إقليمي: الساحل ومتيجة وبعض الامتدادات في بلاد القبائل، وتخضع دار السلطان مباشرة لسلطة الداوي، وتنقسم إلى أوطان يحكمها قادة تحت إشراف آغا العرب قائد الجيش، وكلّ وطن مكّون من دواوير يسكنها الأهالي، ومن أحواش يملكها موظفو السلطة التركية والانكشارية والمرابطون وبعض الأثرياء الجزائريين⁽¹⁾، أمّا أهم مدنه فهي مدينة الجزائر عاصمة الإقليم والإيالة ومدينة البليدة والقليلة وشرشال ودّلس⁽²⁾.

يشرف على تسيير دار السلطان الداوي، ويساعده في أداء مهامه الإدارية وإصدار أوامره وتعليماته ديوان خاص يتشكّل من مجموعة من الموظفين السامين، وتضمّ هذه المجموعة⁽³⁾:

الخرناجي: أو المتصرف في خزينة الدولة، كان يقوم بتسليم المداخل ويشرف على الإنفاق ويراقب أمور السكة، يساعده في مهامه أمين السكة وبعض الموظفين من الحضر واليهود.

آغا العرب: أو آغا العسكر قائد فرق الانكشارية والاولجاق وجماعات فرسان المخزن الصبايحية، يتلقى أوامره من الداوي مباشرة، وأوكل إليه مراقبة قيادات متيجة والساحل وأوطان دار السلطان والمناطق الملحقة بها كسهول سباو وعريب، وتزايد نفوذه أواخر

¹ - ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية 1800 - 1830، ش.و.ن.ت.، الجزائر، 1979، ص. 29.

² - Rinn (L.) ; << Le Royaume d'Alger sous les derniers Deys >>, in : *Revue Africaine*, N° 224 / 1897, P.134. **Voir :**

- حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تقديم وتعريب وتحقيق: محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006، ص. 99-100.

³ - ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص. 16-18.

العهد العثماني داخل مدينة الجزائر بعد أن كلف بإقرار الهدوء والمحافظة على الأمن بالفحوص القريبة من المدينة.

بيت المالجي: يراقب الأملاك والثروات التي تعود للدولة نتيجة المصادرة أو انعدام الورثة، كما يقوم بحفظ الودائع وتسيير أملاك الغائبين والتصرف فيها في حال شغورها، وذلك ببيعها أو تسليمها لمستحقيها، أو كرائها لفائدة البايليك، بالإضافة إلى قيامه ببعض الأعمال الخيرية كتوزيع الصدقات على المستحقين، والتكفل بدفن الفقراء المعدمين.

خوجة الخيل: ارتقى إلى مرتبة الموظفين الكبار بعد أن أصبح يدير أملاك البايليك ويرعى مواشي الدولة، ويتصل بفرسان المخزن وبالعشائر الحليفة أو المقيمة في أراضي البايليك بمناطق دار السلطان والتيطري، للحصول على المواد الغذائية الضرورية لتموين الموظفين الأتراك والفرق العسكرية المعسكرة في مدينة الجزائر.

وكيل الحرج: يراقب النشاط البحري ويشرف على أعمال الترسانة البحرية وينظر في توزيع الغنائم ويتصل في بعض الأحيان بقناصل ومبعوثي الدول الأوروبية.

يخضع لأوامر هؤلاء الموظفين السامين عدد كبير من العمال الثانويين مثل كتّاب الدولة، وينقسمون إلى الكتّاب الأربعة الكبار (المكتباجي، وكيل الحرج الكبير، وكيل الحرج الصغير، كاتب عام)، وإلى جماعات الخوجات، وهم كثر حسب تنوع وظائفهم (خوجة القصر، خوجة الجمارك، خوجة الغنائم، خوجة الرحبة، خوجة مخزن الزرع، خوجة العيون، خوجات أبواب المدينة، وخوجات المنازل والدكاكين، والحدائق...الخ).

أما موظفو الخدمات الاجتماعية والاقتصادية فيتمثلون في شيخ البلد، المحتسب والمزوار، وهناك أيضا جماعة من الموظفين وهي جماعة الخدم والشواش وتشتمل على: الطبّاخين والشواش وآغا العزرة والدلال والبراح⁽¹⁾.

¹-ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص. 28.

بايليك الشرق:

أسس سنة 974هـ-1567م ومقرّ الخلافة فيه مدينة قسنطينة⁽¹⁾ وهو أكبر المقاطعات في الجزائر، وأهمّها من جميع النواحي⁽²⁾، ثري بخيراته، حيث يكثر به إنتاج الشمع والعسل والزيت والزبدة والحبوب ومنتجات أخرى تحمّل موانئها بعنابة والقلّ وجيجل وبجاية إلى الدول الأوروبية وعلى رأسها فرنسا⁽³⁾.

كما ساهم وفرة الإنتاج وتنوعه بهذه المقاطعة في جعلها تحتل الطليعة على مستوى الإيالة في قيمة الدنوش التي تدفع للخزينة العمومية مقارنة ببايليك وهران والтитيري إلى غاية الاحتلال الفرنسي للجزائر حسب ما تؤكد الأرقام التي نشرتها الدراسات المتخصصة في النظام المالي للجزائر خلال الحكم التركي⁽⁴⁾.

تعاقب على حكم بايليك قسنطينة 46 بايا، أولهم "رمضان توشلاق باي" (1567-1574م) وآخرهم "الحاج أحمد باي" (1826-1837م)⁽⁵⁾، آخر بايات الجزائر صمودا في وجه الاحتلال الفرنسي إلى غاية 1837م⁽⁶⁾.

¹- محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص 36.

²- محمد العربي الزبيري، مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1973، ص 17.

³- Sacerdoti, « La Mission à Alger du Consul de Venise N. Rosalem » ; in : *Revue Africaine*, N° 96 / 1952, P.83.

⁴- ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 31.

⁵- عبد القادر دحدوح، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، دراسة عمرانية أثرية، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الآثار الإسلامية بمعهد الآثار، جامعة بوزريعة، الجزائر، 2009-2010، ص. 96-109.

⁶ - Ernest mercier ; *Histoire de Constantine*, Constantine, Algérie, 1903, P.433.

يشمل بايليك الشرق عددا من المدن الهامة بعضها بحرية والبعض الآخر داخلية وصحراوية، كانت تحفظ أمنها نوبات موزعة على النحو التالي: قسنطينة وعنابة بكلّ منهما 05 صفرات، وببسكرة 04 صفرات، وبجاية 03 صفرات، وبكلّ من جيجل وتبسة صفرتان⁽¹⁾، وتدعم هذه القوات خارج المدن قوات المخزن، مثل: مخزن الحراكطة، ويشتمل على عين البيضاء وصدارته ومسكيانة...الخ، ومخزن أولاد عبد النور⁽²⁾.

بايليك الغرب:

أسس سنة 970هـ/1563م⁽³⁾، وهو أصغر مساحة من بايليك الشرق، ويمتاز عن غيره بطابعه العسكري، وذلك للظروف السائدة به كونه كان يشارك المنطقة مع العدو الإسباني المقيم بوهران والمرسى الكبير وأحلافه من القبائل المجاورة، إضافة إلى القبائل المستقلة من أولاد سيدي الشيخ التي كانت تشكّل الطرف الجنوبي للبايليك⁽⁴⁾، وكان لهذا الوضع الأمني انعكاسات سلبية على العمران والنشاط الزراعي، لانعدام الاستقرار خارج المدن الكبرى والجبال المنيعّة، ما فرض على أغلب قاطنيه التحوّل إلى ممارسة نشاط الرعي⁽⁵⁾.

اتخذ الأتراك أكثر من عاصمة لهذا البايليك، حيث كانت أولها مدينة مازونة⁽⁶⁾ قبل أن تنتقل إلى مدينة معسكر التي فاقت مدينة تلمسان ازدهارا على هذا العهد⁽⁷⁾ وقع عليها الاختيار من الباي "بوشلاغم" لأنّ موقعها مناسب لتكون قاعدة لتحضير الحملات

¹-Albert Devoulx ; **Tachrifat...** , P.50.

²- مبارك محمّد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح: محمّد الميلي، ج. 3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964، ص 299.

³- محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص. 36.

⁴- Rinn (L.), **Op.cit.**, P137.

⁵- مبارك محمّد الميلي، المرجع نفسه، ص. 297.

⁶- Rinn (L.), **Idem.**, in : *Revue Africaine*, N° 228, Année 1898, P.07.

⁷- حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص. 59.

العسكرية ضدّ الإسبان بوهرا⁽¹⁾، هذه الأخيرة التي جعل منها عاصمة ثالثة بعد تحريرها من الإسبان سنة 1708م، ولكن تمكّن الإسبان من إخضاعها مرة ثانية سنة 1732م، وفشل الباي "بوشلاغم"⁽²⁾ في الدفاع عنها، جعله ينقل مقرّ حكمه إلى مدينة مستغانم(*) التي استقر بها حتى وافته المنية، وخلفه ابنه يوسف الذي حوّل مقرّ حكمه إلى مدينة معسكر من جديد⁽³⁾ واستقر الوضع على هذا الحال إلى أن تمكّن الباي "محمد الكبير" من إنهاء الوجود الإسباني بالجزائر بتحريره لمدينة وهران سنة 1206هـ / 1792م وجعل منها عاصمة للبايليك مرة أخرى⁽⁴⁾، وبقيت كذلك إلى غاية احتلال المدينة من طرف الفرنسيين سنة 1833م على عهد الباي حسن واستمر بمنصبه يحكم باسمهم مدّة سبعة أشهر⁽⁵⁾.

¹ - Gorgus (A.); **Op.cit.**, in : *Revue Africaine*, N° 07, Année 1857, P.33.

² - أحمد بن عبد الرحمن الشقراني الراشدي، **المصدر السابق**، ص.71.
* كانت مدينة مستغانم محلّ نزاع بين الأتراك والإسبان منذ تحرير الأخوين بربروس لمدينة الجزائر، وذلك للموقع الاستراتيجي الذي تحتله بالمنطقة الغربية من الجزائر، فقد اتخذ منها الإسبان قاعدة إسناد لتموين قواتهم بالمرسى الكبير وهران منذ خضوعها لهم سنة 1511م وباسترجاع الأتراك لها سنة 1517م، ضيقوا الخناق على الإسبان وحلفائهم بقطع خطوط الإمداد عنهم، هذا ما جعل حاكم وهران الكودات Alcoudète يحاول استرجاعها في ثلاث حملات متتالية سنوات 1541-1547-1558م، هذه الأخيرة التي تسببت في مقتله دون بسط نفوذه عليها.

واعتمدت عليها السلطة التركية أيضا كقاعدة حربية للاستعداد لأي طارئ ينتج عن مهاجمة الإسبان للمدن الساحلية، وذلك بتقديم الدعم للجيش الجزائري، كونها أهم موانئ بايليك الغرب قبل فتح وهران سنة 1792م، كما اعتمدوا عليها في قطع الطريق أمام الإمدادات البحرية التي قد تصل الجيش الإسباني من الحامية المقيمة بوهرا والمرسى الكبير، مثل ما حدث في حملة Orreilly على الجزائر سنة 1775م.

لم تفقد هذه المدينة أهميتها حتى بعد نهاية الحكم التركي للجزائر، حيث أبقتها فرنسا تحت سيطرتها إلى جانب وهران وأرزيو، مقابل التنازل عن ما تبقى من بايليك الغرب للأمير عبد القادر. - **راجع**: محمد دراج، **المرجع السابق**، ص. 246-247. - محمد العربي الزبيري، **الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص. 116.

- Fernand Braudel; **Op. cit.**, P.370. - Albert Devoulx ; << **Expédition d'Oreilly** >>, in : *Revue Africaine*, N° 18, Année 1859, P.439. - Elie de La primaudaie ; **Op.cit.**, P.73-74.

³ - Ernest mercier ; **Op.cit**, P 375.

⁴ - Gorgus (A.), **Idem.** , in : *Revue Africaine*, N° 05, Année 1857, P.403.

⁵ - محمد العربي الزبيري، **المرجع نفسه**، ص. 18.

تضمّ مقاطعة وهران عددا من المدن التي كانت تقيم بها نوبات من القوات النظامية، حيث كان بمدينة وهران 10 صفرات، تلمسان ومستغانم بكل منهما 5 صفرات وبمدينة معسكر 3 صفرات⁽¹⁾، إضافة إلى مدينة مليانة(*) ومزغران وقلعة بني راشد، وقلعة المرسى الكبير، وميناء أرزيو، التي أحجمت الدراسات عن تقديم تفاصيل عن تعدادها العسكري و البشري، وتدعم القوات النظامية قوات المخزن التي تباين عددها بالمناطق التابعة للبايليك وتنوعت بين الخيالة والمشاة⁽²⁾.

بايليك التيطري:

يحتل هذا البايليك موقعا وسطا بين البايليكات الأخرى، حيث يتصل من الشمال بإقليم دار السلطان، ومن الشرق بمنطقة الزاب، ومن الجنوب ببلاد الجريد، ومن الغرب بإقليم الغرب⁽³⁾، يمتد شمالا إلى جبال بني صالح وبني مسعود وموزايا، ومن الشرق يشمل بني سليمان وعريب وونوغة، ومن الغرب قيادة جندل وأولاد خليف، وأخيرا من الجنوب يضم الأراضي الواسعة المحصورة بين جبال الصحاري وبني الأغواط⁽⁴⁾، وهو أصغر البايليكات

¹- Albert Devoulx ; **Tachrifat...**, p.50.

* دخل الأتراك مليانة في الفترة ما بين (1516 م-1517 م)، ومنحوها أهمية إستراتيجية خاصة لموقعها المشرف على الطريق الرابط بين مدينة الجزائر وبايليك الغرب، وبناءً على التقسيم الإداري للإيالة الذي تمّ على عهد أمراء البحر (الباي لاربايات)، ألحقت ببايليك الغرب إلى أواخر الحكم التركي للجزائر، حيث أدرجت ضمن أملاك دار السلطان. **راجع:** - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 58. - الكلونيل أسكوت، مذكرات الكلونيل أسكوت عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر 1841، ترجمة وتعليق: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص. 84.

²- مبارك محمد الميلي، المرجع السابق، ص 298.

³- Dr. Shaw; **Voyage dans la Régence d'Alger**, Traduit par: Mac Carthy, Paris, France, 1830, P.316.

⁴- Henri Federman ; « Notice sur l'histoire et l'administration du Beylik de Titeri », in : **Revue Africaine**, N° 62, Année 1867, P.113.

مساحة بامتداد يقدر بحوالي 260 كلم من الشمال إلى الجنوب، وبـ170 كلم من الشرق إلى الغرب⁽¹⁾.

أسسه الأتراك سنة 1540م، واتخذوا من مدينة المدية عاصمة له، لما لهذه المدينة من مكانة إستراتيجية شجعت على تواصل استغلالها مع مرور الزمن إلى غاية قيام الدولة الجزائرية الحديثة على يد الأمير عبد القادر الجزائري، حيث اتخذ منها مقرا لإحدى مقاطعاته وكذلك الأتراك من قبله، وذلك لكون موقع المدينة أكثر المواقع الدفاعية المتقدمة التي يمكن من خلالها مراقبة منطقة القبائل⁽²⁾.

يعتبر التيطري أفقر البايليكات وأكثرها ارتباطا بالسلطة المركزية⁽³⁾، ونظرا لقربه من دار السلطان كانت باياته تحت مراقبة الداي⁽⁴⁾، احترازا مما قد يشكلونه من خطر، وقد صدق حكام مدينة الجزائر في توقعاتهم، فبمجرد احتلال الفرنسيين للجزائر سنة 1830 م، نصب آخر باياته الباي "مصطفى بومرزاق" نفسه حاكما مستقلا للإيالة، فنظم ديوانه وعيّن من بين الأتراك خزانجيا وأغا، وسك العملة، وطلب من "حسن باي" بوهران والحاج "أحمد باي" بقسنطينة مبايعته ومدّ يد العون له ضدّ الاحتلال⁽⁵⁾.

أشرف على حكم التيطري في الفترة الممتدة من 955 هـ/1548 م إلى سنة 1830 م تاريخ نهاية الوجود التركي بالجزائر 25 بايا، أولهم رجم باي (955 هـ/1548 م)، وآخرهم "مصطفى بومرزاق" بداية من 1235 هـ/ 1819 م⁽⁶⁾.

¹- Quetin (E.); **Guide du voyageur en Algérie**, seconde édition, Paris, France, 1848, P.183.

²- علي خلاصي، **قصة مدينة الجزائر**، ج1، ط1، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 36.

³- Tarik Bellahsene ; **La Colonisation en Algérie**, T.01, Thèse pour obtenir le grade de docteur, Université Paris 8, France, 2006, P.86.

⁴- ناصر الدين سعيدوني، **المرجع السابق**، ص 30.

⁵- Gorgus (A.); **Op.cit.**, P406

⁶- Pharaon (F.) ; << **Notice sur les tribus de la Subdivision de Médéa**>> ; in: **Revue Africaine**, N° 10, Année 1858, P.302.

كان بايليك التيطري يتشكل من أربعة قيادات: قيادة التلّ الظهرية وقيادة التلّ القبليّة وقيادة سور الغزلان وقيادة الجنوب⁽¹⁾، بها مجموعة من النقاط المحصنة والمدعمة من القوات النظامية الموزعة على قاعدة البايليك، وبها خمسة صفرات، وببرج حمزة صفرة واحدة وبكلّ من سور الغزلان وبرج السواري صفرتان، إضافة إلى القوات الاحتياطية المشكلة من الجنود الزبنطوط المقيمين بمعسكر البرواقية⁽²⁾، وتقوم بإسناد هذه القوات عند الحاجة، القوات الغير نظامية من عناصر المخزن⁽³⁾.

النظام الإداري بالبياليك الثلاثة:

يشرف على كلّ بايليك من البياليك الثلاثة بايا معيّنا من طرف الداى، وهو أكبر منصب إداري بالبياليك بعد الموظفين الأربعة الكبار بديوان مدينة الجزائر، يتمتع بصلاحيات سياسية وعسكرية واسعة في تسيير مقاطعته، بمساعدة عدد من العمال المشكلين للديوان المحلي للبايليك وهم:⁽⁴⁾

الخليفة: يشرف على شؤون الأوطان، وتمتد سلطته على كامل البايليك، يخدمه عدد من القادة، وتحت تصرفه كل القوات النظامية، لاستخلاص الضرائب وفرض الطاعة على الأهالي.

الخزناجي: يدير كل المصالح المالية، ويراقب عمليات تحصيل الضرائب، ويتولى تسديد مختلف أوجه الإنفاق بالبايليك.

¹-Rinn (L); **Op.cit.**, P.136-137.

²-Henri Federman; **Op.cit.**, P289.-301. **Voir:** Rinn (L.); **Idem.**, P136.

³- مبارك محمد الميلي، المرجع السابق، ص. 296.

⁴-Vayssette; **Op.cit.**, P.111-112. **Voir:** -Ernest mercier; **Histoire de Constantine...**, P.214-216.

- يحيى بوعزيز، وهران، المؤسسة الوطنية للفنون، الجزائر، 1985، ص. 82-85.

آغا الدائرة: ويعرف كذلك بآغا العرب أو الباش آغا أو خوجة الخيل، وهو قائد الحامية التركية المستقرة بالبايليك، يتلقى أوامره مباشرة من الداي، ويقوم بعزل أو إعدام أو تغيير البايات الجدد عندما تصدر له الأوامر بذلك، وهو قائد فرسان المخزن، ويمكن أن يقود حملات تآديبية ضد القبائل المتمردة.

قائد الدار: يشرف على الأمور الإدارية وعلى شرطة المدينة، ويدفع أجور الميليشيات ويدير أكبر ملكية ريفية تابعة للبايليك، ويرأس مخازن الحبوب التي تتمول بالعشور، ومنها يتم تلبية الحاجيات المعاشية للعمال ببعض القطاعات بالمدينة، كما له سلطة قضائية في الفصل في الكثير من القضايا من مهام الباي.

هناك مجموعة أخرى أقل أهمية من هؤلاء الموظفين لا يستدعون لحضور ديوان البايليك إلا عند الضرورة وعند التكليف بمهام معينة من طرف الباي كقيادة المدن، وشيوخ القبائل والشاوش وحاملي الألوية والموسيقين المصاحبين للجند والقائمين على بعض الخدمات الإدارية مثل قائد الجبيرة (حامل محفظة الباي) وقائد المقصورة أي الحاجب الخاص بالباي، وقائد السبسي أي حامل غليون الباي وقائد السيوانة حامل مظلة الباي وقائد الدريبة أي القائم على الباب الرئيسي للمدينة، وقائد الطامة أي القائم بإحضار الآنية التي يستعملها الباي وغيرهم⁽¹⁾.

¹-ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص. 21.

الفصل الثاني

الأوضاع الأمنية بدار السلطان

الأوضاع الأمنية بالإيالة الجزائرية وانعكاساتها على النظام الدفاعي:

شهدت الإيالة الجزائرية في معظم فترات الحكم التركي لها أوضاعا أمنية داخلية وخارجية مضطربة، ترتبت عن أسباب مختلفة، وكانت لها انعكاسات واضحة على مجالات الحياة خاصة الاجتماعية والعمرانية على رأسها العمارة العسكرية، هذه الأخيرة التي عرفت تنوعا وازديادا مستمرا على عكس المظاهر العمرانية الأخرى التي يعتبر العامل الأمني من أسباب ركودها.

لتأكيد ما سبق ذكره حاولنا حصر هذه الأوضاع في أهم الأحداث التاريخية التي عرفتھا البلاد، سواء كانت ثورات داخلية أو حملات عدوانية خارجية، وعلى رأسها الحملات الإسبانية المنقطعة النظير على السواحل الجزائرية، هذا الصراع الجزائري الإسباني الذي أفرد له المؤرخون بحوثا خاصة به مثل: «> كتاب حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا >» لمؤلفه الدكتور أحمد توفيق المدني.

كما لم نغفل في هذا الجانب الإشارة إلى التنافس مع الجارتين الإيالة التونسية من الجهة الشرقية والمملكة المغربية من الناحية الغربية، وكثيرا ما طفا هذا التنافس إلى السطح على شكل صراع عسكري بين طرفي النزاع، وفي مقابل عرض هذه الأوضاع حاولنا تحديد أهم التحضيرات الدفاعية لصدّ الحملات الخارجية أو لردع وإخماد الثورات الداخلية، أو ما ترتب عنها من إنشاء مباني حربية لتدارك الضعف الذي كشفته هذه الحملات في المنظومة الدفاعية المعمارية التركية بالجزائر، والتي كانت مدينة الجزائر عاصمة الإيالة على مرّ أزيد من ثلاثة قرون (1516م-1830م) أنموذجا لها.

الأوضاع الأمنية الخارجية

الحملة الأوروبية:

نظرا لكثرة الحملات الأوروبية التي جعلت مدينة الجزائر عاصمة الإيالة هدفا لها، قمنا بذكر عدد منها، حيث كانت الحملات البحرية الإسبانية على رأسها، مع إرفاقها بأهم التحضيرات التي قام بها الجزائريون لصدّها.

الحملة الإسبانية:

يعود تاريخ أول حملة إسبانية على مدينة الجزائر إلى سنة 1516م تاريخ دخول الأتراك إلى المدينة، وكان على رأس الحملة "دياقو دي فيرا" مشكلة من 35 سفينة على متنها ثمانية آلاف رجل مع ما يلزم من سلاح ومدافع وذخيرة، واختارت لنزولها السهل الذي يقع عليه ربض باب الواد، حيث كان يصب وادي المغسل في البحر، وبعد الإنزال، تمّ تسلق المرتفعات فيما يلي الأسوار، واحتل مرتفع القصبّة، ومنه تمّ الإشراف على المدينة وقصفها بالمدافع⁽¹⁾.

وقد ظلّ هذا المخطط قائما في حسابات الدول الأوروبية المعادية للجزائر، لما لهذا الموقع من مزايا ونقاط ضعف تحصيناته ومنها: سهولة الرسو والإنزال بهذا المكان وقلة التحصينات به ويسر الوصول إلى أعلى المدينة واستهدافها⁽²⁾.

هذا ما جعل الحكام الذين تعاقبوا على المدينة يعملون على تحصين ضفتها الغربية وتقوية دفاعاتها المعمارية، وذلك بإنشاء عدد من الأبراج والبطاريات نذكر منها: برج باب الواد، وبرج الإنجليز، وبرج مرسى الذبان، وبرج النجمة في الجنوب الغربي للقصبّة خارج

¹- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة....، ص. 180-183.

²- Lanfreducci et Bosio ; « Costa ediscomsi di Barberia »; in : Revue Africaine, N° 322, Année 1925, P.541.

أسوار المدينة، إضافة إلى بعض الطبانات المشيِّدة على امتداد الشاطئ الغربي للمدينة موزعة على المسافة المحصورة بين سور باب الواد، وبرج مرسى الذبان، وتتمثل في طبانة الطابية، الطبانة الحمراء، طبانة سيدي الكتاني، طبانة عيون بني مناد وطانة مرسى الذبان⁽¹⁾.

سارت حملة 1516م وفقا للمخطط السابق الذكر، إلّا أنّ بوصول جنود العدو إلى مرتفعات المدينة، اصطدموا بقوة تحصيناته وبسالة رجالها بقيادة "عروج" ما أدى إلى تلاشي قواهم باجتماع ظروف أخرى طبيعية وتكتيكية، بتأخر وصول الإمداد المتفق عليه مع حاكم مدينة تنس، ومساندة سكان المدينة للأتراك على عكس توقعات الإسبان، هذا ما مكّن الجزائريين بإلحاق الهزيمة بهم، حيث خسروا عددا من سفنهم وخسائر بشرية هامة تقدّر بثلاثة آلاف من القتلى وثمانمائة من الأسرى⁽²⁾.

إنّ النصر الذي حققه الجزائريون في هذه المعركة بقيادة الأخوين بربروس، فتح المجال لتوسيع أملاكهما من جهة، وكان محقّزا معنويا لمواصلة الجهاد ضدّ الإسبان من جهة أخرى، هذا العدو الذي لن يهدأ له بال حتى ينهي الوجود التركي بالجزائر، وبالفعل بلغ إلى مسامع "خير الدين" الذي حكم الجزائر بعد وفاة أخيه سنة 1518م، عزم الإسبان على القيام بحملة على مقرّ إدارته - مدينة الجزائر - سنة 1519م، ما جعله يتخذ إجراءات عسكرية لحماية المدينة وصدّ الحملة، فقام بترميم قلعة الجزائر، وتجهيز الأسطول البحري، وإعداد وإصلاح عدد كبير من المدافع⁽³⁾.

¹ - علي خلاصي: القلاع والحصون في الجزائر، مطبعة الديوان، الجزائر، 2008، ص. 99-106.

² - أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة...، ص. 183.

³ - محمد دزاج، المرجع السابق، ص. 288.

يعود تاريخ هذه الحملة إلى شهر جويلية 1519م بقيادة "هوكو دي منكاد" Hugu de Moncade على رأس أربعين سفينة حربية كبيرة، على متنها خمسة آلاف رجل من المقاتلين الإسبان والأوروبيين، وتمّ الإنزال بواد الحراش، ثم اتجهت القوات إلى كدية الصابون أين نصبوا مدفعيتهم التي لم تلحق أضرارا كبيرة بها باستثناء السور الخلفي لها.

في انتظار الإسبان للدعم الزياني من تلمسان بقيادة الملك عبد الله الثاني، هاجم الجزائريون وفق الخطة التي رسمها القائد "خير الدين" سفن الإسبان التي كانت راسية شرق المدينة، وألحقوا بها أضرارا كبيرة ما اضطر الجيش الإسباني إلى الانقسام لإنقاذ سفنه، هذا ما سهّل على الجزائريين القضاء عليهم بعد أن شتّوا شملهم، وما زاد من مصائب العدو ونكستهم، أنه صادفت هذه العملية زوبعة بحرية قطعت أمامهم السبل للالتحاق بأسطولهم ومن نتائج هذا النصر أيضا أسر ما يزيد عن 3000 جندي وغرق أربعة آلاف رجل، وغنم الجزائريون 24 سفينة⁽¹⁾.

بعد فشل هذه الحملة حَضّر الإسبان لحملة أخرى سنة 1520م، مشكلة من 110 قطعة بحرية، قادها نائب الإمبراطور "شارل الخامس" على صقلية الأميرال فرديناند، إلا أنها منيت هي الأخرى بهزيمة كبيرة، بعد الالتحام بين القوتين في البحر أبانت على قدرات البحرية الجزائرية، وأسفرت الحملة الفاشلة على أسر القائد "فرديناند" مع ستة وثلاثين قبطانا وثلاثمائة بحّارا إسبانيا غير الآلاف من الأسرى والسفن التي أغرقت أو استولي عليها⁽²⁾.

دفعت هذه الانتكاسات المتتالية للإسبان تحضير حملة أخرى تحت إشراف الإمبراطور "شارل الخامس" الذي وضع احتلال مدينة الجزائر ضمن أولوياته، كونها الميناء الوحيد بالسواحل الجزائرية الذي يستغله الأتراك في غاراتهم على الإسبان على المستوى المحلي

¹ - عزيز سامح آتّر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة: محمود علي عامر، ط.1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1989، ص. 207-208.

² - محمد دزّاج، المرجع السابق، ص. 242-243.

والخارجي، ما يهدد مصالحهم السياسية والاقتصادية، باعتبار الموانئ الهامة الأخرى بالساحل الشرقي مثل: بجاية وبالساحل الغربي بالمرسى الكبير ووهران وتلمسان، كلّها أصبحت تحت نفوذ الإسبان، ولا تشكّل أي تهديد لهم⁽¹⁾.

ورغم حجم الحملة، إلّا أنّها جرت في ظروف مغايرة للحملات الأولى، كون مدينة الجزائر عرفت تطورا في جهازها الدفاعي خاصة بالواجهة البحرية، حيث الميناء الذي أقام له "خير الدين باشا" رصيفا اصطناعيا يحمي أسطوله من العواصف البحرية، وزوّده بعدد من البطاريات التي كانت كفيلة بمنع سفن العدو من الاقتراب من المدينة.

كما صادفت الحملة حكم "حسن آغا" الذي أحسن تحصين المدينة باتخاذ مجموعة من التدابير الأمنية لمواجهة هذه الحملة، تتمثل في رفع الأسوار وإصلاح الأجزاء المهدمة منها، وتسليحها بالمدفعية، ونفس الأعمال مسّت أيضا حصون المدينة، حيث سخر لإنجاز هذه الأعمال 400 أسير.

وقام أيضا بتوزيع الجند على الأبواب وقطع كل الأشجار التي قد يحتمي بها العدو، وقُدّم تعليمات إلى شيخ المدينة بوضع الرجال في حالة استعداد بكلّ أحياء المدينة، إضافة إلى تسليح الرجال القادرين على الدفاع على بطاريات الأسوار لحمايتها ودفع العدو عنها⁽²⁾.

حدثت هذه الحملة في شهر أكتوبر 1541 م، حيث كانت مكوّنة من أزيد من أربعمئة وخمسين سفينة نقل، وخمس وستين سفينة حربية كبيرة على متنها أزيد من 24000 رجل.

¹ - محمد درّاج، المرجع السابق، ص.307.

² - Philippe (P.) ; «L'expédition espagnole de 1541 contre Alger» ; in : Revue Africaine, N° 200, Année 1925, P.181-182.

قامت بالرسو برأس تامنفوست*، إلا أنّ الإنزال تمّ بوادي الحرّاش، وأقام معسكره بالحامة ليتحرك من بعد ذلك إلى أعلى المدينة، حيث كدية الصابون التي وصل إليها بعد مناوشات متفرقة مع الجزائريين بما يعرف "بحرب الكمين"، وذلك لقلّة عدد الجند بالمدينة مقارنة بهذا الجيش العرمرم، ولمّا حلّ بكدية الصابون نصب مدفعيته لاستهداف المدينة، ونظرا لعدم تكافؤ القوتين تراجع الجزائريون خلف أسوار المدينة، وواجهوا من خلالها قوات العدو الموزعة بأرجائها، وقد أثبت هذا الإجراء نجاعته على أرض الواقع، كونه أتى على عدد كبير من جند العدو، ويعكس أيضا شدة تحصينات المدينة، وقد رافقت بسالة الجزائريين عاصفة بحرية أثرت سلبا على العدو، وتسببت في تحطم 150 سفينة كانت تحمل المدفعية والمؤن والذخيرة وأمام هذا الوضع تراجع الإمبراطور إلى رأس تامنفوست، ومنه إلى بجاية، حيث مكث بها مدة من الزمن، يشرف على عدد من أعمال التحصين بها، قبل أن يغادرها إلى إسبانيا يوم 16 نوفمبر 1540م تاركا خلفه خسارة تشمل 200 سفينة، من بينها نحو 30 سفينة حربية، و300 مدفع و12000 رجل بين قتيل وأسير، إضافة إلى الغنائم الكثيرة التي غنمها الجزائريون من جرّاء ذلك⁽¹⁾.

بعد المقارنة بين الحملتين، رغم الفاصل الزمني بينهما، تبين أنّ حملة 1541م جاءت صورة طبق الأصل لحملة 1519م من حيث اختيار مكان الإنزال والتركيز على كدية الصابون لاستهداف المدينة، وقد جاء اختيار العدو لمصب وادي الحرّاش هذا المظهر الطبيعي المناسب للرسو⁽²⁾، وكثيرا ما اتخذت هذه المصبّات كموانئ تجارية، أو كأماكن

* كان يستخدم من البحرية الجزائرية عند الضرورة، فقد رست به السفن التي بعث بها السلطان العثماني لمساعدة صالح باشا على غزو وهران سنة 1556م. راجع: - عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص. 196.

¹ - أحمد توفيق المدني، حرب ثلاثمائة...، ص. 280-297.

² - Mercel Emrit, << Une description des cotes Barbaresques au XVII (17) Siècle >>; in : Revue Africaine, N° 90, Année 1949, P.242.

لرسو سفن الحملات العسكرية البحرية، حيث سبق أن استعمل "خير الدين باشا" مصب وادي الصومام في حملته على بجاية سنة 1512م⁽¹⁾.

رغم ما قد يشكّله هذا النوع من المجاري المائية من مزايا بالنسبة لقوات الجيش، إلا أنه يعتبر من أهم العراقيل التي تقف عائقا أمام تحركها (القوات البرية)، أو في عملية الإمداد إلى يومنا هذا، ولدينا مثال على ذلك من التاريخ العسكري الإسلامي أنّ عتبة بن غزوان (ض) عندما طلب من أمير المؤمنين "عمر بن الخطاب" (ض) إنشاء مدينة البصرة لتكون قاعدة لمّد عمليات الفتح الإسلامي، أشار عليه الخليفة بأن يحترم في ذلك جملة من الشروط ومن ضمنها: "ألا يجعل بينه وبينهم بحرا بل يمصّروها" لكون الماء من الموانع الطبيعية التي قد تخلق مشكلة في إيصال الإمدادات إلى المدينة⁽²⁾.

كما واجهت الجيش التركي في طريق حملته على بغداد في النصف الأول من القرن 16م عدّة صعوبات نتيجة الثلوج والأمطار التي عرقلت تحركه وعسّرت من نقل معدّاته الحربية مثل: المدافع بفعل الأحوال، هذا ما أثر سلبا حتى على نفسية الجنود إلى حدّ طلب جزء منهم بالرجوع إلى الوطن والعدول عن الحملة⁽³⁾، وقد حصل ذلك أيضا في حملة شارل الخامس على المدينة، حيث شكّل له وادي الحراش صعوبات كبيرة للالتحاق بسفنه برأس تامنفوست⁽⁴⁾.

¹- الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ص 39.

²- مبارك بوطارن، تطور العمران الإسلامي مدينتا القيروان وسجلماسة نموذجا، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2005-2006، ص. 155-156.

³- حسين محمد القهواتي، « حملة السلطان سليمان القانوني على بغداد عام 1534م »، مجلة المورد، العدد 04، الجمهورية العراقية، 1979، ص. 74.

⁴- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة...، ص. 293.

كشفت هاتان الحملتان أيضا على نقطة ضعف ثانية في تحصينات المدينة، وتتمثل في كدية الصابون (سيدي يعقوب) هذه القمة المشرفة أثبتت عدم التركيز في تحصينات المدينة على الجانب الخلفي لها، الذي يضم مجموعة من التلال التي تشكل خطرا عليها إذا ما أحسن العدو استغلالها مثلما حدث في الحملة الفرنسية في جويلية 1830م، وفي هذا مخالفة لما تنص عليه شروط تحصين المدن التي تتوفر على قمم مشرفة تهدد أمنها، بجعلها داخل أسوار المدينة الأم إذا أمكن ذلك، أو بإنشاء بنايات حربية مستقلة بهذه القمم تقطع الطريق أمام من يرغب في استعمالها.

كانت هذه الحملات سببا في لفت انتباه الحكام الجزائريين إلى الثغرات الموجودة في نظامها الدفاعي - من أخطائنا نتعلم - حيث تداركوا هذه الأخطاء بإنشاء مجموعة من التحصينات بين أبراج وبطاريات موزعة على الساحل الشرقي للمدينة الممتد من باب عزون إلى برج تامنفوست، وقد ركّزوا في ذلك بصفة خاصة على الخلجان ومصبات الأودية التي حصنت بالبطاريات مثل بطارية وادي الحمير، بطارية وادي كنيس، وبطارية وادي الحراش⁽¹⁾، الذي لن يفارق مخططات الأعداء رغم تحصينه، ولدينا أدلة كثيرة على ذلك، ففي حملة أورلي سنة 1775م تمت عملية الإنزال عنده⁽²⁾، ونظرا لشدة التركيز عليه جعلت منه فرنسا في حملتها على الجزائر سنة 1830م طعما لاستدراج الجزائريين إلى هذه المنطقة عندما أوهمتهم أنها تريد الإنزال بها، ما جعلهم ينقلون جزءا هاما من القوات المرابطة بسيدي فرج المكان الفعلي للإنزال.

¹- Pélissier (E.), *Annales Algériennes*, T.01, Paris, France, 1836, P.232-233.

²- Charles Féraud ; « Expédition du Comte O'Reilly contre Alger en 1775 » in : R. Constantine, 1865, P.48.

كما قام الجزائريون أيضا بتحسين أعلى المدينة بإنشاء حصن الإمبراطور بكدية الصابون، من طرف "حسن باشا" سنة 1545م، الذي قام بتجديده وتحسين دفاعاته سنة 1579-1580م بعد أن وصلته تقارير تحمل أنباء تحضير الملك الإسباني "فليب الثالث" للقيام بحملة ضدّ الجزائر إلا أنها كانت موجهة ضدّ البرتغال⁽¹⁾.

خلفت الحملات العدوانية المتواصلة على مدينة الجزائر صحوّة عند الكثير من الحكام، حيث شهدت المدينة على عهدهم مظاهر تحصينية مختلفة، وذلك اتقاء لحملات مرتقبة في أي وقت من طرف إسبانيا أو غيرها من القوى الأوروبية، ويكفي أن نستشهد على ذلك بأعمال الحاكمين "عرب أحمد باشا" و"حسن باشا".

عرف "أحمد عرب باشا" بصرامته العسكرية، نظرا لتزامن فترة حكمه مع أوضاع داخلية مضطربة في عدد من المدن الجزائرية، إضافة إلى ما بلغه من تقارير عن أطماع الإسبان ومخططاتهم بالجزائر، وتأهباً لأي طارئ قام بعدّة إجراءات دفاعية بالمدينة، ووصل به الأمر إلى الإشراف عليها شخصيا، حيث قام بهدم ربض باب عزون لتوسعة الخندق الممتد ما بين باب عزون وباب الجديد عند القصبة، ودعم جوانبه بسور ساتر، وأعاد رفع عمارة باب عزون من جديد، إضافة إلى أعمال أخرى كإصلاح وتدعيم دفاعات رصيف "خير الدين" بإحاطته بمجموعة من البطاريات، لمنع سفن العدو من الاقتراب والإنزال في هذا الموضع واستغلاله ضدّ المدينة، وأقام بنفس المكان برج الفنار وبرجا آخر عند رأس الجزيرة لحراسة الميناء ليلا...الخ⁽²⁾.

¹-Albert Devoulx ; « **Alger, étude archéologique et topographique** » ; in : Revue Africaine, 1875, P.234.

²- Fray Diego de Haedo; **Histoire ...**, P.154-155.

أما "حسن باشا" الذي وصلته أخبار تفيد أنّ الإسبان تجمّعوا في منطقة كادي استعدادا للهجوم على الجزائر، جعلته يقوم بتحسين المدينة تجنباً لوقوع هجوم مفاجئ، وذلك بتجديد برج "مولاي حسن"، وحصّن، وسلّح الجبهة الغربية للمدينة، كما أمّن اللوازم الحربية الضرورية للمعركة التي اشتراها من فرنسا⁽¹⁾.

إنّ الحملات الإسبانية على مدينة الجزائر والهجمات التي يشنّها الجيش الجزائري باستمرار على قواعد العسكرية بالسواحل الجزائرية الغربية بكلّ من وهران والمرسى الكبير، أنهكت إسبانيا وأصبحت مصرّة أكثر من أي وقت مضى، إمّا على إخضاع عاصمة الإيالة الجزائرية أو الانسحاب منها⁽²⁾.

ولتحقيق ذلك جهّزت بأمر من الإمبراطور "فليب الثالث" حملة عسكرية تحت قيادة الكونت "أورلي" Oreilly بتاريخ جوان من سنة 1189هـ/1775م على رأس أسطول مشكّل من 80 سفينة، وقام بالإنزال بالقرب من وادي الحراش⁽³⁾، وقد تمكنت القوات الجزائرية بصدّ هذه الحملة بنجاح، وذلك بفضل التحضيرات العسكرية الجيّدة التي قام بها الداوي "عثمان باشا" بعد خروجه منتصرا من حربه مع الدانمارك سنة 1770م، حيث قام بتحسين العاصمة وأحسن تحصينها، ودعم منطقة الإنزال بعدد من المباني الحربية⁽⁴⁾ ومنها بطارية وادي الحراش التي ألحقت أضرارا بالقوات الإسبانية⁽⁵⁾.

¹-عزيز سامح آلتر، المرجع السابق، ص. 254.

²-مبارك محمد الميلي، المرجع السابق، ص. 231.

³- Charles Féraud ; **Expédition....**,48.

⁴- مبارك محمد الميلي، المرجع نفسه، ص. 231. راجع: -عزيز سامح آلتر، المرجع السابق، ص. 529-531.

⁵ - Venture de Paradis ; « **Alger au XVIII (18) Siècle** » in: *Revue Africaine*, N° 224 / 1897, P.115.

كما وجّه الداي تعليمات إلى البايات كي تكون جيوشهم دائما على استعداد لخوض المعارك، والتحرك لنجدة العاصمة، لأول إشارة تصلهم منه، ويجب ألاّ نغفل الدور الذي لعبه علماء الدين في ذلك من خلال تعبئة الرأي العام استعدادا للجهاد⁽¹⁾.

يرتبط هذا النصر أيضا بحسن التخطيط الحربي في توزيع القوات الجزائرية مركزين في ذلك على غلق كل المنافذ التي قد يستعملها العدو في الوصول إلى المدينة سواء من الناحية الشرقية عند وادي الحراش ووادي كنيس، أو بالمنطقة الغربية بشاطئ باب الواد، وعملوا أيضا على قطع الإمدادات على جيش العدو في حالة اعتماده على قواعده العسكرية المتبقية بالسواحل الجزائرية الغربية بوهران والمرسى الكبير، وذلك بنشر قوات بمدينة مستغانم تحت قيادة باي الغرب، خاصة وأنّ الإسبان سبق وأن اعتمدوا في حملاتهم على الإمدادات من القواعد السالفة الذكر مثلما حدث في حملة 1519م، كونها نقطة قوة تحسب للعدو كيف لا، وقد كانت سببا من أسباب فشل حملة "شارل الخامس" سنة 1541م، وذلك لاستهدافه مدينة الجزائر مباشرة دون الاعتماد على قواعد الإسناد مثل ميناء بجاية⁽²⁾.

واصل "محمد بن عثمان باشا" في تقوية المنظومة الدفاعية لمدينة الجزائر مباشرة بعد انتصاره على الجنيرال "Oreilly" سنة 1775م، إضافة إلى بناء إثني عشر مركبا حربيا جديدا ومائة زورق لحمل المدافع المخصصة للدفاع عن الميناء، وعمل على تدريب أكبر عدد ممكن من الجنود على أساليب الدفاع الحربي الجديد.

إنّ هذه الحركة في المنظومة الدفاعية للمدينة جاءت تحضيرا للحملة الإسبانية المقبلة على الجزائر التي وقعت في شعبان 1197هـ / 13 جويلية 1783م بقيادة "الدون أنتونيو بارسولو" على رأس أسطول يضم أربعة بواخر كبيرة، وست مراكب حربية، وإثني عشر شباك، وعشر زوارق وأربعين لنجورا مزودا بالمدافع والمهارز، وبادر في مهاجمة المدينة من

¹ - مبارك محمد الميلي ، المرجع السابق، ص. 231.

² - Lanfreducci et Bosio; Op.cit. .P.534-535.

الفتاح أوت إلى التاسع من نفس الشهر تاريخ انسحابه بسبب نفاذ الذخيرة، بعد أن ألقى الإسبان ثلاثة آلاف وسبعمائة وإثنين وخمسين قنبلة مدفعية، وثلاثة آلاف وثمانمائة وثلاث وثلاثين من "الكور"، ما ألحق أضرار بالمرافق العامة للمدينة، إلا أن الدفاعات المعمارية للميناء لم تصب إلا بأضرار جانبية.

يرجع الفضل أيضا في هذا النصر إلى الإمدادات البشرية الكبيرة التي حصل عليها الداى قبل شهر من تاريخ بداية الحملة، حيث حلّ بضواحي العاصمة خمس وعشرون ألف جندي قدموا من قسنطينة وعشرون ألف من معسكر، وخمسة آلاف من التيطري⁽¹⁾.

بعد انتهاء حملة 1197هـ / 1783م، باشر الداى أعمال الترميم بتحسينات المدينة وإقامة مباني جديدة، ووضعت زوارق مزودة بالمهارز في مدخل الميناء للدفاع عنه، حيث أولى اهتماما كبيرا بأسطوله نظرا لما وقف عليه من تطور حاصل في البحرية الإسبانية، فأمر بصنع حوالي 500 سفينة حربية تعرف بالنجور، استعملتها إسبانيا في الحملة السابقة وأثبتت نجاعتها في الميدان، ووصلته الإمدادات بالذخيرة من كل من هولندا والسويد وتركيا، وهذه الإجراءات جاءت تحضيراً لحملة إسبانية أخرى مرتقبة على المدينة⁽²⁾.

وقد كانت قراءة داى الجزائر سليمة كعادته، ففي 1198هـ / 09 جويلية 1784م قاد الدون "أنتونيودي بارسولو" حملة ثانية على مدينة الجزائر على رأس مائة وثلاثين مركبا حربيا مختلف الأحجام وقد شاركت إلى جانبه كل من "نابولي ومالطا".

¹-مبارك محمد الملي، المرجع السابق، ص. 231-233.

²- أحمد توفيق المدني، محمد بن عثمان باشا... ، ص. 108.

كانت هذه المعركة بحرية على عكس الأولى التي اكتفى فيها الجزائريون بالدفاع من وراء حصونهم، حيث أشركوا زوارقهم التي حضرت عند مدخل الميناء، في مواجهة العدو الذي أرغمته على الانسحاب في الثالث والعشرين من نفس الشهر⁽¹⁾، هذا ما يعكس المستوى العالي للقادة الجزائريين في التكتيك الحربي الذي أجهض هذه الحملة دون إحداث أضرار بالمدينة، وذلك لمواجهة البحرية الجزائرية مباشرة للعدو في البحر بعيدا عن أسوار المدينة⁽²⁾.

الحملة_الإنجليزية:

عرفت العلاقات الجزائرية الإنجليزية خلال الحكم التركي فترات من الاضطراب، ويظهر ذلك في محاولة الطرف الأوروبي في استهداف الجزائر عسكريا أكثر من مرة، خاصة في فترة الأغوات كحملة سنة 1669م، وكان يومها "علي آغا" حاكما على المدينة، إلا أنها فشلت أمام دفاعات الميناء، ما اضطر الآغا إلى تعزيز حصن تامنفوست ومصب نهر الحراش احترازا من حملات عسكرية أخرى⁽³⁾.

تواصلت الحملات الإنجليزية على مدينة الجزائر إلا أنّ أكثرها حدّة كانت سنة 1816م بقيادة اللورد "إكسموث" Exmouth وقائد البحرية الهولندية "فان كابلان" Van Capellen وقد ألحقت هذه الحملة أضرارا كبيرة بأسطول البحرية الجزائرية، وبتحصينات المدينة، ورغم اعتماد العدو على المباغته التي مالت الكفة لصالحه، إلا أنّه اصطدم بمقاومة شديدة خسر فيها ما يقارب ألف رجل⁽⁴⁾.

¹ - مبارك محمد الميلي، المرجع السابق، ص. 235-236.

² - Venture de Paradis; **Op.cit.**, p.116.

³ - مبارك محمد الميلي، المرجع نفسه، ص. 177.

⁴ - شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص. 381. **راجع:** -Albert Devoulx ; **Tachrifat...**, p.18-36.

وقد انتهت هذه الحملة بمعاهدة صلح مع الإنجليز، وهولندا وفق شروط من ضمنها: إطلاق سراح أسرى كل الدول الأوروبية*(1).

دفعت هذه الحملة حاكم مدينة الجزائر "عمر باشا" إلى تعزيز نظامها الدفاعي، فرمّم القلاع وزاد من قوة التحصينات وعلى وجه الخصوص دفاعات الميناء التي ألحق بها الإنجليز أضراراً بليغة، حيث قام رفقة خليفته ببناء بطاريات برصيف الميناء على شكل طوابق متراسة فوق بعضها البعض(2)، وجاء هذا الإجراء تعزيزاً لأعمال التحصين برصيف الميناء التي عرفت استمراراً منذ عهد "خير الدين باشا"، إضافة إلى أعمال أخرى كإنشاء ثكنة للجند وإصلاح برج الحراسة والمراقبة بالميناء (برج البحر)(3).

ساهمت هذه الأعمال بعد حالة الاستقرار الأمني مع الأطراف الأوروبية إلى إعادة تحصينات الميناء إلى صورتها الدفاعية المعهودة، بعد أن كانت معطلة عن آخرها، حيث كان لها الفضل في صدّ حملة سنة 1239هـ/1823م بنجاح، كما أدّت هذه الظروف إلى النظر في جهاز الجيش والعمل على تحسين أوضاعه كرفع أجوره(4).

¹– Jules Duval ; **L'Algérie**, Paris, France, 1869, P.31.

²– Sander Rang ; **Fondation de La Régence d'Alger**, T.02, Paris, France, P.371.

³–عزيز سامح آلتر، المرجع السابق، ص. 612. راجع:

–Moulay Belhamissi, **Marine et marins d'Alger 1518-1830**, T.02, Bibliothèque nationale d'Algérie, Algérie, 1996, P.08.

*– إن إطلاق سراح الأسرى الأوروبيين أوقع الحكومة الجزائرية في مشكلة نقص اليد العاملة، ما أجبر "عمر باشا" على إلغاء عقوبة الإعدام بحق المذنبين من الأهالي وتعويضها بالأعمال الشاقة لإتمام تحصينات المدينة. –راجع:

–عزيز سامح آلتر، المرجع نفسه، ص. 612.

⁴–Albert Devoulx; **Tachrifat...**, p.21-22.

الحملة الفرنسية:

نظرا لكثرة الحملات، قررنا أن ننهيها بالحملة الفرنسية على مدينة الجزائر سنة 1830م رغم أن الجزائر قد تعرّضت لعدد منها خلال القرن 17م، مثل حملة الدوق بيفور Duc Beaufort سنة 1663م و1664م، وحملة دوكسين (دوكين) Duque Sine سنة 1683م وتحضيرا لردّها، قاموا بتعزيز الجبهة البحرية للمدينة بالمدفعية، حيث سلّحت بـ50 مدفعا والجزيرة الصغيرة بـ50 مدفعا وبرج الفار بـ27 مدفعا وبرج الإنجليز من 10 إلى 12 مدفعا، وجّهزت استحکامات باب الوادي وباب عزون بـ15 مدفعا⁽¹⁾.

تلتها حملة الماريشال ديستري Destrée سنة 1685م⁽²⁾، التي كانت سببا في جعل برج تامنفوست في وضعية دفاع⁽³⁾، بعد أن كان مخصصا لاستقبال الحكام المعيّنين من الباب العالي قبل الانتقال إلى دار السلطان (الجنينة) بمدينة الجزائر.

ختمت فرنسا حملاتها على مدينة الجزائر بحملة 1830م التي أدخلت الجزائر في مرحلة تاريخية جديدة بالانتقال من المجد تحت لواء السلطة التركية إلى الاحتلال الفرنسي الذي امتد إلى غاية جويلية 1962م بعد أن خلف ملايين من الشهداء.

اتسمت هذه الحملة بتخطيطها المحكم، حيث استفاد الفرنسيون من التقارير العسكرية لمختلف الدول الأوروبية التي كانت تسعى وراء احتلال الجزائر، حيث كشفت لهم هذه التقارير والحملات العسكرية الكثيرة نقاط الضعف والقوة التي تتميز بها المدينة، ما جعلهم يأخذون الوقت الكافي في دراستها وإعداد الخطة الحربية اللازمة لاختراق دفاعاتها.

¹ - عزيز سامح التر. المرجع السابق. ص. 421-422.

² - Bonnafont ; **Géographie Médicale d'Alger et de ses environs**, Algérie, 1839, P.08.

³ - Alfred Nettement ; **Histoire de la conquête d'Alger**, Librairie Jacques le Coffre, 1867, P.83.

ركّز الفرنسيون في هذه الحملة على الجهة الغربية من المدينة، هذا ما يدل على إطلاعهم على التاريخ العسكري للجزائر خلال الحكم التركي وعلاقتها بأوروبا، وكأنهم عملوا بنصيحة " Venture de Paradis " الذي ذكر أنّ: «> غرب مدينة الجزائر أضعف وأقل تحصينا من الجهة الشرقية، ومكان مناسب للهجوم على المدينة ولإنزال الجيش، خاصة في الجزء المحصور بين رأس كاكسين وسيدي فرج»⁽¹⁾.

أكد ذلك أيضا Alfred Nettement في قوله أنّ: «> الجهة الغربية من المدينة انطلقا من رأس كاكسين إلى غاية سيدي فرج خالية من أي تحصين يذكر، باستثناء برج سيدي فرج، الذي يعتبر دوره الدفاعي محدودا لقدم عمارته وبساطتها وضعف مدفعيته، وضعف التغطية الدفاعية لهذه المدينة، جعل الاحتلال الفرنسي يركز في خطته الهجومية على هذا الجانب من المدينة في حملته عليها سنة 1830م»⁽²⁾.

لدينا مثال آخر يعكس ما مدى درايتهم بقوة دفاعات المدينة، التي تتمركز بالجهة الشرقية، والتي كانت سدا منيعا أمام المحاولات الأوروبية التي ركّزت على هذا المكان في عملياتها العسكرية، وقد جاءت الحملة الفرنسية مخالفة لذلك، حيث أوهمت القيادة الجزائرية بالإنزال بوادي الحراش ما جعلها تتقل جزءا كبيرا من قواتها من سيدي فرج لسدّ هذه الثغرة، ما مكّن القوات الفرنسية من الرسو والنزول بسهولة بالمنطقة⁽³⁾.

كما أحسن الفرنسيون استغلال تقاريرهم الخاصة على الوضعية الدفاعية لمدينة الجزائر مثل تقرير قائد الهندسة العسكرية الفرنسي النقيب بوتان سنة 1808م، والذي أعدّ تقريرا

¹-Venture de Paradis; **Op.cit.**, p. 68-118.

²-Alfred Nettement; **Op.cit.**, P. 577-578.

³- محمد مبارك الملي، المرجع السابق، ص. 579.

مفصلا عن المباني الحربية لمدينة الجزائر، ووضعتها الدفاعية مع كشف نقاط قوتها وضعفها، ومن ضمنها دفاعات الجهة الغربية بما فيها منطقة سيدي فرج محلّ الإنزال.

إضافة إلى استهداف المدينة من الخلف، على غرار الحملات الأوروبية السابقة 1519-1541-1775، ولكن باتخاذ طريق مخالفة انطلاقا من سيدي فرج مرورا بالداخل إلى أعالي بوزريعة، وتجنب الساحل البحري الغربي الذي يمتاز بصعوبة تضاريسه، وضيق مسالكه ما يشكّل خطرا على قواتهم⁽¹⁾، وتمّ استهداف حصن الإمبراطور أعلى نقطة محصنة بالمدينة، وما سهّل ذلك وجود مرتفعات تشرف على هذا الحصن من الخلف، تعتبر نقطة ضعف وثغرة في تحصينات المدينة، استخدمها العدو في نصب بطارياته⁽²⁾، والاستيلاء عليه، ما مهّد للسيطرة على التحصينات الأخرى ودخول المدينة.

إنّ نجاح الحملة الفرنسية لا يعني أنّ الحكام الأتراك لم يقوموا بأي جهد يذكر، فقد عملوا على تعزيز دفاعاتهم إلى أن لفظت الإيالة أنفاسها الأخيرة، نذكر منها ما قام به "يحيى آغا" من تجديد لحصن سيدي فرج وتسليحه بأثني عشر مدفعا، ورتب باقي أبراج وحصون المدينة، ووزع الجند عليها، ووفّر لهم المؤونة اللازمة، إضافة إلى التدابير الدفاعية التي أمر بها الداي حسين استعدادا للحملة الأخيرة من تعمير الحصون وتنظيم عسكره⁽³⁾، حيث تمّ تحصين سيدي فرج بعدد من الخنادق المزودة بالمدفعية، إضافة إلى قوات الجيش النظامية المرابطة ببايليك الإيالة، إلى جانب القوّات الغير النظامية بنواحي قسنطينة كقبائل الحنانشة والحركاتة وعدد كبير من قبائل جرجرة مثل: فليسة وبني جناد⁽⁴⁾.

¹ - Alfred Nettement; **Op.cit.**, P. 579.

² - أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر، تحقيق: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص. 174.

³ - نفسه، ص. 163-171.

⁴ - Charles Féraud ; «La prise d'Alger, en 1830, d'après un écrivain musulman», in : R.Constantine, 1865, P.72-73.

ولكن لم ترق هذه الإجراءات إلى تحقيق الغاية المرجوة منها، وذلك لاجتماع أسباب مختلفة ترتبط أساسا بضعف المنظومة العسكرية للجزائر بصفة عامة خلال هذه الفترة من الحكم التركي لها، والتي يمكن أن نحصرها فيما يلي:

- انعدام الخبرة والحنكة العسكرية اللازمة لدى قائد الجيش، صهر الداوي ابراهيم اغا الذي شغل هذا المنصب بغير حق مقارنة بـ"يحيى آغا"⁽¹⁾، والدليل على ذلك أنّه أمر بإنشاء الحصون بشاطئ سيدي فرج وتسليحها بالمدفعية، وهذا الإجراء جاء متأخرا في وقت كان فيه الجيش الفرنسي يحضّر نفسه للإنزال، مع العلم أنه كان لسلطات مدينة الجزائر متسع من الوقت للتحضير الجيد للمعركة، خاصة أن فرنسا بدأت تفرض حصارا بحريا على المدينة منذ ماي 1827م⁽²⁾.

- ضعف تحصينات المنطقة الغربية للمدينة بما فيها برج سيدي فرج أهم بناية حربية بالمنطقة رغم تسرب أخبار تفيد أنّه مكان الإنزال، حيث ذكر "أحمد باي" الذي شارك في هذه المعركة: «> أنّه لم يكن في سيدي فرج سوى قلعة قديمة تحتاج إلى شهور لإصلاحها»⁽³⁾، وهي من النقاط التي اعتمد عليها الفرنسيون في إعداد مخطط حملتهم⁽⁴⁾.

- الثقة الزائدة بالنفس لدى حكام الجزائر بالقدرة على التصدي لأي حملة عدوانية على الجزائر، هذه الثقة التي جاءت بناءا على بطولات حققها حكام جزائريون أشاوس ضدّ الحملات الأوروبية، لكن هذه الإنجازات جاءت نتيجة الصرامة في تسيير المنظومة العسكرية

¹ - Ali Efendi Ben Hamden Ben Otsman Khodja, **Souvenirs d'un Voyage d'Alger à Constantine**, Metz, France, S.D.07.

²- محمد العربي الزبيري، مذكرات... ، ص. 12.

³- نفسه، ص. 12.

⁴ - Général Paul. Azan ; «> **Le Rapport du Marquis de Glermont-Tonnerre sur une expédition a Alger 1827** » , in: Revue Africaine, N° 34, 1929, P.341.

الجزائرية بما فيها الاهتمام بالمنشآت الحربية، وهذه من صفات الداوي "محمد بن عثمان باشا" الذي حقق نصرا عظيما أمام الإسبان أواخر القرن 18م⁽¹⁾.

الأوضاع الأمنية الإقليمية:

عرفت الجزائر إضافة إلى حروبها مع أوروبا نزاعا إقليميا مع جارتها: الإيالة التونسية والمملكة المغربية، وكثيرا ما تطور إلى صراع عسكري بصورة تذكرنا بصراع الشقيقات الثلاثة: الحفصية والزيانية والمرينية ولكن بأقل حدة.

الحرب مع المملكة المغربية:

يعود النزاع العسكري الجزائري المغربي خلال الحكم التركي للإيالة الجزائرية إلى بداية فترة البايلاربايات، والسبب في ذلك متصل بطمع الطرف المغربي في السيطرة على منطقة الغرب الجزائري، وفي المقابل سعي الحكام الأتراك إلى توسيع أملاك الدولة العثمانية غربا على حساب الأراضي المغربية، ويكفي أن نستدلّ على ذلك ببعض الأحداث التي نقلت إلينا تفاصيلها عدد من الدراسات التاريخية.

ترجع أولى المحاولات المغربية إلى فترة حكم "حسن بن خير الدين باشا" (1544م-1552م) سعيا منهم إلى ضمّ تلمسان إلى أملاكهم إلا أنّ انهزامهم بنواحي مستغانم حال دون تحقيق ذلك⁽²⁾، وقد نتج عن هذا النزاع اللجوء إلى المفاوضات وترسيم الحدود بين الدولتين بتوجيه من الباب العالي وكان ذلك سنة 1553م⁽³⁾، وقد تجدد الخلاف مرّة أخرى خلال هذه الفترة، كان آخرها في الربع الأخير من القرن 16م على عهد القائد رمضان

¹- محمد مبارك الميلي، المرجع السابق، ص. 322.

²- أحمد توفيق المدني، محمد بن عثمان باشا...، ص 27.

³- أحمد توفيق المدني، حرب ثلاثمائة...، ص. 330-331.

(1574-1577م) وجعفر باشا (1580-1582) في محاولة منهما وضع المغرب تحت الحماية التركية لكن دون جدوى⁽¹⁾.

عرف القرن 17م عددا من الحملات العسكرية المغربية على الجزائر في مقدمتها حملة الشريف "مولاي محمد" الذي هاجم تلمسان وغلب بها الأتراك، وبعدها تابع حملته جنوبا مستهدفا عين ماضي والأغواط، ما دفع يوسف باشا (1647-1650م) إلى بعث رسله إلى سجلماصة لإمضاء اتفاقية رسم الحدود مع المغرب من جديد، تلتها حملة السلطان مولاي إسماعيل الذي حاول بسط نفوذه على الغرب الجزائري، إلا أنّ الجيش الجزائري كان له بالمرصاد.

إنّ تواصل الصراع بين الطرفين جعله يتخذ بعدا آخر في الإستراتيجية الحربية، تجسّد في تشكيل حلف ثنائي مغربي تونسي عملا بمقولة «*عدوّ عدوّي صديقي*» وتمّ ذلك على عهد حسن باشا الشاوش (1698-1700م)، وكان سببا في تنحيته عن الحكم ومقتل "علي خوجة" باي قسنطينة، بعد أن حاصرها مراد باي تونس، ليعيد الكرة بعدها السلطان المغربي، إلاّ أنه هزم من جديد بنواحي أرزيو⁽²⁾.

لم يتحقق مراد السلطة المغربية إلاّ مع بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر، حيث خضع بايليك الغرب لسلطتها بعد أن بايع سكانه "السلطان عبد الرحمن" (1822-1859م) أملا منهم في مساعدتهم في تنظيم المقاومة ضدّ الغزو الفرنسي، إلاّ أنّ وجوده بالمنطقة كان شكليا ممثلا بآبن عمّه "علي بن سليمان" الذي لم يتجاوز عمره الخامسة عشر، يساعده في أداء مهامه مستشاره "إدريس الحراري"، واتسمت فترة حكمه بكثرة التجاوزات في حق الرعية التي شكته إلى السلطان، فقام بعزله ونصّب مكانه "ابن الحمري" في 03 أوت 1830م، الذي لم يطل به المقام على رأس إمارته بالمغرب الأوسط، حيث انسحب بأمر من السلطان

¹- أحمد توفيق المدني، محمد بن عثمان باشا...، ص. 31.

²- نفسه، ص. 38-46.

نتيجة التهديدات الفرنسية التي تعرّض لها، وأعلن تخليه عن دعم المقاومة الجزائرية يوم 22 مارس 1832م، ما مهّد الطريق أمام الجزائريين لمبايعة "عبد القادر بن محي الدين الجزائري" أميرا للدولة الجزائرية وزعيما للمقاومة الشعبية، وكان ذلك في 27 نوفمبر 1832م⁽¹⁾.

الحرب مع الإيالة التونسية:

إنّ الخلاف بين الإيالتين الجزائرية والتونسية مرده هو الآخر إلى السلطة، فحكّام الجزائر يرغبون في إخضاعها لهم، في حين بايات تونس يصرون على استقلالها وتبعيةها مباشرة للدولة العثمانية.

وترجع أقدم مظاهر هذا النزاع إلى بداية الحكم التركي للجزائر خلال حكم "خير الدين باشا"، عندما حرّض الحفصيون ابن القاضي أمير كوكو ضدّ السلطة التركية، وتمكّن على إثرها من الاستيلاء على مدينة الجزائر التي حكمها من 1520 م-1527 م، تاريخ استعادتها من قبل القائد باربروس.

استمرت الحرب بين الإيالتين على امتداد الحكم التركي للجزائر وبلغت ذروتها خلال فترة حكم الدايات، ولم يخمد فتيلها إلى غاية العقد الثاني من القرن 19م، تاريخ إمضاء الطرفين اتفاقية الاعتراف باستقلالهما عن بعضهما بموافقة من داي الجزائر "علي خوجة" (1817-1818م)⁽²⁾.

وقد نتج عن هذه الحرب احتكام الطرفين إلى تعديل حدودهما الجغرافية أكثر من مرة خاصة خلال القرن 17 م⁽³⁾، كما كانت لها انعكاسات على مستوى تحصينات المدن الحدودية وتجهيزاتها الحربية، مثل جعل حامية بمدينة تبسة بالحدود الجزائرية الشرقية، في المقابل حظيت بعض المدن التونسية بعناية عسكرية خاصة مثل مدينة "الكاف" كونها أوكل إليها مهمّة التصدي لهجمات الجيش الجزائري⁽⁴⁾.

¹- محمد العربي الزبيري، الكفاح المسلح...، ص. 23-26.

²- أحمد توفيق المدني، محمد بن عثمان باشا...، ص. 25-59.

³- Charles Monchicourt ; Op.cit., P.33-34

⁴- أحمد السعداوي، تونس عبر التاريخ من العهد العربي الإسلامي إلى حركات الإصلاح، ج2، ص. 256.

الأوضاع الأمنية الداخلية:

الثورات الداخلية:

يعود تاريخ الثورات الداخلية بالإيالة الجزائرية خلال الحكم التركي لها، إلى تولي عروج الحكم بعد قتله لسالم التّومي: حاكم مدينة الجزائر، حيث ثار حينها ضده عرب متيجة، كونه اخذ السلطة بغير حق⁽¹⁾.

وقد عرف أخوه "خير الدين" من بعده ثورة "ابن القاضي" أمير كوكو(*) الذي كلفته ملكه الممتد يومها من دّلس شرقا إلى تنس غربا، قبل أن يستعيده من جديد سنة 1527⁽²⁾ ولكن رغم هذه الثورات، إلّا أنّ أضرارها تبقى جانبية مقارنة بفترة ما بعد رياس البحر، حيث زادت حدّتها مع مرور الوقت نتيجة التجاوزات المرتكبة من السلطة في حق الرعية، على اختلاف أنواعها والتي نحصرها فيما يلي: جاء على رأس هذه الأسباب العامل الاقتصادي تنصده الضرائب** التي عرفت تنوعا وازديادا في نسبها، حيث بلغت

¹ – Fray Diego De Haedo; **Histoire...**, p.27.

* إمارة كوكو: تشمل منطقة القبائل الكبرى، تأسست بعد احتلال مدينة بجاية من طرف الإسبان سنة 1510 م، على يد زعيمها "أحمد بن القاضي"، وقاعدتها كوكو، وهي قرية بن يحيى بزواوة، على بعد 18 كلم عن الحصن الوطني Fort national ناحية الشرق. سميت قرية بن يحيى السابقة الذكر نسبة إلى يحيى من عرب بني سليمان الذي استقر بهذه المنطقة، ومنه القبيلة التي يحكمها اسمه. **راجع:** - الشيخ المهدي البوعبدلي، **تاريخ المدن**، جمع وإعداد عبد الرحمن دويب، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 526. - أحمد توفيق المدني، **محمد بن عثمان باشا...**، ص 25.

- Adrien Berbrugger ; **Op.cit.**, P .66.

- Alph. Meyer ; << **Origine des habitants de la Kabylie** >>, in : **Revue Africaine**, N° 17 Année 1859, P363.

²-أحمد توفيق المدني، **حرب ثلاثمائة...**، ص. 211-214.

** الضرائب: أول من فرض الضرائب خلال الحكم التركي للجزائر القائد عروج بعد توليه حكم مدينة الجزائر سنة 1516م على الثائرين عليه من أتباع سالم التومي. **راجع:**

-Fray Diego De Haedo ; **Idem.** , P.23.

ذروتها أواخر الحكم التركي، وذلك نتيجة تأثر النظام المالي للجزائر بفعل تراجع الموارد البحرية، ما جعل السلطة توجه أنظارها إلى الداخل بصفة غير مسبقة في استغلال الموارد المحلية، إضافة إلى طبيعة النظام الضرائبي المفروض على السكان⁽¹⁾.

اتسمت الضرائب بتنوعها وكثرتها وعدم خضوعها لأي تنظيم محدد، حيث فرضت ضرائب إضافية (العوائد) غير الضرائب الشرعية على جماعات من المجتمع مقابل إعفاء المخزن والكراغلة منها⁽²⁾، ما تسبب في إثقال كاهل الشعب، نتج عنه امتناع جماعات منهم عن دفعها وتطورت إلى ثورات عسكرية، وهذا المشهد ألغاه بالبلاد الجزائرية، فلهذا السبب ثار الجزائريون بمدينة تلمسان بداية القرن 16م ضدّ سلاطين "بني زيان" بعد أن ضاقوا من سياستهم في جمع المال لصالح أسيادهم من الإسبان حفاظا على سلطتهم⁽³⁾.

كما شهدت الجزائر الحديثة نفس رد الفعل على عهد الأمير عبد القادر لما استحدثت ضريبة المعونة سنة 1839م، لدعم المجهود الحربي بعد استشارة علماء الدين من الجزائر والمغرب الأقصى، إلا أنّ هذه الضريبة كانت في تزايد مع اشتداد الحرب مع العدو الفرنسي، ما جعلها تشكّل عبئا ثقيلا على سكان الريف، وكانت سببا في تهريب بعض القبائل عن دفعها، والتحول من مناصرة الأمير في جهاده ضدّ العدو، رغم أنّ مداخل بيت المال ومحصول جباية الضرائب كانت تتفق في المصلحة العامة⁽⁴⁾، عكس ما كان عليه الأمر من قبل، حيث كانت الضرائب تدرّ بمداخل على الخزينة، إلا أنّها لم تكن تتفق لخدمة الصالح العام إلا نادرا، كونها توجه لخدمة المصالح العاجلة للحكّام لضمان

¹-ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص. 08-09.

²-ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي البوعديلي، المرجع السابق، ص. 31-32.

³-الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ص. 23.

⁴-ناصر الدين سعيدوني، <<النظام المالي الضرائبي للأمير عبد القادر>>، مجلة الثقافة، عدد: 75، الجزائر، ماي، جوان، 1983، ص. 125.

الأمن الداخلي، وذلك بتلبية متطلبات التجهيزات الدفاعية، وضمان دفع مستحقات الجيش، وتقديم الترضيات، ما كان له تأثير سلبي على ازدهار الإيالة⁽¹⁾.

ونظرا لما كانت تنثيره الضرائب من اضطرابات اجتماعية، استغل الحكام الأتراك مثل الحاج "أحمد باي" هذه الورقة الاقتصادية لكسب ودّ الشعب، وذلك بتخفيفها أو بإلغائها وعلى نفس الاستراتيجية سارت السلطات الفرنسية بداية احتلالها للجزائر⁽²⁾.

اشتهرت منطقة القبائل بكثرة ثوراتها، ويكفي أن نضرب مثلا بقبيلة "فليسة" التي رفضت دفع الضرائب فوجّه ضدها الداوي "محمد بن عثمان باشا" حملات عسكرية استمرت سبع سنوات إلى سنة 1774 م تاريخ إخمادها بعد أن فرض عليها الحصار، وقطع عليها سبل التموين⁽³⁾.

كما يمكن أن تتصل ثورات القبائل بأسباب غير اقتصادية يمكن أن ندرجها ضمن العصبية القبلية ورفض السيادة عليها من العناصر الأجنبية، وفي ذلك قال "ابن خلدون" أن: «الأوطان الكثيرة القبائل والعصائب قلّ أن تستحكم فيها الدولة»، وضرب مثلا على ذلك ببلاد إفريقية والمغرب التي تدخل الجزائر ضمنها⁽⁴⁾.

¹ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي ...، ص. 164.

²حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص. 107-108.

³محمد مبارك الملي، المرجع السابق، ص. 237-238.

⁴عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2001، ص. 206-207.

عرفت الجزائر بثورات أبنائها المتواصلة ضدّ الوجود الأجنبي على مرّ العصور، ومنها فترة الحكم التركي لها، الذي كثيرا ما عرفت منطقة القبائل خلالها نوعا من الاستقلال الذاتي⁽¹⁾ مثل قبائل إمارة كوكو، وقبائل بني عباس بالقلعة ببجاية التي تعدّ أكثر صمودا في وجه الأتراك، حيث ظهر هذا الصراع منذ الدخول التركي إلى الجزائر، واستمر إلى عهد الداوي حسين آخر دايات الجزائر، ففي سنة 1239هـ/1823م ثارت هذه القبائل ما استدعى تدخل قائد الجيش "يحيى آغا لإخمادها"⁽²⁾، واستمرت ثورات قبائل جرجرة ضدّ الأتراك إلى ما بعد احتلال عاصمة الإيالة سنة 1830م، فبعد انسحاب "أحمد باي" راجعا إلى قسنطينة هاجمته قبيلة فليسة⁽³⁾.

لم يكتف الحكام الأتراك بتوجيه حملات تأديبية لإخماد هذه الثورات، التي أثبتت عدم نجاعتها خاصة في المواجهة المباشرة مع الثوار، وذلك لعامل المناخ وطبيعة التضاريس الوعرة للمنطقة، بل دعموا ذلك بإنشاء مباني عسكرية تحت إشراف قادة أترك، وتغطي هذه التحصينات عدّة مناطق من بلاد القبائل بكلّ من برج بوعرييج، زمورة ومجانة بنواحي بجاية ودّلس وبرج منايل بواد يسّر، وبرج سباو، وبرج تيزي وزو، وبرج تزرارت بقيادة سباو، وبرج بوغني بواد بوغني وسور الغزلان، وبرج حمزة بوادي الساحل، إضافة إلى إقامة المعسكرات التي تعرف بالزموّل والمخزن⁽⁴⁾، حيث قاموا بتوطين قبائل المخزن الحليفة بالمناطق المنيعّة، فطريق الشرق نحو قسنطينة تحفّ بها في بعض جهاتها الوعرة قبائل المخزن كالزواتنة وعبيد أقبو وبني هارون، أمّا طريق الغرب نحو وهران فتحرسها

¹-Charles Féraud ; **Histoire des villes....**,P.48.

²-Adrien Berbrugger ; **Les époques militaire....**, P. 133.

³- Charles Féraud ; **La prise d'Alger**, P.77.

⁴-Adrien Berbrugger, **Idem.** , P. 93-138.

كذلك قبائل مخزن بوحلوان وبنو عبدي والبغادي ووادي سلي⁽¹⁾، وذلك لحماية طرق المواصلات وعزل القبائل المتحالفة عن بعضها لإضعافها⁽²⁾.

كانت هذه المجهودات الأمنية موجهة لتأمين الطرق السلطانية الرابطة بين الجزائر العاصمة وبايليك الشرق أو لتأكيد الحكم وكسب الولاء وحماية مواردها الاقتصادية لضمان دفع الضرائب⁽³⁾، كتوفير الحماية للقوافل التجارية وتأمين العامة من المسافرين السالكين لهذه المعابر، والذي يعتبر حق مشروع اتجاه الجزائريين بعد أداء واجباتهم⁽⁴⁾.

لم تكن الإجراءات العسكرية الوسيلة الوحيدة في فرض الرقابة واستخلاص الضرائب من القبائل المستقلة، بل وجدت وسائل تجارية لتحقيق هذا الغرض كخلق الأسواق الأسبوعية والموسمية لهذه القبائل أين يتم التعارف وتعدد الأحلاف ويتبادل الرأي وتنتشر الأخبار والدعايات*، حيث يكون التحكم فيها من خلال تنصيب قيادة من الأتراك بمعونة من الحامية التركية ومجموعة من فرسان المخزن، ويحضر أي تبادل أو تعامل خارج الأسواق، وهذا ما أرغم القبائل الجبلية والعشائر الصحراوية على التوجه إلى تلك الأسواق ودفع الرسوم المستحقة عليها مقابل تصريف إنتاجها والحصول على ما تحتاجه من البضائع والسلع والمحاصيل لاسيما الحبوب التي هي بأشد الحاجة إليها، وفي حالة شعور الحكّام بأن بعض الأسواق أصبحت غير ملائمة للتبادل التجاري أو معرضة للخطر أو تتحول إلى أماكن للدعاية المناهضة للدولة، يقومون بإلغائها ونقلها إلى أماكن أخرى أين

¹ - ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي...، ص. 160.

² - Adrien Berbrugger ; « Chronique », in : Revue Africaine, Année 1859, P.74-75.

³ - عزيز سامح آلتر، المرجع السابق، ص. 206-209.

⁴ - Vayssettes(E.); Op.cit., P.123.

* إن اعتبار الأسواق أماكن تشكل خطرا على أمن الدولة، ليس وليد الفترة الحديثة، بل تعود جذوره إلى فترة متقدمة من التاريخ الإسلامي، ففي القرن 2هـ/8م قام أبو جعفر المنصور بنقل سوق بغداد إلى خارجها حيث ربض الكرخ خوفا من أعدائه.

يستطيعون السيطرة عليها، مثل ما حدث في جرجرة، حيث أمر قائد سباو بإبطال سوق عين الأربعاء الواقع في أرض قبيلة بني ثور نظرا لتحريض قبيلة واقتون للقبائل الأخرى على الثورة ضدّ الأتراك، وبذلك أرغمت القبائل التي تقيم في تلك المنطقة على التوجه إلى سوق علي خوجة عند ملتقى وادي عمراوة بوادي الكلاب لتصريف بضائعها واشتراء الحبوب التي تحتاجها مقابل دفع 10% من ثمن إنتاجها المحمول إلى السوق⁽¹⁾.

كانت تقام هذه الأسواق بالقرب من منابع المياه عند ملتقى الطرق أو أماكن العبور، وعند مصب الوادي أو في مركز السهول، وقد بلغ عددها بمنطقة القبائل عند بداية الاحتلال الفرنسي 67 سوقا تضمن المبادلات الداخلية بين قبائل المنطقة والعشرات منها لخدمة المبادلات الخارجية⁽²⁾.

ارتبطت الثورات الداخلية بأسباب اقتصادية أخرى تضاف إلى الضرائب نذكر منها: منح امتيازات تجارية لبعض الدول الأوروبية كإنجلترا وفرنسا لإقامة مراكز تجارية بالأراضي الجزائرية، تسببت في ظهور ثورات للأهالي، وأحسن مثال على ذلك: عندما عرض الفرنسيون على الداوي "حجي أحمد" إقامة مركز تجاري للأغذية بشرشال فردّ عليهم بقوله: «> يوجد لي رأس واحد فقط، سأعتني به بالمحافظة عليه>>»، ما يدل على تخوفه من ردّة الفعل الغير مرغوبة للأهالي⁽³⁾، وإقامة الحصن الفرنسي بالقالة الذي تعرّض للهدم من طرف سلطة البايليك أكثر من مرّة، كونه كان يضرّ بالاقتصاد الوطني بتعامله المباشر مع الأطراف المدنية، ما تسبب في ثورة بعض القبائل مثل الحنانشة لتضرر مصالحها الاقتصادية، ولإخماد هذه الثورات التي عرفت النواحي الشرقية للبايليك سمح الداوي بإعادة بنائه⁽⁴⁾.

¹ - ناصر الدين سعيدوني، والشيخ مهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص. 110.

² - Tarik Bellahsene ; Op.cit., P.97. **Voir** : -Adrien Berbrugger ; **Chronique...**, P.73.

³ - عزيز سامح آلت، المرجع السابق، ص. 450-528.

⁴ - ناصر الدين سعيدوني، والشيخ مهدي البوعبدلي، المرجع نفسه ، ص. 76.

كما أنّ احتكار العنصر اليهودي لبعض الأنشطة التجارية التي فتحت أمامهم الطريق لجني ثروة طائلة على حساب السكان والدولة الجزائرية وبمباركة من بعض حكامها، أدى إلى سخط الأهالي وتحوله إلى ثورات انتقامية في بعض الأحيان مثلما حدث في سنوات (1801، 1804، 1805، 1518) وانتهت بقتل الداوي مصطفى (1798-1805م) المعروف بتعاملاته مع كبار تجار اليهود⁽¹⁾.

بعد عرضنا للعامل الاقتصادي وعلاقته بالثورات التي عرفت بالإيالة، نضيف إليه عوامل أخرى كانت لها انعكاسات واضحة على الجانب الأمني والاقتصادي للدولة الذي أضرت تأثيراته على الحياة الاجتماعية للسكان.

عرف المجتمع الجزائري بطبقته، وكان للأتراك يد في ذلك بتقسيم المجتمع الواحد إلى فئات والتّمييز بينها في المعاملة والواجبات والحقوق، كإبعاد السكان الأصليين والكراغلة من أخذ مناصب في الحكومة العسكرية⁽²⁾، هذا ما أدّى إلى ثورة الكراغلة على السلطة التركية بمدينة الجزائر، ورغم الإجراءات المتخذة ضدهم، إلّا أنّ الأتراك لم يتمكنوا الحدّ من شوكتهم، إلّا بعد أن سمح لهم الداوي شعبان آغا (1665-1668م) بحق الانتساب للأوجاق، فنتج عنه ارتقاء بعض العناصر منهم إلى مناصب سامية مثل: الحاج أحمد باي (1826-1837م) على رأس بايليك قسنطينة⁽³⁾.

¹ - ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي...، ص 47.

² - وليم سبنسر، المرجع السابق، ص. 33.

³ - ناصر الدين سعيدوني، المرجع نفسه، ص. 44.

نتج أيضا عن عدم المساواة، تفشي الفساد في أوساط الحكام، وبلغ الأمر إلى حدّ شراء المناصب الإدارية، وقد ذكر حمدان خوجة ذلك بقوله: «إنّ أهمّ التجاوزات التي وقعت في عهد حكومة الأتراك بالجزائر هو إعطاء المناصب بلا مروءة ولا كفاءة مقابل الحصول على الأموال نتج عنه غضب الشعب وتحولها إلى ثورات منظمة»⁽¹⁾، وعلّق "شارل أندري جوليان" على هذه الظاهرة بقوله: «إنّ الحكم بالنسبة للأتراك صناعة سعوا جاهدين إلى أن تدر عليهم أوفر الأرباح»⁽²⁾، وقد كان لتقلّد المناصب في الإيالة الجزائرية بغير حقّ تداعيات خطيرة على أمنها، تجلّت على أرض الواقع في عزل قائد الجيش "يحيى آغا" من طرف الداي حسين بمؤامرة من الخزنّاجي، وعيّن مكانه صهره "إبراهيم آغا" الذي يفتقر إلى الكفاءة العسكرية لتسيير شؤون الجيش، ونتج عنه فشل في صدّ الحملة الفرنسية، وعجّل بشكل أو آخر في احتلال الجيش الفرنسي للجزائر سنة 1830⁽³⁾.

لقد كان لهذا الفساد انعكاس إيجابي على دولة الأمير عبد القادر، الذي حاول في تسيير شؤونها إصلاح الفساد الذي كان من قبل في الإدارة التركية، وذلك بالعدل في توزيع المناصب ونستشهد على ذلك بقول: "محمد الجزائري": «ولما كان غاية قصد الأمير ربط البلاد بالإدارة الشرعية لم يستخدم في جميع أعماله إلّا من اشتهر بمعرفته الأحكام وعرف بالعفاف والإقدام، وأبعد غالب العمال أرباب التقدم والنفوذ في أيام الحكومة الجزائرية واستخدم في إدارة الأمور الملكية من كان ذا حزم وعزم وقوة شكيمة من ذوي البيوت المشهورين بالعلم والفضل وحسن السياسة...»⁽⁴⁾.

¹- حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 130. راجع:

-Thiboud-Landriot ; Notice statique et historique sur le Royaume et la ville D'Alger, France, 1830, P. 20.

²- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 376-377.

³ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، 163.

⁴- محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج1، المطبعة التجارية، الإسكندرية، مصر، 1903، ص 200.

كان لتهميش رجال الدين والحدّ من نفوذهم من طرف السلطة الحاكمة، سببا في ظهور الثورات، بعد أن كانوا في بداية الحكم التركي يستشرونهم في مختلف القضايا الدينية والسياسية وحتى العسكرية هذا ما خلق جوا من الأمن والاستقرار لم يعرفه النظام التركي بالجزائر في أغلب فترات حكمه، وذلك بفضل تدخل رجال الدين في وضع حدّ للثورات القائمة بين السلطة بالبلاد والثائرين من الرعية عن طريق الصلح⁽¹⁾، وقد تحصلوا مقابل ذلك على عدّة امتيازات كالإعفاءات و العطايا والحماية والأمن لهم ولأحفادهم وذويهم من بعدهم⁽²⁾، إلّا أن توسيع الحكام لنفوذهم بداخل البلاد و حدوث تجاوزات في حق سكان الأرياف أدّى إلى حدوث فتور في العلاقة بين رجال الدين زعماء الطرق الصوفية والسلطة التركية بالبلاد، وتطورت هذه العلاقة لتتحول إلى صراع مسلح بين الطرفين مثل ثورة ابن الأحرش بالشرق الجزائري التي امتدت لثلاثة سنوات من 1804م إلى غاية 1807م وكلفت بايليك الشرق خسائر فادحة بما فيها قاعدته قسنطينة، ونفس الأحداث عرفت الجاهات الغربية من البلاد، حيث واجه خلفاء محمد الكبير ببابليك الغرب عداء مستحكما من طرف رجال الدين وثورة عارمة ضدّ نفوذه تزعمها محمد الشريف الدرقاوي واستمرت من 1805 إلى 1817م، تسببت في إضعاف قوة البابليك وإنهاك الأرياف اقتصاديا، ولم تنته هذه الثورة حتى أعلنت الطريقة التيجانية الثورة على الأتراك بالجنوب والغرب الجزائري ابتداءً من عام 1818م، ووصلوا في غارتهم نواحي غريس وجهات التل الوهراني⁽³⁾.

¹ - محمد دراج، المرجع السابق، ص. 370-373. راجع:

- Adrien Berbrugger, *Les epoques militaires...*, p. 61.

² - محفوظ سعيداني، « القوى المحلية ودورها في تثبيت الحكم العثماني في بلاد المغرب (ق18-19م) »، دراسات تراثية، العدد: 05، جامعة الجزائر-2، الجزائر، 2014، ص. 451-452.

³ - ناصر الدين سعيدوني، والشيخ مهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص. 39.

لقد دفع تعدد الثورات وطول أمدها، حكام الجزائر إلى إيجاد سبل لإخمادها، تضاف إلى الإجراءات الأمنية السالفة الذكر، والتي أنهكت الحكومة التركية لارتفاع تكاليفها، وتتلخص في ما يلي:

المصاهرة: وإن كان هذا الأسلوب ليس جديدا في تاريخ حكام الدول الإسلامية، لتحقيق مآربهم، حيث صاهر الأمير الحفصي أبو عبد الله السلطان الزياني أبو حمو الثاني، للتفرغ لمحاربة ابن عمه أبي العباس الذي كان حاكما على قسنطينة⁽¹⁾، وقد لجأ عدد من الحكام الأتراك إلى نفس الطريقة، وأولها كانت بزواج صالح باشا من ابنة سلطان بجاية عبد العزيز⁽²⁾، تلتها زواج حسن باشا سنة 1561 م من ابنة ابن القاضي سلطان إمارة كوكو، وبهذا كسب صداقة أحد الطرفين وتفرغ لقتال بني عباس⁽³⁾، الذين تمكنوا من احتلال أبراج مجانية وزمورة⁽⁴⁾.

إضرام نار الفتن بين القبائل: لإضعافها بتجنب تحالفها وبذلك انقضاء شرّها⁽⁵⁾، ففي بايليك التيطري كان حكام الجزائر يعملون على التفرقة بين أولاد مختار، حيث قسموهم إلى قسم غربي وقسم شرقي، فكانوا في نزاع دائم فتارة يستميل الداوي رأس القسم الغربي ويستشيريه في كل شؤون البايليك، وأنداك يفرّ رأس القسم الشرقي إلى الصحراء، حيث لا تتاله جيوش الداوي، وتارة أخرى يقوم بالعكس، وتكررت هذه اللعبة إلى أن أضحت مألوفة لدى السكان وصارت جزءا من الحياة السياسية في التيطري⁽⁶⁾.

¹ - رشيد بورويبة، الجزائر في التاريخ، العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني، ج.03، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 409.

² - عزيز سامح آلتر، المرجع السابق، ص. 207-208.

³ - محمد درّاج، المرجع السابق، ص. 340-341.

- Adrien Berbrugger, **Les époques militaires...**, p.94.

- Jules Liorel; **Kabylie du Djurjura**, Ernest L'Eroux éditeur, Paris, France, S.D.P.130.

⁴ - عزيز سامح آلتر، المرجع نفسه، ص. 207-208.

⁵ - شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص. 378.

⁶ - محمد مبارك المليي، المرجع السابق، ص. 296.

انتهجت السلطة التركية هذه السياسة حتى في المدن، مثلما حدث في قسنطينة، حيث تحالفت مع أسرة ابن الفكون وأبعدت أسرة أولاد عبد المؤمن المتحالفة مع الحفصيين، فتمكنت هذه الأسرة من حصد الحضوة والامتيازات والإعفاءات والمكانة وباتت صاحبة الكلمة الفاصلة في قسنطينة في مختلف المجالات طيلة العهد العثماني⁽¹⁾.

مواصلة الاعتماد على تقديم الترضيات: كانت مخصصة للأعيان والأشراف والمرابطين ذوي الكلمة المسموعة لدى مواطنيهم، إضافة إلى رعاية وصيانة الأضرحة، هذا المظهر المعماري الذي عرف تكاثرا في عدده وتضخما في عائدات أوقافه خاصة مع مطلع القرن التاسع عشر ميلادي، وذلك سعيا منهم للحصول على تأييد ومعاونة السكان المحليين حتى لا تؤثر عليهم دعاية الطرائق الصوفية المعادية مثل: درقاوة والتيجانية⁽²⁾.

لقد تركت هذه الثورات انعكاسات سلبية على الحياة الاجتماعية للجزائريين بسبب غياب الأمن، رغم مجهودات الحكام في استتبابه، فصعوبة المواصلات وقلة الطرق فرض على القوافل سلوك بعض الطرق المحفوفة بالمخاطر مثل: الطريق السلطانية الجزائر قسنطينة عبر قلعة بني عباس الذين تواصلت ثوراتهم إلى أواخر الحكم التركي، هذا الظرف الأمني انعكس سلبا على الحياة الاجتماعية عامة، والقدرة الشرائية خاصة، وذلك لارتفاع أسعار السلع⁽³⁾.

كما أثرت هذه الثورات على الحركة الجهادية ضد الإسبان بمدينة وهران والمرسى الكبير، وذلك لانشغال الحكام بإخمادها، حيث تعطلت من سنة 1560م تاريخ آخر حملة لحسن باشا على وهران إلى بداية القرن 18م على عهد الحاج مصطفى باشا الذي بعث مشروع تحرير وهران من جديد بتعيين مصطفى بوشلاغم بايا على بابليك الغرب، والذي كللت

¹ - محفوظ سعيداني، المرجع السابق، ص. 453.

² - ناصر الدين سعدوني، النظام المالي...، ص. 143-164.

³ - ناصر الدين سعيدوني، والشيخ مهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص. 80.

محاولاته بالنجاح بضمّ وهران للسلطة التركية لأول مرة منذ دخولها الجزائر (1516-1708)، وكان ذلك في سنة 1708م⁽¹⁾.

في المقابل اغتتمت القوى الأوروبية الصراع بين الثوار والسلطة للاعتداء على الجزائر مثل الحملة الإسبانية سنة 1601م، بقيادة الأميرال "دوريا" الذي كان يعتقد أن انشغال الداى سليمان بإخماد ثورة بني عباس، نقطة ضعف يمكن استغلالها في احتلال مدينة الجزائر⁽²⁾، وفي سنة 1668م على عهد "علي آغا" حاول الإنجليز استغلال ثورات الأهالي بكل من نواحي: الجزائر ومنطقة القبائل لاحتلال المدينة، لكن دفاعات ميناء الجزائر تصدّت لهم بنجاح⁽³⁾، وفي نفس الظروف هاجم دوكين المدينة سنة 1683م دون أن يحقق مراده⁽⁴⁾.

العتاد الحربي ومصادره:

إنّ مكانة الجزائر العسكرية لا تتوقف على قوة تحصيناتها التي لعبت دورا هاما في حفظ أمنها خاصة من العدوان الخارجي، بل له علاقة أيضا بالترسانة الحربية التي كانت تتوفر عليها وعملت على تأمين مصادرها المحلية والخارجية.

اعتمدت الجزائر في الحصول على حاجياتها من الأسلحة على صناعتها المحلية، حيث كانت تتوفر على المادة الأولية التي تؤمنها لها مناجم مختلفة موزعة على البايليك الأربعة للإيالة⁽⁵⁾، فقد كانت بمنطقة القبائل مناجم لاستخراج خامات الحديد والرصاص

¹- أحمد توفيق المدني، محمد بن عثمان باشا...، ص. 46.

²- محمد مبارك الملي، المرجع السابق، ص. 142-149.

³- نفسه، ص. 176-177.

⁴- عزيز سامح آلتز، المرجع السابق، ص 423.

⁵- شريفة طيان، «النحاسيات في الجزائر خلال العهد العثماني»، مجلة الآثار، العدد 08، معهد الآثار، جامعة

الجزائر-2- الجزائر، 2009، ص. 202.

وملح البارود⁽¹⁾، وبعد معالجتها تستخدم في صناعة الأسلحة والذخيرة، وقد اشتهرت خلال هذه الفترة "قبيلة فليسة" وجامع الصهرج بصناعة البارود⁽²⁾، وساهمت في تزويد السلطة بهذه المادة عند الحاجة⁽³⁾، مثل محمد الكبير باي الغرب الذي استعمل كميات كبيرة منه في محاصرته لمدينة وهران سنة 1791م، وكانت هذه المادة تصنع أيضا من طرف القبائل الصحراوية لوفرة مادة ملح البارود الذي يستخرج من منجم لقساين غرب بسكرة⁽⁴⁾.

كما اشتهرت المعامل الخاصة بصناعة الأسلحة النارية مثل البنادق التي كانت تصنع بقلعة بني راشد وقلعة بني عباس وقرى فليسة، وكذلك قرى وادي ميزاب ومدينة تقرت وبوسعادة⁽⁵⁾، إضافة إلى معامل البايليك التي تصنع بها الذخيرة والمدافع حيث أقيم بمدينة الجزائر عدد منها مثل: مصنع باب الواد، ومصنع الثغريين، ومصنع قصر الداى بالقصبة⁽⁶⁾.

رغم الإنتاج المحلي المتنوع إلا أنه ظل لا يلبي الاحتياجات العسكرية خاصة مع اضطراب الأوضاع الأمنية الداخلية والخارجية ونقص الإمكانيات اللازمة لاستخراج المادة الأولية للصناعة ومعالجتها، ما جعل الحكومة تلجأ إلى وسائل أخرى لسدّ عجزها.

¹- حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص. 29.

²-Péllissier (E.) ; **Op.cit.**, P.354.**Voir** : - Adrien Berbrugger, **Les époques militaires...**, **Op.cit.**, P. 68-69.

³- أحمد بن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص. 22.

⁴-ناصر الدين سعيدوني، والشيخ مهدي البوعبدي، المرجع السابق، ص 67.

⁵- نفسه، ص. 66.

⁶- علي خلاصي، قصبة ... ج.1، ص. 28.

الضرائب والهدايا:

كان الجيش الجزائري يتحصل على مساعدات من طرف الدول الصديقة، وعلى رأسها تركيا التي ظلت تمدّ الجزائر بالعتاد الحربي منذ زمن خير الدين باشا⁽¹⁾، وقد ذكر "حمدان خوجة" أنه وقف على هذه المساعدات على عهد "محمد بن عثمان باشا" بعد الحملة الإسبانية على مدينة الجزائر سنة 1784م⁽²⁾، وكذلك في سنة 1785م، تسلمت خلالها الجزائر مئات القناطير من الحديد والنحاس والقصدير وعشرات المدافع ولوازمها مثل: القواعد الخشبية وآلاف القنابل ومئات القناطير من البارود⁽³⁾.

تتحصل عليها أيضا على شكل ضرائب تدفع من الدول الأوروبية (السويد، هولندا، فرنسا، إنجilterا، الدنمارك)، تتمثل في كميات معتبرة من المادة الأولية الموجهة لصناعة السفن والأسلحة من خشب، وحبال وحديد وبارود وقطع مدفعية بناء على اتفاقيات صلح بين الطرفين مقابل حماية مصالحها التجارية من الجانب الجزائري⁽⁴⁾.

¹-خير الدين باشا، المصدر السابق، ص100.

²- حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 95.

³-أحمد توفيق المدني، محمد بن عثمان باشا... ، ص 150-152.

⁴-Moulay Belhamissi ; Op.cit., P. 73.

الشراء :

عقدت الجزائر خلال الحكم التركي مع السلطة العثمانية والدول الأوروبية كثيرا من الصفقات لشراء الأسلحة، ويكون الدفع نقدا أو بالمقايضة، وقد استعملت مع إنجلترا مقابل المواد الغذائية مثل: زيت الزيتون والصوف والجلود والشمع، هذه المواد التي كانت محظورة على الأمم الأخرى⁽¹⁾.

كانت تتحصل على المعدات الحربية على شكل مواد أولية⁽²⁾، أو أسلحة جاهزة، وقد ذكر أحمد بن هطال التلمساني، أنه أشرف شخصيا على عملية شراء لأسلحة متنوعة من مدافع وبارود ورصاص من الإنجليز بجبل طارق، استعملها الباي محمد الكبير في تحرير وهران⁽³⁾.

نشاط القرصنة وغنائم الحرب:

ساعد نشاط القرصنة الذي كانت تقوم به البحرية الجزائرية من توفير كميات هامة من المواد الأولية لصناعة السفن والأسلحة، وفي ضبط أنواع مختلفة من الأسلحة الجاهزة، وتتمثل في المعادن والخشب والذخيرة والمدافع والقنابل والبارود، إضافة إلى المواد الأولية الغير المتوفرة كالكبريت والزفت⁽⁴⁾.

كما كانت لحروب الجزائر مع أعدائها من أوروبا والتي أنهتها لصالحها في أكثر من مرة الفضل في التزود بالأسلحة على شكل غنائم حرب، فمثلا من نتائج حملة "أورلي" غنم 17 مدفعا من النحاس⁽⁵⁾.

¹ - عزيز سامح ألتز، المرجع السابق، ص 286.

² - أحمد توفيق المدني، محمد بن عثمان باشا...، ص. 151.

³ - أحمد بن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص 15-22.

⁴ - Moulay Belhamissi ; **Op.cit.**, P. 73.

⁵ - Gorgus (A.); **Op.cit.**, P. 407.

الفصل الثالث

مصطلحات العمارة الحربية الإسلامية

مصطلحات العمارة الحربية الإسلامية:

البنائات المعمارية الحربية:

تقاس قوّة الدول بالدرجة الأولى بمدى قوتها العسكرية، هذه القوة التي اختلف مدلولها بين الماضي والحاضر، كونها كانت فيما مضى من العهود التاريخية تقوم على ما مدى قوّة مبانيها الدفاعية، إضافة إلى وسائلها الحربية من عدّة وعتاد دون إغفال العنصر البشري ودوره في ذلك، ومع التطور الحاصل في جهاز الجيش بالعالم مع مرور الوقت وصولاً إلى يومنا هذا، حدث تحوّل في مفهوم القوّة العسكرية، وذلك للتقدم التكنولوجي الكبير الذي رافقه ظهور أنظمة دفاعية وهجومية آليّة سلبت الهيبة التي كانت تتمتع بها العمارة الحربية سابقاً.

سعت الدولة الإسلامية كغيرها من الدول إلى حماية أملاكها وفرض سيادتها في ظل الظروف المختلفة التي كانت تحيط بها، وذلك ببناء تحصينات متنوعة من أسوار وأبراج وقلاع وحصون، وحرصوا على تطوير ملاحقها المعمارية مواكبة للتطور الحاصل في الأسلحة الحربية وصولاً إلى المدفعية التي رافقت آخر خلافة إسلامية ممثلة بالدولة العثمانية، وانطلاقاً من أهمية هذه المباني صنّفها الفقهاء ضمن البناء الواجب، لأنّها من الوسائل التي تساعد على حفظ المال والنفس والعرض، وهي من مقاصد الإسلام⁽¹⁾.

¹ - عثمان عبد الستار، المدينة الإسلامية، عالم المعرفة، الكويت، 1988، ص. 122.

مدن المعسكرات:

عبارة عن قواعد عسكرية تقام بالقرب من المنطقة المحاصرة والتمردة، وتقام فيها الأسواق، وينقل إليها الصنّاع، وتشحن بالأقوات والمؤن، ويقيم فيها نخبة من الجند والفرسان، ويعهد بإدارتها إلى أحد كبار القادة أو الوزراء⁽¹⁾.

يعود ظهور مدن المعسكرات الإسلامية إلى فترة الفتوحات الإسلامية خاصة على عهد عمر بن الخطاب (ض)، وأقيمت هذه المعسكرات لتكون قواعدا لتغذية جبهات القتال بالرجال والمؤونة، إضافة إلى تأكيد الحكم وإدارة الأقاليم المفتوحة، حيث لم يعرف الإسلام انتشارا واسعا وثباتا في البلاد المفتوحة إلا بعد تأسيس معسكرات، تحوّلت مع مرور الزمن إلى مدن كبيرة، فقد توجّبت فتوحات العراق بإنشاء مدينتي البصرة والكوفة لتكونا معسكرين للجند العرب والفاثحين لتأكيد الفتح، ولم تستقر الأوضاع لصالح المسلمين في مصر، إلا بعد تأسيس مدينة الفسطاط التي أصبحت قاعدة ينطلق منها المسلمون لمواصلة الفتح نحو بلاد المغرب، كما أن المسلمين لم يتمكنوا أيضا من السيطرة على بلاد المغرب إلا بعد أن أسسوا بها مدينة القيروان لتكون لهم معسكرا يستقرون فيه⁽²⁾، وقاعدة حربية تنطلق منها الجيوش لتحرير المناطق الجديدة ونشر العقيدة والثقافة الإسلامية بين قاطنيها من قبائل البربر⁽³⁾.

¹ - سحر عبد المجيد مناور المجالي، تطور الجيش العربي في الأندلس، 138-422هـ / 756-1031م، ط1، عمان، الأردن، 1995، ص. 157.

² - مبارك بوطارن، المرجع السابق، ص. 152.

³ - صباح إبراهيم الشخي، >> الإستراتيجية الحربية العربية في بلاد المغرب في القرن الخامس للهجرة والحادي عشر الميلادي <<، مجلة المورد، العدد: 04، الجمهورية العراقية، 1983، ص. 73.

تواصل قيام هذا النوع من المدن بالبلاد الإسلامية، لكن بتحوّل في الأهداف من مدّ أطراف الدولة الإسلامية على حساب أملاك المشركين، إلى الصراع بين حكام الأمة الواحدة، إمّا لغرض الدفاع عن النفس أو لغرض توسيع الحكم لأطماع مختلفة، خاصة في ظلّ التنافس القائم بين الدول الإسلامية المستقلة، ففي بلاد المغرب الإسلامي تمخض عن الحروب الطويلة الأمد بين الزيانيين والمرينيين إنشاء هذا الطرف الأخير لمدينة المنصورة من طرف السلطان المريني "أبو يعقوب بن يعقوب بن عبد الحق" لمحاصرة مدينة تلمسان⁽¹⁾، وكانت المنصورة يومها شديدة الحصانة، حيث يحميها سور طوله 4 كلم تتخلله 200 برج كلّها بالطابية، ويتراوح ارتفاعها ما بين 10 إلى 15م، وسمكها من 2 إلى 3 م⁽²⁾.

الأسوار:

السور هي من الشروط الأساسية الواجبة توفرها في تخطيط المدن الإسلامية⁽³⁾، كونها من أهم المنشآت المعمارية الحربية التي يهتم الحكام بتشييدها حماية لمدنهم ودفاعا عن أملاكهم، وتتمثل في حائط يرتفع عن الأرض، ويلّف حول المدينة كلياً أو جزئياً، وذلك بناء على تضاريس المنطقة، وتبنى الأسوار في الغالب من الحجارة خاصة في المدن الجبلية أو الآجر واللبن أو الطابية في مدن السهول والسواحل والصحراء، ويكون سمك السور وارتفاعه مرتبط بموضع الإنشاء من جهة وبالتكنولوجية الحربية المستعملة

¹ - يحيى ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تقديم وتحقيق: د. عبد الحميد حاجيات، ج1، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980، ص. 210-211.

² - Paul Bourde; **A travers L'Algérie**, Paris, France, 1880, P.346.

³ - شهاب الدين أحمد ابن أبي الربيع، سلوك المالك في تدبير الممالك، تحقيق: عارف أحمد عبد الغني، دار كنان للطباعة والنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، د.ت، ص. 106-108.

من جهة أخرى، ويدعم السور بأبراج متنوعة وعدد من المزاغل والشرفات والسقاطات والممشى بجدرانه الساترة وغيرها من العناصر التي يتم الدفاع بها عن المدينة⁽¹⁾.

إنّ الأسوار ظاهرة معمارية ظهرت عند الحضارات القديمة وعرفت العرب قبل ظهور الإسلام بزمان مثل أسوار مدينة الطائف، ولمتانتها استعصى على الجيش الإسلامي في زمن الرسول (ص) فتحها رغم استعماله للأسلحة الهجومية المعروفة آنذاك⁽²⁾.

أمّا المسلمون فلم يشيّدوا أسوارا لمدنهم الأولى مثل: البصرة والكوفة لأنها كانت معسكرات تنطلق منها عمليات الغزو، إلّا أن يتمصيرها تحوّلت إلى مقر استقرار دائم لهم، وأصبحت في مطمع الأعداء فوجب تحصينها⁽³⁾، وكان ذلك في أواسط القرن الثاني للهجرة وبحلول القرن الثالث للهجرة من النادر أن نجد مدينة إسلامية دون سور ليصبح عنصرا هاما في مظهرها العمراني إلى جانب الجامع والقصر والسوق⁽⁴⁾.

بعد تتبع تاريخ تحصينات بعض المدن الإسلامية تبين لنا أنّ المسلمين اتخذوا لمدنهم سورا واحدة أو عدّة أسوار، فقد جعلوا لمدينة واسط الأموية سورين⁽⁵⁾، ولبغداد العباسية ثلاثة أسوار⁽⁶⁾، ولتلمسان الزيانية سبعة أسوار⁽⁷⁾، وقد يكون لتعدد الأسوار بالمدينة الواحدة علاقة بالنظام الدفاعي المعماري الحربي في حالة ما إذا تعرضت للهجوم واخترق العدو أسوارها الخارجية، أو يكون له صلة بنمو عمران المدينة خارج أسوارها الأولى،

1- خالد عزب، أسوار وقلعة صلاح الدين، ط1، مكتبة زهراء الشرق، مصر، 2006، ص. 09.

2- حميد صالح، «التحصينات الدفاعية في بغداد الشرقية»، الجيش وال سلاح، ج3، ص. 353.

3- نفسه، ص. 354.

4- مصطفى شاكر، المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، ج1، ط2، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، 1997، ص. 449.

5- حميد صالح، المرجع السابق، ص. 354.

6- صبري فارس الهيتي، «تخطيط مدينة بغداد»، مجلة المورد، العدد 04، الجمهورية العراقية، 1979، ص 11.

7- عبد القادر شريف، «التحصينات العسكرية في المغرب الإسلامي»، دراسات تراثية، العدد: 05، مخبر البناء الحضاري، جامعة الجزائر-2، الجزائر، 2014، ص. 269.

وبالتالي حاجتها إلى الاحتماء بأسوار جديدة هذا ما يشكّل حلقات من الأسوار حول المدينة الواحدة.

كما يرجع تعدّد الأسوار لأسباب أخرى تتمثل في اعتماد البعض منها للدفاع والبعض الآخر أسوارا عازلة، وهي أقل إحكاما من الأسوار الخارجية، تفصل بين مشتملات دار الخلافة وقصورها عن المناطق السكنية مثل السور المركزي لمدينة بغداد أو يعود ذلك لاستعمالها في بعض المدن الإسلامية كفواصل بين المحلات السكنية التي تقيم بها جماعات مختلفة من الناحية العرقية والدينية والإدارية⁽¹⁾، وقد يتصل هذا الإجراء الدفاعي باتساع المدن وصعوبة الدفاع عنها جملة واحدة كما جرى في مدينة قرطبة التي كانت عبارة عن خمس مدن وبين المدن سور حاجز⁽²⁾.

إن أهمية الأسوار لا تقتصر على تأمين المدن من الحملات العدوانية فقط، بل يمكن أن توفر الحماية لها من الأخطار الناتجة عن العوامل الطبيعية كالرياح⁽³⁾، وبالتالي التقليل من تضرر المدن من الدخان والروائح المنبعثة من بعض النشاطات الصناعية مثل المدابغ والأفران التي يشترط إقامتها خارج الأسوار لما تسببه من أضرار للرعية⁽⁴⁾.

¹ - حميد صالح، المرجع السابق، ص. 368.

² - مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص. 436.

³ - سيدي محمد نقادي، «وظائف أسوار مدينة تلمسان العتيقة»، دراسات تراثية، ج1، العدد 05، مخبر البناء الحضاري، جامعة الجزائر-2، الجزائر، 2014، ص. 353-354.

⁴ - خليل الزركاني، «فقه العمران الإسلامية»، مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد: 55، أكتوبر 2006، ص.

يمكن أن تكون الأسوار دفاعية ظاهريا ذات أبعاد خفية سياسية واقتصادية مثل الأسوار التي تربط بين القيروان وصبرة المنصورية الفاطمية، هذه الأسوار التي أثقلت كاهل التجار الوافدين إليها نظرا لما يدفعونه نظير السماح لهم بالعبور إلى القيروان، ما صرف نظرهم عنها، هذا ما عاد بالفائدة الاقتصادية على مدينة صبرة، وفي المقابل ركود كل مجالات الحياة بالقيروان وانعكس سلبا على نمو عمرانها⁽¹⁾.

استعملت الأسوار أيضا لحماية مصادر المياه، في حالة عدم وجود ينابيع مائية أو لا يمر نهر بداخلها، فإنه يعتمد في هذه الحالة إلى بناء سور إضافي ينتهي ببرج(*) ينحدر حتى التيار المائي أو المنبع المجاور ووظيفته تسهيل تموين المدينة بالمياه عند حصارها⁽²⁾.

يتم تأمين هذه المادة الحيوية كذلك بمدّ السور إذا كان مصدر مياه المدينة النهر إلى ضفته، ولتأمين الأراضي التي تتشكل على مرور الوقت، والتي تصبح صالحة لأن يعسكر بها العدو، إضافة إلى المحافظة على اقتصادها إذا كان يعتمد على هذا النهر مثل ما هو الحال بالنسبة للنيل بالقاهرة⁽³⁾.

¹ - مبارك بوطارن، المرجع السابق ، ص. 206.

* - يعرف هذا المظهر المعماري في المغرب الإسلامي بـ"القوارجة" (الخوارجة)، ولا يقتصر دوره على حماية مصادر المياه المغذية للمدينة فقط بل وظّف أيضا في حماية الأماكن الضعيفة التحصين من المدينة ولدينا أمثلة له في مدينة "مالقة" بإسبانيا ومدينة فاس بالمغرب الأقصى. راجع: - ليوبولدوتورس بالباس، المدن الإسبانية الإسلامية، ترجمة: دورو دي لابنبا، ط1، 2003، ص. 182.

- مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص. 447.

² - ليوبولدوتورس بالباس، المرجع نفسه ، ص 193.

³ - خالد عزب، المرجع السابق، ص. 12.

في المدن التي يتم العبور إليها عبر الجسور عند النهر أو في الأماكن الوعرة، يجب أن يمتد السور إلى رأس الجسر بغرض تأمين العبور فوقه ولمنع مرور الأعداء، وكان يقام أمام رأس الجسر أحياناً حائط أمامي عال محاط بخندق لتقوية دفاعات المدينة⁽¹⁾.

استعمل السور كذلك في حماية أراض شاسعة مكشوفة تصلح للزراعة والرعي، وهذا لتأمين الغذاء كإجراء احترازي من الحصار⁽²⁾، وفي حماية المدينة من خطر الفيضانات العارمة، ومن ثم من خطر الغرق⁽³⁾.

أما بالنسبة لتخطيط الأسوار، فكثيراً ما تتحكم فيه طبوغرافية موقع المدينة، لذلك نجدها تأخذ شكلاً منتظماً في الأراضي المعتدلة، وغير ذلك في المواقع الوعرة، ففي هذه الحالة أشكال التضاريس المائلة هي التي تؤثر في تحديد مسار السور، فتتركز التحصينات في الأجزاء التي يسهل الوصول إليها، أما الأجزاء التي يصعب الهجوم عليها لمواقعها الوعرة أو بسبب الحماية الفعالة المستمدة من نهر فياض أو منحدر شديد، تكون الدفاعات فيها بسيطة، وللاقتصاد كان السور فيها يبنى مجرداً من الأبراج ومصمماً أحياناً على هيئة خطوط متعرجة أو مسننة بغرض مقاومة هجوم العدو والاستغناء عن الأبراج⁽⁴⁾، وفي مواضع المدن التي تكثر بها التلال المرتفعة، والتي قد يشكل السيطرة عليها من قبل العدو خطراً على المدينة، كان لا بدّ من إدخال تلك المرتفعات داخل أسوار المدينة، وفي حالة تعذر ذلك يجب إقامة بنايات دفاعية بقممها ما يقطع الطريق أمام العدو في استغلالها ضدّ المدينة⁽⁵⁾.

¹ - ليوبولدوتورس بالباس، المرجع السابق، ص. 193.

² - الحسن بن علي حكيم، «الحصار»، دائرة المعارف الإسلامية، ج13، ط1، مركز الشارقة للإبداع الفكري، 1998، ص 3915.

³ - حميد صالح، المرجع السابق، ص. 369.

⁴ - ليوبولدوتورس بالباس، المرجع نفسه، ص 191-192.

⁵ - نفسه، ص 181-182.

هناك من الأسوار التي يخضع تخطيطها لرغبة أولي الأمر لتحقيق تطلعاتهم الأمنية، وتحفظ لنا كتب التاريخ أهم نموذج لها في تاريخ الدولة الإسلامية، وتتمثل في الأسوار الدائرية التخطيط بالعاصمة العباسية "مدينة السلام" خلال القرن 2هـ/8م، ولهذا التخطيط أهمية كبيرة سواء من ناحية جعل كل أطراف المدينة في نفس المسافة بالنسبة لمركزها، حيث مقر الحكم، ويوفر للمدافع عنها ميزة تغطية أكبر مسافة ممكنة عند المراقبة مقارنة بالأسوار المنكسرة التي تتكون من زوايا تحجب مدى الرؤيا عن المدافعين، ولهذه الطريقة في تخطيط الأسوار أيضا أهمية اقتصادية تتمثل في توفير المادة البنائية⁽¹⁾، وهي غاية مطلوبة في العمارة الإسلامية⁽²⁾.

إنّ قوة أسوار المدن وشدة حصانتها، ردت في كثير من الأحيان العدو خائبا، رغم الوسائل الهجومية المستعملة من جهة، وشدة الحصار من جهة أخرى، ما فرض على العدو في العديد من المرات بناء مدن حصار بالقرب من المنطقة المحاصرة والتمردة، وتقام فيها الأسواق، وينقل إليها الصنّاع وتشحن بالأقوات والمؤن، ويقام فيها نخبة من الجند والفرسان، ويعهد بإدارتها إلى أحد كبار القادة أو الوزراء⁽³⁾، ولدينا مثال لها بالمغرب الأوسط وهي مدينة المنصورة المرينية بالقرب من تلمسان عاصمة بني زيّان⁽⁴⁾.

يمكن أن يترتب عن ضيق مساحة المدن المحصورة بين أسوارها بفعل نمو عمرانها عدّة مظاهر معمارية، كالتوجه العمودي في البناء، ما نتج عنه بدوره انتشار عدد من العناصر المعمارية كالسباط والرواشن لاستغلال الفضاءات العلوية⁽⁵⁾، وتعدّ السبب المباشر في عدم انتشار المساحات الفارغة، وإلى ظهور الأرباض التي تتمثل في أحياء

¹ - محمد رجب غازي، «التحصينات الدفاعية في مدينة بغداد المدورة»، الجيش والصلاح، ج 03، ص. 336.

² - مصطفى بن حموش، «التشريع العمراني والمعماري في العهد العثماني»، أعمال المؤتمر العالمي الرابع لمدينة الآثار العثمانية، مؤسسة التميمي للبحث العلمي، تونس، 2001، ص. 11.

³ - سحر عبد المجيد مناور المجالي، المرجع السابق، ص. 157.

⁴ - يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ص. 210-211.

⁵ - سحر عبد المجيد مناور المجالي، المرجع نفسه، ص. 157.

سكنية تقام خارج المدينة الأم وتتوفر على كلّ المرافق المعمارية الضرورية التي يحتاج إليها الرعية باستثناء المراكز الإدارية⁽¹⁾، وعندما تبلغ هذه الأرباض مساحة معلومة عادة ما تحصّن بسور مستقل وقد يصير جزء من السور الأصلي ملاصقا لجزء من سور الربض الجديد⁽²⁾.

إنّ متانة الأسوار يستلزم تخطيطها إمّا بنقورها باستعمال آلات الحصار المختلفة كالعرادات والمنجنقات والمدافع وحتى البارود أو باللجوء إلى السرايب أو المياه التي اعتمد عليها الموحدون كسلاح لدك أسوار مدينة فاس المرابطية، وكان ذلك سنة 540هـ/1145م⁽³⁾، واعتمد "خوارزم شاه" أيضا على نهر "هرى رود" في اختراق أسوار مدينة "هراة"⁽⁴⁾.

كما يمكن تحقيق ذلك بقطع الإمدادات عنها سواء كانت أسلحة أو غذاء، فقد أثبتت الدراسات التاريخية أنّ قطع قنوات المياه التي كانت تغذي مدينة تلمسان كانت سببا في استسلامها وتجاوز تحصيناتها من طرف "بني مرين"، وإذا لم تتجح هذه الأساليب لشدة مناعة المدن المحاصرة وثبات القوات المدافعة عنها ووفرة المؤونة والفشل في كشف نقاط ضعفها لحسن تخطيطها، يمكن اعتماد أسلوب استدراج العدو الذي يدخل ضمن أساليب القتال⁽⁵⁾.

¹ - عادل رفقي عوض ومحمد توفيق أبو العلا، هندسة المدن وعلوم البيئة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 2003، ص. 27.

² - ليوبولدوتورس بالباس، المرجع السابق، ص. 194.

³ - روجي لوطورنو، فاس قبل الحماية، ترجمة: محمد حجّي ومحمد الأخضر، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992، ص. 87.

⁴ - الحسين بن علي حكيم، المرجع السابق، ص. 3996.

⁵ - ياسين سويد، الفن العسكري الإسلامي أصوله ومصادره، ط3، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 2010، ص. 136.

الفيصل:

يعتبر الفيصل من الإجراءات الدفاعية التي أشارت كتب فقه العمران الإسلامي إلى ضرورة توفيرها في تخطيط المدن الإسلامية⁽¹⁾، وظلّ هذا الإجراء ثابتاً متقيّداً به رغم التقدّم الحاصل في الترسانة الحربية، وتغيّر الظروف الزماني والمكاني ونظام الحاكم للدول الإسلامية إلى غاية الحكم العثماني.

الفيصل نوع من المساحات -الفراغات- الخالية من البناء وحتى الغطاء النباتي وخاصة الأشجار، بمحاذاة الأسوار من الداخل والخارج، وذلك لتسهيل مهمّة المدافعين عن المدينة في حرية الحركة والتزود بالمؤن والمعدّات⁽²⁾، ولرصد الأعداء من الخارج بشكل جيّد وحماية الرعية أيضاً⁽³⁾.

يمكن ان يتخذ الفيصل كإجراء معماري ضمن الخطط الدفاعية للقوات المرابطة بداخل المدينة في حالة اجتياز العدو لأسوارها الخارجية، حيث يعتبر مجالا ملائما لتشتيت القوات الغازية، وبالتالي زعزعة التكتيك الحربي لها ما يسهل من القضاء عليها، وقد سبق اعتماد هذا النمط من طرف الدولة العباسية في مدينة الزوراء⁽⁴⁾.

¹ - مصطفى بن حموش، فقه العمران الإسلامي من خلال الأرشيف العثماني الجزائري، ط1، دار البحوث للدراسات الإسلامية، دبي، 2000، ص 109-110.

² - عادل رفعي عوض ومحمد توفيق أبو العلا، المرجع السابق، ص. 28.

³ - حميد صالح، المرجع السابق، ص. 358.

⁴ - محمد رجب غازي، المرجع السابق، ص. 336.

الخندق:

كلمة فارسية وعربية معناها "الحفير"، وهو أحد الأساليب الدفاعية في النظم الحربية، يكون محفورا في الأرض بأعماق مختلفة لتأمين حماية المقاتلين من أنظار العدو ونيرانه وتأمين ظروف أفضل للرصد والرمية والحركة، ويكون عائقا أمام أساليب الحصار التي يعتمدها العدو لتجاوز دفاعات المنشآت الحربية المحاصرة من مدن ومعسكرات وقلاع، ويعود استعمالها عند المسلمين إلى زمن الرسول محمد (ص)، عندما أمر بحفر خندق حول المدينة المنورة يحميها من شر محاصريها بإشارة من الصحابي سلمان الفارسي (ض)، وكان ذلك سنة 6 هـ⁽¹⁾.

يرتبط تخطيط الخندق بطبوغرافية الموضع الذي تقام به المدن ومختلف التحصينات الدفاعية، فإذا كانت في منطقة منبسطة أو مكشوفة الأطراف يحيط بها إحاطة السوار بالمعصم، وإذا كانت مواقعها تتوفر على التحصينات الطبيعية كالمنحدر والنهر والبحر... الخ، يحفر الخندق في الجهة التي يتوقع منها الخطر مثل: خندق المدينة المنورة من الشمال، وخندق مدينة الفسطاط من الناحية الشامية⁽²⁾.

يتباين عمق الخندق وعرضه وفقا لطبيعة ونوعية الأرضية التي يحفر بها، كما يتعلق ذلك بمصادر تغذيته بالمياه ودرجة الخطر التي تهدد المباني الدفاعية، وتشيد حافته بمادة بناءية صلبة مثل: الآجر والحجارة لمنع انجراف جانبيه، كما يجعل الجانب الداخلي منه أعلى من الجانب الخارجي لمنع تسرب المياه إلى أسوار المدينة خاصة في الأوقات

¹ - علي محمد محمد الصلابي، السيرة النبوية، عرض وقائع وتحليل أحداث، ج2، ط7، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، 2015، ص 208-210. راجع: -خالد بن يزيد الدجال، « الخندق »، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ج15، ط1، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الإمارات العربية، 1998، ص. 751. -علي جمعان الشكيل، « القذائف والأسلحة النارية في الحضارة الإسلامية »، مجلة آفاق الثقافة والتراث، الإمارات العربية، العدد: 42، 2003، ص. 114.

² - مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص. 444.

الممطرة، هذا ما يؤثر حتى في إختيار المواد المستعملة في بناء الأسوار التي تشيّد أساساتها بمواد صلبة كالآجر والحجارة⁽¹⁾.

اعتمد المسلمون أنواعا مختلفة من الخنادق فمنها: الخنادق الجافة، وخنادق المياه التي كانت تحفر حول المدن، وتطلق فيها المياه حتى تجعل من المدينة جزيرة يصعب على العدو الاقتراب من أسوارها⁽²⁾، وكانت تغذيها مياه النهر مثل بغداد أو مياه البحر مثل: خندق مدينة الإسكندرية، وخندق مدينة المهديّة الفاطمية بتونس، حيث كان يطلق فيه الماء من البحر عند الضرورة، ومن مزايا هذا النوع من الخنادق، إضافة إلى دورها الدفاعي تجنب الإصابة بالأمراض المتنقلة عن طريق المياه*، وعند جفاف مياه هذا الأخير بسبب انخفاض منسوب مياه الأنهار تستعمل عوائق أخرى بديلا للمياه مثل: النباتات الشوكية⁽³⁾.

استعمل المسلمون نوعا آخر من الخنادق، يعرف بخنادق الحصار، الغرض منها محاصرة العدو في نقاط دفاعه، إضافة إلى الاحتماء بها، واستغلالها لتنتقل الجنود للوصول إلى أهدافهم⁽⁴⁾، وتواصل استعمال هذا النوع إلى أواخر الحكم التركي للجزائر في

¹ - محمد رجب غازي، المرجع السابق، ص. 335.

² - صفاء حافظ عبد الفتاح، الموانئ والثغور الإسلامية من الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الفاطمي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1986، ص. 240.

* نوافق الرأي الذي ذهب إليه الدكتور "ناجي جلول" فيها يخص إمكانية تنقل الأمراض عن طريق الخنادق، وقد سبق أن وقفنا على ذلك في الزيارة الميدانية التي قمنا بها لولاية أدرار في إطار التكوين الميداني الخاص بطلبة ماجستير تخصص آثار إسلامية تحت إشراف د. بن قرية ود. خلف محمد نجيب سنة 2006، حيث لاحظنا أن خندق أحد قصور المنطقة بنواحي "تيمي وتمنطيط" قد تمّ ردمه تجنبا للأمراض التي قد يتسبب فيها الماء الراكد به.

³ - محمد بن حنكلي الناصري، الحيل في الحروب وفتح المدائن، وحفظ الدروب، دراسة وتحقيق: نبيل محمد عبد العزيز أحمد، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، 2000، ص. 322.

⁴ - مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج2، ص. 337-348. -راجع: -فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب 296-365هـ/909-975م، ترجمة: حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1994، ص. 561.

حروبهم ضدّ الإسبان، حيث استخدمها "حسن بن خير الدين باشا" والباي "بوشلاغم" من بعده في محاصرته لمدينة وهران⁽¹⁾.

استمر اعتماد الخنادق عند الجيوش الحديثة، فقد اعتمد الألمان الخنادق المضادة للدبابات لحماية بناياتهم العسكرية بألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية، ولا تزال تستعمل إلى يومنا هذا، ونذكر منها الخنادق الفردية والجماعية (الرهط)، إضافة إلى الخنادق الحامية للآليات القتالية، وتسمح أيضا بتنقل أفراد الجيش أثناء عمليات الدفاع عن المواقع العسكرية.

اعتمد المسلمون في عبور هذه الخنادق معابرا تتمثل في الجسور المتحركة أو باستعمال القناطر، والتي يجب الحرص على جعلها شديدة الحصانة كجعل جداري جانبيها سميكين ومرتفعين، يفتح فيهما العديد من المزاغل الخاصة برمي السهام⁽²⁾، أو مد الأسوار إليها⁽³⁾.

رغم أن الخندق نظام دفاعي فعّال، إلا أنّ حروب المسلمين مع أعدائهم فرضت عليهم إيجاد حلول لاختراقها، وذلك بطمرها، ويستحسن أن تكون عمليات الطمر في المواضع الضيقة منها لتوفير الجهد والوقت⁽⁴⁾، وإذا كان حول المدينة المستهدفة خندق جاف يتم حشوه بالحطب والتراب، وذلك ليوفر عليهم ردمه ويؤمنهم من إحراق النار، ويكون ذلك بكثرة اليد العاملة مع حمايتهم من رماة المدينة، والتصدي لهم باستعمال النشاب أمامهم سترًا أو باتخاذ حاجب من خشب⁽⁵⁾، أما إذا كان في الخندق الماء الجاري، وكان واسعًا

¹ – Mikel de Epalza, vilar Jean Bta ; **Plans Et Cartes Hispaniques de l'Algérie XVI^{ème} – XV III^{ème} siècle**, Institut Hispano- Arabe de Culture, Madrid, Espagne, 1988, P. 64.

² – حميد صالح، المرجع السابق، ص. 376.

³ – ليوبولدوتورس بالباس، المرجع السابق، ص. 193.

⁴ – ياسين سويد، المرجع السابق، ص. 134.

⁵ – محمد بن حنكلي الناصري، المصدر السابق، ص. 409-410.

وعظيما يحتمل جري السفن مثل: خندق قلعة حلق الوادي بتونس⁽¹⁾، ففي ذلك أن يسرّ الماء فيه (يجعله ساكنا) وأن يعقد عليه الجسر، وإن أمكن عددا من الجسور، فذلك أفضل أو يتخذ له الأطواف، وإن كان هذا الخندق لا يصلح للسفن، استعملت هذه الأطواف في ردمه⁽²⁾.

إن دور الخنادق لا يقتصر على الجانب الأمني فقط، بل له أغراض أخرى، كاستعماله في سقي الحقول وتوفير حاجيات السكان من الماء عند الحصار، ونذكر كمثال لذلك "خندق برج الديوان التركي" بتونس⁽³⁾، و"خندق ظاهر" بمدينة بغداد⁽⁴⁾، وخندق مدينة المسيلة بالجزائر⁽⁵⁾.

الأنفاق (السرايب):

هي الأخرى تدخل ضمن نظام التحصين والتأمين، وتتمثل في حفر وبناء أنفاق تحت الأرض، تستخدم من قبل الحكام الذين يقطنون المدينة، ويجتنبون استخدام الطرق العادية لسبب أو آخر.

تنوعت هذه السرايب حسب وظيفتها ومكان استعمالها، فمنها ما كان يربط بين القصور داخل المدينة، كالممرات التي كانت تصل بين قصور مدينة بغداد، ومنها الممر القبوي الذي أنجزه الخليفة المعتمد، والذي يصل بين قصرين على امتداد نحو الميّلين، وكانت أيضا للفاطميّين ممرات أرضية بالقاهرة تربط بين القصر الشرقي الكبير ومنظرة اللؤلؤة، وقد استعملت عند تنقل "الخليفة الأمر بالله والحافظ لدين الله".

¹ - جمعة شيخة، المنشآت والتحصينات العسكرية الأندلسية بالبلاد التونسية، ص. 99.

² - محمد بن حنكلي الناصري، المصدر السابق، ص. 410-411.

³ - عبد الحكيم سلامة القفصي، «برج الديوان ومحيطه بغار الملح بين 1828-1875 من خلال وثيقة جديدة» ، مدونة الآثار العثمانية، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 2005، ص. 45-57.

⁴ - حميد صالح، المرجع السابق، ص. 359.

⁵ - Djelloul Neji ; Op.cit., P.217-218.

أما النوع الثاني فكانت تربط المدينة بخارجها، ويمكن أن نسميها بأنفاق النجدة، والدليل على ذلك النفق الذي كان ببغداد، والذي عمل للخليفة المنصور، ليتمكنه من الخروج من مدينته عند حصارها، حيث ينتهي به إلى بعد فرسخين منها، وهناك من الأنفاق التي استعملت للربط بين تحصينات المدينة لتدعيمها بالإمدادات اللازمة من عدة وعتاد ومؤونة مثل الأنفاق التي كانت تربط بين بعض حصون مدينة وهران بالجزائر خلال الاحتلال الإسباني والحكم العثماني لها، والمتتبع للأحداث الأمنية على المستوى العالمي يلاحظ أنّ هذا النظام الأمني لا يزال معتمدا إلى يومنا هذا بفلسطين العربية كونه يساعد على التمويل بمختلف الاحتياجات وبشكل سرّي، رغم القيود التي يفرضها الاحتلال الصهيوني عليها.

اعتمد المسلمون على نوع آخر من السرايب، والتي تصنّف ضمن أساليب الحرب، وتتمثل في حفر أنفاق تحت الأرض لتجاوز أسوار المدينة إلى داخلها عند حصارها، وظلت هذه الحيلة الحربية مستعملة إلى غاية القرن 19م، تاريخ استعمالها من طرف زعيم الدولة الجزائرية الحديثة: "الأمير عبد القادر الجزائري" لدخول "قصر عين ماضي" خلال محاصرته له⁽¹⁾.

بعد ظهور الأسلحة النارية، اهتدت الجيوش إلى استعمال أنفاق الألغام، هذه الوسيلة التي أثبتت نجاعتها في اختراق الجزائريين لأسوار الحصون الإسبانية الرئيسية بمدينة وهران مثل "حصن المرجاجو"⁽²⁾، ويشترط العارفين بفنون الحصار أن تتوفر في عملية إنشاء السرايب مجموعة من الشروط⁽³⁾.

¹ - محمد بن عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ج1، ص. 196.

² - Gorgus (A.); Op.cit., P45.

³ - محمد بن حنكلي الناصري، المصدر السابق، ص. 407-408.

- أن يكون بقرب الأرض نهر ماؤه مطل على المدينة فيساق منه إليها الماء ليحمل على أهلها ويغرق مساكنها.

- يجب ألا تكون الأرض صخرية صعبة الحفر ولا رخوة منهارة.

- أن يكون مقدار ارتفاعه ما يسعى الرجل منتصباً فيه مع سلاحه أو بقدر ما يسير الفارس على دابته بسلاحه.

- أن يكون عرضه بقدر ما يدور فيه الرجل، وإذا كان خاصاً بالخيـل فمقداره أربعة أذرع (2 متر).

- أن يكون أعلى السرداب مثل الأزاج ليكون أتمن له وأئمن من خسفه.

- يجب أن يكون منفذه إلى وجه الأرض داخل المدينة لتحقيق اختراقها.

- يجب معرفة الموضع الذي يخرج إليه باب السرداب لئلا يقع حيث لا ينبغي.

ونظراً لنجاعة هذا النظام الحربي إن نجح الغازي في إنشائه، وجب على الطرف المحاصر اتخاذ عدّة إجراءات احترازية للتفطن له، وقطع الطريق أمام مستعمليه ونذكر منها:

- وضع حول سور المدينة الحفظة المتحسسون حيثما أمكن ذلك عند أصل سور المدينة، ويوضع أواني من النحاس مثل: القدور بداخلها مأكولات قابلة للحركة مثل: الجوز فإذا كان حافر السرداب أسفلها تحركت وتفتن له الحراس، تصدّوا له باستعمال دخان بإشعال النار أو الماء ما يتسبب في موت العدو اختناقاً أو غرقاً⁽¹⁾.

¹ - محمد بن حنكلي الناصري، المصدر السابق، ص. 394-396.

- حفر الخنادق العميقة التي تعتبر من نقاط قوة الحصون الدفاعية إلى جانب الأسوار المنيعة وصعوبة التضاريس المقامة عليها⁽¹⁾، وإجراء الماء فيها ليحيط بالسور فيعسر مزاوله ذلك عنها.

القلعة:

تحمل نفس معنى الحصن والقصبة والقصر⁽²⁾، ومهمتها حماية المدن من العدوان الداخلي والخارجي، ويعود ظهورها في العمارة الحربية الإسلامية إلى حدود القرن 2 هـ/8 م⁽³⁾، وهي بنايات مستقلة بذاتها أو تابعة للمدينة، ومنها التي تطورت لتصبح مدنا مثل قلعة بني حمّاد أو استمدّت اسمها أساسا من حصانتها الطبيعية مثل قلعة بني راشد بغليزان وقلعة بني عباس ببجاية⁽⁴⁾، وقد تسمى القلاع في الأندلس والمغرب قصورا مثل قصر الحمراء بغرناطة، وقصر الداوي بالجزائر العاصمة⁽⁵⁾.

¹ - بوزيان الدراجي، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993، ص. 262.

² - فريد شافعي، العمارة العربية في مصر، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، مصر، 1970، ص. 518.

راجع:

-Michel Vander Merschen ; << Morphologie des médinas Maghrébines>>, U.N.E.S.C.O. 1987, P 39.

- Ahmed Saadaoui, L'architecture maghrébine à l'époque ottomane et ses rapports avec le monde méditerranée et ottomane, Tunisie.S.D. P.240-241.

- François Lanfreducci, Bsio ; Op.cit., P.536.

³ - محمد رزق عاصم، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، القاهرة، 2000، ص. 242.

⁴ - Charles Feraud, Histoire des villes..., P.65-185.

⁵ - مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص. 450.

القلاع على نوعين في البلاد الإسلامية: القلاع السلطانية بمعنى أنها استعملت كمقر الحكم، وهي ممارسة قديمة تعود إلى العصر البيزنطي والإسلامي الكلاسيكي، ولكنها تتوقف لتعود إلى الظهور مرة أخرى بعد مرور قرون من الحكم الإسلامي، حيث أن من أولى القلاع التي استخدمت كمقر حكم في بلاد الشام هي قلعة حلب بداية القرن 7 هـ/ 13 م.

أما النوع الثاني، يتمثل في القلاع الثانوية التي تحتوي على كل ما حوته القلعة السلطانية ما عدا القصور الملكية فيها، فهي مقر حكم ولكن على مستوى النيابة، وفيها كل ما تحتاج له حامية صغيرة من مساكن وإسطبلات ومستودعات بالإضافة إلى مصدر خاص للمياه⁽¹⁾.

حرص المسلمون في إنشاء قلاعهم على مجموعة من الشروط، والمتمثلة في حسن اختيار الموقع الجغرافي لها، من حيث موضعها بالنسبة لطرق المواصلات والموانئ البحرية والأنهار والأراضي الخصبة، وذلك بجعلها في أماكن مشرفة، هذا ما يساعدها على أداء وظيفتها الدفاعية من الجهات التي تحيط بها، ويوفر لها مدى رؤيا واسع يمكّنها من الاستطلاع والكشف والاتصال لمسافات بعيدة، كما يؤمن لها موقعها الحماية اللازمة من الأعداء، والتي تعزّزت بالإمكانات المعمارية الدفاعية الملحقة بعمارتها أو الموجهة لخدمتها، مثل إدراجها ضمن أسوار المدينة في حالة وجود أماكن تشرف عليها، أو باستعمال أبراج مستقلة كنظام دفاعي متقدم لها، ولمواقع المدن تأثير معنوي على الراعي والرعية والعدو، فاختيار المكان المشرف من المدينة ليكون مقرا للوالي أو حاكم المدينة، يطلّ منها على عاصمته، فتزيده ثقة بالنفس وتضفي عليه روحا معنوية عالية، فهي كذلك تبعث الرعب في نفس الخصم والأعداء، وتوحي بالطمأنينة لمن يقيم فيها أو حولها،

¹ - ناصر الرباط، عسكرة التعبير الفني في الشرق الإسلامي القروسطي، رياض الرايس للكتب والنشر، بيروت، لبنان، 2002، ص. 60-65.

باعتبارها الملجأ الآمن عند الشدائد، إضافة إلى شرط الموقع المرتفع والإستراتيجي الحصين لإنشاء القلعة، حرص المسلمون على جعل قلاعهم في وسط مناخي مناسب يضمن صحّة المقيمين بها، ف"صلاح الدين الأيوبي" عندما همّ ببناء قلعة القاهرة، قام بتعليق قطعة لحم بالقاهرة وأخرى في موقع القلعة، فإذا بهذه الأخيرة تطول مدة حفظها مقارنة بالأولى، فوقع اختياره على هذا الموقع ليكون به موضع قلعته، وفي هذا دلالة على أنّ معرفة نوعية المناخ له دور في دوام عمارة القلعة، وتوفير الجوّ الملائم لحايتها، من خلال مواد وتقنيات البناء والعناصر المستعملة في تشكيل هيكلها، ويظهر ذلك في عمارة القلاع في الأردن، حيث جاءت جدرانها سميكة توفر الدفء شتاءً والاعتدال صيفاً، وصمّمت سقوف وحداتها على شكل أقبية لتسهيل تصريف مياه الأمطار⁽¹⁾.

إضافة إلى الشروط السابقة ودورها في حصانة القلاع، فهي تستمد قوتها أيضاً من التركيبية المعمارية المشكلة لها، باعتبارها من الأهداف المباشرة للعدو، هذا ما ينعكس على تخطيطها بصفة عامة، ويظهر ذلك في سمك أسوارها وعددها، مثل قلعة الشوبك بين الكرك والبتراء بالأردن، والتي لها ثلاثة أسوار متتالية، إضافة إلى اعتماد الخندق مثل قلعة الأكراد بسوريا، وهي عبارة عن حصن داخل حصن بينهما خندق وحولها خندق، إضافة إلى نوعية العناصر المعمارية المشكلة لها من أبراج وشرافات وسقاطات وطلاقات وأبواب وزلاقات... الخ⁽²⁾.

تتكون القلعة أيضاً من منشآت مختلفة تضمن خدمة حاميتها في السلم والخطر، نذكر منها البرك والآبار، ومخازن للمواد الغذائية والمطاحن والمعاصر، والأفران والمطابخ وثكنات للجند تستخدم للنوم أو للإسعاف أو لصناعة الأسلحة، كما احتوت على قاعات

¹ - سعد محمد المومني، القلاع الإسلامية في الأردن الفترة الأيوبية، المملوكية، ط1، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1988، ص. 78-82.

² - محمد الجهيني، إطلالة على العمارة الحربية في شرق العالم الإسلامي عبر العصور، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، 2007، ص. 20-21.

للاجتماعات وعلى الجوامع والمدارس، وعلى السجون والحمامات، وعلى دكاكين للحرف وإسطبلات وزرائب لقطعان الماشية⁽¹⁾، وقد تشتمل أحيانا على دور الضرب مثل قلعة أيوب في الأندلس وقلعة القاهرة⁽²⁾.

شيّدت القلاع لأداء وظائف متنوعة، كتخليد الحكام والولّات، فهي عنوان لبعض منجزاتهم وانتصاراتهم وفتوحاتهم وصمودهم، والدليل على ذلك عظمة هياكلها، إضافة إلى الكتابات التأسيسية لها، وما تحمله من نقوش تحفظ الألقاب السامية والدعوات الطيبة لأولئك البنات الأوائل أو الذين أضفوا على البناء أو أعادوا ترميمه أو قاموا بهندسته⁽³⁾، وفي هذا تأثير على الفن المعماري الإسلامي بإكسابه صبغة عسكرية، ويظهر ذلك في تطرير الحكام لألقابهم الشرفية والملئية بالرموز القتالية والمبالغات البطولية والإشارات المباشرة وغير المباشرة إلى التزامهم بالجهاد في سبيل الإسلام والدفاع عن مقدساته، إضافة إلى تزيين جدران القصور والقلاع وأبراجها بمنحوتات آدمية وحيوانية مثل: الأسود والنسور وحيوانات أسطورية مختلفة (التنين)، توحى بكل الصفات المتميّزة والمنسوبة لهذه الحيوانات والتي ادعوها لأنفسهم، أو تلك التي رغبوا بنسبة سلالتهم إليها⁽⁴⁾.

¹ - سعد محمد المومني، المرجع السابق، ص. 88.

² - عاطف منصور محمد رمضان، النقود الإسلامية وأهميتها في دراسة التاريخ والآثار والحضارة الإسلامية، ط1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، 2008، ص. 568.

³ - سعد محمد المومني، المرجع نفسه ، ص. 82.

⁴ - ناصر الرباط، المرجع السابق، ص. 65.

أما الجانب الأمني لها، فإضافة إلى الدفاع ومقاومة الحصار وصدّ الهجمات المعادية، استعملت لتكون قواعد عسكرية للتموين، لإمداد الجيوش وتجهيزها بكلّ ما يلزمها من مواد تموينية وتسليحية، حيث كان يستعمل جزء من مبانيها لصناعة الملابس والأسلحة مثل: قلعة طازة الصحراء بتسميلت بالجزائر⁽¹⁾، ما جعلها تحظى بأهمية عسكرية كبيرة في دولة الأمير عبد القادر⁽²⁾.

- تسيير الدوريات ووضع الكمائن للحفاظ على المرافق الحيوية في البلاد كطرق المواصلات والموانئ والأراضي الزراعية ومنايع المياه.

- استخدامها كمحطات للإنذار المبكر، والتي استعملت فيها الإشارات الضوئية لتبادل المعلومات بين تلك القلاع أو مع البنايات الدفاعية الأخرى، وقد استعمل المسلمون في ذلك إشعال النار ليلاً أو إثارة الدخان نهاراً أو باستخدام الآلات مثل المرايا والبوق والمدفعية، أو بالاعتماد على البريد الأرضي والجوي بتوظيف الحمام الزاجل في ذلك، وقد تعلّم الصليبيون استخدامه منهم.

- حماية الثغور وشنّ هجمات معادية بهدف إزعاج العدو.

- إدارة الأقاليم وفرض السيطرة على البلاد وقمع الثورات لتحقيق الأمن⁽³⁾.

¹ عبد القادر دحدوح، « منطقة تيسميسيلت بين المحطات التاريخية والمواقع الأثرية »، مجلة آثار، العدد: 08، دار المالكية، الجزائر، 2009، ص. 144.

² رشيد بورويبة، « القلاع والحصون والمؤسسات العسكرية التي أنشأها الأمير »، مجلة الثقافة، العدد: 75، وزارة الثقافة، الجزائر، ماي-جوان 1983، ص. 92.

³ سعد محمد المومني، المرجع السابق، ص. 91-93. - راجع: - علي حكيم، « الحصن »، موجز دائرة المعارف الإسلامية، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الإمارات العربية، 1998، ص. 39-89.

- الحفاظ على ثروات البلاد وجمع الضرائب من القوافل التجارية وقطف المحاصيل وتخزينها مثل قلعة بني عباس التي كانت تخزن بها الحبوب⁽¹⁾، واتخاذها كذلك كمناطق لإسعاف المرضى.

رغم أنّ دور القلاع يغلب عليه الدور الدفاعي إلا أنّ هناك من القلاع التي بنيت لتكون وسيلة للحصار لقطع الإمدادات عن المدن المحاصرة⁽²⁾، مثل قلعة المصامدة التي شيدها الموحدون بجبل الصخرتين بتلمسان⁽³⁾، وقلعة تامزكت(*) الزيانية ببجاية⁽⁴⁾.

¹ - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص. 29.

² - سحر عبد المجيد مناور المجالي، المرجع السابق، ص. 157.

³ - اسماعيل العربي، المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص. 135.

*- تقع قلعة تامزكت بمدينة القصر، على بعد 25 كلم عن مدينة بجاية، شيدت بأمر من السلطان الزياني أبو تاشفين الأول سنة 525هـ / 1325م أثناء حصاره لمدينة بجاية التي كانت تحت سلطة الفصيين، ولهذا المعسكر سور غير منتظم الشكل يبلغ طوله 400م وعرضه 100م وارتفاعه 7م وسمكه 1,5م، وكان مبنيا بالطوب ومحاطا بخندق يقدر عرضه بـ15م، وكانوا يدخلون إليها من باب محصن ببرجين على جانبيه، يتقدمهما سور أمامي تفصله عن السور الرئيسي مسافة 4م، وقد كان للزيانيين حصون أخرى استعملوها في حصارهم لبجاية مثل: حصن أزفون وحصن بكر وحصن الياقوتة. راجع:- رشيد بورويبة، الجزائر في التاريخ،...، ج3، ص495.

- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ج2، ص 205. - روبر برنشفيك، تاريخ إفريقيا في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15 م، ج1، ترجمة: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1988، ص 315-316. - عبد الكريم عزوق، المعالم الأثرية الإسلامية ببجاية ونواحيها، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، الجزائر، 2007-2008، ص. 169-171.

-Adrien Berbrugger, *Les époques militaires...*, P.178-180.

⁴ - رشيد بورويبة، « الطراز الموحي ومشتقاته، الحفصي، المريني، الزياني والنصري »، عن كتاب الفن العربي الإسلامي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1995، ص. 254. راجع:

- Ernest Mercier, *Histoire de L'Afrique...*, P.275.

البرج:

هو بناء مرتفع في سور المدينة أو المباني العسكرية الأخرى من قلاع وحصون وخانات ورباطات وقصور... الخ، يربط فيه الجند المكلفون بالدفاع عنه⁽¹⁾، وهو على نوعين: الأبراج المنعزلة وتكون مستقلة عن المباني الحربية، الغرض منها حماية النقاط الضعيفة ومراقبة المناطق المجاورة لها⁽²⁾، في حين النوع الثاني يعرف بالأبراج الحائطية أو المدمجة في الأسوار، وتتميز هذه الأبراج بارتفاعها عن مستوى ارتفاع السور، وكذلك باحتوائها على عدد من العناصر الدفاعية كالغرف العلوية لقذف النار والمزاغل بأنواعها لرمي السهام والشرافات، يحمي خلفها المدافعون وسقاطات لرمي المقذوفات وصب السوائل الحارقة⁽³⁾.

عرف البرج تطوراً في عمارته، حيث تأثر تخطيطه بالعمارة القديمة، وذلك بجعله يتكون من عدة طوابق لرفع قدرة استعابه، وبالتالي توفير حماية أكثر، إلا أن تعدد الطوابق يجعل الجدران مفرغة ضعيفة المقاومة، ما دفع المسلمين يجعلون من هيكله كتلة واحدة متماسكة غير مفرغة يستحيل نقرها، وتقام نقاط الدفاع في أعلاه⁽⁴⁾. وحرصوا أيضاً على جعل محيط الأبراج الحائطية المدمجة في أسوار المباني الدفاعية من أسفل أكبر

¹ - محمد عاصم رزق، المرجع السابق، ص. 82.

² - وليم وجورج مارسلي، المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان، تقديم وترجمة مراد بلعيد وآخرون، ط1، الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص. 140.

³ - يحيى وزيري، العمران والبنيان في منظور الإسلام، ج1، ط1، روافد، الكويت، 2008، ص. 47. - راجع:

- خالد عزب، المرجع السابق، ص. 09.

⁴ - جمعة أحمد قاجة، موسوعة فن العمارة الإسلامية، ط1، مطابع السفير التجارية، لبنان، 2000، ص 24-26.

من محيطها من الأعلى، حيث تتاقص مساحة البرج كلما اتجهنا للأعلى زيادة في تدعيمها⁽¹⁾.

اعتمدوا عليها أيضا في التدعيم المعماري للمباني الحربية⁽²⁾، وذلك بجعلها في أركان البناء أو توزيعها على امتداد الأسوار على مسافات متساوية، وتكون في أغلب الأحيان بمقدار رمية سهم، أي ما يعادل 25 م أو ما يقارب ذلك، وقد جاء ذلك مطابقا للأبراج الحائطية بأسوار معسكر المنصورة بتمسان وبالعاصمة الحمادية الناصرية ببجاية⁽³⁾، وهذا التوزيع لم يأت مصادفة، بل للزيادة في متانة الأسوار وتدعيمها ويزيد عددها خاصة بالأماكن المعتدلة، أما في حالة وجود نظام دفاعي طبيعي إضافي للمباني الحربية مثل المنحدرات والأنهار، فذلك يؤثر على التركيبة المعمارية للمبنى، وذلك بالاستغناء على بعض العناصر المعمارية الحربية، ومن ضمنها الأبراج، مثل السور الشرقية لقلعة فيروز شاه طغلق بالهند، ولكون هذه الواجهة تطل على فرع نهر جامونا جعل مشييدها يستغنون عن أبراج الأركان، ولهذا مزايا اقتصادية كالتقليل من تكاليف البناء⁽⁴⁾.

اتخذ المسلمون أشكالا مختلفة لأبراجهم، كان أولها الشكل المربع والمستطيل، الذي ورثوه عن الحضارات القديمة من الرومان والبيزنطيين، ولدينا عدة شواهد لها بالتحصينات القديمة بالجزائر مثل أبراج مدينة تبسة وميلة وسطيف⁽⁵⁾، وشاع استعمال هذا النوع من العناصر المعمارية الحربية بأسوار المدن الإسلامية المغربية، وقد وقفنا على ذلك ميدانيا بكل من مدينة بجاية، ومدينة هتين الزيانية ومدينة المنصورة المرينية.

¹ - أحمد رجب محمد علي، قلاع وحصون وأسوار وبوابات المدن الأثرية الإسلامية في الهند، ط1، الدار المصرية اللبنانية، 2009، ص. 22.

² - محمد رجب غازي، « البناء في الماء العصر الوسيط »، مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد: 52، الإمارات العربية، 2006، ص 133.

³ - Rachid Bouruiba ; L'architecture militaire de L'Algérie, O.P.U., 1983, P.80.

⁴ - أحمد رجب محمد علي، المرجع نفسه ، ص59.

⁵ - Rachid Bouruiba ; Idem., P.39.

نظرا لما لهذا النوع من العيوب عمل المسلمون على ابتكار أنماط جديدة من الأبراج والتي تسهل من حركة المدافعين، وتساعد على تغطية الزوايا المنفرجة عند أسفل الأسوار، حيث اعتمدوا في ذلك على الأبراج المضلعة والأبراج الأسطوانية الشكل هذه الأخيرة التي ظهرت بالعمارة الإسلامية من عهد الدولة الأموية والعباسية، ولدينا أمثلة لها في قصر المشتى وقصر الطوبة ببادية الأردن، وقصر الأخيضر ببلاد الرافدين⁽¹⁾.

وقد تواصل استعمالها من طرف المسلمين كعنصر معماري ملحق بأسوار المدن أو البنايات الحربية الأخرى، ففي بلاد المغرب الأوسط لا تزال المعالم الأثرية تحفظ لنا بعضا منها، نذكر منها: الأبراج الأسطوانية البدن بباب القرميين، وبالسور الشمالية لقلعة المشور بتلمسان، وبأسوار مدينة باغاية بالأوراس⁽²⁾.

إن دور الأبراج لا يتوقف على دورها الوظيفي الدفاعي أو المعماري فقط بل تعدى ذلك لتحقيق غاية جمالية، تتمثل في إزالة رتابة اتساع السطوح، وساهمت في توازن الإيقاع المعماري على واجهات الأبنية⁽³⁾.

¹ - فريد شافعي، المرجع السابق، ص. 253-257.

² - Rachid Bouruiba ; Op.cit., P39.

³ - محمد رجب غازي، البناء في الماء ... ، ص. 133.

الرباطات:

هي الحصون والمدن التي تلازمها حاميات من المجاهدين يدافعون عن أرض الإسلام تعبداً وتديناً⁽¹⁾، وقد وردت في النصوص التاريخية بعدة تسميات منها: القصر والقلعة والثغر والكلاء⁽²⁾، والمحرس⁽³⁾، ومحطات البريد⁽⁴⁾، وبمرور الوقت اجتمع السكان حوله بعد أن كان يقام في أماكن معزولة وكثر العمران حوله ليتحوّل إلى مدن عامرة اتخذت اسمها منه مثل: مدينة الرباط بالمغرب الأقصى، وهذا لم يفقده أهميته العسكرية، بل عزّز مكانته ليصبح مركزاً للسلطة بها مثل "رباط المنستير" الذي صار قسبة المدينة⁽⁵⁾، والأربطة على نوعين:

- الرباطات الداخلية التي كانت تقام عند الحدود وطرق المواصلات.

- الرباطات البحرية التي ظهرت للتحوّل الحاصل في الإستراتيجية الحربية الإسلامية من موضع دفاع إلى الهجوم، حيث تطورت لتصبح قواعد عسكرية يجتمع عندها، وينطلق منها الجند المسلمون في حملاتهم الحربية ضدّ المسيحيين⁽⁶⁾.

يعود اهتمام المسلمين بهذه البناية الحربية إلى عهد الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم، فعمر بن الخطاب (ض) كان يبعث كل سنة غازية ترابط في الإسكندرية، كما كانت سواحل الشام مزودة بالمحارس والأربطة، وكان معاوية بن أبي سفيان يوجه إليها

¹ - محمد نجيب خلف «الأربطة»، مجلة آثار، العدد: 06، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2007، ص. 90.

² - علي عشي، التوجه البحري للمغرب الأوسط وأثره في طرق التجارة والمواصلات (2-10هـ / 8-16م)، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة باتنة، الجزائر، 2016-2017، ص. 489.

³ - أحمد الباهي «المحرس في العصر الوسيط بين المشرق والمغرب»، المجلة التونسية للتاريخ العسكري، العدد: 03، تونس، أكتوبر 2011، ص. 09.

⁴ - جمعة أحمد قاجة، المرجع السابق، ص. 223.

⁵ - محمد الطاهر عقير، المنستير عبر مواقع...، ص. 34.

⁶ - محمد نجيب خلف، المرجع نفسه، ص. 92.

جماعات كثيفة من الجند للدفاع عنها إذا ما أغار عليها الروم من جهة البحر، وكثر تشييدها في القرن الثاني والثالث الهجريين - الثامن والتاسع الميلاديين - على عهد الأغالبة، ولكثرة عددها كان يصل الخبر من سبتة في المغرب على جبل طارق إلى الإسكندرية في ليلة واحدة وبينهما مسيرة شهر⁽¹⁾.

حافظ الفاطميون من بعدهم على هذا المظهر المعماري، وتواصل انتشاره مع استغلال الرباطات السابقة، وقد ذكر ابن حوقل أنه كان لمدينة سوسة على عهده رباطات كثيرة⁽²⁾.

عرف هذا النوع من المباني خلال هذه الفترة تنظيماً لم يعرف من قبل، وذلك بإكسابها صبغة قانونية، حيث أصبحت تحت رقابتهم المباشرة، بتعيين موظف رسمي يعرف بالأمين للإشراف عليها ومراقبة المرابطين بها، ومداخل الأحمية والأحباس والصدقات الموجهة لخدمتها⁽³⁾. في وقت تعطل دورها في المشرق الإسلامي، وتحولت إلى ملاجئ للمتصوفين، استمرت هذه المباني في الحفاظ على طابعها الحربي ببلاد المغرب، بسبب استمرار القتال مع النصارى في الأندلس، فقد شيد الموحدون العديد منها لتكون قواعدا تجتمع فيها الجيوش وتتطلق عمليات الغزو إلى بلاد الأندلس، إضافة إلى استعمالها في حماية السواحل الإسلامية بمنع نزول العدو بها⁽⁴⁾.

¹ - جمعة أحمد قاجة، المرجع السابق، ص. 223.

² - أبو القاسم بن حوقل النصيبي، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1992، ص. 74.

³ - أحمد الباهي، المرجع السابق، ص. 12.

⁴ - مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص. 288.

بعد سقوط الدولة الموحدية وظهور الدويلات المستقلة واصل المغاربة تشييد الأربطة، وكثر انتشارها خلال فترة الحكم المريني التي زادت أهميتها باتخاذها مراكزا يحتمي بها الناس ويحفظون بها ودائعهم وأموالهم من الأعداء⁽¹⁾. وقد ذكر "العلامة ابن مرزوق" أن السلطان المريني أبو الحسن، أنشأ من الرباطات ما لم يعهد مثله في عصر من العصور، حيث كانت على عهده تمتد من آسفي إلى جزائر بني مزغنة محارس ومناظر، إذا وقعت النيران في أعلاها تتصل في الليلة الواحدة أو في بعض ليلة، وذلك في مسافة تسير فيها القوافل نحو شهرين⁽²⁾.

ظلت هذه البنايات قائمة ببلاد المغرب محافظة على دورها العسكري إلى أواخر الحكم العثماني والدليل على ذلك الرباط الذي أقامه محمد الكبير سنة 1791م بالقرب من وهران لتحريرها من الإسبان، حيث جمع به 500 طالبا وعددا من المدرسين، وحرص على تأمين حاجياتهم بإنشاء ثلاث طواحين "بمسرغين" خاصة بهم، وشجع الناس على الهجرة إلى هذا الموضع، ووفر المناخ المناسب لتعميره باتخاذ عدد من الإجراءات السديدة كإعفاء ساكنيها من الضرائب دون غيرها من مدن الإيالة⁽³⁾.

أما من الناحية المعمارية، فقد جمعت الأربطة بين الوظيفة العسكرية والدينية، وباعتبارها وسائل نذير بخطر العدو، حيث تنقل الخبر بواسطة الإشارة من محرس إلى آخر بالتناوب، هذه الوظيفة فرضت على المعماري المسلم الحرص على الرفع من هيكل المنار بشكل يسمح بأداء مهمته، إضافة إلى حسن اختيار الموقع الطبوغرافي الذي يساعد على مد مجال الرؤية في البر والبحر، وذلك باختيار المكان المشرف وتجنب

¹ - حميد تيتاو، الحرب والمجتمع بالمغرب خلال العصر المريني 609-869هـ / 1212-1465م، منشورات عكاظ، المغرب، 2010، ص. 476.

² - محمد ابن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق: ماريّا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص. 398.

³ - أحمد بن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص. 20-21.

العوائق الطبوغرافية التي تحجبه عن غيره من المناظر، وفي نفس الوقت يوفر هذا الموقع المرتفع حماية للحامية المرابطة به ويكسب البناية أولوية دفاعية عند الخطر، كما تقام هذه البنايات عند الحدود وفي طرق المواصلات، إضافة إلى الأماكن الضعيفة الحماية من الساحل والمناسبة للإنزال لقطع الطريق أمام العدو.

جاءت عمارة الأربطة متشابهة في تخطيطها، مستطيلة الشكل، مسورة بأسوار عالية تحميها شرفات من الأعلى وتدعمها عدد من الأبراج الركنية والضلعية، لها مدخل واحد يؤدي إلى صحن مكشوف مزود بخزانات تستمد مياهها من السقف، تتوزع حوله مجموعة من الغرف موزعة على طابقين: المعيشة منها بالطابق الأرضي وغرف الجند بالطابق العلوي⁽¹⁾، وبه أيضا المسجد الذي أخذ صبغة عسكرية بتزويده بعدد من الفتحات للرماية والمراقبة، وقد شاهدنا ذلك برباط المونستير (180هـ/796م).

يتكون الرباط أيضا من منارة عالية، تحتل أحد أركانه نصل إلى أعلاها بواسطة سلم، ما يسمح بالمراقبة والاتصال مع الأربطة والبنايات الحربية الأخرى بواسطة وسائل الإشارة المتنوعة من نار ودخان ومرايا⁽²⁾، وحمام زاجل وفرت له مجموعة من الطاقات ليسرّح منها، إضافة إلى دورها الديني المتمثل في رفع الأذان.

¹ - جمعة أحمد قاجة، المرجع السابق، ص. 223 - 224.

² - علي سعيد سيف، مآذن مدينة صنعاء حتى نهاية القرن الثاني عشر الهجري، الثامن عشر الميلادي، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، اليمن، 2004، ص. 22-35. راجع: - محمد رزق عاصم، المرجع السابق، ص. 307.

مراكز البريد:

كان الجيش الإسلامي يعتمد في اتصالاته على أساليب كثيرة، منها الإشارة معتمداً في ذلك على مناور الرباطات والقلاع والحصون والأبراج، وبإقامة المناظر ومراكز البريد، هذه الأخيرة التي تكون جزءاً من بعض العمائر الدفاعية السابقة الذكر كالقلاع، أو كمنشآت مستقلة موزعة على طول خطوط البريد، تفصل بينها مسافات لا تزيد إحداها عن ثمانية وعشرين ميلاً بالنسبة لمراكز البريد البري، تزود بما يحتاج إليه الموظفون والخيول من الماء والطعام وعلف ومبانٍ للسكنى للموظفين، ومن هذه المحطات يستطيع البريدون أن يغيروا خيولهم بخيول أخرى، ما يضمن وصول الأوامر والتعليمات إلى القوات في الوقت المناسب.

أما البريد الجوي المنقول بواسطة الحمام الزاجل(*)، الذي كانت أبراجه في القلاع أو في محطات معينة في جهات مختلفة على غرار البريد البري، ولكنها تزيد عنها في المسافات، حيث تقدر المسافة بين كل محطة وأخرى من محطات البريد الجوي إلى ثلاثة أمثال محطات البريد البري، وخصص بكل محطة من هذه المحطات عدد من الحمام يخدمه ويديره موظفون أخصائيون يعرفون بالبراجين، وبهذا يكون لمراكز البريد أهمية حربية لا يستهان بها كونها تؤمن حدود الدولة من أي أخطار خارجية، وذلك بتغطية جميع أنحائها من خلال ربط القيادة بسائر الولايات، وكذلك التشكيلات والقوات بسائر الولايات، هذا ما يساعد على الإلمام بكل كبيرة وصغيرة سواء عن مجريات الأحداث في الحرب من إصدار الأوامر للجيش وحمل الأخبار في أسرع وقت، ما يضمن صحة تنفيذ

*- تواصل استعمال الحمام الزاجل في نقل الأخبار إلى غاية القرن 20 م، حيث استعمله الفرنسيون في حروبهم مع الألمان في الحرب العالمية الأولى والثانية وكانت وسيلة فعالة في نقل الأخبار والمعلومات الحربية عن العدو، باستعمال الرسائل وآلات تصوير صغيرة كانت تثبت على رقبة الحمام، ولا يزال آخر برج لتربية الحمام الزاجل قائماً بأوروبا بأحد الحصون العسكرية الفرنسية بباريس، أمر بإنشائه الرئيس الفرنسي "ديغول" تخليداً لذكرى استعماله. راجع -القناة التلفزيونية الفرنسية الناطقة بالعربية France 24، حصة أسرار باريس، بتاريخ 2017-09-22.

التوقيت الإستراتيجي والتكتيكي الموقعة أو المعركة، ويمكن أيضا من متابعة أعمال الولاة والنواب في السلم.

كان يشرف على مراكز البريد رئيس مباشر عرف في العهد الأموي والعباسي باسم "صاحب البريد"، ليصبح فيما بعد "مقدم البريد"، يضطلع بمهام البريد ويشرف على شؤونه، ويعمل على النهوض به، ويرجع في ذلك إلى كاتب السرّ أو صاحب ديوان الإنشاء للموافقة على اقتراحاته⁽¹⁾.

دار الصناعة:

تعرف كذلك بأسماء أخرى نذكر منها الترسانة والترسخانة ودار العمائر⁽²⁾، ودار الصنعة، وصناعة الإنشاء، وهي اسم لنوع من المباني أعدّ لإنشاء المراكب البحرية⁽³⁾.

يعود أول ظهور لهذا النشاط الصناعي عند المسلمين إلى عهد الخليفة الراشدي "عثمان بن عفان"، ويعود الفضل في ذلك إلى "معاوية بن أبي سفيان" الذي أنشأ أول دار صناعة بالإسكندرية، ليتدعم بعدها بدار صناعة أخرى بمدينة عكا ببلاد الشام، وكان ذلك سنة 49هـ/669م، ما مكّنهم من تأمين السيادة العربية بكل من مصر وبلاد الشام من الخطر البيزنطي الذي كان يفرض نفوذه على حوض البحر الأبيض المتوسط⁽⁴⁾.

¹ - محمود نديم أحمد فهمي، الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي البحري 648، 783 - 1250 - 1383، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1983، ص. 171-175.

² - محمد رزق عاصم، المرجع السابق، ص. 48.

³ - علي عشي، المرجع السابق، ص. 513.

⁴ - حنان إبراهيم قرقوتي، «صناعات في التراث الإسلامية»، مجلة آفاق الثقافة، العدد: 44، الإمارات العربية، 2003، ص. 142-143.

انتقلت هذه الصناعة من المشرق الإسلامي إلى بلاد المغرب الإسلامي وتحديدا بإفريقية لمعات المسلمين من خطر البزنطيين الذين كانوا يتحينون الفرص لاسترجاع مستعمراتهم التي افتتحها "حسان بن النعمان"، هذا ما دفعه لإنشاء دار صناعة بتونس استعملها في إنتاج السفن، وكقاعدة بحرية يحتمي فيها الأسطول الإسلامي، وتتطلق منها حملاته ضدّ الجزر البيزنطية مثل صقلية وسردينيا، وكان ذلك على عهد الخليفة الأموي "عبد الملك بن مروان"⁽¹⁾.

وكانت هذه الخطوة إذانا لمواصلة هذه الصناعة، وإنشاء دور جديدة ببلاد المغرب، شجعتها على ذلك عوامل عسكرية واقتصادية، إضافة إلى وفرة المادة الأولية وعلى رأسها الأخشاب والمعادن⁽²⁾، وقد كانت بالمغرب الأوسط لوحده عدد معتبر من دور الصناعة أنشأت على فترات زمنية مختلفة بكل من مرسى الخزر وعنابة وبجاية وجزائر بني مزغنة ووهران وهنين⁽³⁾.

أما من الناحية المعمارية، فالمعلومات قليلة عن هذا الجانب، وذلك لعدّة أسباب ومنها: إعادة استغلال وتطوير الموانئ القديمة، ما أفقدها طبيعتها وحال عائقا أمام الباحثين في القيام بداراسات ميدانية عليها، وما سلم منها غمرتها الرمال، ما صرف أنظار الباحثين الأثريين عنها خاصة في ظل محدودية المعارف ونقص الخبرة في مجال علم آثار البحر وانعدام الإمكانيات اللازمة للقيام بهذا النوع من الحفريات.

¹ عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1969، ص. 30-33.

² نفسه، ص. 57-60.

³ علي عشي، المرجع السابق، ص. 516-522.

دور الصناعة عبارة عن مركب صناعي، يتشكل من عدّة ورشات يعمل فيها مختصين كلّ حسب طبيعة العمل الذي تتطلبه السفينة في إطار صناعة السفن أو إصلاحها مثل: النجارين والحدّادين وصانعي الحبال والطباخين... إلخ، إضافة إلى مجموعة من المخازن لحفظ عدّة البحر.

احتوت دور الصناعة أيضا على أحواض معدّة لتزليق السفن بعد الانتهاء من إعدادها، إلى جانب وجود فضاءات أخرى تقوم بتصنيع الأسلحة من المنجنوقات والدبابات ورؤوس الكباش والرماح والأقواس والسهام⁽¹⁾

السجون:

السجن هو الحبس في مكان ضيق ومظلم، حيث كان السجناء عرضة إلى سوء المعاملة كالضرب والتقييد بسلاسل حديدية، ويكفون بأعمال شاقة، فهي في شكل محلات قذرة مليئة بالحشرات أو مطامير وسرايب⁽²⁾.

تعتبر السجون من متممات أعمال القاضي والشرطة، وهي تعمل على حفظ الأمن العمومي من خلال العقوبة التأديبية المفروضة على الجناة، كما يمكن القول أن بعضها عبارة عن مؤسسات عقابية بأبعاد عسكرية، ويمكن حصرها في سجون الأسرى والثوار، ولأمن وسلامة المدن وجب اتخاذ السجون كإقامات للأسرى تحت الرقابة، لما قد تشكله هذه الفئة من المساجين من خطر على المدن، مثل ما حدث في مدينة تونس خلال حملة شارل الخامس عليها سنة 1535⁽³⁾، إضافة إلى ما تشكله من أهمية في السياسة

¹ - الأسعد شوشان، الموائى والمراسي بالمغرب الأوسط خلال الفترة الوسيطة، رسالة لنيل شهادة الماجستير في علوم التراث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس، تونس، 2009-2010، ص. 287.

² - لسمر عروسي، أسرار البلاد في الدولة الإسلامية، العنف السياسي والعقاب المالي، ق: 04-06هـ، إفريقيا الشرق، المغرب، 2015، ص. 240.

³ - أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص. 231.

الخارجية للدول باستعمالها كورقة ضغط على العدو من جهة، وفي إنعاش الاقتصاد من جهة أخرى⁽¹⁾.

اتخذت المجتمعات البشرية السجون كوسيلة عقاب منذ القديم، وقد ذكر القرآن الكريم هذه المؤسسة في سورة يوسف عليه السلام، الذي عاصر مرحلة من مراحل الحضارة الفرعونية بمصر، والتي تعتبر ثاني أقدم حضارة على وجه المعمورة، في قوله تعالى: >> قال السجن أحب إلي مما يدعونني إليه <<، و>> فلبث في السجن بضع سنين <<⁽²⁾.

تعود فكرة ظهور السجن في التاريخ الإسلامي إلى زمن سيدنا النبي محمد (ص)، كونه اتخذ المسجد مقرا له، لكن مع مرور الوقت أصبحت السجون بنايات قائمة بذاتها، ونشأت هذه الفكرة في عهد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب (ض) الذي ابتاع دارا بمكة من صفوان بن أمية، وجعل منه سجنا، وباتساع الدولة الإسلامية كثر خصومها وصارت ثمة حاجة لتنظيم العقوبات، فأصبحت السجون أمرا مطلوباً بالمدن الإسلامية، وسرعان ما ظهرت في البصرة والكوفة والفسفاط والقيروان⁽³⁾.

أصبحت هذه المؤسسة أكثر انتظاما على يد الخليفة عمر بن عبد العزيز، الذي أوجد لها ديوانا يشرف عليها، وأخذ ينظر بنفسه في أمرها، ويكتب للمسجونين برزق وكسوة في الصيف والشتاء، ويعتني بالمرضى منهم، كما أمر ألا يقيد أحد في المحابس بقيد يمنعه من إتمام الصلاة، وفصل بين فئات المسجونين بين من يسجن في دين ومن يحبس في جريمة كما جعل للنساء حبسا خاصا بهن⁽⁴⁾.

¹ - ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي...، ص. 65-70.

² - مصطفى نشاط، السجن والسجناء، مطبعة التومي، 2012، ص. 10.

³ - مصطفى شاكر، المرجع السابق، ص. 590-591.

⁴ - رافعة سعيد حسين السراج، >> شعر السجون في العصر الأموي <<، مجلة أفاق الثقافة والتراث، جامعة الماجد للثقافة والتراث، العدد: 41، الإمارات العربية، 2003، ص. 29.

إنّ العزوف عن الكتابة عن هذه المباني في المصادر التاريخية نتج عنه شحّ في المعلومة فيما يتعلق بعمارتها⁽¹⁾، ويعود ذلك إلى النظرة السيئة للمجتمع إليها، أو لوجود تضيق على المؤرخين وغيرهم من الباحثين، وذلك لما قد يلحق بالسلطة من أضرار في حالة الكشف عن حقيقتها، أو لأنها ينطبق عليها ما ينطبق على باقي المباني العسكرية الأخرى من التستر لضرورة أمنية، إلّا أنّ من المؤكد أنّ الإقامة بها كانت عسيرة، وهذا ما لمسناه في عدد من الكتابات، ومنها الكتابات الأدبية المجسدة في شعر السجون الذي جاء مزيجاً بين الاستعطاف والوصف (السجن، أبوابه، حراسه، قيوده، ... الخ) وبين الشوق والحنين تارة، واليأس والقنوط تارة أخرى⁽²⁾، والذي يشكّل لدينا نحن كأثريين فكرة قاتمة عن السجون نتيجة طبيعة عمارتها المنيعّة الموحشة لتخدم وظيفتها العقابية النفسية والجسدية.

المغارات:

إنّ غريزة الاحتماء عند البشر رافقته منذ أن خلقه الرحمن بهذا الكون، فقد لجأ إلى استعمال وسائل مختلفة حتى الطبيعية منها، حيث سبق أن اتخذ من الكهوف والمغارات ملجأً له منذ ما قبل التاريخ، وتواصل استعمال المغارات عند الشعوب إلى يومنا هذا، ولدينا أمثلة كثيرة عن ذلك أولها ما ورد في كتاب الله عزّ وجلّ في أهل الكهف في قوله: >> إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا>>⁽³⁾، وكذلك المسلمون ممّن اعتمدوا على هذه الوسيلة البدائية في أمنهم، ويمكن

¹ - مصطفى نشاط، المرجع السابق، ص. 70-73.

² - رافعة سعيد حسين السراج، المرجع السابق، ص. 30-39.

³ - سورة الكهف، الآية 10.

اعتبار أول من استعملها في التاريخ الإسلامي هو سيدّ الخلق سيّدنا ونبيّنا محمد (ص)، عندما لجأ رفقة أبي بكر الصديق (ض) إلى "غار حراء" للاحتماء من بطش قريش⁽¹⁾.

ذكرت النصوص التاريخية أنّه شاع استعمالها عند العباسيين، ولكنها أصبحت تعرف ببلاد المطامير، وتواصل استخدامها إلى يومنا هذا، والمتصفح لكتب تاريخ المقاومة الشعبية والثورة التحريرية الجزائرية، يقف على ذلك عند أكثر من موضع، ويكفي أن نذكر المغارات التي استعملها شهداء الجزائر من قبيلة أولاد ضياء تحصّنا من العدو الفرنسي، وأحداثها تشهد على جرائمه، حيث لقي ما يقارب 800 شخص حتفه بداخلها⁽²⁾.

العناصر المعمارية الحربية:

إنّ صمود العماائر الحربية لا يتوقف على مدى قوّة هيكلها أو نوعية تخطيطها فقط، بل يرتبط أيضا بنوعية عناصرها المعمارية المشكلة لها، حسب ما تفرضه طبوغرافية المنطقة أو نوعية السلاح المستعمل للدفاع والهجوم، إضافة إلى التطور الحاصل في الأسلحة الحربية، واجتماع هذه العناصر المعمارية تشكّل تكاملا معماريا لتأدية وظيفتها الدفاعية أو لتغطية نقاط الضعف على مستوى هياكل التحصينات، إضافة إلى تقوية وتدعيم هذه الأخيرة من الناحية المعمارية، وتتمثل هذه العناصر في ما يلي:

¹ - صفى الرحمن المياركفوري، الرحيق المختوم، ط1، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2003، ص. 117.

² - أحمد توفيق المدني، محمد بن عثمان...، ص. 19.

الأبواب:

الباب أو المدخل، الفتحة القائمة في سور المدينة أو الحصن، وغير ذلك مما يغلق عليه بمصراع أو أكثر⁽¹⁾، وهي من أهم العناصر المعمارية بالمباني الحربية، وأضعف نقطة بها لأنها أكثر استهدافا من العدو، ما جعل هيكلها يتصف بالضخامة وشدة حصانته مثل أبواب مدينة المهدية الفاطمية بإفريقية، التي اشتملت على هذه الصفات وزادت عليها، ونالت بذلك إعجاب الجغرافي العربي ابن حوقل في قوله: >> المهدية مدينة صغيرة...، ولها سور من حجارة وله بابان ليس لهما فيما رأيته من الأرض شبيه ولا نظير...>>⁽²⁾.

قد يختلف عدد أبواب المدن من مدينة لأخرى، حيث كانت لمدينة تاهرت عاصمة بني رستم بالمغرب الأوسط أربعة أبواب، ولمدينة العباسية الأغلبية بإفريقيا وتلمسان الزيانية خمسة أبواب، ولمدينة ورقلة سبعة أبواب⁽³⁾، وبالعاصمة الفاطمية القاهرة ثمانية أبواب...الخ، وقد جاءت هذه الظاهرة المعمارية تجنباً لازدحام الناس عند الدخول والخروج، إضافة إلى ما في ذلك من يسر بتقريبها إلى ساكنيها⁽⁴⁾.

اتخذت أبواب المدن تسميات مختلفة، ارتبطت إما بالاتجاهات الرئيسية التي تفتح عليها مثل: أبواب مدينة بغداد العاصمة العباسية (ق 2هـ / 8م)، وهي بابا خرسان والشام

1- فريد شافعي. المرجع السابق. ص. 23.

2- أبو القاسم بن حوقل النصيبي، المصدر السابق، ص. 73.

3- أبو القاسم الزياني، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا، تحقيق وتعليق: عبد الكريم الفيلاي، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، 1991، ص. 149.

4- محمد عثمان عبد الستار، المرجع السابق، ص. 17.

بالشمال الشرقي والغربي، وبابا البصرة والكوفة بالجنوب الشرقي والغربي⁽¹⁾، أو نسبة إلى حدث تاريخي هام يشهد عليه هذا الباب مثل: باب المحروق بمدينة فاس خلال الفترة الموحدية، وسميت كذلك لقتل أحد الثوار وحرق جثته بها⁽²⁾، وقد يكون اسمها مقترنا بتاريخ إنشائها كباب الجديد بالقيروان الذي أضيف إلى أسوار المدينة خلال الحكم الحفصي⁽³⁾.

تحمل أبواب المدن أيضا أسماء أخرى لها علاقة بمظهر طبوغرافي مثل باب الوادي بمدينة الجزائر العثمانية، أو بنوع من المزروعات أو المحاصيل الفلاحية مثل باب النخيل بالقيروان⁽⁴⁾، وباب البصلية نسبة إلى محلة كان يزرع فيها البصل ببغداد⁽⁵⁾، أو نسبة إلى نوع من الصناعات كباب القرمديين بتلمسان الزيانية⁽⁶⁾، وباب الدباغين أو الجلادين بكل من القيروان ومراكش المرابطية⁽⁷⁾، وأحيانا تحمل هذه الأبواب أسماء القبائل والأعلام من المشاهير كالعلماء مثل باب كتامة بكل من مدينة طبنة الأغلبية بالمغرب الأوسط⁽⁸⁾، وبمدينة صبرة المنصورية الفاطمية بإفريقية⁽⁹⁾، وباب سيدي الحلوي بتلمسان، وباب سحنون الفقيه بالقيروان⁽¹⁰⁾.

¹ - محمد رجب غازي، التحصينات الدفاعية...، ص. 335. راجع: - عبد الله الرحيم السوداني، المرجع السابق، ص. 43.

² - روجي لوطورنو، المرجع السابق، ص. 87-88.

³ - محمد حسن، المدينة والبادية بإفريقيا في العهد الحفصي، ج. 1، تونس، 1999، ص. 215.

⁴ - الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقيا في عهد بني زيري من القرن 10 إلى 12 م، ترجمة: حمادي الساحلي، ج. 2، ط. 1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1992، ص. 11.

⁵ - حميد صالح، المرجع السابق، ص. 377.

⁶ - Louis Piesse ; *Itinéraire de L'Algérie*, Librairie Hachette, Paris, France, 1982, P.224.

⁷ - مصطفى شاكور، المرجع السابق، ص. 448.

⁸ - Rachid Bouruiba ; *Op, cit.*, P.16.

⁹ - الهادي روجي إدريس، المرجع نفسه، ص. 106.

¹⁰ - نفسه، ص. 11.

قد تفتح في أسوار المدن المشيئة على السواحل البحرية أبواب تعرف بباب البحر، وهي في الغالب تؤدي إلى دار الصناعة والميناء، تستعمل لعبور الفئة العاملة بهذه المرافق، أو لخروج الجند منها خلال عمليات الجهاد البحري، ولهذا سميت أحيانا بباب الجهاد، كما أنها تستعمل أيضا في المبادلات التجارية البحرية من خلال دخول وخروج السلع عبرها في عمليات التصدير والاستيراد.

كما أن الأبواب على أنواع رئيسية وثانوية، إضافة إلى أبواب النجدة التي استعملت في أسوار المدن والعمائر المستقلة، وهي أبواب سرية مخصصة لخروج الحاكم وحاشيته عند الحاجة، وقد اتخذت أسماء متنوعة نذكر منها: باب الخيانة بقصبة مدريد، وباب النجدة بالمرية، وباب الغدر في كل من سبتة وغرناطة والإسكندرية⁽¹⁾، وكان في الغالب لا يفصح عن أسماء هذا النوع من الأبواب، وذلك لاعتبارات أمنية، حيث يكتفون بإطلاق تسميات عادية عنها لا تميزها عن غيرها من الأبواب مثل: باب خاقان بمدينة طنبنة⁽²⁾، وباب الخوخة بتلمسان⁽³⁾.

¹ - محمد عثمان عبد الستار، المرجع السابق، ص. 144.

² - أبو عبيد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر، د.ت، ص. 50.

³ - وليم وجورج مارسلي، المرجع السابق، ص. 134.

نظرا لكون أبواب الأسوار أضعف نقطة دفاعية بها، لتركيز العدو مجهوده عليها لاجتياح المدينة، اتخذ المعماري المسلم إجراءات معمارية هامة لتقوية دفاعتها، إمّا عن طريق تخطيطها أو بالعناصر المعمارية المشكلة لهيكلها، وقد استعمل المسلمون من حيث التخطيط نمطين من المداخل:

- المداخل المباشرة: وهي عبارة عن باب يؤدي مباشرة إلى الداخل يتخلله برجاً أو برجين، ويربط بين البرجين ممشى علوي به سقاطات (فتحات رمادية) يكون الرمي فيها بشكل عمودي⁽¹⁾.

- المداخل المنكسرة: تعرف كذلك بالباشورة والمدخل ذو المرفق والمدخل ذو العطف والمدخل المزور، وسميت بغداد بالزوراء لإزوار مداخلها، حيث ينحرف الداخل فيه يمينا أو يسارا مرة أو عدّة مرات قبل أن يصل إلى داخل المنشأة المعمارية⁽²⁾.

يعود تاريخ ظهور المدخل ذو التخطيط المنكسر إلى ما قبل الإسلام، حيث ظهر ما يشبهها في المخلّفات المعمارية الفرعونية مؤرخة بالقرنين الثالث والثاني قبل الميلاد⁽³⁾، وبمدينة حضر بالعراق⁽⁴⁾، أما عند المسلمين فأقدم نماذج لها ترجع إلى مدينة بغداد القرن الثاني للهجرة الثامن للميلاد، وقد أثبتت هذه المدينة على أنّ المسلمين قد عرفوا هذا النوع من المداخل قبل الروم الذين أقاموا أقدم نموذج له سنة 859 م بأنقرة بعد أن أغار عليها الخليفة المعتصم سنة 838 م⁽⁵⁾، ليتراجع المسلمون عن استعمالها لمدة من الزمن، لتعود

¹ - خالد عزب، المرجع السابق، ص. 21.

² - أسامة طلعة عبد النعيم، « ملامح تخطيط المدخل المنكسر في العمارة الدفاعية بين مصر والغرب الإسلامي فيما بين القرنين الخامس والسابع الهجريين (11-13م) » أعمال الندوة العلمية الاولى لجمعية الآثار بين العرب، القاهرة، مصر، 1999، ص. 324.

³ - فريد شافعي، المرجع السابق، ص. 191.

⁴ - محمد رجب غازي، التحصينات الدفاعية...، ص. 336.

⁵ - فريد شافعي، المرجع نفسه، ص. 191.

إلى الاستعمال مرة أخرى في كل من الأندلس والمغرب الإسلامي خلال القرن 5 هـ / 11 م، ومنه انتقل هذا التأثير المعماري إلى مصر، حيث تؤرخ النماذج المتبقية منه هناك ببداية النصف الثاني من القرن 6 هـ / 12 م⁽¹⁾.

وتواصل اعتماد هذا النوع من المداخل بالعمارة العسكرية الإسلامية في الفترة الحديثة، مثل "بوابة لاهور" بالقلعة الحمراء بالهند، والتي يرجع تاريخها إلى القرن 17 م⁽²⁾، إنّ المتتبع لتخطيط المدخل المنكسر بالبلاد الإسلامية يلاحظ أنه ينقسم إلى نوعين:

التخطيط البسيط:

- مدخل عبارة عن سور أمامي يتقدّم الباب وأقل منه ارتفاعاً، بحيث يمنع دخول الباب مباشرة، وأنه كان يفتح بأحد الأضلاع الجانبية لهذا السور الأمامي أو على جانبيه باب بحيث يضطر الداخل إلى أن ينعطف يساراً أو يميناً، ليمرّ بالفصيل المحصور بين السور الأمامي وكتلة الباب الرئيس، ومنه إلى ممّر المدخل.

- البرج ذو المدخل المنكسر ويتكون من برج مربع أو مستطيل يبرز عن سمت واجهة السور الخارجية، ويفتح بداخل البرج ممّر منكسر على هيئة زاوية قائمة.

- مدخل يتوسط برجين يبرزان عن واجهة السور الخارجية، ويحصر البرجان فيما بينهما ممّر عمودي على محور السور، ثم ينحرف الممرّ يميناً أو يساراً على هيئة زاوية قائمة داخل كتلة بنائية مستطيلة، وتقع هذه الكتلة في عمق السور⁽³⁾.

¹ - أسامة طلعة عبد النعيم، المرجع السابق، ص. 324.

² - أحمد رجب محمد علي، المرجع السابق، ص. 206-210.

³ - أسامة طلعة عبد النعيم، المرجع نفسه، ص. 325.

التخطيط_المركب:

جاء هذا النوع نتيجة لتطور تخطيط المدخل المنكسر بالمغرب الإسلامي خلال النصف الثاني من القرن 6هـ / 12م، ويتمثل في الانتقال من التخطيط من المنكسر بزوايا قائمة واحدة إلى مدخل بعدة زوايا، إضافة إلى جعل ممراتها الداخلية أكثر طولاً لاستيعاب هذه الانكسارات، وتزويد هذه المداخل بمنافذ اضافية جانبية ولدينا امثلة لها بباب الجديد بمدينة سبتة وباب السوق بقصبة الودايا بالرباط⁽¹⁾، إضافة إلى مدخل "قلعة هنين"(*) بتمسان، الذي يعتبر من النماذج النادرة للمدخل المنكسر المركب بالمباني الحربية بالجزائر. أنظر المخطط رقم: 01

إنّ الهدف من التخطيط المنكسر منع اندفاع المهاجمين بسرعة مقارنة بالممرات المستقيمة والمباشرة والتي توفر إنسيابية سريعة⁽²⁾، وقد تعززت بتطوير مخططها بالإكثار من الإنكسارات بالمدخل الواحد في بلاد المغرب الإسلامي، أمّا الإكثار من المنافذ، فالغرض منه إرباك العدو في حالة تمكنه من اختراق فتحة الباب، وبالتالي إحباطه نفسياً أو معنوياً هذا ما يؤثر على مؤهلاته القتالية⁽³⁾.

¹ - أسامة طلعة عبد النعيم، المرجع السابق، ص. 335-336.

* - شيدت قلعة هنين بالجنوب الغربي للمدينة على مرتفع صخري، أعلى الميناء الداخلي، لها شكل منتظم لم يبق منها سوى جدرانها الخارجية المشيدة بالطابية، وندخل إليها عبر مدخل منكسر في الركن الشمالي الشرقي لها. في الزاوية الجنوبية الغربية منها، يوجد خزان ماء يؤمن حاجيات الحامية المرابطة بها عند الحاجة، بعد الزيارة الميدانية للبناية في أبريل من سنة 2017 م، اتضح أنها فقدت الكثير من أجزائها، ولم يبق منها إلا أجزاء محدودة من أسوارها الخارجية المشيدة بالطابية إضافة إلى مدخلها القائم بالركن الشمالي الشرقي لها. راجع:- أبو عبيد الله البكري، المصدر السابق، ص. 80. - الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ص. 15. - مارمول كرخال، المصدر السابق، ص. 296-297.

- Rachid Bouruiba ; Op.cit., P. 92.
- Goerge Marçais ; Honain..., P. 344-346.

² - محمد رجب غازي، التحصينات... ، ص. 336.

³ - أسامة طلعة عبد النعيم، المرجع نفسه ، ص 335.

إضافة إلى دور هذا التخطيط المعماري الفعّال ميدانيا، تمّ تدعيم هيكل المدخل بمجموعة من العناصر المعمارية الدفاعية الكفيلة بالقضاء على العدو وخدمة القائمين عليها، نذكر منها الدخلات الصمّاء (مجالس الجند)، والسقاطات العلوية (فتحات للرماية وصبّ المواد الحارقة) والمزاغل الجانبية للمراقبة والرماية... الخ⁽¹⁾، إضافة إلى تدعيمها بالشداخات من الخارج لعرقلة هجوم العدو⁽²⁾.

إن كان الدور الدفاعي هو الغالب على دور أبواب المدن الإسلامية، إلّا أنّ هذا لا يمنع من أن يكون لها تأثير على المجالات الأخرى، والتي تظهر في توجيه الشوارع الرئيسية للمدينة⁽³⁾، وفي مراقبة السلع الوافدة إليها، وفرض ضرائب عليها، وبالتالي تحصيل موارد مالية إضافية لبيت المال، ما ينتج عنه انتعاش اقتصاد الدولة.

تغلق هذه المداخل بأبواب خشبية غالبا ما تكون مصفحة بالحديد، وتدعم أحيانا بأبواب منزلقة خاصة في البنايات الحربية القائمة بذاتها، وهذا النوع هو باب من مشبكات حديدية ينزلق من أعلى إلى أسفل على سكة حجرية بواسطة أسلاك أو حبال تلتف حول بكرات خاصة، تساعد على انزلاقه بالشكل المطلوب، وهو من أحد العناصر الدفاعية في أسوار القلاع والحصون، وغالبا ما كان موضعه خارج الباب الخشبي الغليظ، ويغلب الظن أنّ هذا النوع من الأبواب كان شائعا في العهد الروماني والوسيظ، ولم يعرف في العمارة الإسلامية إلّا في قصر الأخيضر الذي بناه الخليفة المنصور في الجنوب الشرقي من الكوفة سنة 161هـ / 778 م⁽⁴⁾.

¹ - أسامة طلعة عبد النعيم، المرجع السابق، ص. 329.

² - حميد صالح، المرجع السابق، ص. 360.

³ - ليوبولدو تورس بالباس، المرجع السابق، ص. 193.

⁴ - فريد شافعي، المرجع السابق، ص. 27.

نظرا لأهمية أبواب المدن كان يولى عليها الثقات العقلاء المتيقظين المتحرزين من أهل المدينة، لكي إن أتاها غريب ودخل عليهم عرفوه، ولا يدخلها إلا بعد معرفة منهم بحاله، فإن كان ممن يستراب به استوثقوا منه حتى يعرفوا براءته، أو يتبين لهم سقمه.

كما أشركوا في مراقبتها عنصر النساء ممن يوثق لهنّ، يتصفحن وجوه النساء إذا دخلت لئلا تدلس الرجال بجلباب النساء، ولا يدخل المدينة حمل ولا ثقل ولا شيء، ممّا يمكن أن يتستر فيه الرجال مثل: الصناديق والجوايق والأعكام إلا فتشوها وطعنوا ما أمكن منها بالمناخس لئلا تدخل الرجال فيها سرّاً⁽¹⁾.

الممشى:

ورد في الدراسات التاريخية والأثرية بأسماء مختلفة نذكر منها: مطاف الحراس⁽²⁾، ممّر الحراس⁽³⁾، ودرب العسة⁽⁴⁾، وهو مساحة مكشوفة تصل بين أجزاء السور من أبواب وأبراج ومزاغل... الخ، نصل إليه عبر سلالم مدرجة للراجلين أو منحدره لإيصال الأسلحة الثقيلة إلى أماكنها في أعلى السور مثل: المدافع، وهي مرتبطة ارتباطاً عضوياً مباشراً بالجدار الساتر الذي يحميها⁽⁵⁾.

الممشى جزء من سمك السور، وعرضه يتوقف على مدى اتساع عمق السور أو تناقصه، واتساعه عامل مستحب، كونه يضمن التجمع عند أية نقطة معرضة لهجوم الأعداء في أسرع وقت، وبأكبر عدد ممكن من المدافعين، كما يساعد الممشى بصفة

¹ - محمد بن حنكلي الناصري، المصدر السابق، ص. 380-390.

² - رشيد بورويبة، الجزائر في التاريخ، العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص. 495.

³ - محمد بن حمو، "التحصينات العسكرية لمدينة هنين"، دراسات تراثية، ج. 02، العدد 05، مخبر البناء الحضاري، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2014، ص. 62.

⁴ - وليم وجورج مارسلي، المرجع السابق، ص. 139.

⁵ - خالد عزب، أسوار وقلعة...، ص. 25.

عامة على مراقبة محيط المدينة بتغطية المساحات المحصورة بين نقاط الدفاع الثابتة من السور خلال عمليات المناوبة.

حائط الممشى (الجدار الساتر):

عبارة عن حائط يعلو الواجهات الخارجية للسور أمام الممشى الذي يعلو الأبراج أو الأبواب أو بدن السور فيما بين الأبراج، ويكون متوجا بعدد من الشرافات، وقد تفتح به مجموعة من المزاغل أو فتحات المراقبة والرماية.

تتمثل الوظيفة الأساسية للجدار الساتر في حماية مستعملي الممشى خلال تنقلاتهم بين أجزاء السور⁽¹⁾، أو كساتر يحتمون وراءه عند التصويب من فتحات الرماية.

الشرافات:

هي ذلك البناء الذي يزين به أعلى المباني، ولم يقتصر استعمالها عند المسلمين على العمارة العسكرية فقط، حيث شاع استخدامها في عمارة المساجد والأضرحة والقصور والحمامات والعيون بأشكال مختلفة، فيها الشكل المسنن والمتدرج أو على شكل ورقة ثلاثية البتلات⁽²⁾.

انتقل هذا العنصر المعماري إلى العمارة الإسلامية من الحضارات القديمة الساسانية والبيزنطية بحكم القرابة الجغرافية والتاريخية مع الدولة الإسلامية، وتؤكد البحوث الأثرية على أنّ أول ظهور لها يرجع إلى بداية القرن 2 هـ/ 8 م ببوابتي قصر الحير الشرقي وقصر الحير الغربي على عهد الخليفة الأموي "هشام بن عبد الملك"، وكان دورها

¹ - خالد عزب، المرجع السابق ، ص. 25.

² - علي سعيد سيف، المرجع السابق، ص. 165-166.

دفاعي لصد كلّ مهاجم للبوابات والأبراج بواسطة صبّ المواد الحارقة من خلال الفتحات التي جعلت أسفلها بين مساندها الخارجية⁽¹⁾.

بعد المعاينة الميدانية لبعض المدن والمباني الحربية بها، بكلّ من الجزائر وتونس والمغرب الأقصى، لاحظنا استعمال شرافات ذات أشكال مختلفة نذكر منها: الشكل الهرمي بأسوار مدينة الجزائر وبجاية وعنابة، وبأسوار السعدية بمدينة فاس، والشكل النصف دائري بكلّ من رباط المونستير وسوسة، إضافة إلى الشرافات ذات الشكل المنتظم. أنظر الصورة رقم: 01.

استعملت بعض النماذج من الشرافات السابقة، إمّا على شكل بناء أصمّ، أو بجعل فتحات الرماية جزءًا من هيكلها، ولدينا أمثلة لها بالصور الساتر لمدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية، وشرافات رباط المونستير بتونس، وهناك من الأسوار التي لا تتوفر على الشرافات، إنّما تكتفي في دفاعاتها على حائط المشى المزود بمجموعة من المزاغل.

رغم اختلاف أشكال الشرافات بالعمارة الدفاعية، إلّا أنّها تجتمع في وظيفتها المتمثلة في توفير فضاء لعمل المزاغل التي تمكن الجند من رؤية أهدافهم ورمائهم، باستعمال السهام والأسلحة النارية، وتؤكد في نفس الوقت دور السترة التي توفر لهم الحماية اللازمة من أعدائهم⁽²⁾.

¹ - محمد عاصم رزق، المرجع السابق، ص. 161.

² - نفسه ، ص. 161.

السقطة:

عبارة عن شرفة بارزة عن سمت أسوار المدن والبنىات الحربية المستقلة من أعلى أو فوق أبوابها، زودت أرضيتها المحمولة على كوابيل بفتحات لإلقاء الأحجار والسهم والمواد الحارقة كالزيت المغلي ونحوه على المهاجمين⁽¹⁾. وجد أقدم مثال لها بقصر الحير الشرقي ببادية الشام، وبقصر الأخيضر العباسي، وعن المسلمين نقلها الصليبيون وكان ذلك في القرن 8هـ/14م⁽²⁾.

يرجع سبب استحداثها في العمارة العسكرية إلى وجود ضعف في النظام الدفاعي المعماري لها، ناتج عن الزيادة في ارتفاع وسمك الأسوار، ما صعب على المدافعين مراقبة أسفلها والزوايا المنفرجة منها، وعرض حياتهم للخطر بجعلهم أهدافا سهلة لأعدائهم⁽³⁾. انظر الصورة رقم: 02.

يطلق اسم السقطة أيضا على الفتحات التي توجد في الجزء العلوي من البوابات مثل: السقاطات المقامة بأبواب مدينة هنين⁽⁴⁾، أو في سقف الممرات في جوف الأسوار، بحيث تمكن المدافعين من اعتراض سبيل المهاجمين بالأسلحة والقذائف المتنوعة⁽⁵⁾.

¹ - عاصم محمد رزق، المرجع السابق ، ص. 141.

² - فريد شافعي، المرجع السابق، ص. 146-196.

³ - محمد عثمان عبد الستار، المرجع السابق، ص. 120-147.

⁴ - محمد بن حمّو، المرجع السابق، ص. 65.

⁵ - فريد شافعي، المرجع نفسه ، ص. 195.

المزاغل:

جاءت في اللغة اليمنية القديمة باسم "صوبت" والتي ربما مشتقة من كلمة صوب السلاح أو وجهه نحو الهدف واستعد لإطلاقه، في حين يعرف في العمارة الحربية في الأردن باسم: الطلاقة، وقد استخدمت منذ فترة مبكرة في المباني العسكرية الإسلامية، حيث توجد أقدم بقاياها بعمارة "قصر الحير الغربي الأموي". والمزغل من الناحية المعمارية عبارة عن فتحة للرمية، مسقطه العرضي على شكل مثلث مبتور الرأس ضيق من الخارج وواسع من الداخل لتسهيل حركة المدافعين⁽¹⁾. وأحيانا تكون فتحته من الخارج موجهة نحو الأسفل لمراقبة جوانب السور، ويساعد تصميم المزاغل بهذا الشكل على إصابة الهدف، وحماية المدافعين خلفه من المهاجمين وأسلحتهم⁽²⁾، إضافة إلى تقليل تسرب مياه الأمطار إلى داخل المبنى، وذلك بجعل الفتحة الخارجية ضيقة. أنظر الصورة

رقم: 03.

تتشترك المزاغل في وظيفتها وتصميمها العام، إلا أن اختلافها في بعض التفاصيل جعل الباحثين يصنفونها وفق أشكالها ونذكر منها:

- مزغل مسقطه الأفقي مثلث ويغطيه قيو بشكل أفقي وقاعدته للداخل.
- مزغل مسقطه الأفقي مثلث قاعدته للداخل.
- مزغل مسقطه الأفقي دائري⁽³⁾.

¹ - خالد عزب، أسوار وقلعة...، ص. 137.

² - محمد رجب غازي، التحصينات الدفاعية...، ص. 337.

³ - خالد عزب، المرجع نفسه، ص. 19.

صادفنا خلال دراستنا حول العمارة العسكرية العثمانية بالجزائر نوعا آخر من المزاغل، وهو مزغل مركب من مزغلين متقابلين مسقطهما الأفقي مثلث، أحدهما قاعدته إلى الداخل والآخر إلى الخارج، يتصلان ببعضهما عند الرأس المبتور، وهذا التصميم يصلح استخدامه في الهياكل المعمارية الضخمة نظرا لسمك جدرانها، وهو عملي يساعد على تغطية مجال رؤية واسع من الخارج دون تعريض المدافع إلى الخطر بفضل الفتحة الضيقة التي يتصل عندها المزغلين ببعضهما.

هناك نوع آخر من فتحات الرماية مخصصة لسلاح المدفعية، وتصميمها يكون عكس فتحات الرماية بالأسلحة الخفيفة مسقطها مثلث قاعدته إلى الخارج ورأسه إلى الداخل، وذلك لتوسيع مجال الرؤية، وإمكانية استعمال هذه المساحة في توجيه المدفع إلى الهدف.

تكون هذه الفتحات إما مسقوفة أو مكشوفة خاصة عند سطح البناية الحربية مثل: الطبانات، تفتح في سائر على شكل شرفات ترتفع عن السطح بمقدار يؤمن حماية الرجال المشرفين على المدفعية، أما طولها فيختلف حسب حجم السلاح المستعمل، فكلما كان حجم المدفع كبيرا، كلما يحتاج إلى شرفات طويلة تضمن عملية تحضيره للاستعمال بعيدا عن الخطر.

الستائر:

استعملت هذه الوسائل لحماية الأسوار من ضربات المنجيق، وهي عبارة عن أخشاب طوال على الأسوار، ثم يدلى منها البسط والأكسية والشباك المصنوعة من الحباك الغليظة حتى إذا سلط المهاجمون أحجار منجنقاتهم على الأسوار أصابت هذه الستائر، فيضعف مفعولها وتبطل قوتها⁽¹⁾.

¹ - صفاء حافظ عبد الفتاح، المرجع السابق، ص 249.

الفصل الرابع

تخصينات دار السلطان

تحصينات دار السلطان:

تحصينات مدينة الجزائر:

أسوار مدينة الجزائر:

قبل تحديد مسار أسوار مدينة الجزائر وملاحقها المعمارية، لا بدّ من عرض أهمّ المزايا الطبيعية التي توفر عليها موقعها، ما زاد من حصانتها، وشكّلت عائقا أمام أعدائها أكثر من مرّة، إلى أن فكّ الفرنسيون هذه الشفرة الطبوغرافية سنة 1830م بعد مضي ثلاثة قرون على حكمها من قبل الأتراك.

توجد المدينة بموقع يمتاز بتنوع مظاهره الجغرافية، حيث شيدت على أرضية منحدرّة تتراوح درجة انحدارها ما بين 15-25°⁽¹⁾، ما جعل عمرانها يشيّد بطريقة متدرجة من الأسفل إلى الأعلى، كما أثر ذلك في تخطيط شوارعها بجعلها أكثر انكسارا، وذلك لتقليل نسبة الانحدار بها.

إن هذا الانحدار مستحب في إختيار مواضع إنشاء المدن لما له من مزايا مثل: سهولة تزويد المدينة بالمياه الصالحة للشرب، وفي المقابل صرف المياه القذرة، ما يقلل من احتمال حدوث مشاكل صحية بسبب اختلاط مياه الشرب بمياه الصرف الصحي مقارنة بالمواضع المنبسطة، إضافة إلى دور الأرضية المنحدرة في حماية المدينة من الفيضانات، ولها أيضا أهمية من الناحية الأمنية، كون تكاليف حماية هذا النوع من المدن أقل من المدن المشيّدة على أرضية مستوية وذلك لأنّ الأسوار تكون أقلّ ارتفاعا وسمكا، فالمنحدرات الطبيعية هي التي تعوض الفارق في ارتفاع السور، هذا ما يوفّر المادة البنائية والجهد في إنشائها، دون التأثير في دورها الدفاعي مقارنة بالمدن ذات الأرضيات

¹-Vincent-Yves Boutin ; **Aperçu historique, statistique Et topographique sur L'Etat D'Alger**, 2^{ème} édition, Paris, France, 1830, P. 188.

المستوية التي تحتاج إلى أسوار مرتفعة، وأكثر سمكا، مدعمة بعدد أكبر من الأبراج الحائطية، ما يزيد في مصاريف خزينة الدولة، وهذا مخالف لمقاصد العمارة الإسلامية التي تدعو إلى الاقتصاد.

كما أنّ مسار الأسوار في المواضع المائلة، يتّبع الانكسارات الحاصلة في أرضيتها، وهذا ما ينطبق على أسوار مدينة الجزائر في منطقة الجبل⁽¹⁾، ما يزيد في متانتها، ومن الناحية الدفاعية والمعمارية يقلل من استعمال الأبراج الحائطية الداعمة، ما يخدم الناحية الاقتصادية، بالإضافة إلى التقليل من عدد الحراس المسخرين لحماية السور، وتوجيههم إلى أعمال عسكرية أخرى، وينوب هذا الانكسار في بدن السور أيضا عن الأبراج الحائطية في كشف الأماكن الخفية من جوانبه الخارجية.

توجد خلف المدينة من الناحية البرية سلسلة جبلية⁽²⁾، تمتد بشكل طولي، وتضيق تدريجيا إلى أن تتصلّ بساحل البحر في المسافة المحصورة بين مرسى الذبان، وسيدي فرج، ما جعلها بمثابة سور طبيعية تحمي المدينة من الخلف، وتمنع الإنزال بالناحية الغربية خلف آخر نقطة دفاعية، حيث يوجد مرسى الذبان، وذلك لاتصال السلسلة الجبلية بساحل البحر بالناحية الغربية له، ما يمنع رسو السفن، لطبيعة الشاطئ الصخري، ولضيق هذا المسلك الذي يصعب من مهمة تحرّك الجيش نحو المدينة، باتجاه باب الوادي أو حتى التخيم بهذه المنطقة.

إنّ المتتبع للتاريخ الحربي بين الإيالة الجزائرية والقوى الأوروبية الغازية بعد تحصين الشاطئ البحري الممتد من مرسى الذبان إلى سور المدينة حيث باب الوادي ، والذي كانت به بعض النقاط الصالحة للرسو، يلاحظ توجه الأساطيل الأجنبية إلى المنطقة الشرقية للمدينة، والممتدة إلى رأس "تامنفوست"، وذلك لوجود مصبات الأودية التي تتصل

¹ - Bonnafont ; Op.cit., P 05.

² - مارمول كربخال، المصدر السابق، ج 2، ص 364.

بالبحر مثل: وادي الحراش، وهي من المظاهر الطبوغرافية الملائمة للإنزال، ومن المزايا الأخرى التي جلبت أنظار الغزاة إلى المنطقة الشرقية اتساعها مقارنة بالناحية الغربية، ما يساعد على إقامة معسكرات للجيش قبل تنفيذ مخطط الهجوم مثل حملة "شارل الخامس" سنة 1541 م الذي أنزل جيشه بمصب وادي الحراش وعسكر بالحامة.

في المقابل شكّلت مرتفعات المدينة خطرا عليها، وذلك لقلة التحصينات جنوب المدينة باستثناء "برج مولاي حسن" الذي تشرف عليه مرتفعات أخرى تركت دون أيّ تحصين يذكر، وهذا مخالف لشروط إنشاء التحصينات بالمدن الإسلامية بجعل الأماكن المرتفعة المشرفة داخل أسوار المدن، أو تحصينها ببنائات عسكرية مستقلة لقطع الطريق أمام استغلالها من طرف العدو ضدّها، وهذا ما حدث خلال الحملة الفرنسية على المدينة سنة 1830م التي أكّدت إحاطة القوات الفرنسية بنقاط ضعفها، والتي تكمن في المرتفعات التي استغلت في احتلال حصن الإمبراطور، ومن ثم احتلال باقي التحصينات ودخول المدينة، وقد أصاب الرحالة الألماني "هابنسترايت" الذي زار الجزائر في النصف الأول من القرن 18م في هذا الشأن عندما قال: «مدينة الجزائر تتفوق في الدفاعات بفضل قلاعها وحصانة موقعها الطبيعي بفعل الجبال العالية التي تحيط بها، إذ يتحتم على كلّ مهاجم لها، احتلال تلك المرتفعات قبل القيام بأيّ عمل عسكري ذي أهمية»⁽¹⁾.

تتوفّر المدينة على مظهر جغرافي آخر له دور في تحصينها، يتمثل في وادي الحراش الذي كان بمثابة خندق طبيعي، يتقدم المدينة من الناحية الشرقية، ورغم أنه استعمل كمحطة لإنزال العدو في أكثر من مرّة، إلّا أنه كان عائقا أمام تحرك الجيش، حيث سبق وأن كلف قوات "شارلكان" خسائر فادحة في الأرواح سنة 1541 م، يضاف

¹ - ج. أو. هابنسترايت، رحلة العالم الألماني ج.أو. هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ - 1732 م). ترجمة وتقديم وتعليق: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، د.ت. ص 75.

إلى ذلك صعوبة الوصول إلى المدينة بسبب التحصينات العسكرية من مدفعية وقوات مرابطة بالمنطقة⁽¹⁾.

مدينة الجزائر بحرية شيدت بخليج يمتد من سيدي فرج غربا إلى "رأس تامنفوست" شرقا، وهذا الساحل البحري الذي يمتد على مسافة حوالي 45 كلم، يتميز بتنوع شواطئه الرملية والصخرية، هذه الأخيرة غير مناسبة للرسو، خاصة في الجزء المحصور بين مرسى الذبان ورأس كاكسين⁽²⁾، في حين الشواطئ الرملية ومصبات الأودية تمت عملية تغطيتها بنقاط دفاعية متنوعة من أبراج وبطاريات⁽³⁾، مثل بطارية وادي الحراش، وبطارية وادي كنيس⁽⁴⁾ وبطارية وادي الحمير⁽⁵⁾، والمغامرة بالرسو فيها عن طريق القوة قد يلحق بالعدو أضرارا كبيرة بفضل تسليحها بالمدفعية التي كثر استعمالها بالواجهة البحرية، حيث تشير الاحصائيات انه كان عددها بالبطاريات الشرقية للمدينة عند احتلالها من طرف الجيش الفرنسي سنة 1830 م يقدر بـ 120 مدفعا⁽⁶⁾. وحسن تحصين وتسليح الساحل البحري لمدينة الجزائر، جعل حظوظ الإنزال بها تكاد منعدمة، والدليل على ذلك ما جاء في تقرير موجه إلى وزير الحرب الفرنسي حول الحملة على مدينة الجزائر مؤرخ بسنة 1827 م، ومما جاء فيه: «الإنزال بالقرب من الميناء أو جوانب المدينة غير ممكن لأنه محصن بعدد كبير من البطاريات مسلحة بالمدفعية تمنع الاقتراب من الشاطئ...»⁽⁷⁾. ما جعل العدو يلجأ إلى حيل حربية نزولا عند مقولة "الحرب خدعة" مثل ما حدث في حملة "اللورد اكسموث" سنة 1816 م، وذلك برفعه للرايات البيضاء على سفنه ما مكنه من الاقتراب من الميناء ومباغته القوات الجزائرية، ألحق على إثرها أضرارا جسيمة

¹- Général Paul Azan ; **Op. cit.**, P 232.

²- **Idem.**, P 231-249.

³- Thibaud- Landiot ; **Op. cit.**, P 13.

⁴- Pélissier E. ; **Op. cit.**, P 66.

⁵- Georges Robert ; **Voyage à travers l'Algérie**, Imprimerie de C. Roucier et C, Paris, France, 1891, P 54.

⁶- Pélissier E. ; **Idem.**, P 87.

⁷- Général Paul Azan ; **Ibid.**, P 231.

بتحصينات الميناء، كما أنّ موقع المدينة البحري عامل آخر وقرّ لها حماية من ناحية البحر⁽¹⁾، حيث يجب على من يريد احتلالها الوصول إلى البرّ، وهذا المراد صعب المنال للأسباب السالفة الذكر.

تضاف الى المزايا السابقة قوة البحرية الجزائرية ذات السمعة الجيدة في حوض البحر الأبيض المتوسط، بفضل أسطولها القوي الذي كان يتزود بقطعه البحرية باستمرار خاصة بتوفر دور الصناعة المحلية بعدد من المدن وفي مقدمتها دار صناعة مدينة الجزائر، زيادة على ذلك نوعية الطاقم البشري المشكل للأسطول، وعلى رأسه رياس البحر والخبرة الكبيرة للبحرية الجزائرية جعلتهم يدافعون على مدينة الجزائر عن طريق مواجهة أعدائهم في البحر بعيدا عن المدينة تجنباً لإلحاق الأضرار بها، وقد طبقت البحرية الجزائرية هذه الخطة بنجاح، ومكنتها من صدّ حملة "Orielly" سنة 1775 م تحت إشراف داي الجزائر "محمد بن عثمان باشا" (1766-1791 م)⁽²⁾.

تاريخ إنشاء أسوار مدينة الجزائر:

يعود تاريخ إقامة أسوار مدينة الجزائر إلى الفترة الزيرية، وتحديدًا القرن 4هـ/10 م تاريخ إنشاء المدينة على غرار عدد من المدن الزيرية نتيجة الأوضاع الأمنية السائدة آنذاك مثل مدينة أشير⁽³⁾، وقد نقل لنا "ابن حوقل" الذي عاش في هذا العهد وصفاً لتحصينات المدينة بقوله: «جزائر بني مزغناي مدينة عليها سور على سيف

¹ - وليم سبنسر، المرجع السابق، ص 40.

² - أحمد توفيق المدني، محمد بن عثمان...، ص. 106-108.

³ - Rachid Bourouiba ; Op.cit., P. 58.

البحر...»⁽¹⁾، وأكد هذا القول الجغرافي المقدسي بقوله: «وجزيرة بني مزغناية على ساحل البحر مسورة»⁽²⁾.

يبدو أنّ أسوار المدينة قد تعرّضت للتجديد على يد المرابطين⁽³⁾، الذين تركوا بصمة معمارية خالدة بالمدينة، تتمثل في الجامع الكبير، ورغم سكوت الجغرافيين العرب الذين عاصروا هذه الدولة أو الذين جاؤوا من بعدها عن ذكر ذلك⁽⁴⁾، إلا أنّهم نقلوا لنا أوصافا حميدة عنها، إضافة إلى بعض الأنشطة الاقتصادية بالمدينة، وعلى رأسها التجارة والصناعة، وهي مؤشرات إيجابية تشجع على إقامة العمران وتطوره، ويظهر ذلك في قول البكري «مدينة جزائر بني مزغنة، مدينة جليلة قديمة البنيان... ومرساها مأمون... يقصد إليه أهل السفن من إفريقية والأندلس وغيرهما»⁽⁵⁾، وفي قول الإدريسي من بعده «مدينة الجزائر على ضفة البحر... وهي عامرة آهلة وتجارها مربحة وأسواقها قائمة وصناعتها نافقة»⁽⁶⁾.

واصل المسلمون استغلال أسوار المدينة في الدفاع عنها بعد سقوط الدولة الموحدية، وقيام الدويلات الثلاثة المعروف عنها بصراعها العسكري الدائم فيما بينها حول السلطة وتوسيع النفوذ خاصة على حساب أملاك الدولة الزيانية بالمغرب الأوسط التي بلغت ذروتها بينها وبين الدولة الحفصية على بعض مدن المنطقة، ومنها مدينة الجزائر، التي انتهى بها الأمر تحت حكم ذاتي تابع للسلطة الحفصية ببجاية، وكانت أسوار المدينة حينها أهم مظهر معماري بالمدينة الذي شدّ انتباه الرحالة العبدري الذي زارها في النصف

1- أبو القاسم بن حوقل النصيبي، المصدر السابق، ص 78.

2- المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط 03، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، 1991، ص 228.

3- حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 70.

4- اسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 160-162.

5- أبو عبيد الله البكري، المصدر السابق، ص 66.

6- الشريف الإدريسي، المغرب وارض السودان ومصر والاندلس، مطبعة بريل، ليدن، د.ت.، ص 89.

الثاني من القرن 7هـ/13 م، وذلك لما كانت عليه من حصانة في قوله: «... ثم وصلنا إلى الجزائر، وهي مدينة لها منظر معجب أنيق وسور معجز وثيق وأبواب محكمة العمل...»⁽¹⁾.

كانت هذه السور في بداية القرن 16 م قائمة ونستشف ذلك من وصف "حسن الوزان" للمدينة قبل خمسة سنوات من فتحها من طرف الأتراك بقوله «... شيّدوا (الإسبان) قلعة جميلة كبيرة في جزيرة صغيرة مقابلة تماما للمدينة وقريبة منها، بحيث كانت قذائف المدفعية تصل إلى اليابسة، بل وتمر فوقها من سور إلى سور...»⁽²⁾، ويقصد بذلك السور القديمة للمدينة والتي يبلغ أقصى امتداد لها نحو الجنوب إلى القصبية البربرية، وهي نفسها التي اخترقها الأتراك من الناحية الغربية حيث باب الوادي في معركتهم مع الإسبان، وتمكنوا على إثر ذلك دخول المدينة سنة 1516 م⁽³⁾.

تعرضت أسوار مدينة الجزائر خلال الحكم التركي إلى عدّة تجديدات وإضافات إلى غاية 1830 م، حيث باشر هذه الأعمال "خير الدين باشا"⁽⁴⁾، إلّا أن أول توسعة للأسوار باتجاه الجنوب، حيث القصبية التركية مع الحفاظ على الحدود الأصلية للمدينة الإسلامية بالجهة الشرقية والغربية، وتدعيمه بنظام دفاعي إضافي متقدم يتمثل في خندق جاف وسور ساتر، تمّ ذلك كلّه على يد "حسن بن خير الدين باشا" سنة 1540 م⁽⁵⁾، لتعرف السور توسعة أخرى بالجهة الشرقية على عهد "عرب أحمد سنة 1573م، وفي المقابل حافظت المدينة على سورها الأصلية وظلّ مسارها ثابتا يتقدم ضريح "سيدي عبد

¹ - محمد العبدري البلنسي، الرحلة المغربية، تقديم: سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة، الجزائر، 2007، ص. 49.

² - الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ص. 38.

³ - Fray Diego de Haedo ; **Histoire...** , P. 23.

⁴ شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص. 336.

⁵ - Victor Berard ; **Indicateur général de l'Algérie**, 03 édition, Bastide, , Paris, France, 1867, P. 103.

الرحمن" من الناحية الشرقية إلى منتصف القرن 19م⁽¹⁾، تاريخ هدم أسوار المدينة وتعويضها بأسوار جديدة أوسع منها، وذلك تحت ذريعة إنشاء مرافق عمومية منها، المستشفيات والمؤسسات التعليمية والثقافية والدينية، إضافة إلى خدمة السياسة الدفاعية للاحتلال بالمدينة في حالة الثورة، وذلك بخلق مساحات واسعة ومكشوفة⁽²⁾، وكان لسياسة التهديم أثر سلبي على عمران المدينة الإسلامية بطمس معالمها خاصة الدينية منها، حيث هدم 129 بناية دينية والمتبقي منها حوّل إلى كنائس ودكاكين بعد مضي 32 سنة من تاريخ الاحتلال⁽³⁾، هذا ما يعكس الحقد العنصري والتعصب الديني للمستعمر الفرنسي، مخالفا بذلك بنود اتفاقية الاستسلام التي تدعو إلى احترام الديانة المحمدية⁽⁴⁾.

الوصف المعمارية لسور مدينة الجزائر:

كانت مدينة الجزائر قبل دخول الأتراك إليها محاطة بسور أقصى امتداد لها جنوبا القصبة القديمة، وعند دخول الأتراك إليها اهتموا بتحصينها، ومن أعمالهم إنشاء قصبة جديدة في مكان أعلى من طرف القائد عروج سنة 1516 م، وبإنشاء رصيف الميناء من طرف "خير الدين" سنة 1532م بعد إنهاء الوجود الإسباني بها بالاستيلاء على حصن "البيينون"، إلا أن أول من جدد أسوارها كان "حسن باشا" سنة 1540 م، حيث قام بدم أسوارها القديمة جنوبا إلى غاية القصبة التركية مشكلة أسوارها الخارجية، وفتحت بها أبواب أخرى على رأسها باب الجديد بالسور الشرقية أسفل القصبة.

جددت هذه الأسوار مرة أخرى سنة 1573 م من طرف "عرب احمد باشا" إلا أن هذا العمل اقتصر على السور الشرقية للمدينة فقط، حيث توسعت شرقا على حساب ربض

¹- Henn klein ; **Feuillets d'El- Djezair**, T. 01, 26 édition du Tell, Alger, 2003, P 74.

²- Aumert ; « **La propriété urbaine à Alger** », in : **Revue Africaine**, N 228, Année 1898, P. 179-200.

³ - الشيخ المهدي البوعبدلي، تاريخ المدن ... ، ص. 58.

⁴- حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص. 172.

باب عزون مع الحفاظ على اتجاه مسارها السابق، وهذه التوسعة في أسوار المدينة باتجاه الجنوب والشرق، جاء نتيجة النمو الديموغرافي السريع وما لحقه من حركة عمرانية كبيرة بالمدينة، أملت على الرعية التوجه إلى النمط العمودي في البناء⁽¹⁾، ويتجلى ذلك في مقولة "روزي" Rozet: «عرفت مدينة الجزائر في فترة حكم "خير الدين" زيادة سكانية بنسبة سريعة، حيث قُدرت سنة 1573م بما يفوق 12 ألف نسمة، وكان بها 100 مسجد و34 مستشفى»⁽²⁾.

كما تتصل هذه التوسعة بالجانب الأمني، كون هذه الواجهة في حاجة إلى التقوية، لأنها مفتوحة على الجهة الشرقية، ما جعلها في خطر مواجهة العدو مباشرة بعد الإنزال على البرّ ولتغطية بعض نقاط الضعف بجعل السور على حافة مجرى أحد الأودية الثانوية لحمايته واتخاذ خندقاً للمدينة في آن واحد، وقطع الطريق أمام العدو الذي قد يستعمله في التحصن من نيران المدافعين لبعده عن السور.

اتخذت السور شكلاً مثلثاً قاعدته عند البحر وقمته عند القصبة⁽³⁾، مدعمة بعدد من الأبراج المربعة الشكل⁽⁴⁾، مسلحة بالمدفعية⁽⁵⁾. وشيّد بدنها بشكل مائل، وهذا التخطيط فرضه التقدّم في نظام التسلّح عند العدو باستعماله للمدفعية⁽⁶⁾، يقدر محيطها بـ 3400 خطوة، إذ يبلغ طولها بالواجهة البحرية 1600 خطوة، وفي الجانب البري 1800 خطوة، ويتراوح متوسط سمكها ما بين 11 و12 شبر أي ما يعادل 2,75 م إلى 3 م⁽⁷⁾، حيث

¹ - ليليان مسلم، «الجزائر نشأة المدينة وتطورها قبل سنة 1830»، من كتاب: القصبة الهندسة المعمارية وتعمير المدن، ديوان رياض الفتح، الجزائر، 1985، ص 23.

² - Rozet et Carette ; **Op.cit.**, P 71.

³ - Alfred Nettement **Op.cit.**, P 442.

⁴ - DR.Shaw; **Op.cit.**, P. 289.

⁵ - Peyssonnel et Desfontaines, **Voyage dans la regence de Tunis et d Alger**, T.01 Librairie de Gide, Paris, 1838, P. 451.

⁶ - الحسين بن علي حكيم، المرجع السابق، ص 396.

⁷ - Fray Diego De Haedo ; **Topographie ...** , P. 23 -36.

يقل سمك هيكله بالقسم العلوي من المدينة كلما اتجهنا من الأسفل إلى الأعلى⁽¹⁾، وذلك للتقليل من ثقلها والزيادة في صمودها، إضافة إلى كون هذه الجهة من المدينة اقل عرضة للخطر، ومحصنة بالمنحدرات الطبيعية، ما ينعكس على عمارتها من حيث السمك والارتفاع، وعلى نوعية الملاحق المعمارية المشكلة لها، وكان سببا في قلة الدفاعات الخارجية لها، التي اقتصر على برج النجمة وحصن الإمبراطور الذين شيّدا خارج سور المدينة جنوب القصبة، مقارنة بالجهة السفلية التي هي في عرضة دائمة للخطر الذي يأتيها من البحر، هذا ما انعكس على توزيع النظام الدفاعي للمدينة بصفة عامة، حيث تركزت معظم التحصينات بهذه الجهة منها، أما ارتفاعها فقدّر بحوالي 30 شبرا بالجهة البرية وبـ 40 شبرا بالواجهة البحرية، لكون هذه الأخيرة شيّدت على أرضية صخرية مرتفعة، صنعت فارقا بـ 10 أشبار⁽²⁾.

شكلت السور بمواد بناء مختلفة من طابية⁽³⁾، وآجر⁽⁴⁾ وحجارة، وهذه الأخيرة التي تعددت مصادرها، بإعادة استعمال الحجارة الجاهزة بالمدن الأثرية القديمة مثل المدينة الرومانية "Rusgunia" بتامنفوست⁽⁵⁾، ومن مدينة تيبازة وشرشال⁽⁶⁾، أو باستخراجها من المحاجر بكل من مقلعة باب الوادي غرب "وادي المغاسل" التي تواصل العمل بها في الحقبة الاستعمارية⁽⁷⁾، إضافة إلى مقالع أخرى بإقليم دار السلطان نذكر منها: محجرة الحامة شرق المدينة ومحجرة الشفة بنواحي البليدة⁽⁸⁾، كان يشغل بها العبيد والأسرى

¹-Vincent-Yves Boutin, **Op.cit.**, P 192.

²- Fray Diego De Haedo ; **Topographie ...** , P. 23.38.

³- Lanfreducci et Bosio ; **Op.cit.**, P. 537.

⁴- Peyssonnel et Desfontaines, **Op.cit.**, P. 445.

⁵- الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ص. 42. راجع:

- Victor waille ; « **Découverte archéologique au Cap Matifou** » ; in : **Revue Africaine**, N 224, Année 1897, P 279.- Adrien Berbrugger ; « **La colonie de Rusgunia** », ; in : **Revue Africaine**, Année 1859-1860, P. 36-41.

⁶- Albert Devoulx ; **Alger...** , P. 304.

⁷ Adrien Berbrugger, **Les époques militaires...**, p.133.

⁸ - علي خلاصي، قصبة مدينة الجزائر... ، ص.29.

وجماعات من الفئة البرانية⁽¹⁾. وظاهرة إعادة استغلال مواد البناء أو العناصر المعمارية، وحتى هياكل البنايات في حدّ ذاتها لا تقتصر على دولة أو حضارة محددة، فلدينا أمثلة كثيرة عن ذلك من التاريخ القديم والإسلامي، فقد استعمل البيزنطيون في بناء الأسوار والحصون على مواد بناء المدن الرومانية بالجزائر والتي خربها الوندال والبربر مثل: مدينة تبسة⁽²⁾، والمسلمون كذلك اعتمدوا على هذه الطريقة بشكل واسع لتأمين مواد وعناصر بناء عمائرهم، ففي الفترة العباسية استعمل "المنصور" أبواب مدينتي الشام وواسط الأمويتين في عمارة أسوار مدينة الزّوراء⁽³⁾، كما اعتمد الأيوبيون من بعدهم على الحجارة المجلوبة من أهرامات الجيزة في بناء أسوار القاهرة⁽⁴⁾، واستخدمت هذه المواد أيضا في عمارة المباني الغير عسكرية، وحتى الدينية منها، والمتتبع لعمارة المساجد بالمغرب الأدنى، يلاحظ اعتماد المسلمين على مواد البناء بالمواقع القديمة الرومانية والبيزنطية في بناء بعض مساجدهم من القرن الأول للهجرة إلى فترة الحكم العثماني لها، ولدينا أمثلة عن ذلك بمسجد القيروان ومسجد الزيتونة ومسجد يوسف داي⁽⁵⁾.

¹ - ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 102

² - مبارك محمد الملي، المرجع السابق، ج. 1، ص. 371.

³ - عبد الله عبد الرحيم السوداني، المرجع السابق، ص 46.

⁴ - عبد العزيز سالم، "سياسة صلاح الدين الدفاعية عن مصر في البر والبحر ضد قوى الصليبيين"، مجلة التاريخ

العربي، العدد 02، الرباط، المغرب، 1997، ص 25.

⁵ - Ahmed Sadaoui ; «Le Remploi dans les mosquées ifriquiennes aux époques médiévale et moderne», in : études d'antiquités africaines, CNRS édition, Paris, France, 2008, P. 295.

يبدأ مسار السور من الركن الشمالي الغربي للمدينة بالقرب من البحر، حيث توجد "طبانة الحمام المالح"، وتمتد جنوباً إلى أن تتصل بباب الوادي على بعد 45 م منها⁽¹⁾، يستمر مسار السور جنوباً وعلى بعد 400 خطوة، هناك بطارية مشيّدة بالطابية⁽²⁾، وهي تعرف "ببطارية سيدي رمضان" شيّدت بنفس موضع القصبة القديمة⁽³⁾، وبالقرب منها كانت توجد باب "سيدي رمضان" (باب النصر)، وهي أقل شأناً من الأبواب الرئيسية الأخرى للمدينة.

تواصل السور مسارها جنوباً وعلى بعد 30 م عن البطارية السابقة، شيّدت بطارية أخرى، لم تذكر باسم معيّن كانت حسب مخطط 1832 مزودة بثلاث فوهات نارية، وعلى بعد 225 م إلى أعلى توجد طبانة "الريح"، وقد كانت تحت إشراف الباش طوباجي الذي تمتد مسؤوليته من طبانة "سيدي رمضان" إلى غاية القصبة⁽⁴⁾.

بعد امتداد السور على مسافة 800 خطوة عن باب الوادي تتصل بالقصبة⁽⁵⁾، وتواصل امتدادها إلى الأمام مشكلة السور الخارجية لها إلى أن تتصل بأعلى نقطة منها، حيث توجد البطارية رقم 05 من مجموع البطاريات السبعة التي تحمي القصبة، ويمثل هذا المكان رأس المثلث أين تلتقي السور الغربية بالسور الشرقية لمدينة الجزائر.

تعدّ هذه البطارية بداية السور الشرقية للمدينة، التي تمتد نزولاً باتجاه البحر، وعلى بعد 90 م من القصبة نجد باب "الجديد" الذي يعود إلى عهد التحصينات العثمانية الأولى تحميها بطارية كانت على جانبها الأيسر وتحمل نفس اسمها، تحافظ السور على مسارها

¹ - علي خلاصي، قصبة مدينة الجزائر ...، ص. 59.

² - Fray Diego De Haedo ; **Histoire...** , P. 28.

³ - ألبارت ديفولكس، خطط مدينة الجزائر من خلال مخطوط ديفولكس والأرشيف العثماني، ترجمة وتحقيق، مصطفى بن حموش وبدر الدين بلقاضي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات، 2004، ص 55.

⁴ - نفسه، ص. 55-56.

⁵ - Fray Diego De Haedo ; **Topographie...** , P. 28.

نزولا إلى البحر وعلى بعد 220 م عن البوابة السابقة كانت هناك بطارية "حومة السلاوي"⁽¹⁾، يستمر امتداد السور نزولا وعلى بعد 150 م عن البطارية الأخيرة و450 خطوة عن القصبة، شيدت "باب عزون" تعلوها بطارية تحمل اسمها⁽²⁾.

نجد أسفل باب "عزون" على بعد 75 م منها، عند ساحل البحر بطارية أخرى تمثل آخر تحصينات السور الشرقية تعرف باسم طبانة "العسل" من عمل "عرب أحمد" سنة 1573م⁽³⁾، وتعتبر هذه الطبانة بداية السور البحرية باتجاه الشمالي الغربي، وهي أكثر تحصينا مقارنة بالسورين الآخرين، كونها دعمت بعدد كبير من البطاريات دون احتساب تحصينات الميناء الموزعة على امتداد رصيف "خير الدين"، وعلى بعد 70 م منها نجد بطارية "المارستان" ثم "برج باب البحر" الذي يتقدم دار الصناعة، ويمتد بشكل طولي، وفي آخره كانت هناك باب "البحر" أسفل الجامع الجديد، وخلف هذا الأخير مباشرة عند نهاية جدار القبلة هناك طبانة "قاع السور" ومنها تستمر السور نحو الأمام إلى أن تتصل بالجامع الكبير^{(*) (4)}، وقد كان المسجد الكبير جزءا من السور البحرية المطلة على الميناء⁽⁵⁾، وإلى ذلك أشار "حسن الوزان" في قوله: >>>... وهي كبيرة... أسوارها رائعة متينة جدا، مبنية بالحجر الضخم... ويشاهد من جملة بناءاتها، جامع ممتاز في غاية

¹- Fray Diego De Haedo ; **Histoire...** , P. 29.

²- Albert Devoulx ; **Alger...** , P. 246.

³- Fray Diego de Haedo ; **Topographie...** , P. 28.

* كان موضعه بشارع البحرية، ليس بعيدا عن قصر "الجنينة"، وهو من أقدم مساجد مدينة إلى جانب مسجد "السيدة" شيد من طرف المرابطين في القرن 5هـ / 11 م أما مؤنثته المربعة الشكل، فأقامها الزيانيون في القرن 8 هـ / 14 م، والرواق الذي يتقدمه ويطل على شارع البحرية، تم بناؤه سنة 1837 م، من قبل سلاح الهندسة بإعادة استعمال أعمدة وتيجان منقولة من مسجد "السيدة" الذي هدم بعد مدة قصيرة من دخول الاحتلال إلى المدينة.

هو مسجد خاص بالمالكية، كانت تنعقد به مجالس المحاكمة التي يشرف عليها مفتي المالكية والحنفية بمساعدة عدد من القضاة لإعادة النظر في بعض القضايا التي تحوّل من الديوان إليهم، راجع:

- Victor waille ; <<Autour des mosquées d'Alger>> ; in: *Revue Africaine*, N° 232, Année 1899, P 08.

⁴- Sakina Missoum ; **Alger à l'époque Ottomane, la madina et la maison traditionnelle**, INAS. Alger, 2003, P. 72.

⁵-Michel Vander Meerschen ; **Op.cit.**, P. 46.

الكبر على شاطئ البحر، أمامه ساحة جميلة جدا، اتخذت على سور المدينة ذاته الذي تتلاطم عند أسفله أمواج البحر...»⁽¹⁾، كما أكد ذلك أيضا "مارمول" في قوله: «... وعلى ساحل البحر مسجد شامخ رائع يوجد في واجهته رواق ينظر إلى البحر، وجداره الموالي للبحر جزء ممتد على سور المدينة وتتحطم أسفله الأمواج»⁽²⁾، وحسب صورة أرشيفية لميناء مدينة الجزائر، تظهر أن الواجهة البحرية للمسجد الكبير، كانت به مجموعة من المزاغل⁽³⁾، وقد وقفنا على هذه الظاهرة بمسجد مستغانم خلال المعاينة الميدانية لأسوارها، واستخدم الأتراك أيضا إحدى مآذن قسنطينة في منع الاحتلال من دخول المدينة سنة 1836م⁽⁴⁾.

اعتمد المسلمون على عمارة المساجد بشكل واسع في الأغراض العسكرية، وذلك باستخدامها في عملية المراقبة والإنذار والتعبئة مثل المساجد الساحلية بجزيرة جربة بتونس⁽⁵⁾ وقد أثرت الأوضاع الأمنية في عمارة المساجد بصفة عامة، فنظرا لاتخاذها ملاجئ للمدافعين عندما يشتد الضغط عليهم، قام المسلمون بتدعيمها بالأبراج والزيادة في سمك جدرانها وينطبق هذا على جامع "الهواء" بتونس 7هـ / 13م⁽⁶⁾، وجامع المنصورة بتلمسان وإن كانت عمارة هذا الأخير متصلة أيضا بالحرب النفسية التي كان يمارسها المرينيون ضد الزيانيين عند محاصرتهم انطلاقا من المنشآت المعمارية، وظهرت هذه التأثيرات المعمارية أيضا في إنشاء المساجد السرية، وإلى هذا أشار "خير الدين باشا" في

¹ - الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ص 37.

² - مارمول كرخال، المصدر السابق، ج 2، ص 363

³ - Malek Alloula ; **Alger photographiée au XIX siècle**, édition Rais, Alger, 2001, P 36.

⁴ - Esquer (G.) ; « Quelques peintres de la conquete d'Algérie »; in: *Revue Africaine*, N° 232, Année 1929, P 37-57. **Voir** - Georges Robert ; **Op.cit.**, P 144.

⁵ - رياض المرابط، « دور المساجد في تشكل النظام الدفاعي المحلي بجزيرة جربة إلى نهاية العصر الوسيط »، *المجلة التونسية للتاريخ العسكري*، العدد: 03، تونس، د.ت، ص. 24.

⁶ - عبد العزيز الدولاتي، *مدينة تونس في العهد الحفصي*، دار سیراس للنشر، تونس، 2002، ص. 174.

مذكراته بذكره لنوع من المساجد التي أقامها المسلمون بالأندلس تحت الأرض للتعبّد سرّاً خوفاً من اضطهاد الإسبان لهم⁽¹⁾، كما يتجلى ذلك في عمارة المسجد بمنطقة القبائل، بتوجهه في مخطّطه بشكل عمودي، جعل منه قلعة حقيقية وأكسبه الأولوية الدفاعية، وذلك لجمعه بين ميزة الامتناع والإشراف المتصلتان بعلوه⁽²⁾.

تمتد السور من الجامع الكبير إلى أن تتصل بباب "الجزيرة" ويحمي هذا الجزء طابنتين من عمل الأندلسيين⁽³⁾، الطبانة الأولى تعرف بطبانة "الجامع الكبير" وتبعد عن طبانة "قاع السور" بـ 80م⁽⁴⁾، والطبانة الثانية تسمى طبانة "الأندلس" (الجمرك) شيّدت أسفل ثكنة "الدروج" بالقرب من باب البحرية على الجانب الأيسر من المول (رصيف خير الدين).

تتابع السور مسارها من باب الجزيرة، حيث كانت على يمينها طبانة مجهولة الاسم، ومنها تستمر السور باتجاه ربض باب الوادي متخذاً شكل الانكسارات التي تمتاز بها المنحدرات الصخرية على حافة البحر إلى أن يتصل بطبانة "سباط الحوت" على بعد 190م من باب الجزيرة، لنتهي السور مسارها عند طبانة "الحمام المالح" على بعد 130م عن الطبانة السابقة⁽⁵⁾. أنظر المخطط رقم: 02.

¹ - خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص. 30.

² - Commandant Durosset ; **Excursion...** , P. 274.

³ - Roset et Carette ; **Op.cit.**, P 69.

⁴ - Albert Devoulx ; **Alger...** , P. 337.

⁵ - **Idem.**, P. 345.

استمر الفرنسيون في استغلال أسوار المدينة بعد احتلالها إلى غاية 1841، تاريخ بعث مشروع إنشاء سور جديدة للمدينة تحت إشراف الجنرال "شارون" وامتد العمل بها لبعض السنوات قبل الفراغ من إنجازها سنة 1848 م، وتمتد هذه السور خارج الأسوار التركية لتضم مساحة 118 هكتار بعد أن كانت تقدّر بـ 41 هكتار⁽¹⁾.

يبدأ مسار السور الفرنسية من موضع طَبَّانة "سيدي الكتّاني" عند ساحل البحر بشاطئ باب الوادي، يتجه مسارها إلى الأعلى نحو الجبل خلف برج 24 ساعة، لتتصل بباب الوادي (الباب الفرنسية الحديثة)، ومن مكان الباب تواصل السور مسارها بطريقة غير منتظمة، نظرا لإنحدار وانكسار أرضية تشييدها، وتمرّ بالقرب من القصبة بمكان إنشاء "برج النجمة" حيث كانت باب "فالي" Vallé إلى أن تستقر أعلى حي الثغرين والقصبة بطول إجمالي يقدر بـ 1600 م⁽²⁾، تتجه السور من هذه النقطة نزولا إلى البحر، وعلى بعد مسافة قصيرة تتصل بباب "الساحل" الذي نصل من خلاله إلى حصن "الإمبراطور" وإلى مدينة الدويرة⁽³⁾.

تواصل السور مسارها نزولا بمجموعة من التدرجات لتضم ريبض باب "عزون" داخلها حيث فتحت بها بابين، أولهما يعرف بباب "إيسلي" Isly (باب قسنطينة) والثاني بباب "عزون"⁽⁴⁾، وكان موضعهما يتقدم البريد المركزي من الناحية الشرقية، ومن هذا الموضع تمتد السور إلى أن ينتهي مسارها عند المنحدر الصخري بجانب برج باب "عزون" عند ساحل البحر على امتداد طوله 1500 م⁽⁵⁾. أنظر المخطط رقم: 03.

¹ - قاسي محروور، «الجزائر والصدمة الاستعمارية، تقلبات وتغيرات»، من كتاب: القصبة الهندسة المعمارية والتعمير، ديوان رياض الفتاح، الجزائر، 1985، ص. 34.

² - Victor Berard ; **Op.cit.**, P. 105.

³ - Louis Piesse ; **Op.cit.**, P. 17.

⁴ - Victor Berard ; **Idem.**, P. 105.

⁵ - Georges Robert; **Op.cit.**, P. 20.

أبواب مدينة الجزائر:

كانت لمدينة الجزائر خلال العهد العثماني ستة أبواب⁽¹⁾، خمسة منها رئيسية⁽²⁾، وأربعة من هذه الأخيرة بالجهة البحرية⁽³⁾، ويمكن اعتبار أبواب الجهة السفلية من المدينة من الأبواب التي ورثها الأتراك عند دخولهم المدينة سنة 1516 م من المدينة الإسلامية، والتي حافظت على مواضعها بالسور أو على الأقل على اتجاهاتها مثل: باب عزون بالسور الشرقية التي جددت في النصف الثاني من القرن 16 م، نظرا لأعمال التوسعة التي عرفتها سور المدينة بهذه الجهة. **أنظر المخطط رقم: 02.**

يشرف على الأبواب قائد يعرف بقائد الباب، وهو المسؤول على مفاتيحها، وتحت تصرفه حراس يسهرون على أمنها، ولتحقيق ذلك كانت تغلق ليلا من منتصف الليل إلى الساعة الرابعة صباحا⁽⁴⁾.

باب الواد:

موقعها وتاريخها:

هي من أقدم أبواب مدينة الجزائر، سميت بهذا الاسم نسبة إلى الوادي الذي يصب بمقربة منها⁽⁵⁾، وعرفت عند الفرنسيين باسم باب الغرب، بعد احتلالهم المدينة⁽⁶⁾، كان موقع الباب بالجهة الشمالية الغربية على بعد 45 م من طبانة "الحمام المالح" وأسفل

¹- DR.Shaw; **Op.cit.**, P. 289. **Voir** : - Mecel Emrit, « un astronome Français à Alger en 1729 », in : *Revue Africaine*, Année 1940, P. 253.

²- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص. 336.

³- أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 81.

⁴- Henn klien ; **Op.Cit**, P.68-74. **Voir** :- Chevalier D'Arvieux ; **memiore de Chevalier D' Arvieux**, T.05, Paris, S.D., P. 222.

⁵-Bonnafont ; **Op.cit.**, P. 05.

⁶-Sander Rang ; **Op.cit.**, P. 86.

"ضريح سيدي عبد الرحمن" ونصل إليها عبر جسر ثابت فوق الخندق الجاف الذي يتقدمها من الناحية الخارجية⁽¹⁾. أنظر الصورة رقم: 04.

كانت الباب حسب ما ذكره "هايدو" تعلوها ستة فتحات للمدفعية موزعة على الواجهات الخارجية الثلاثة لها بمعدل فتحتين نحو كل اتجاه، أما " البيرت ديفولكس" Albert Devoulx الذي خصص جانبا من دراسته لتحصينات مدينة الجزائر، قال أنها كانت بها أربعة قطع مدفعية وكلها مصوبة باتجاه واحد⁽²⁾.

تتصل الباب بمركز المدينة الذي يوجد بالقسم السفلي منها(الوطاء) حيث قصر الجنية بشارع باب الوادي، أحد الشوارع الرئيسية لمدينة الجزائر، وتفتح على الخارج، حيث ربض باب الوادي الذي كانت به المقبرة الإسلامية والمقبرة الخاصة بالمسيحيين واليهود⁽³⁾، وبه كانت تتم عملية إعدامهم عن طريق الحرق⁽⁴⁾ وذلك لقرب المكان من سوق الحطب والفحم⁽⁵⁾، كما كانت الباب منفذا إلى عدد من حصون المدينة مثل حصن باب الوادي وحصن الإنجليز وحصن مرسى الذبان على ساحل البحر غرب البلاد، وإلى حصن النجمة (محمد باشا) وحصن الإمبراطور جنوب المدينة أعلى القصبة⁽⁶⁾، ومنها يخرج الأهالي إلى جبل بوزريعة وإلى أفران الجير ومقالع الحجارة التي ظلّ العمل جاريا بها⁽⁷⁾.

¹ - علي خلاصي، قصبة مدينة الجزائر...، ص. 53.

² - ألبارت ديفولكس، المرجع السابق، ص. 54.

³ - Abd Elhadi Manssour ; **Op.cit**, P 72-73.

⁴ - Mercel Emrit ; « Le voyage de la condamine à Alger », in : *Revue Africaine*, Année 1954, P 371.

⁵ - Albert Devoulx ; **Tachrifat...**, P 50.

⁶ - ليليان مسلم وآخرون، القصبة الهندسة المعمارية وتعمير المدن، ط. 1، ديوان رياض الفتح، الجزائر، 1985، ص 65.

⁷ - Albert Devoulx ; **Idem.** , P 52.

تعرضت الباب إلى الهدم من طرف الفرنسيين خلال أشغال بناء رصيف الميناء، كون عمارة الباب الضيقة شكّلت صعوبات لدخول العربات الناقلة للحجارة، حيث عوّضوها بباب جديدة واسعة سنة 1841 م، وهدّمت مرة ثانية سنة 1846 م، وشيّدوا عوضها بابا أخرى بعيدة عنها، وتتقدّمها من الناحية الغربية محافظة على اسمها واتجاهها⁽¹⁾.

باب عزون:

موقعها وتاريخها:

يقال أنّها سميت بهذا الاسم نسبة إلى أحد الجزائريين اسمه "عزون" ثار ضدّ الأتراك بعد دخولهم المدينة، وحقق انتصارات خلال فترة حصاره لهم⁽²⁾، سنة 1528 م⁽³⁾، كانت قائمة بالجنوب الشرقي، أسفل باب الجديد على بعد حوالي 400 خطوة منها⁽⁴⁾، وهي من الأبواب الأصلية للمدينة، جددت عمارتها من طرف "عرب أحمد" سنة 1573 م تاريخ تجديد السور الشرقية⁽⁵⁾، حيث عرفت المدينة نوعا من التوسعة باتجاه الشرق، ولكن دون أن يؤثر ذلك على موضع الباب من السور واتجاهها، وقد ذكر لنا: "أ. ديفولكس" شيئا عن عمارتها في قوله: «وباب عزون عبارة عن مدخلين أحدهما في السور الخارجية والآخر في السور الداخلية، تفصل بينهما مسافة 34 م، والباب الداخلي يعلوه عقد، وعرضه 17م، وهذا المدخل يؤدي إلى فضاء محصور بين سورين يعرف عند السكان "بسوق السمارين"، وفي السور الخارجية توجد الباب الثانية ليست بعيدة عن ضريح سيدي منصور»⁽⁶⁾، وكانت مزودة بجسر متحرك من الخارج⁽⁷⁾، كما كانت الباب تزينها

¹- Henn klien ; **Op.cit.**, P75.

²- Abd Elhadi Manssour ; **Op.cit.**, P.73. **Voir :** - Chevalier D'Arvieux, **Op.cit.**, P. 221.

³- Bonnafont ; **Op.cit.**, P. 05.

⁴- Fray Diego De Haedo ; **Topographie...** , P. 24.

⁵- Fray Diego De Haedo ; **Histoire...** , P. 79-80.

⁶- Albert Devoulx ; **Alger...**, in : **Revue Africaine** , N° 20/ 1876. P. 248.

⁷- Abd Elhadi Manssour ; **Idem.**, P.73.

صورة عقرب منحوتة على إحدى القطع الحجرية المشكّلة لهيكلها، وحسب السكان هي بمثابة طلسم ضدّ العقارب⁽¹⁾، أو حتى الأعداء، وهذه الظاهرة تقليد متوارث في العالم الإسلامي بمشرقه ومغربيه، ولدينا مثال لها بباب الحلبة الذي يعرف كذلك "بباب الطلسم" لأنه كان أعلى الباب تمثال متربع على جانبيه تمثال أفعى عظيمة، وعدّ العامة ذلك طلسمه لبغداد تحفظها من الأعداء⁽²⁾. أنظر الصورة رقم: 05.

تفتح الباب على شارع "باب عزون" الذي يؤدي إلى مركز المدينة، حيث قصر الجنيّة ودار السكة والجامع الكبير ومسجد السيدة ومسجد البحرية... الخ، ومنه نخرج إلى ربض باب عزون الذي كانت به المقبرة الإسلامية⁽³⁾، حيث كانت مجموعة من النشاطات الاقتصادية مثل: المدايح والمذابح وأسواق المواشي والحبوب⁽⁴⁾ والفحم⁽⁵⁾ وأفران الآجر⁽⁶⁾، وقد وزعت هذه النشاطات التجارية والاقتصادية وفق ما هو معمول به في عمارة المدن الإسلامية، بجعلها خارج أبواب المدينة، وذلك لعدّة اعتبارات، الهدف منها دفع الضرر عن الرعية، إضافة إلى طبيعة هذه النشاطات التي تحتاج إلى مساحات واسعة، إلى جانب تقريبها من بعضها البعض، لتوفير المادة الأولية كجعل المدايح بالقرب من المذابح لوجود تكامل بين الصناعتين.

¹- Mercel Emrit, **Un Astronome...**, P254.

²- صبري فارس الهيتي، المرجع السابق، ص. 16.

³- Fray Diego De Haedo ; **Topographie...** , P 187.

⁴- Delphin (G.); « **Le Fort Bab –Azoun** » ; in: *Revue Africaine*, N °252-253/ 1904 ,P 197.

⁵- Albert Devoulx ; **Tachrifat...** , P 30.

⁶- Chevalier D'Arvieux ; **Op.cit.**, P 220.

كانت عمليات الإعدام^(*)، تتم عند الباب⁽¹⁾، بتعليق المذنبين بالكلايب الستة المثبتة أعلاها⁽²⁾ وكانت تعلّق بها أيضا رؤوس الثوار، حيث عندما ثارت "فليسة" في العقد الثاني من القرن 19 م ضدّ السلطة التركية، قام قائد قيادة "سباو" بتأديبها وقطع 60 رأسا من الثوار، وعلقت بالباب لتكون عبرة لمن تسول له نفسه القيام بالتمرد والامتناع عن أداء واجباتهم للسلطة الرسمية بالبلاد⁽³⁾.

هدمت باب عزون سنة 1841 م، وعوضت بباب جديدة في نفس موضعها، وبإنشاء السور الفرنسية الجديدة للمدينة سنة 1850 م عوضت بباب "إيسلي" Isly أعلى برج باب عزون التي هدمت بدورها سنة 1897 م⁽⁴⁾.

باب الجزيرة:

موقعها وتاريخها:

كان موضعها بالسور البحرية للمدينة على يمين الميناء⁽⁵⁾، وتحتل المكان الذي يربط هذا الأخير بالمدينة عند مدخل رصيف "خير الدين" على بعد 200 خطوة من باب "الجمرك" من الناحية الغربية لها⁽⁶⁾، وتعرف عند العامة باسم "باب الجزيرة" تحريفاً لإسم جزيرة⁽⁷⁾، وقد وردت في الدراسات التاريخية بمسميات كثيرة نذكر منها: باب البحرية، باب

* كانت عملية الإعدام خلال حكم الأتراك للجزائر، تتم خاصة عند أبواب المدينة الثلاثة باب عزون وباب الواد وباب الجديد، وتتفد بطريقة الشنق والحرق، وبإغراقهم في الماء، إضافة إلى الطريقة السابقة الذكر. راجع:

- Henn klien ; **Op.cit.**, P73. - Thiboud Landroit ; **Op.cit.**, P20.

¹- Albert Devoulx ; **Tachrifat...**, P. 31.

²- Henn klien ; **Idem.**, P73.

³- - Adrien Berbrugger ; **Les époques...**, P. 129.

⁴- Henn klien ; **Ibid.**, P.74.

⁵- Bonnafont ; **Op.cit.**, P. 05.

⁶- Fray Diego de Haedo ; **Topographie...**, P. 05.

⁷- Du Chastelet Des Boys ; « **L'Odyssée** », in : **Revue Africaine**, N° 62, Année 1867, P. 165.

الميناء⁽¹⁾ وباب المول⁽²⁾ وباب الجهاد⁽³⁾، وباب الديوان، وأخيرا باب فرنسا بعد احتلال المدينة سنة 1830⁽⁴⁾.

أطلقت هذه التسميات عليها لارتباطها بعدّة وظائف، فتسميتها بباب البحرية وباب الجهاد، لأنها كانت يخرج منها⁽⁵⁾، جنود البحرية في جهادهم ضد الأعداء⁽⁶⁾، إضافة إلى القياد والتجار⁽⁷⁾ وسميت بباب الميناء وباب المول، لأنها تحتل المكان الذي يربط المدينة بالميناء عبر الرصيف البحري (المول) المعروف باسم رصيف "خير الدين"⁽⁸⁾، أما تسميتها بباب الديوان، كون القسم السفلي من المدينة يوجد به ثلاث شوارع رئيسية، كلّها تؤدي إلى قصر الجنيّة، حيث يجتمع الديوان للنظر في أمور الإيالة، وهذه الشوارع هي باب عزون وباب الوادي وشارع البحرية الذي يربط بين قصر الجنيّة (قصر الحاكم) وباب الجزيرة، وهو أقرب الشوارع إليها⁽⁹⁾.

يعتبر الباب من أقدم مداخل المدينة، وإن لم يكن لدينا تاريخ ثابت عن إنشائه، إلّا أنّ الأكيد أنه خلال النصف الأول من القرن 16 كان قائما، والدليل على ذلك الكتابة التأسيسية للباب التي تعود إلى عهد حسن آغا (1533-1544) سنة 1539 م على يد المعلم موسى الأندلسي⁽¹⁰⁾.

¹- Albert Devoulx ; **Tachrifat...** , P. 84.

²- DR.Shaw ; **Op.cit.** , P 293.

³ - Gabriel Colin ; **Op.cit.**, P 37.

⁴ - Albert Devoulx ; **Alger...** , in : **Revue Africaine** , N° 20/ 1876 P 340.

⁵- Abd Elhadi Manssour ; **Op.cit.**, P7.

⁶ - Albert Devoulx ; « **La Batterie des andalous à Alger**», in : **Revue Africaine**, Année 1872, P. 340.

⁷- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص. 336.

⁸- Fray Diego de Haedo ; **Topographie...** ,P. 26.

⁹ - **Idem.**, in : **Revue Africaine**, N° 88, 1871, P. 390.**Voir** :- Lucien Golvin ; **Palais et demeures d'Alger à la période Ottomane**, EDISUD, Paris, 1988, P. 20.

- وليم سبنسر، المرجع السابق، ص. 46.

¹⁰ - Gabriel Colin ; **Idem.**, P. 38.

نص الكتابة:

بحمده هذا باب جديد سعيد، جهازها فيه لنا نعم المجد من الإله الحميد/ في أيام السلطان مراد صان علاه المجيد، فقلت أهلا يا باب لا فارقتك السعود/ مفتوحا فأنت باب جود ونصر جديد. جذاك ولقربك ديار فيها جنود/ في يوم عيد مسرور تهزم أسود، نصر لهم وفتح قريب وفضل وجود/ ثمة المعلم موسى الأندلوسي الفريد. فالله يجزيه جمع مجامع الرشد/ وذلك في دولة مولانا حسين باشا، أيده الله عام 1539.

ظلت الباب قائمة إلى أن هدمها الفرنسيون⁽¹⁾ سنة 1870 م من أجل توسعة ثكنة Lemercier (ثكنة الدروج سابقا)⁽²⁾، أما عمارة الباب، فكانت عبارة عن هيكل كبير، يتوج فتحتها عقد نصف دائري يتراوح عرضها ما بين 4 و5 قامات، وارتفاعها بقامة ونصف⁽³⁾.

كانت الباب مزينة بعناصر زخرفية متنوعة، مثل الهلال الذي استعمل أيضا في باب عزون ويرمز إلى الإسلام⁽⁴⁾، وإلى الدولة العثمانية الممتدة من الشرق إلى الجزائر غربا، إضافة إلى الأعلام والأسود، هذا العنصر الزخرفي الحيواني كثير الاستعمال في العمارة الحربية الإسلامية، ونجد له مثالا بباب "بريقشة" بمدينة المونستير⁽⁵⁾ التونسية والذي يرمز إلى القوة والشجاعة⁽⁶⁾، وإلى الحماية والأمان والسلطة، وإلى مواصفات الحاكم الحازم والعاقل⁽⁷⁾، وتزينها زخارف أخرى مثل: المدافع والسفن التي ترمز إلى الأسلحة القديمة للجزائر⁽⁸⁾، كما زين الباب بالأجراس الخمسة التي نقلت إليها من مدينة وهران بعد فتحها من طرف الباي بوشلاغم سنة 1708⁽⁹⁾.

¹- Louis pisse ; **Alger et ses environs**, Librairie Hachette et C., Paris, France, 1897, P 15.

²- Gabriel Colin ; **Op.cit.**, P. 39.

³- Chevalier D'Arvieux, **Op.cit.**, P. 222.

⁴- عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص. 317.

⁵- عاطف منصور محمد رمضان، المرجع السابق، ص 628.

⁶- ناصر الرباط، المرجع السابق، ص. 69.

⁷- Henn klieen **Op.cit.**, P68-75.

⁸- Peyssonnel et Desfontaines ; **Op.cit.**, P. 447. **Voir**: - Mercel Emrit, **Le voyage...**, P. 379.

باب البحر:

موقعها وتاريخها:

هي ثاني باب فتحت بسور الواجهة البحرية للمدينة بعد باب الجزيرة⁽¹⁾، كان موضعها غرب دار صناعة السفن على بعد 40 خطوة منها⁽²⁾، وتحديدا أسفل المسجد الجديد (جامع البحرية)⁽³⁾ الذي شيد مكان المدرسة البوعنابية في النصف الثاني من القرن 17 م⁽⁴⁾.

اتخذت الباب عدة تسميات نذكر منها باب دار الصناعة⁽⁵⁾، كونها كانت تؤدي إلى ورشة صناعة السفن بمقربة منها⁽⁶⁾، وتعرف أيضا بباب الجمرك (الديوانة)⁽⁷⁾ نسبة إلى إقامة الجمارك التي كانت بجانبها، حيث يتم عندها إنزال وتسجيل السلع المجلوبة من التجار المسيحيين قبل دخولها إلى المدينة⁽⁸⁾.

ونفس التسمية يطلقها البعض على باب الجزيرة، التي كانت تدفع عندها أيضا حقوق السلع الخاصة بالمسلمين⁽⁹⁾، ويدعم هذه الفكرة قول "هايدو": «كانت السلع التي تجلبها سفن الأندلسيين والأتراك تنزل في رصيف الميناء»⁽¹⁰⁾، الذي يقصد به رصيف "خير الدين" ما يعني إدخالها من باب الجزيرة، وتحمل باب البحر تسمية أخرى تعرف بباب المسمكة (السردين والمصيصة)، لأنها تؤدي إلى حيث ترسو سفن الصيد⁽¹¹⁾.

¹- Lanfreducci et Bosio ; **Op.cit.**, P 573. **Voir** :- Alfred Nettetment ; **Op.cit.** P. 444.

²- Fray Diego De Haedo ; **Topographie...**, P. 26.

³- Henn kien ; **Op.cit.**, P 47-68-75.

⁴- Albert Devoulx ; **Alger...**, in: *Revue Africaine*, N° 20, 1875, P. 519.

⁵- **Idem.**, P 252.

⁶- Chevalier D'Arvieux, **Op.cit.**, P. 222.

⁷ - شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص. 336.

⁸- Fray Diego De Haedo ; **Idem.**, P. 26.

⁹- Gabriel Colin ; **Op.cit.**, P. 39. **Voir** :- Du Chastel Des Boys ; **Op.cit.**, P.165.

¹⁰ - Fray Diego De Haedo ; **Ibid.**, P. 26.

¹¹-Peyssonnel et Desfontaines, **Op.cit.**, P. 447. **Voir** :- Chevalier D'Arvieux ; **Idem.**, P. 222.

باب الجديد:

موقعها وتاريخها:

كان موضعها بالجهة الجنوبية من المدينة في المسافة المحصورة بين القسبة وباب عزون من السور الشرقية⁽¹⁾، أسفل القسبة، وتفتح على شارع باب الجديد بالقسم العلوي من المدينة، والذي يصلها بأسفلها، حيث كان قصر الجنية ساحة الحكومة الفرنسية⁽²⁾، التي تعرف بساحة الشهداء حاليا، كما تعتبر منفذ المدينة إلى برج النجمة وحصن الإمبراطور أعلى المدينة⁽³⁾.

اشتهرت الباب باسم باب الجديد لأنها أحدث عهدا من باقي أبواب المدينة⁽⁴⁾، ويطلق عليها أيضا اسم "باب حصن الإمبراطور" حسب ما جاء في أحد مخططات مدينة الجزائر مؤرخ بسنة 1734م⁽⁵⁾، لكونها تفتح على الطريق المؤدية إلى هذا الحصن⁽⁶⁾، وقد وردت الباب باسم ثالث وهو باب القسبة في مخطط آخر للمدينة يحمل تاريخ 1563م⁽⁷⁾، وذلك لقربها من القسبة.

كانت عمليات إعدام المسيحيين تتم بهذه الباب على غرار باب عزون بعد أن جهزها عمر باشا بستة كلاليب (خطاطيف) لتعليق المذنبين المحكوم عليهم بالإعدام⁽⁸⁾، وقد تابع سكان مدينة الجزائر الاعتماد على الباب الجديد منذ أن شيدت في القرن 16م، إلى أن هدمت من طرف الفرنسيين سنة 1850م إلى جانب تحصينات هذا القسم من المدينة،

¹ - Fray Diego De Haedo ; **Op.cit.**, P 24.

²-Bonnafont ; **Op.cit.**, P. 07.

³- Lanfreducci et Bosio ; **Op.cit.**, P. 520. **Voir:** - Chevalier D'Arvieux, **Op.cit.**, P. 221.

⁴- Abd Elhadi Manssour ; **Op.cit.**, P.73.

⁵- ليليان مسلم وآخرون، المرجع السابق، ص. 69.

⁶- Peyssonnel et Desfontaines, **Op.cit.**, P. 278. **Voir:** George Robert; **Op.cit.**, P. 33.

⁷-Mikel de Epalza et Juan BTA. Vilar ; **Op.cit.**, P 96.

⁸ - Henn klien ; **Op.cit.**, P.39-73.

وعدد من معالمها المعمارية مثل: مسجد باب الجديد الذي كان بالقرب منها⁽¹⁾، وتمت هذه العملية في إطار إنشاء سور جديدة، حيث عوّضت الباب بباب الساحل التي هدمت سنة 1951م⁽²⁾.

باب سيدي رمضان:

موقعها وتاريخها:

يظهر من خلال مخطط 1734 م لمدينة الجزائر أن باب "سيدي رمضان" كانت بالسور الغربية للمدينة، حيث تحتل موقعا وسطا منها⁽³⁾، وتحديدًا خلف مسجد سيدي رمضان⁽⁴⁾ بالقرب من القسبة.

ليس لدينا تاريخ محدد لإنشاء الباب، إلا أن بعد مقارنة ما توفر لدينا من المعلومات، نرجّح أنها تعود إلى القرن 16 م، ف"هايدو" الذي يعدّ من أقدم من خصّ تحصينات مدينة الجزائر بالوصف لم يذكرها بالاسم، إلا أنه أشار إلى وجود باب صغيرة بالقرب من القسبة ومستقلة عنها، تبعد عن باب الواد بحوالي 800 خطوة، مفتوحة باتجاه الجنوب الغربي ومخصصة لخروج الجنود⁽⁵⁾.

كما ذكر "فيكتور بيرارد" وجود باب ثانوية أسفل القسبة بسور المدينة القديمة تحمل إسم باب النصر⁽⁶⁾، وهذا لا يتعارض مع مخطط المدينة التركية لسنة 1734 م، الذي ذكرت الباب فيه باسم باب "النصر".

¹-Aumerat ; **La propriété...**, P. 185.

²- Henn clien ; **Op.cit.**, P.73.

³- ليليان مسلم وآخرون، المرجع السابق، ص. 69.

⁴- Louis pisse ; **Itinéraire...**, P. 17.

⁵- Fray Diego De Haedo ; **Op.Cit.**, P 24.

⁶- Victor Berard ; **Op.cit.**, P. 104.

عرفت باب سيدي رمضان بأسماء أخرى مثل باب القطار، كونها كانت تفتح على ريف القطار المجاور لها⁽¹⁾، وهي منفذ القسم العلوي من المدينة باتجاه الجنوب، حيث برج النجمة وحصن الإمبراطور، وفي نفس الوقت يمكن الوصول من خلالها إلى ربض باب الوادي، بعد سلوك الطريق العابرة للمنحدرات الغربية خارج أسوار المدينة، حيث يمكن دخول المدينة من باب الوادي أو الوصول إلى التحصينات المختلفة المقامة خارجها⁽²⁾، وهذه الباب موجهة بالدرجة الأولى لخروج الجند من القسبة خلال أداء مهامهم، وبقيت عمارتها قائمة إلى أن هدمها الاحتلال الفرنسي خلال أعمال التوسعة بهذه الجهة.⁽³⁾

أشار "هايدو" إلى وجود باب أخرى بسور القسبة تحمل إسم باب القسبة، وهي مفتوحة باتجاه الجنوب الغربي معدة لخروج الجند مثل سابقتها (سيدي رمضان)⁽⁴⁾، قد تكون نفسها التي ذكرها "بونافون" Bonnafont باسم باب المنصور بقوله: «كانت بالأسوار الخلفية للقسبة»⁽⁵⁾، والغاية من عدم إعطاء اسمها المباشر لضرورة أمنية⁽⁶⁾، وهي الأخرى من الأبواب الثانوية للمدينة تصل القسبة بخارجها، تمّ الكشف عنها خلال عمليات التنقيب التي أجريت بالقسبة، حيث تبين أنّ مكانها جاء مطابقاً لما ذكره "هايدو" بالجهة الجنوبية الغربية بين مسجد الداوي وجناح الحريم، ويمرّ قبوها تحت المطابخ الكبرى، وكانت تفضي إلى حدائق واسطبلات خيول الداوي وكبار رجال الدولة⁽⁷⁾.

¹- Henn klein ; **Op.cit.**, P.68-75.

² - ليليان مسلم وآخرون، المرجع السابق، ص. 69.

³- Louis pisse ; **Op.cit.**, P. 17.

⁴- Fray Diego De Haedo ; **Op.cit.**, P. 24.

⁵- Bonnafont ; **Op.cit.**, P. 06.

⁶- **Idem.**, P. 06.

⁷- علي خلاصي، القلاع والحصون ... ، ص. 53.

الطبانات الملحقة بسور مدينة الجزائر:

طبانة الحمام المالح:

موقعها وتاريخها:

شيّدت في الركن الشمالي الغربي أسفل باب الواد على بعد 45 م منها للدفاع عن الجبهة البحرية، من طرف "علاج علي" (1568-1571) سنة 1568⁽¹⁾، وتعرضت للتجديد سنة 1576م من طرف رمضان باشا خلال فترة حكمه الأولى (1574-1577)⁽²⁾، وقد فقدت كثيرا من أهميتها بعد بناء "برج الزوينة" الذي شيّد تداركا لنقاط الضعف في تحصينات هذه الجهة⁽³⁾. أنظر المخطط رقم 02.

كانت الطبانة خلال القرن 16 م تشغل مساحة 20 خطوة مربعة، وقدّر ارتفاعها بحوالي 26 شبرا (6,50 م)، استعمل في بنائها التراب المركوم، وفتحت بها تسع فوهات للمدفعية، ثلاثة منها باتجاه الشمال، وثلاثة صوب الغرب، والثلاثة المتبقية نحو الجنوب الشرقي، لكن لم تسلح منها خلال هذه الفترة إلا خمسة فتحات، ثلاثة باتجاه البرّ وإثنتان إلى البحر.⁽⁴⁾

حافظت الطبانة على نفس قدرة تسليحها إلى نهاية الحكم التركي للجزائر⁽⁵⁾، تحت إشراف "باش طوباجي" وباحتلال المدينة صنّفها الاحتلال الفرنسي تحت رقم 12، وبقيت قائمة إلى أن تعرّضت للهدم سنة 1866 م⁽⁶⁾.

¹ - Albert Devoulx ; **Alger...** , in : *Revue Africaine*, N 20, 1876, P. 148. **Voir** :
- **Idem.** , in : *Revue Africaine*, N 21, 1877, P. 145.

² - علي خلاصي، المرجع السابق، ص. 54.

³ - Fray Diego De Haedo ; **Op.cit.**, P. 27.

⁴ - **Idem.**, P 27.

⁵ - Sakina Missoun **Op.cit.**, P. 89.

⁶ - علي خلاصي، المرجع نفسه، ص. 59.

طبانة سيدي رمضان:

موقعها وتاريخها:

توجد أعلى باب الوادي باتجاه الجبل على بعد 230 م منها⁽¹⁾، وتحتل نفس موضع القصبة القديمة⁽²⁾. تعرف طبانة "سيدي رمضان" باسم طبانة "قطع الرجل" فالتسمية الأولى لقرب مكان تشييدها من مسجد "سيدي رمضان"⁽³⁾، والتسمية الثانية مرتبطة بالمكان الذي كان ينطلق منه الإعلان بإغلاق أبواب الدور، وانقطاع المشي في الشوارع (حظر التجول)، ولا يزال المكان يحافظ على اسمه إلى يومنا هذا، وهو نفسه الذي كان يحمل في الفترة الاستعمارية اسم شارع "صالومون"⁽⁴⁾. أنظر المخطط رقم 02.

شيّدت طبانة سيدي رمضان بطريقة منتظمة مخططها رباعي الشكل، ويتكون من طابقين يتشكل الطابق الأرضي من ثلاث قاعات مقببة تتجه من الشرق إلى الغرب.

نصل إلى الطابق العلوي من القاعة المواجهة للمدينة، بواسطة سلم يؤدي مباشرة إلى السطح الذي يحميه سائر، فتحت به ثلاثة عشر فتحة للمدفعية⁽⁵⁾، سبعة باتجاه الشمال الغربي وأربعة باتجاه الشمال الشرقي، وإثنتان باتجاه الجنوب الشرقي⁽⁶⁾، وهي تحمل الرقم 11⁽⁷⁾، في تصنيف الاحتلال لحصون المدينة، ولا تزال قائمة إلى يومنا هذا.

¹ - Sakina Missoun ; **Op.cit.** , P. 89.

² - ألبارت ديفولكس، المرجع السابق، ص 55.

³ - Albert Devoulx ; **Alger...** , in : *Revue Africaine*, N 20, 1876, P. 148.

⁴ - ليليان مسلم، <<جدول بأسماء الشوارع والأزقة في الوقت الحاضر وفي عهد الاحتلال الفرنسي وقبل سنة 1830 >>، من كتاب: القصبة الهندسة المعمارية وتعمير المدن، ديوان رياض الفتح، الجزائر، 1985، ص. 170.

⁵ - علي خلاصي، المرجع السابق، ص. 59.

⁶ - Albert Devoulx ; **Op.cit.**, P. 149.

⁷ - Sakina Missoun ; **Idem.**, P. 89.

طبانة سرکاجي:

موقعها وتاريخها:

شيّدت في الجزء المحصور بين طبانة "سيدي رمضان" وطبانة "رحاة الريح" على بعد 30م عن الأولى⁽¹⁾، وأطلق عليها اسم طبانة "سرکاجي" لأنها كانت تقابل المدخل الجنوبي لسجن "سرکاجي".⁽²⁾ أنظر المخطط رقم: 02.

كانت عمارة الطبانة حسب مخطط 1832 م مربعة الشكل مزودة بسبعة فتحات للمدفعية، ثلاثة باتجاه الشمال الشرقي، وثلاثة في الاتجاه المعاكس، وواحدة باتجاه الجنوب الغربي⁽³⁾، ورقّمت عند دخول الفرنسيين الجزائر تحت رقم 10⁽⁴⁾.

طبانة طاحونة الريح:

موقعها وتاريخها:

كان موضعها أسفل القصبة التركية على بعد 255 م عن طبانة "سيدي رمضان" وبـ 225م عن طبانة "سرکاجي"، ويطلق على هذه الطبانة كذلك اسم طبانة "حانوت الزين" ويشرف عليها "باش طوباجي" الذي تمتد سلطته على تحصينات السور من طبانة "سيدي رمضان" إلى القصبة، واستمر دورها الدفاعي إلى تاريخ احتلال المدينة من طرف الفرنسيين الذين أدرجوها تحت رقم 09⁽⁵⁾. أنظر المخطط رقم: 02.

¹- Albert Devoulx ; **Alger...** , P. 149.

²- علي خلاصي، المرجع السابق، ص. 59.

³- Albert Devoulx ; **Idem.**, P. 149.

⁴- علي خلاصي، المرجع نفسه ، ص. 59.

⁵- Albert Devoulx ; **Ibid.** , P. 150.

كانت هذه الطبانة تتسع لاستيعاب تسعة قطع مدفعية، موزعة على النحو التالي: أربعة باتجاه الشمال الغربي، وثلاثة باتجاه الشمال الشرقي، والثامنة باتجاه الغرب والأخيرة في الزاوية الشمالية⁽¹⁾.

طبانة باب الجديد:

موقعها وتاريخها:

تقع أسفل القسبة على بعد 90 م⁽²⁾، وقد ذكر "هايدو" على أنها كانت على الجانب الأيسر من الباب، مشيدة بالتراب المركوم على ارتفاع 23 شبرا (5,75 م)، وبها ستة فوهات للمدفعية، اثنتان بالواجهة الداخلية باتجاه الجنوب، والأربعة المتبقية موزعة على جانبيها بمعدل فتحتين بكل جانب⁽³⁾، ويبدو أن هذه الطبانة قد تعرضت للتجديد في الفترات اللاحقة كون مخطط 1832م للمدينة أظهر أنه كان بها تسعة فوهات للمدفعية، وزعت بمعدل ثلاثة فوهات باتجاه الجنوب والجنوب الغربي، وثلاثة باتجاه الشمال الغربي، والثلاثة المتبقية باتجاه الشرق والجنوب الشرقي، وكانت تحت إشراف قائد المدفعيين، ورقمت عند دخول الفرنسيين تحت رقم 08⁽⁴⁾. أنظر المخطط رقم: 02.

اتخذت الطبانة شكلا مستطيلا، طوله 21 م، وعرضه 17م، يحتوي طابقها الأرضي على قاعة رباعية الشكل مغطاة بقبو يفصل المستويات العليا عن بعضها، ويتكون سطحها من ثلاثة مستويات، يحميها الساتر، حيث فتحت فوهات المدفعية⁽⁵⁾.

¹ - Albert Devoulx ; **Chronique...** , in : *Revue Africaine*, 1872, P. 80.

² -Albert Devoulx ; **Alger...**, P. 246.

³ - Fray Diego De Haedo ; **Op.cit.**, P. 28.

⁴ - Albert Devoulx ; **Alger...** ,P 28.

⁵ - علي خلاصي، المرجع السابق، ص.61.

طبانة حومة السلاوي:

موقعها وتاريخها:

كان موضعها بحومة "السلاوي" التي أزيلت في الحقبة الاستعمارية لإنشاء ساحل لالير⁽¹⁾ أسفل طبانة باب الجديد بـ 250 م في الجزء المحصور بين الطبانة السابقة الذكر وباب عزون⁽²⁾، أعلى الثكنة الانكشارية الفوقانية⁽³⁾.

كانت تضم تسعة فوهات للمدفعية الواحدة باتجاه الغرب، وأربعة اتجاه البحر، وأربعة أخرى باتجاه الشرق، ويشرف عليها "باش طوباجي" تمتد سلطته إلى غاية باب الجديد⁽⁴⁾، صنفت في الفترة الاستعمارية تحت رقم 07، وبقيت عمارتها قائمة إلى أن هدمت سنة 1870 م، عند فتح شارع "وريدة مداد"⁽⁵⁾. أنظر المخطط رقم: 02.

طبانة العسل:

موقعها وتاريخها:

هي آخر طبانة بسور باب عزون نزولا باتجاه البحر، كانت بشارع فندق العسل، الذي أصبح يحمل في فترة الاحتلال اسم شارع "ليتوي"⁽⁶⁾، في الركن الجنوبي الشرقي للمدينة على جانب البحر أسفل باب عزون بـ 75 م⁽⁷⁾. أنظر المخطط رقم: 02.

¹ - ليليان مسلم، جدول بأسماء ... ، ص. 177.

² - Albert Devoulx ; **Alger...**, P. 246.

³ - Sakina Maissoun, **Op.cit.**, T. 02. P. 72.

⁴ - Albert Devoulx ; **Idem** ., P. 246.

⁵ - علي خلاصي، المرجع السابق، ص. 61.

⁶ - ليليام مسلم، المرجع نفسه ، ص. 175.

⁷ - Albert Devoulx ; **Chronique...**, in : Revue Africaine, N 88, 1871, P. 397-398.

أشار "هايدو" إلى أن هذه الطبانة من عمل "عرب أحمد" سنة 1573 م، وهي مربعة الشكل، شغلت مساحة 400 م² وارتفاعها 25 شبرا (6،25 م)، شيدت بالتراب المركوم⁽¹⁾، وقد يرجع ذلك لاحتلالها ركنا من أركان السور، حيث تلتقي سور باب عزون بسور الواجهة البحرية لتقويته، إضافة إلى احتلالها مكانا هاما من المدينة، جعلها عرضة مباشرة لمدفعية العدو من الناحية البحرية مثل: طبانة "الحمام المالح" ما أوجب إقامتها على هيئة كتلة واحدة من التراب للصمود أكثر أمام العدو، وأضاف "هايدو" قائلاً أنها: >> كانت مجهزة بتسعة فوهات للمدفعية، ثلاثة باتجاه الجنوب الغربي وثلاثة باتجاه الجنوب الشرقي، وثلاثة باتجاه الشمال الغربي، ولم تكن مسلحة إلا بثلاثة قطع من العيار الصغير>>⁽²⁾، وقد حافظت على شكلها العام إلى نهاية الحكم التركي للجزائر⁽³⁾، وصنفتها الإدارة الفرنسية تحت رقم 06⁽⁴⁾، وبقيت عمارتها قائمة رغم الأضرار التي لحقت بها نتيجة العوامل الطبيعية إلى أن هدمت سنة 1875 م لإنجاز ساحة "بريسون" Place Bresson وهي نفسها ساحة "نابليون"⁽⁵⁾.

¹- Fray Diego De Haedo ; **Op.cit.**, P 28.

²- **Idem.**, P 28.

³- Sakina Missoum, **Op.cit.**, P 72-89.

⁴ - أليارت (ديفولكس)، المرجع السابق، ص 67.

⁵- Albert Devoulx ; **Alger...**, P. 250.

Voir : - Albert Devoulx ; **Chronique...** , P. 399.

طبانة المارستان:

موقعها وتاريخها:

تعدّ ثاني بطارية بالواجهة البحرية بعد طبانة العسل، شيدت في خط مستقيم معها، على بعد 70 م عنها بالقرب من مستشفى المجانين الذي أخذت منه تسميتها، وكان يشرف عليها "باش طوباجي"⁽¹⁾. أنظر المخطط رقم: 02.

مخطط الطبانة رباعي الشكل، فتحت في أحد أضلاعه أربعة فوهات مدفعية موجهة نحو البحر⁽²⁾، وقد كانت تحمل رقم 05 قبل هدمها لشق شارع زيروت يوسف⁽³⁾.

طبانة باب البحر:

موقعها وتاريخها:

تقع على يسار باب البحر على بعد 250 م عن طبانة "المارستان"⁽⁴⁾، شيدت الطبانة بشكل طولي، أسفل دار الصناعة في الجزء المحصور بين باب البحر والمنطقة التجارية التي كانت بها سوق الخياطين وسوق الزيت⁽⁵⁾، تتكون من طابقين مسلحين بـ 36 قطعة مدفعية يشرف عليها "باش طوباجي"، وصنفت تحت رقم 04⁽⁶⁾. أنظر المخطط رقم: 02.

¹- Albert Devoulx ; **Alger...**, P. 250.

²- Sakina Missoum, , **Op.cit**, P 72- 89.

³- علي خلاصي، المرجع السابق، ص. 64.

⁴- Albert Devoulx ; **Idem.**, P. 336.

⁵- Sakina Missoum, , **Idem.**, P 26- 72.

⁶- علي خلاصي، المرجع نفسه، ص. 59.

طبانة قاع السور:

موقعها وتاريخها:

شيّدت الطبانة خلف الجامع الجديد مباشرة عند نهاية جدار القبلة⁽¹⁾، على بعد 20 م عن باب البحر⁽²⁾، تتكون الطبانة من واجهة واحدة ممتدة على نفس اتجاه السور، ومسلحة بأربعة مدافع، صنفت من طرف الاحتلال تحت رقم 03، وحوّلت خلال هذه الفترة إلى مسكن، وهدمت سنة 1867 م رفقة طبانة الأندلس⁽³⁾. أنظر المخطط رقم: 02.

طبانة الجامع الكبير:

موقعها وتاريخها:

شيّد الأندلسيون الذين فروا من بطش الإسبان إلى الجزائر أواخر القرن 15م، في الجزء المحصور بين المسجد الكبير ورصيف "خير الدين" طابنتين طبانة الجامع الكبير وطبانة الأندلس، تقع الطبانة الأولى بالقرب من جامع الكبير، وتشرف على الرصيف الثاني الذي يشكل مدخل السفن إلى الميناء مع رصيف "خير الدين" على بعد حوالي 80 م عن طبانة قاع السور⁽⁴⁾. أنظر المخطط رقم: 02.

تعتبر الطبانة امتدادا لسور الواجهة البحرية، وكانت مسلحة بأربعة قطع مدفعية، ويشرف عليها "باش طوباجي"، وصنفت من طرف الاحتلال تحت رقم 02⁽⁵⁾، وقد تعرضت للهدم جرّاء عمليات التوسعة التي حلّت بالمدينة في الفترة الفرنسية⁽⁶⁾.

¹- Sakina Missoum, , **Op.cit.**, P. 72.

²- Albert Devoulx ; **Op.cit.** , P. 337.

³- **Idem.** ; P 337-339.

⁴ - **Ibid.**, P 337.

⁵- **Ibid**, P 337.

⁶ - Rozet et Carette, **L Algerie** , Paris, France , 1850, p. 69.

طبانة الأندلس:

موقعها وتاريخها:

كانت تتقدم ثكنة الدروج من الناحية البحرية في موضع قريب من باب البحر، على الجانب الأيسر لرصيف "خير الدين"⁽¹⁾، على بعد 120 م عن طبانة الجامع الكبير⁽²⁾، تعرف الطبانة أيضا باسم طبانة "الكومارجي" (الجمارك) لأنها كانت تشرف على بناية بالرصيف، حيث يدفع التجار المسلمون حقوق الدخول إلى المدينة⁽³⁾. أنظر المخطط رقم: 02.

كانت هذه الطبانة قائمة على عهد "هايدو" الذي ذكر أن: «على امتداد السور البحرية بداية من طبانة "العسل" باتجاه الشمال الغربي كانت خالية من أي تحصين يذكر إلى غاية المول، حيث يوجد حصن طوله 30 خطوة وعرضه 40 خطوة، يتشكل من مخابئ وسطح يحميه ساتر يمتد من الشمال إلى الجنوب، يتحكم في الميناء، وهي من عمل القائد "صفر" سنة 1551 م...»⁽⁴⁾.

تعرضت الطبانة منذ القرن 16م إلى عدّة تجديدات، كانت آخرها بعد حملة "اللورد إكسموث" على المدينة سنة 1816م، استعملت في تشييدها مادة الدبش، ثم كسيت بالحجارة المصقولة.⁽⁵⁾

بعد أن كانت الطبانة تتسع لـ 23 مدفعا خلال القرن 16، أصبحت تقدر بـ 17 فوهة مدفعية، موزعة على الشكل التالي: تسعة باتجاه الميناء واثنان باتجاه الجنوب وأربعة

¹- Sakina Missoum ; **Op.cit**, T. 02, P .72. **Voir** : - Albert Devoulx ; **La Batterie...**, P. 340-341.

²- Albert Devoulx ; **Alger...**, P. 339.

³- Albert Devoulx ; **La Batterie...**, P. 342.

⁴- Fray Diego De Haedo ; **Op.cit.**, P. 29.

⁵- Albert Devoulx ; **Idem.**, P. 342.

باتجاه مدخل الميناء واثنان تتحكمان في مدخل المدينة، استعملت للدفاع عن الميناء وللإعلان عن عيد الفطر وعيد الأضحى، وتواصل العمل بهذا التقليد إلى أن ألغاه الداوي حسين⁽¹⁾، وبقيت الطبانة قائمة في فترة الاحتلال الذي صنفها تحت رقم 01 إلى أن هدمت خلال عملية تجديده للواجهة البحرية للمدينة سنة 1867 م⁽²⁾.

طبانة سبع تبارن:

موقعها وتاريخها:

تقع في الجزء المحصور من السور بين باب "الجزيرة" وطبانة "الحمام المالح" أقرب إلى هذه الأخيرة بمسافة 130 م⁽³⁾، وكان يطلق عليها أيضا اسم طبانة "سباط الحوت"، وطبانة "مامي أرنو"⁽⁴⁾.

شيّدت الطبانة بشكل بارز عن السور البحرية للمدينة وسلحت بأربعة قطع مدفعية كلّها بالضلع الأمامي لها، تحت إشراف "باش طوباجي"، وعند دخول الاحتلال الفرنسي إلى المدينة أخذت الرقم 03⁽⁵⁾. أنظر المخطط رقم: 02.

¹- Albert Devoulx ; **Op.cit.**, P. 342.

²- Albert Devoulx ; **Alger...**, P. 339.

³- **Idem**, P 345.

⁴- Sakina Missoum ; **Op.cit.**, T. 02, P 89.

⁵- Albert Devoulx ; **Ibid.**, P. 345.

خندق مدينة الجزائر:

ذكر "هايدو" أن مدينة الجزائر (ق 16 م) محاطة كلياً بخندق عرضه 16 خطوة⁽¹⁾، وكانت أجزاء منه في حالة سيئة، ما دفع بحاكم الجزائر "عرب أحمد باشا" إلى إصلاحه سنة 980 هـ / 1572-1573⁽²⁾، وقد اقتصرَت عملية الإصلاح على الخندق الذي يتقدّم السور الشرقية للمدينة، حيث بلغ عرضه 20 خطوة وعمقه 07 قدم، وتواصلت أعمال ترميم الخندق وصيانته في الفترات اللاحقة، ففي سنة 1598م قام "مصطفى باشا" بتنظيف وتوسعة الجزء الآخر منه ناحية باب الوادي⁽³⁾، وتدخل هذه العملية ضمن تحسين دفاعات المدينة والاحتراز من العدو، ورافقت هذه العملية هدم المباني والبساتين المحيطة بالمدينة لخلق فضاء شاغر في جوانب المدينة من الداخل والخارج، يعرف في النظام الدفاعي بالفيصل، الغرض منه تسهيل حركة المدافعين، والحفاظ على أمن الرعية، بجعلهم بعيدين عن نيران العدو، ولكي لا يتخذ من هذه العوائق المعمارية والنباتية متاريس يحتمي بها عند مهاجمته المدينة⁽⁴⁾، أو يستعملها في ردم الخندق خاصة الأشجار التي كانت بكثرة حوله.⁽⁵⁾

خندق مدينة الجزائر من النوع الجاف⁽⁶⁾، شيدّ جانباه بشكل مائل⁽⁷⁾، ثم تمّ صقلهما لمنعهما من الانحراف⁽⁸⁾، خاصة أثناء المواسم الممطرة. أنظر المخطط رقم: 02.

¹– Fray Diego De Haedo ; **Topographie...** , P.30.

²– Gabriel Colin ; **Op.cit.**, P. 24-26.

³– Abd Elhadi Manssour ; **Op.cit.**, P68.

⁴– مصطفى بن حموش، **فقه العمران الإسلامي...** ، ص. 110.

⁵–Francois Lanfreducci Et Bosio ; **Op.cit**, P 539.

⁶– Thiboud Landroit ; **Op.cit**, P12.

⁷ Vencent-yves boutin ; **Op.cit.**, P192.

⁸– رجب محمد غازي، **المرجع السابق**، ص. 335-336.

يتقدّم الخندق من النّاحية الخارجية سور ساتر، ويظهر ذلك جليا في قول "مارمول":
«لها سور بها خندق عميق وحواجز من جميع الجهات»⁽¹⁾، استعمل في تحصين
المسافة الممتدة ما بين باب الجديد وباب عزون، إضافة إلى أسفل وأعلى باب
الوادي⁽²⁾. أنظر الصورة رقم: 06.

يتراوح ارتفاع هذه السور ما بين 2 إلى 3م، وسمكها من 12 إلى 15 شبرا (3-
75م)⁽³⁾، وهذا النوع من الأسوار يعتبر السور الواقى للسور الرئيسية للمدينة، ويمثل
في الغالب ربع ارتفاعها⁽⁴⁾، تعلوها شرفات هرمية الشكل فتحت فيها مزاغل للرماية،
ونفسها استعملت في أعلى السور الرئيسية إلى جانب الشرفات ذات الشكل المنتظم⁽⁵⁾.

تحصينات ميناء مدينة الجزائر:

إنّ الميناء الطبيعي لمدينة الجزائر، الذي كانت تحميه الجزر البحرية، المنفصلة عن
بعضها، لم يتوفر على الحماية اللازمة من العواصف التي كانت تشكل خطرا على
السفن، ما دفعها إلى الاحتماء بالشواطئ القريبة غرب وشرق المدينة⁽⁶⁾، بكل من شاطئ
باب الواد وبالمكان الذي يحاذي باب عزون قرب ضريح سيدي عبد القادر⁽⁷⁾، ولكن بعد
إنهاء الوجود الإسباني بالمدينة من طرف "خير الدين باشا" سنة 1529م، فكّر في إنشاء
ميناء اصطناعي، وجسّد ذلك ميدانيا ببناء رصيف للميناء، ويعدّ من أعظم أعماله
المعمارية على الإطلاق، وذلك بالربط بين الجزر الأربعة، باستعمال بقايا حصن

¹ - مارمول كريخال، المصدر السابق، ص 364.

² - Pellissier (E.) ; **Op.cit.**, P65. **Voir :** - Alfred Nettement ,**Op.cit.**, P 443.

³ - Alfred Nettement ; **Idem.**, P. 443.

⁴ - وليم جورج مارسلي، المرجع السابق، ص 137.

⁵ - Malek Alloula ; **Op.cit.**, P. 63- 68.

⁶ - Fray Diego De Haedo ; **Histoire...**, P. 43.

⁷ - علي خلاصي، المرجع السابق ، ص. 19.

"البيينون" ومواد البناء المجلوبة من المدينة القديمة بتامنقوست، ومن محجرة باب الواد⁽¹⁾، واعتمد في ذلك على آلاف الأسرى من المسيحيين⁽²⁾، وتطلّب إتمامه قرابة العامين، وتحديدًا سنة 1532 م⁽³⁾، وبهذه الطريقة وُقِر حماية نسبية لأسطوله⁽⁴⁾، خاصة من العواصف البحرية الغربية، وشكّل أرضية لتكون قاعدة للبنىات التي شيدت عليه⁽⁵⁾، ومن ضمنها مجموعة من التحصينات الممتدة من مدخل الميناء، حيث برج "رأس المول" إلى برج "راس عمار" دون إغفال دفاعات الحاجز الرابط بين هذا الحزام الأمني باليابسة، حيث مدخل المدينة، وبه كانت مخازن الميناء السبعة⁽⁶⁾، التي شيدها الحاج علي باشا (1809-1815) سنة 1814 م لخزن الحبال وعتاد المراكب، إضافة إلى مؤونة الجيش⁽⁷⁾.

تعرّض رصيف الميناء إلى عدّة عمليات إصلاح، وتمت أولها على عهد "حسن بن خير الدين باشا" (1544-1552م)، الذي يعود له الفضل في تحصين الجزيرة الكبيرة، حيث كان موضع حصن "البيينون" ببطاريات بسيطة، وتسليحها بمدافع صغيرة العيار⁽⁸⁾، وتلتها عملية أخرى سنة 1556 م خلال فترة حكم "صالح رايس" (1552-1556)، فاتح بجاية، الذي قام ببناء حاجز آخر للرصيف أكثر ارتفاعًا من الأول، الذي كان لا يتعدى ارتفاعه 4م، وسمكه 2,5م على عهد "خير الدين باشا"، ودعمه بساتر من الصخور الكبيرة التي مصدرها محجرة باب الوادي لحمايته من أمواج البحر⁽⁹⁾، وخلال فترة حكم "عرب أحمد" (1571-1573)، وهو من بين الحكام الذين عرف عنهم

¹- Du Chastelet des Boys ; **Op.cit.**, P 34. **Voir** : - Albert Devoulx ; **Alger...**, P 350.

²- Fray Diego De Haedo ; **Topographie...**, P. 14.

³- Frauy Diego de Haedo ; **Histoire...**, P. 44.

⁴- Fray Diego De Haedo ; **Topographie...**, P. 23.

⁵- Sander Rang ; **Op.cit.** , P. 356.

⁶- Albert Devoulx ; **Idem.**, P. 478-479. **Voir** : - Henn klien ; **Op.cit.**, P 77.

⁷- علي خلاصي، المرجع السابق، ص. 23.

⁸- Albert Devoulx ; **Ibid.**, P. 351.

⁹- Rozet et Carette, **Op.cit.**, p. 72. **Voir** : - Sander Rang ; **Idem.**, p 369.

حرصهم على تأمين البلاد⁽¹⁾، قام سنة 1573 م بتعزيز دفاعات الجزيرة السابقة، بإنشاء سور لكنها أقل ارتفاعا من سور رصيف "خير الدين"، وجيَّزها بالمدفعية، ودعّم هذا العمل ببناء برج المنارة وبرج آخر⁽²⁾، برأس المول عند مدخل الميناء، وكان حينها مسلحا بمدفعين من العيار الخفيف⁽³⁾.

بعد تولي "علي باشا نقسيس" الحكم (1754-1766م) استهل عهده سنة 1754م بمواصلة أعمال سابقه، حيث زاد في تقوية حاجز الرصيف، وأضاف رصيفا آخر أقصر من رصيف "خير الدين" لكنه أعرض منه، لتغطية الميناء من الناحية الجنوبية الغربية⁽⁴⁾، وهكذا أخذ الميناء شكله النهائي الذي كان على شكل نصف دائري بمساحة إجمالية تقدّر بـ 3 هكتارات وقد ذكر الرحالة الإنجليزي شو Shaw أنّ «طوله يقدر بـ 130 قامة و 80 قامة عرضا، وأقصى عمق له لا يتعدى 15 قامة»⁽⁵⁾ هذا ما أهله لاستيعاب أربعين سفينة⁽⁶⁾، تدخل إليه من الناحية الجنوبية في الجزء المحصور بين نهاية الرصيف الكبير (رأس المول) والرصيف الصغير، الذي ثبتت فيه السلسلة المعدنية المستعملة في غلقه⁽⁷⁾.

تواصلت عمليات إصلاح الميناء، وذلك إما لحمايته من العواصف أو الأعداء⁽⁸⁾، إلى أواخر الحكم التركي للجزائر، حيث دعّم نظامه الدفاعي المعماري بعدد من البطاريات والأبراج، مثل برج "مابين" و"برج عمار الجديد" اللذان شيّدا على عهد الداوي حسين آخر

¹ - أحمد توفيق المدني، محمد بن عثمان ... ، ص. 30.

² - Fray Diego De Haedo ; **Topographie...**, P. 29.

³ - Lanfreducci et Bosio ; **Op.cit.**, P. 537.

⁴ - علي خلاصي، المرجع السابق، ص. 21.

⁵ - DR.Shaw ; **Op.cit.**, P. 289.

⁶ - Albert Devoulx ; **Alger...** , in : *Revue Africaine*, N 21, 1877, P. 64.

⁷ - Sander Rang ; **Op.cit.**, p 371.

⁸ - Albert Devoulx ; **Idem.**, in : *Revue Africaine*, N 20, 1876, P. 531.

دايات الجزائر⁽¹⁾، إضافة إلى تسليحها بعدد كبير من المدافع، حيث قدر عددها بـ 293 مدفعا أغلبها من العيار الكبير⁽²⁾.

بعد احتلال المدينة انتقلت المباني الحربية الجزائرية إلى الجيش الفرنسي، وفقا لما نصّ عليه البند السادس من اتفاقية الاستسلام، ومن ضمنها مباني البحرية⁽³⁾، حيث شغل دار الصناعة والبطاريات سلاح المدفعية وجزء منها سلاح الهندسة، واتخذت مخازن رصيف "خير الدين" التي تتميز باتساعها كإدارة لمعاشات الجيش، أمّا أرصفة الميناء فاستغلت لغرض التجارة والجمارك⁽⁴⁾، كما وظفت بعض بناياته كإقامات لسلطات الجيش الفرنسي، كتخصيص إقامة أميرال البحر مسكنا لقائد البحرية الفرنسية⁽⁵⁾، وحوّلت بعض الأماكن إلى أماكن صحية وللعبادة، مثل برج "مابين" الذي أصبح صيدلية، ومخزن البارود الذي شيّده "الحاج علي باشا" (1809-1815م) سنة 1229هـ/1813م-1814 م إلى كنيسة⁽⁶⁾.

¹- Henn klien ; **Op.cit.**, P. 78.

²- Albert Devoulx ; **Alger...** , in : *Revue Africaine*, N 21, 1877, P. 63.

³- Pellissier(E.) ; **Op.cit.**, P.74.

⁴- Sander Rang ; **Op.cit.**, p. 373- 376.

⁵ - Albert Devoulx ; **La marine...**, P. 08.

⁶- Gabriel Colin ; **Op.cit.**, P. 192-226.

برج السردينة:

موقعه وتاريخه:

أطلقت عليه هذه التسمية، لوجود رسم بارز يتوج اللوحة الرخامية التي تحمل الكتابة التذكارية للبرج، يمثل سمكتين متقابلتين تشبهان نوع السردينة⁽¹⁾، يقع البرج برأس المول في الجزء المحصور بين برج "القومان" و برج "مابين"⁽²⁾. أنظر المخطط رقم: 04.

أما تاريخ إنجازها، فقد نقلت إلينا الكتابة التذكارية له مجموعة من المعلومات التاريخية، إلا أنها تتسم بعدم توافقها مع بعضها، إضافة إلى إغفال الدراسات السابقة التدقيق في مضمونها وعلى رأسها مدونة "كولان" حول الكتابات العربية والتركية الجزائرية، ودراسة "ديفولكس" حول مدينة الجزائر التي نشرها في المجلة الإفريقية تحت عنوان: >> الجزائر دراسة أثرية وطبوغرافية <<، ما جعلنا نحاول إمطة الغموض عنها.

ورد في نص الكتابة أن إنجاز البرج تمّ من طرف أحمد باشا سنة 1077هـ الموافق لسنتي 1666م و1667م على يد المهندس إبراهيم بن موسى⁽³⁾، وقد لاحظنا أن تاريخ الإنجاز لا يتوافق مع فترة حكم "أحمد باشا" التي امتدت من سنة 1653 إلى 1655 م، إنما ترجع إلى عهد "علي آغا" الذي حكم من سنة 1655م إلى 1671 م⁽⁴⁾.

¹ - Albert Devoulx ; **Op.cit.**, in : Revue Africaine, N 21, 1877, P 51.

راجع: أحمد توفيق المدني، محمد بن عثمان... ، ص. 80.

² - Sakina Missoum , **Op.cit.**, T. 02, P. 91.

³ - Gabriel Colin ; **Op.cit.**, P. 60-62.

⁴ - أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص. 39-41.

بعد المقارنة بين المعطيات المتوفرة لدينا، اتضح أن بداية أشغال البرج ترجع إلى عهد "أحمد باشا" إلا أنها كملت على عهد "علي آغا"، وقد اكتفوا بذكر صاحب البرج في الكتابة التذكارية، تخليدا لاسمه دون غيره من الحكام الذين خلفوه على رأس الإيالة الجزائرية، ويرجع سبب تأخر إنهاء أشغال البرج الذي تطلب إنجاز ما يقارب عقدين من الزمن، حيث امتدت هذه المدة من فترة حكم البشوات إلى عهد آخر الأغوات لمدينة الجزائر، وذلك بفعل المشاكل المالية التي كانت تعيشها خزينة الدولة⁽¹⁾.

نفذت الكتابة التركية بخط عربي من نوع نسخ شرقي، ووزعت على ثمانية سطور على الشكل التالي:

نص الكتابة:

أيا سلطان محمد خان غازي صدر عد لكدن
جزائر قصرينه ضم أولدى برطوبخانه عظما
أنك بنا سنه زيادى أولان باشاي أحمد
عسكر منصور أندي جهد اقدام ابتداء
سعاد تله تمام أولدي ديدي جرمي أكا تاريخ
رمى هائي أور زهي طوبخانه زيا
على يد الفقير إبراهيم بن موسى
عام سبعة وسبعين وألف 1077 هـ⁽²⁾

¹ - أمين محرز، الجزائر في عهد الأغوات (1659-1671)، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 74.

² - Gabriel Colin ; **Op.cit.**, P 60. **Voir** : - Albert Devoulx ; **Alger...** , in : *Revue Africaine*, N 21, 1877, P. 52.

ترجمة نص الكتابة إلى اللغة العربية:

بعدالتك أيها السلطان محمد خان غازي

أضيفت مدفعية قوية إلى تحصينات الجزائر وأكمل بناؤها أحمد باشا بجهود عسكره المنصور والمقدام، سيكون ليومه تاريخ، ارم قذائف صائبة أيها البرج الجميل، تمّت على يد الفقير إبراهيم بن موسى عام 1077 هـ الموافق لسنتي 1666-1667 م⁽¹⁾.

توجد كتابة ثانية، كتبت على نفس اللوحة الرخامية السابقة، وهي تخلّد أعمال التجديد التي لحقت بعمارة البرج خلال فترة حكم الداوي "محمد بن عثمان باشا" (1766-1790م)، والتي تمت سنة 1190 هـ الموافق لسنتي 1776-1777 م⁽²⁾.

نص الكتابة:

طوباخنة ني قهر العدو ايجون تجديد ايدن غازي

محمد باشا بن عثمان در ذو الاقبال والكمال

عدونك اوكنده او لمشدر سدّ اسكندر كبي قوى بنا

جزاسي قيامته موفورويد آكا بارى خدا

بعون الله تمام أولوب أولدى أكا تاريخ

ايدر كافر اهلاك شهاب كى ناريله

عام تسعين ومائة وألف

سنة تجديده 1190 هـ.

¹ - علي خلاصي، المرجع السابق، ص. 33.

² - Gabriel Colin ; **Op.cit.**, P. 61. **Voir** : - Albert Devoulx ; **Alger...**, in : *Revue Africaine*, N 21, 1877, P. 53-54.

ترجمة النص إلى اللغة العربية:

من قام بتجديد هذا البرج لقهر العدو
هو الفاتح الناصر محمد باشا بن عثمان الرجل السعيد الشجاع
سيكون أمام العدو بناء صلدا مثل سد الإسكندر
جزاه الله الخالق أحسن جزاء يوم القيامة
عندما انتهى من بنائه بعون الله
أعطوه تاريخا يهلك بناره الكفار مثل احتراق الشهب عام تسعين ومائة وألف
سنة تجديدة 1190 هـ الموافق ل 1677-1776م⁽¹⁾.

استعملت في زخرفة اللوحة الرخامية، إضافة إلى السمكتين السابقتين الذكر، عناصر
زخرفية متنوعة، تتمثل في شجرة السرو، والتي ترمز إلى الحياة والخلود⁽²⁾، وكثيرا ما
يقترن هذا العنصر الزخرفي بالبنائيات الجنائزية مثل: الأضرحة والمقابر، ولا تزال هذه
الظاهرة تقليدا متوارثا إلى يومنا هذا في العمارة الجنائزية عند المسلمين، أما العنصر
الزخرفي الآخر عبارة عن طيور، وهي من العناصر الحيوانية الكثيرة الاستعمال في الفن
الإسلامي⁽³⁾، إلى جانب زخرفة معمارية عبارة عن مسجد يرمز إلى الإسلام أو بلاد
المسلمين على غرار العناصر المعمارية الدينية الأخرى مثل: المآذن والمحاريب⁽⁴⁾، وفيما
يخص تسليح البرج، فقد كان يضم 32 فتحة مدفعية، موزعة على طابقين 14 سفلية
و18 علوية⁽⁵⁾.

¹ - علي خلاصي، المرجع السابق، ص. 33.

² - لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، ط.1، دار الحضارة، الجزائر، 2007، ص. 302.

³ - عمر رضا كخالة، الفنون الجميلة في العصور الإسلامية، المطبعة التعاونية بدمشق، سوريا، 1972، ص. 131.

⁴ - عاطف منصور محمد رمضان، المرجع السابق، ص. 632.

⁵ - Albert Devoulx ; **Alger...** , in : *Revue Africaine*, N 21, 1877, P. 52.

برج راس المول:

موقعه وتاريخه:

سمي نسبة إلى الموضع الذي يحتله في نهاية الرصيف الكبير للميناء على يمين مدخل الميناء مباشرة خلف برج "القومان" (برج الحبال)⁽¹⁾، ويعرف كذلك باسم برج "الحاج علي باشا" آخر من قام بتجديده⁽²⁾. أنظر المخطط رقم: 04.

يرجع تاريخ إنشائه إلى عهد "الحاج مصطفى باشا" (1700-1705م)، من طرف "محمد عراب" سنة 1115هـ / 1703-1704م، وقام بتجديد عمارته سنة 1120هـ / 1708-1709م خلال فترة حكم فاتح وهران الداوي "محمد بكداش" (1707-1710م)، وذلك بناء على الكتابتين التأسيسيتين للبرج، وجاء نصهما بالخط العربي من نوع النسخ المغربي، ونفذتا بطريقة الحفر الغائر ثم ملئت بالرصاص⁽³⁾.

نص الكتابة الأولى:

الحمد لله قد / تم بناء هذا الحصن على يد المعلم الجل / محمد المعلم عراب / ابن أحمد بن المعلم علي / غفر الله ذنوبه وشرّ غيبه / في شهر ربيع الثاني عام 1115هـ.

نص الكتابة الثانية:

الحمد لله قد تمّ بناء هذا الحصن المبني على يد المعظم الأجل / المعلم محمد اعراب / ابن محمد بن المعلم علي / غفر الله ذنوبه وستر عيوبه بمنه / في شهر ربيع الثاني عام 1120هـ.

¹ - Sakina Missoum ; **Op.cit.**, T. 02, P. 91. **Voir** : - Henn klien ; **Op.cit.**, P. 169.

² - Albert Devoulx ; **Alger...**, in : *Revue Africaine*, N 21, 1877, P. 59.

³ - Gabriel Colin ; **Op.cit.**, P. 74-77. **Voir** : - Albert Devoulx ; **Idem.**, P 60.

تعرض البرج للتجديد مرّة أخرى سنة 1124هـ / 1712-1713 على عهد "علي شاوش" (1710-1718م)، ويخلّد هذا العمل الكتابة التي تتوج مدخل البرج، وهي كتابة عربية، بخط نسخ مغربي نفذت بطريقة الحفر الغائر⁽¹⁾.

نص الكتابة:

حصن بديع قاهر أعداء ربي الناصر / ترمي جوانبه لضى في جوف من هو خاسر / قد تم بمنّه بناءه وسعد نجمه ظاهر / في دولة المولى الذي لا زال فعله يشكر / السيد الباشا علي ابن حسين القاهر / في شهر شعبان الذي لا زال فضله ينشر / من عام أربعة وعشرين وزد كي تبصر / ألف وبعدها المائة فانصر إلهي الأمر /.

كما توجد كتابة أخرى على قائمي الباب كتبت بخط نسخ مغربي بطريقة الحفر الغائر، ثم ملئت بالرصاص⁽²⁾.

نص الكتابة:

لا إله إلا الله / الملك الحق المبين محمد / رسول الله.
تعرض البرج لتدعيم نقاطه الدفاعية بعد حملة إكسموث على المدينة سنة 1816م، وذلك بإضافة خندق يحميه من الناحية البحرية⁽³⁾. يتكون البرج من طابقين، فتحت بهما أربعة عشر فتحة مدفعية موزعة على مستويين، 06 منها بالطابق السفلي⁽⁴⁾، وتشرف على حراسته حامية مشكلة من 15 رجلا⁽⁵⁾، تتغير مرّة في كلّ سنة في فصل الربيع⁽⁶⁾.

¹ – Gabriel Colin ; **Op.cit.**, P. 86. **Voir** :- Albert Devoulx ; **Alger...**, in : *Revue Africaine*, N 21, 1877, P 61.

² – علي خلاصي، المرجع السابق، ص. 34.

³ – Albert Devoulx ; **Idem.** , P. 63.

⁴ – لخضر درياس، المرجع السابق، ص. 145.

⁵ – Albert Devoulx ; **Tachrifat...**, P 50.

⁶ – Albert Devoulx ; **Alger...**, P. 59.

برج المنارة:

موقعه وتاريخه:

يقع برصيف "خير الدين" شيد بنفس موضع حصن "البينون" الذي اتخذ من أكبر الجزر الأربعة المشكلة للرصيف أرضية له ⁽¹⁾، على بعد حوالي 300م عن المدينة⁽²⁾. أنظر المخطط رقم: 04.

إن فكرة تحصين هذه الجزيرة التي ذكرها "البكري" باسم جزيرة سطفلة⁽³⁾، كانت موجودة عند قاطني مدينة الجزائر منذ فترة متقدمة من تاريخ المغرب الأوسط، حيث كانوا يتحصنون بها عند الضرورة، ويظهر ذلك في وصف "ابن حوقل" للمدينة بقوله: «...ولها جزيرة في البحر على رمية سهم منها تحاذها، فإذا نزل بهم عدو لجؤوا إليها، فكانوا في منعة وأمن ممن يحذرونه ويخافونه»⁽⁴⁾، بقي هذا المكان على حاله إلى أن أقدم مهاجرو الأندلس على تحصينه⁽⁵⁾، وبخضوع المدينة لسلطة الاحتلال الإسباني، قام الكونت "بيار دونفارو" Pierre de Navarre بتشييد حصن آخر مكانه، يعرف بحصن الصخرة، وتمّ ذلك سنة 1511م⁽⁶⁾، للحفاظ على مصالحهم في المنطقة⁽⁷⁾، ووضع حدًا

¹– Fray Diego de Haedo ; **Topographie...**, P 19. **Voir** : - Rozet et Carette, **Op.cit.**, p. 70.

– Bardoux (J.); « la vie d'un consul au près de la Régence D'Alger », in : Revue Africaine, N 319, 1924, P 261.

²– خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص. 134.

³ – اسماعيل العربي، المدن المغربية...، ص. 160.

⁴– أبو القاسم بن حوقل النصيبي، المصدر السابق، ص. 78.

⁵– أبو راس الناصري، المصدر السابق، ص. 510. راجع:

- Sander Rang ; **Op.cit**, P. 363.

⁶– محمد دراج، المرجع السابق، ص. 115-116.

⁷– Adrien Berbrugger, **Les Epoques...**, P. 50.

لنشاط القرصنة⁽¹⁾، وكان يشرف عليه قائد وحاميته مشكلة من 200 رجل، وجّهز بالوسائل الضرورية من مدفعية وذخيرة⁽²⁾.

بعد فتح مدينة الجزائر من طرف الأتراك، عملوا على إنهاء الوجود الإسباني بها، وكان ذلك في 21 ماي 1529م على يد "خير الدين باشا" الذي تمكن من الاستيلاء على الحصن الإسباني وأسر من فيه، وعلى رأسهم القائد "دون مارتين دي فيرغاس" Martin de Vargas⁽³⁾ وتعرض بعدها الحصن إلى الهدم، واستعملت حجارته في بناء رصيف الميناء⁽⁴⁾.

بقي موضع القلعة الإسبانية دون تحصين إلى أن شيد "عرب أحمد" مكانها برجا جديدا، وكان ذلك سنة 1573م⁽⁵⁾، الغرض منه إرشاد السفن إلى الميناء وحماية السفن الراسية به⁽⁶⁾.

تعرض البرج بعدها إلى عمليات تجديد، كانت أولها سنة 1619 م على عهد "حسين الشيخ باشا" خلال فترة حكمه الثانية (1617-1629م)⁽⁷⁾، أما عملية إصلاحه الثانية، فتمت سنة 1108هـ / 1696-1697 م من طرف "الحاج أحمد داي" (1695-1698)، وهذا ما تؤكدّه اللوحة التأسيسية التي كانت أعلى باب البرج، نفذت بالعربية وبخط نسخ مغربي وملئت بالرصاص، ووزعت على أربعة أسطر:

¹ - Albert Devoulx ; **Alger...**, in : *Revue Africaine* N° 20, Année 1876, P.350.

² - Fray Diego De Haedo ; **Topographie...**, P. 18-19.

³-Albert Devoulx, « **La marine de la Régence D'Alger** », in : *Revue Africaine* N° 77, Année 1869, P08. **Voir** : - Fernnand Braudel ; **Op.cit.**, P352.

⁴ - Fray Diego de Haedo ; **Histoire...**, P. 43-44.

⁵ - Fray Diego de Haedo ; **Topographie...**, P. 29.

⁶ - محمد درّاج، المرجع السابق، ص 263.

⁷ - Abd elhadi Manssour ; **Op. cit.**, P. 71.

تم بحمد الناصر القوي صرح الجهاد الفاضل العلي

في دولة الأمير وهو الأسعد فخر الملوك الفاضلين أحمد

بغرة الشهر جماد الثانية لماية بعدها ثمانية

قبلها مضى ألف من السنين من هجرة النبي خير المرسلين⁽¹⁾

ذكر "أحمد الشريف الزهار" أن البرج تهدم البعض منه جراء صاعقة أصابته، وكان ذلك على عهد "محمد باشا" الذي تولى حكم مدينة الجزائر سنة 1815⁽²⁾، ونفس الحادثة تكررت سنة 1845م، حيث أدى انفجار مخزن البارود الذي كان به 419 كلغ من البارود إلى مقتل 145 شخصا⁽³⁾.

للبرج شكل مثنى، ويفوق ارتفاع جدرانه 36م⁽⁴⁾، ومجهز بخزان كبير للماء، ومخزن للبارود يوجد أسفله⁽⁵⁾، يتكون من أربعة طوابق، تنتهي بمنارة ترتفع عن السطح بأربعة عشر مترا، ووزعت عليها خمسون قطعة مدفعية، وتحرسه حامية مشكلة من 15 رجلا⁽⁶⁾، تحت إمرة "باش طوباجي" المسؤول المباشر على مفاتيح جميع مخازن البارود بمدينة الجزائر⁽⁷⁾. أنظر المخطط رقم: 05.

¹- Gabriel Colin ; **Op.cit.**, P 70-71. **Voir :** - Albert Devoulx ; **Alger...** , in : Revue Africaine N° 20, Année 1876, P 482.

²- أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 115.

³- Heen Klien ; **Op.cit.**, P. 77.

⁴- علي خلاصي، المرجع السابق، ص. 29.

⁵- Heen Klien ; **Idem.**, P. 77.

⁶- Albert Devoulx ; **Idem.**, P. 481.

⁷- Moulay Belhamissi ; **Op.cit.**, P. 07.

البرج الجديد:

موقعه وتاريخه:

يحتل المكان الفاصل بين برج "مابين" والبطارية التي لا تحمل أي اسم وتتقدم برج المنارة من الناحية البحرية⁽¹⁾. أنظر المخطط رقم: 04.

إن إنشاء هذه البطارية بهذا الشكل، وتدعيمها ببرج الجديد الذي يضم واحد وعشرين فتحة مدفعية موزعة على مستويين، تسعة منها بالقسم السفلي له تحت إشراف "باش طوباجي"⁽²⁾، إضافة إلى برج "رأس عمّار القديم والجديد"، والأبراج الشرقية، جعلها تحجب الرؤية أمام الطابق الأرضي لبرج المنارة، ما أفقد هذا الطابق أهميته الدفاعية، وكانت توفر في نفس الوقت الحماية لمخزن البارود الذي يتقدمه⁽³⁾.

بناء على نص الكتابة التذكارية التي تعلو مدخل البرج، يظهر أن بناءه تم سنة 1187 هـ الموافق لسنتي 1773 - 1774 م، من طرف الداوي "محمد بن عثمان باشا" (1766-1791 م)⁽⁴⁾.

¹- Sakina Missoum, , **Op.cit.**, T. 02,P. 91.

²- Albert Devoulx ; **Alger...**, in : *Revue Africaine* N° 21, Année 1877, P. 46.

³ - علي خلاصي، المرجع السابق، ص. 31.

⁴- Albert Devoulx ; **Idem.**, P. 47-48.

نص الكتابة:

بحمد من لا يجري في ملكه إلا ما شاء وقدر
تكميل أولدى بناء برج محمد باشا كما أمر ودبر
دام بالبر ذكره ما دار في برجه الشمس والقمر
أساسي أولدى مرصص بناسى مجصص ومبرور ومستقر.
زهى دولت نفى عام ايجون قودى أثر
سعي مشكور فعلى مبرور أوله رحمة حق مظهر
أوله شفيعي سيد البشر يوم المحشر
شرابي أوله رحيق مختوم أبي ما كوثر
نصيري ظهيري قل هو الله أكبر
عدوى بي دين خاك زمين أوله مقهور ومدمر
جون جوده سى قوندى بال يمر طوبلر
قل الله حافظ تاريخ البرج المفخر
سنة 1187 هـ⁽¹⁾.

ترجمة نص الكتابة إلى اللغة العربية:

بحمد من لا يجري في ملكه إلا ما شاء وقدر
تمت أشغال بناء برج محمد باشا كما أمر ودبر
دام بالبر ذكره ما دار في برجه الشمس والقمر
أسسه مرصوصة وبنائه مجصص ومبرور ومستقر

¹ - Gabriel Colin ; **Op.cit.**, P. 137-138.

يا فرحتاه بفائدته العامة ظهر مثل الأثر .

سعيه مشكور وفعله مبرور جوازه رحمة الحق المظهر

وليكن شفيعه سيّد البشر يوم الحشر

وليكن شرابه رحيق مختوم بماء الكوثر

ناصره وظاهره قل هو الله أكبر .

اسقط عدوه في الوحل مقهورا ومدمرا

بفضل جوده نصبت مدافع لا تتغذى بالعسل

قل الله حافظ تاريخ البرج المفخر سنة 1187 هـ الموافق لسنتي 1773 و1774⁽¹⁾.

¹ - علي خلاصي، المرجع السابق، ص. 31.

برج القومان (الحيال):

موقعه وتاريخه:

اتخذ هذا الاسم لأنه كانت تحفظ بطابقه السفلي حبال البحرية⁽¹⁾، يقع البرج بالرصيف الكبير في الجزء المحصور بين برج "السردين" وبرج "راس المول"⁽²⁾، وقد حلّ مكان البرج الذي أقامه "عرب أحمد" سنة 1573 م لحراسة الميناء والسفن الراسية به⁽³⁾، قام بتجديد عمارته "عمر باشا" وذلك نتيجة قدم منارته والأضرار الكبيرة التي لحقت بعمارته⁽⁴⁾. أنظر المخطط رقم: 04.

شيّد البرج من طرف "عمر باشا" (1815-1817 م) سنة 1231 هـ الموافق لسنتي 1815 - 1816 م، وخلّدت عمله كتابة تذكارية كانت تعلو مدخل البرج، وهي حاليا محفوظة بالمتحف الوطني للآثار القديمة و الإسلامية بمدينة الجزائر، الكتابة تركية بخط عربي من نوع نسخ شرقي نفذ بأسلوب الحفر الغائر:

نص الكتابة:

وارد يا بك كهنة أو لمش ديو اولدى التزام

حمد لله اولدى بتدى شمد يا بو لى نظام

في الأصل دوطوب ايله بر وارد ياكم وارايدى

¹- Albert Devoulx ; **Alger...**, P. 201. **Voir** : - Gabriel Colin ; **Op.cit.**, P. 56.

²- Sakina Missoum, , **Op.cit.**, T. 02, P. 91.

³ سعيد بوزرينة، «التحصينات العسكرية الجزائرية المؤرخة بالكتابات الأثرية خلال العهد العثماني» دراسات تراثية، ج 2، العدد: 05، مخبر البناء الحضاري، جامعة الجزائر 2، الجزائر، ص. 418. **راجع:**

- Fray Diego De Haedo ; **Topographie...**, P. 29.

⁴- علي خلاصي، المرجع السابق، ص. 31.

شمدي شش طوب ايله بر برج اولدو وبويله السلام

باينسي اولدى فاتحك همشهرسي عمر باشا

دينالز طورد قجه طور سون تا الى يوم القيام

خو شجه كوز لك بولب ليما ندرر ساعت حيلر

طو بجيلير سزده وارك طو بلره ايدك اهتمام

علوى نوبت كلدى ايسه دي سنده تاريخي

بيك ايكي يوز سال اوتوز برنده أو لمشدر تمام

سنة 1231هـ⁽¹⁾.

ترجمة نص الكتابة إلى اللغة العربية:

نتيجة لقدم المنظرة فقد تهدمت بشدة

في الوقت الذي أصبحت ضرورية

لقد أعيدت وانتهى العمل بها وتلقت الآن تنظيمًا

لم تكن مسلحة في السابق إلاّ بمدفعين

والآن تم تحويلها إلى برج مسلح بمدافع

طويلة وهذا ما كان يرجى وجوده

¹ – Gabriel Colin ; **Op.cit.**, P. 200-202. **Voir** :- Albert Devoulx ; **Alger...**, in : *Revue Africaine* N° 21, Année 1877, P. 57.

إن بانيه عمر باشا الذي ينتمي

للبلد الذي فتحها، أدام الله بقاءه إلى يوم القيامة

أيها المدفعيين، من تطوع منكم للعمل

في خدمة المدافع فهم أبعد نظر من المكلفين بحماية

شواطئ الميناء، لقد تم العمل بها في سنة ألف ومائتين

وإحدى وثلاثين وعمد اقتراب وقت اللهب

قل بك يستقر تاريخه سنة 1231هـ⁽¹⁾.

يتشكل البرج من طابقين ويرتكز سقفه على خمسة صفوف من الدعائم، بكل صف 17 دعامة ضخمة البدن، تفصل بين كل دعامة وأخرى مسافة تزيد عن 5،60م، وسمك جداره الخارجي يفوق 2،30م⁽²⁾، أما مدفعيته، قدرت بـ 30 قطعة موزعة على طابقين 13 منها سفلية، وكانت تحرسه حامية تحت إشراف قائد المدفعية⁽³⁾.

¹ - علي خلاصي، القلاع والحصون... ، ص. 33.

² - نفسه، ص. 34.

³ - Albert Devoulx ; **Alger...** , in : *Revue Africaine* N° 21, Année 1877, P 57.

برج "مايين":

موقعه وتاريخه:

أطلقت عليه هذه التسمية نسبة إلى مكان إنشائه الذي يتوسط البرج الجديد وبرج السردين⁽¹⁾، كان البرج مسلحا بـ18 مدفعا، أربعة باتجاه الشمال و13 باتجاه الشرق ومدفع واحد باتجاه الجنوب الغربي⁽²⁾، وذلك لأداء دوره الدفاعي ولتحية السفن الوافدة إلى الميناء⁽³⁾ على غرار برج المنارة⁽⁴⁾ وبرج الجديد وبرج السردين وبرج القومان وبرج راس المول، إضافة إلى دورها في الإعلان عن عيد الفطر وعيد الأضحى⁽⁵⁾. **أنظر المخطط**

رقم: 04.

يعدّ البرج من أعمال الداي "حسين" (1818-1830م)، وتمّ ذلك سنة 1239هـ/ 1823-1824م حسب ما جاء في الكتابة التأسيسية التي تعلو مدخله، كتبت بخط نسخ شرقي ومنفّذة بطريقة الحفر الغائر، وملئت بالرصاص وجاء نصّها كما يلي:

ما شاء الله بغايت خوش بوج مايين

يا رحيم يا رحمان أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وبالله التوفيق وهو نعم الرفيق.

باسم الله الرحمن الرحيم وما النصر إلّا من عند الله العزيز الحكيم، وينصرك الله نصرا عزيزا في سنة 1239هـ⁽⁶⁾.

¹ - سعيد بوزوينة، المرجع السابق، ص 420.

² - Albert Devoulx ; **Alger...**, P. 51.

³ - Moulay Belhamissi ; **Op.cit.**, P. 07.

⁴ - Duchastelet Des Boys ; **Op.cit.**, P. 28.

⁵ - Albert Devoulx ; **Idem.** , P. 48.

⁶ - Gabriel Colin ; **Op.Cit**, P 200-226. **Voir** :- Albert Devoulx ; **Ibid.**, P. 49-50.

أما الكتابة الثانية، فجاءت باللغة التركية ونفذت بحروف عربية، ووزعت على ستة أسطر على الشكل التالي:

نص الكتابة:

بر مبارك كونده قوردی بانویی بنیا دنی

حمدا وله ستر دی مولا اتمام ابادنی

جونکی أنك اثما بین کوش ایلدی حسین باشا

فرحانة سویلدی بوج ما بین ادنی

لطنی إحسان ایلیوب جون أول کرم کانی وزیر

بر زیادة قلدي أهل إسلامک أيمد ادنی

هنت سر اثر در مثالي هویکا أنشی سجار

بال یمزطو بلر له معمور ایلدی سیوارنی

استر سلام او لدی او لدی اما عدوی بی دینلویک

ارتو ورسیلو ند ناله و فریا دنی

قیل کرم یا رب أرته شأني حسین باشنک

عن قریب السون عدودن ضر بله موادنی⁽¹⁾

¹– Gabriel Colin ; **Op.cit**, P 227.

ترجمة نص الكتابة إلى اللغة العربية:

في يوم مبارك وضع بانيه حجر الأساس / بحمد الله الذي أتم عمله الخالد
نهاية العمل به كانت بجدية أفرحت الداي حسين / في موضع تشييده برج مابين تدنى
الوزير منجم الجود / زاد بكرمه إمدادات أهل السلام
والبرج الذي يشبه الوحش ذي السبعة رؤوس / يوزع نيرانه في كل الجهات
وزع الباشا المدافع التي تتغذى بالعسل / إنه يقدم التحية لكنه على أعدائه غير شفيق
يا رب ارفع من شأن حسين باشا يا كريم / وجعله ينال من أعدائه بالقوة كل ما يبغي مراده⁽¹⁾.

برج راس عمار القديم:

موقعه وتاريخه:

يحتل هذا البرج آخر نقطة في النظام الدفاعي للميناء من ناحية البحر، هذا النظام
الذي يمتد من الجنوب حيث برج "راس المول" وينتهي عند موضع برج راس عمار
القديم، هذا الأخير الذي يتقدم برج "الفنار" من الناحية الشمالية⁽²⁾ على بعد 160م
منه⁽³⁾. أنظر المخطط رقم: 04.

¹ - علي خلاصي، القلاع والحصون...، ص. 32.

² - Sakina Missoum, , **Op.cit.**, T. 02 , P 91.

³ - Albert Devoulx ; **Alger...** , in : *Revue Africaine* N° 20, Année 1876, P 488.

شيّد البرج من قبل "محمد عثمان باشا" في قتاله الأخير مع الإسبان⁽¹⁾، وقد اتخذ شكلا مستطيلا بمساحة إجمالية تقدّر بحوالي 145م²، وبه ثلاثة قاعات متقاربة من حيث مقاساتها حيث تتراوح مساحتها ما بين 17،50 و18،50م² وتتصل إحداها ببرج "راس عمار الجديد" من الناحية الشرقية⁽²⁾.

كان البرج مسلحا بـ53 قطعة مدفعية⁽³⁾، موزعة على مستويين، 25 منها سفلية والمتبقية بالسطح، ومدعمة بعدد من الهاونات تحت إشراف "باش طوباجي"⁽⁴⁾.

برج راس عمار الجديد:

موقعه وتاريخه:

شيّد البرج من طرف الداوي حسين في موضع القناة البحرية التي كانت تفصل برج "الفنار" عن الجزيرة الشمالية حيث برج راس "عمار القديم"⁽⁵⁾. أنظر المخطط رقم: 04. يتشكل البرج من طابقين فتحت بهما 34 فتحة للمدفعية⁽⁶⁾، 17 منها سفلية، ويشرف على خدمتها قائد المدفعية⁽⁷⁾.

¹ - أحمد توفيق المدني، محمد بن عثمان باشا... ، ص. 97.

² - علي خلاصي، القلاع والحصون... ، ص. 30.

³ - Heen Kline, **Op.cit.**, P. 77.

⁴ - Albert Devoulx ; **Alger...**, in : *Revue Africaine* N° 20, Année 1876, P. 488-489.

⁵ - **Idem.**, P. 489.

⁶ - Heen Klien, **Idem.**, P. 78.

⁷ - Albert Devoulx ; **Ibid.**, P. 489.

حصون وأبراج مدينة الجزائر:

قصة مدينة الجزائر:

موقعها وتاريخها:

تقع القصة في قمة المدينة⁽¹⁾، عند مكان التقاء أسوارها⁽²⁾، بالقسم العلوي منها الذي يعرف بالجبل⁽³⁾، وقد أثر موقعها المشرف بشكل إيجابي في دورها الدفاعي، حيث جعلها تطل على دفاعات المدينة البرية والبحرية، وتراقبها من برج باب الوادي غربا إلى برج باب عزون شرقا و برج النجمة وحصن الإمبراطور جنوبا⁽⁴⁾، وأهلها لتكون في اتصال دائم مع التحصينات التي تحمي خليجها من برج "تامنفوست" شرقا إلى مرسى الذبان غربا، كما كان سببا في نقل مقر الحكم إليها، وذلك لاحتلالها مكانا مرتفعا في أطراف المدينة بعيدا عن المخاطر المترتبة عن الأوضاع الأمنية الداخلية والخارجية متبعة النمط العمراني المعتمد في تخطيط معظم مدن المغرب الأوسط مثل: قصة مدينة قسنطينة وميلة وعنابة ومليانة والمدينة وتنس ووهران وهنين والمشور بتلمسان. أنظر المخطط رقم:

.06

¹-Chevalier D'Arvieux ; **Op.cit**, P 231.

²-Vincent yves- boutin ; **Op.cit**, P 192.

³- Albert Devoulx ; **Alger...**, in : *Revue Africaine* N° 20, Année 1876, P 158.

⁴- علي خلاصي، المرجع السابق، ص 49

يعود تاريخ إنشاء القصبة إلى سنة 1516م من طرف القائد عروج (1516-1518م)⁽¹⁾ الذي كان مقيما بالقصبة البربرية⁽²⁾، وقد كانت منذ القرن 16 م من أشهر حصون مدينة الجزائر، وثكنة لإقامة نائب حاكم المدينة⁽³⁾، تدافع عنها حامية من جنود الإنكشارية، تتشكّل من 60 رجلا⁽⁴⁾، وظلّ هذا التعداد البشري ثابتا إلى أواخر الحكم التركي للجزائر، فقد جاء في دفتر التشريفات أنه كان بها ثلاثة صفرات بتعداد 59 رجلا، وتتغير مرة كل سنة⁽⁵⁾.

تعرضت عمارتها إلى التجديد أواخر القرن 16 م⁽⁶⁾، وتحديدًا سنة 1000هـ/1591م - 1592م من طرف "خضر باشا" خلال فترة حكمه الأولى وفق ما جاء في الكتابة التذكارية المثبتة أعلى مدخلها⁽⁷⁾.

نص الكتابة:

أول خدا حقي كه رحمت اندن أمر خاص وعام

شوال حبيب محترم أو لدرر خير الأنام

جونكي ورد ك رفعتي سن سها اشبو مقامه

آخر ك معمور أو لوب جها نده أو لغل سن بنام

بونيت كيم حرخ كردون أيدوب دور روش دولان

¹ - Lanfreducci et Bosio ; **Op.cit.**, P. 23.

² - حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 71.

³ - Lanfreducci et Bosio ; **Idem.**, P 23.

⁴ - Fray Diego de Haedo ; **Topographie...** , P 28.

⁵ - Albert Devoulx ; **Tachrifat...** , P 51.

⁶ - شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص. 336.

⁷ - Gabriel Colin ; **Op.cit.**, P. 26-28.

دينده دولتك يانينه بوجهان طوله نظام

ولطف حاصل كمالك خو مشيوس بويته

جانمز خضر باشا بركاتل ددى تاريخني

سعد أكبر كون مبارك كامل أولدى إسلام

كاتب الحروف محمد بن خضر غفر الله له ولوالديه وللمسلمين سنة 1000 هـ.

نص الكتابة بالعربية:

لحق المولى الذي شملت رحمته الخاص والعام

وذلك الحبيب المحترم خير الأنام

ارتفع صرحك حتى بلغ مقام السهى

فعمرت بذلك آخرتك وضمنت الخلوديين الأنام

واعمل دائما واضعا عجلة الحظ على عنقك

حتى يجد العالم في ظل الدين والدولة نظامه

إننا نفدي بأرواحنا عنقك المتعب الذي ظهر لطف كماله

حتى يخلد اسمك الشريف ويبقى صيتك

هذه أقوال خضر باشا، الكاتب والمحِب الصادق

والذي أصبح سعده عاليا ويومه مبارك ومحفوفًا بالسلام

كاتب الحروف محمد بن خضر غفر الله له ولوالديه وللمسلمين سنة 1000 هـ⁽¹⁾.

¹ - علي خلاصي، المرجع السابق، ص. 72.

إنّ الموقع الذي كانت تحتله القلعة (قصر الجنيّة) في مركز المدينة على شكل دور الإمارة في المدن الإسلامية الأولى⁽¹⁾، كانت له انعكاسات سلبية عليها، كثيرا ما هدد أمن حكامها بسبب قربها من مساكن العامة⁽²⁾، وطبيعة القسم السفلي من المدينة الذي تكثر به الحركة التي تستقطبها كثرة المساجد الجامعة والأسواق العامرة، إضافة إلى مجاورتها للميناء وأبواب المدينة وثكنات الانكشارية التي تسببت ثورات جنودها في مقتل عدد من حكامها آخرهم عمر باشا (1815-1817م)⁽³⁾.

كما أنّ قربها من البحر، عامل آخر شكّل خطرا عليها أكثر من مرة، وذلك لتعرضها لقنابل العدو، ما جعل الداي محمد بن عثمان باشا ينقل إقامته مؤقتا إلى القصبّة سنة 1783م في حربه مع الإسبان حذرا من أيّ مكروه يصيبه⁽⁴⁾.

أمام هذه الأوضاع اضطر علي خوجة (1817-1818م) إلى مغادرة قصر الباشوات والاستقرار بالقصبّة، وتمّ ذلك ليلة الخميس 11 ذو الحجة / 01 نوفمبر 1817 م⁽⁵⁾، وقام بتحسينها⁽⁶⁾، وبهذا تحولت من دورها الدفاعي الذي كانت عليه لمدة ثلاثة قرون (1516-1817م) إلى مركز للسلطة السياسية بالبلاد⁽⁷⁾.

¹ - علي خلاصي، قصبّة...، ج 1، ص. 47.

² - Rozet et Carette, **Op.cit.**, p. 76.

³ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 131.

⁴ - ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي...، ص. 25. راجع: مبارك محمد الملي، المرجع السابق، ج. 3، ص. 23.

⁵ - Adrien Berbrugger, **Les époques militaires...**, p. 130. **Voir :**

- Rozet et Carette ; **Idem.**, p. 75.

⁶ - أحمد الشريف الزهار، المصدر نفسه ، ص. 132.

⁷ - علي خلاصي، المرجع نفسه، ص. 49.

بعد تولي حسين داي الحكم (1818-1830م)، استقر هو الآخر بالقصبة وأدخل عليها بعض التجديدات⁽¹⁾ بإنشاء مجموعة من المرافق مثل: قصر الداي وقصر البايات وقصر الآغا ومساجد وحمامات وحدائق وعيون وخزانات المياه.⁽²⁾

عند احتلال المدينة من طرف الفرنسيين سنة 1830م، اتخذوا من القصبة ثكنة لهم⁽³⁾، ورغم أنها لم تتعرض للهدم عكس الكثير من المباني الحربية في إطار توسيع المدينة⁽⁴⁾، إلا أنها لم تسلم من عمليات التغيير التي أفقدتها بعض ملامحها الأصلية، خاصة بشق الطريق التي تربط المدينة بالأبيار سنة 1844م⁽⁵⁾.

الوصف المعماري للنظام الدفاعي للقصبة:

اتخذت قصبة الجزائر مخططا مثلثا ضلعاها الخارجيين جزء من السور الخارجي للمدينة⁽⁶⁾ بسبب التقاء سور باب الواد وسور باب عزون، أما قاعدتها فعبارة عن سور تفصلها عن المدينة، وبها كان مدخلها⁽⁷⁾ ولكن بشق طريق الأبيار خلال الحقبة الاستعمارية أصبحت تتكون من قسمين لكل منهما مدخله الخاص. أنظر المخطط رقم: 02.

تشغل القصبة مساحة واسعة تفوق التسعة آلاف متر مربع⁽⁸⁾ تحميها سور حصينة بفضل متانة هيكلها المشيد بالطابية، الذي قدر سمكه بـ 5 م⁽⁹⁾ ومدعم بمجموعة من البطاريات، مسلحة بعدد كبير من قطع المدفعية بلغ عددها 88 مدفعا⁽¹⁰⁾ تحت إشراف قائد المدفعية⁽¹¹⁾

¹ - Lucien Golvin ; **Op.cit**, p 23.

² - علي خلاصي، المرجع السابق، ج 1، ص 57.

³ - Aumerat ; **La propriété...**, p 168.

⁴ - Albert Devaulx ; «**Chronologie**», in: **Revue africaine**, 1872. P 79.

⁵ - Georges Robert; **Op .cit.**, P. 23.

⁶ - Alfred Nettement; **Op.cit.**, p 586.

⁷ - Albert Devaulx ; **Alger...**, In: **Revue Africaine**, N° 20/ 1876, P 162.

⁸ - علي خلاصي، المرجع نفسه ، ص. 08.

⁹ - Fray Diego De Hado; **Topographie...**, P 28.

¹⁰ - Vincent Yves - Boutin; **Op. cit.**, p192.

¹¹ - Albert Devaulx ; **Idem.**, p. 162.

البطارية رقم 01:

موقعها:

تقع في الجهة الشمالية من القسبة، وتعدّ جزءا من سورها التي تفصلها عن المدينة، حيث تحتل المكان المحصور بين البطارية رقم 02 من الناحية الشرقية والبطارية رقم 7 من الناحية الغربية. أنظر المخطط رقم: 06.

الوصف المعماري للبطارية رقم 01:

تتكون من طابق أرضي كانت به مجموعة من القاعات مخصصة للقائمين على صناعة البارود أو المدفعيين وفي الفترة الاستعمارية حوّلت إلى مرقد للجيش الفرنسي⁽¹⁾، وينتهي هذا الطابق بسطح منصة المدفعية، نصل إليها عبر ممر منحدر لتسهيل نقل المدفعية إليها وإلى البطاريات المجاورة لها.

يوجد عند نهاية الممر على جانبه الأيسر رواق يفصل بين البطارية رقم 1 و2 طوله 12.60 م وعرضه 2.20م، وسقفه يتركب من خمسة قباب مضلعة الشكل متصلة ببعضها البعض بشكل طولي ويحملها 12 عمودا وزعت على جانبيه بالتساوي.

يتقدم هذا الرواق من الناحية الشمالية غرفتين إحداها مفتوحة على البطارية رقم 2 والثانية تتصل بالرواق السابق الذكر، وحسب مخطط للقسبة مؤرخ بسنة 1838م، تبين أن هذا الجانب هو الآخر له سقف مماثل للسقف السابق، وكانت واجهته البحرية مجهزة بأربعة فتحات للمدفعية⁽²⁾.

¹ - علي خلاصي، قسبة.....، ص. 73.

² - Sakina Missoum; **Op. cit.**, T.o1, p. 116.

نصل من خلال الرواق إلى ممشى واسع عرضه 7.50م، يحميه ساتر ارتفاعه 2.20م، وسمكه 1.10م، فتحت به 14 فتحة للمدفعية، ترتفع عن أرضية الممشى بـ0.50م، عرضها من الداخل 0.90م ومن الخارج 1.20م، وتفصل بين كل فتحتين منها مسافة 1.65م، كما يوجد بالساتر 13 مزغلا، ترتفع عن أرضية الممشى بـ0.90م، وموزعة بمعدل مزغلين بين كل فتحتين للمدفعية، وهي من المزغل المركبة، يقدر عرضها من الداخل والخارج بـ0.50م، ونقطة التقائهما عند الرأس المبتور 0.10م، وصممت بشكل مائل نحو الأسفل لحماية جوانب السور، ولهذا النوع من المزغل نماذج مماثلة بالأبراج الركنية لبرج الترك بمستغانم.

شيد في الجزء المحصور بين الرواق والحائط الساتر للبطارية برج مراقبة شكله مربع، طول كل ضلع من أضلاعه 1.40م، تعلوه قبة ثمانية الأضلاع، وتزين أركانها من الخارج شرافات مشابهة للتي بقبة مطبخ قصر الداوي، وهذا النوع كثير الاستعمال في العمارة العثمانية بالجزائر، إذ نجد نماذج لها بعمارة المسجد الكبير، وبإحدى عيون مدينة الجزائر التي كانت بالطريق المؤدية إلى بوزريعة، وبقبة ضريح سيدي محمد الشريف بمقبرة الغبريني بشرشال⁽¹⁾

فتحت بأضلاع البرج ثلاثة مزغل لتدعيم الدور الدفاعي للمزغل المركبة الموزعة بساتر البطارية، من خلال الاستفادة من بروز البرج إلى الخارج، ما يوفر للمدافعين رؤية أحسن، وبالتالي توفير تغطية أفضل لجوانب السور.

¹ - محفوظ بوطبة، دراسة أثرية لنماذج من العمارة العثمانية في مدينة شرشال، معهد الآثار، جامعة الجزائر-2، الجزائر، 2008-2009، ص. 81.

يوجد في نهاية البطارية من الناحية الغربية في الجزء المطل على داخل القسبة، حيث حديقة النعام ودار البارود عدد من الغرف تشغل مساحة 20 م²، كانت تستخدم كمراحيض للجنود⁽¹⁾. أنظر المخطط رقم: 07 والصورة رقم: 07.

البطارية رقم: 02

موقعها:

نصل إليها بواسطة الممر المنحدر، وتتصل هي الأخرى بالسور الشمالية، حيث تمتد من البطارية رقم 1 إلى الركن الجنوبي الشرقي للقسبة أعلى باب جديد. أنظر المخطط رقم: 06.

الوصف المعماري للبطارية رقم 02:

يؤدي ممر المدفعية إلى ممشى واسع مرصوف بالآجر يتراوح عرضه ما بين 7.50 و9م، يحميها من الواجهة البحرية سائر يقدر ارتفاعه بـ1.50م، وسمكه 1.60م، فتحت به تسعة (9) فتحات للمدفعية، ترتفع عن سطح البطارية بـ0.50م، ومقاساتها من الداخل 0.80م ومن الخارج 1.90م، وكان الركن الجنوبي الشرقي لها مسلح بثلاثة قطع مدفعية إثنان باتجاه الجنوب وواحدة باتجاه الميناء.

شيّدت فتحاتها المسقوفة بجدار سائر سمكه 1م، مقاساتها من الداخل 0,70م، ومن الخرج 1,80م، وهذا الجزء من تحصينات القسبة بارز عن البطارية رقم 2، ما فرض على المعماريين جعل الجزء الرابط بين سائر هذا الجزء وسائر البطارية الثانية عند الانكسار مشطوفاً، وذلك لتسهيل نقل المدفعية. أنظر المخطط رقم: 08 والصورة رقم: 08.

¹ - علي خلاصي، قسبة...، ص. 78.

البطارية رقم 03:

موقعها:

تشغل الجزء المحصور بين البطارية رقم 04 وقصر البايات، خلف دار البارود، متصلة بالسور الخارجية للقصة، التي تمتد من الركن الجنوبي الشرقي للبطارية رقم 02 إلى البطارية رقم 07 وهي موجهة نحو الجنوب والجنوب الغربي. أنظر المخطط رقم: 06.

الوصف المعماري للبطارية رقم 03:

تمتد البطارية بشكل طولي على مسافة 15.20م، وعرضها 5م، رصفت أرضيتها بالأجر، يحميها سائر سمكه 1.40م وارتفاعه 2.50م، فتحت به عشرة فتحات للمدفعية، ترتفع عن أرضيتها بـ0.40م، تسعة منها باتجاه الجنوب الغربي، والعاشر باتجاه البحر، مقاساتها من الداخل 0.80م و1.60م من الخارج، تضاف إليها عشرة مزاغل، ترتفع عن سطح البطارية بـ1م، عرضها من الداخل 0.25م ومن الخارج 0.15م، وهي موزعة بمعدل مزغلين بين كل فتحتين للمدفعية. أنظر المخطط رقم: 09 والصورة رقم: 09.

يحمي الجزء المحصور بين البطارية وقصر البايات جدار سائر به ثمانية مزاغل ترتفع عن أرضية الممشى بـ1.10م، وموزعة بانتظام، حيث تفصل بينهما مسافة 0.80م.

يحدّ البطارية من الداخل حوض لتجميع مياه الأمطار، ثم تنقل عبر قنوات فخارية مدمجة داخل جدران الحوض إلى الخزانات لتزويد مصنع البارود وبعض مرافق الطابقين الأرضي والأول لقصر البايات بحاجياتها من الماء.⁽¹⁾ استعملت في بناء هذه البطارية مادة الأجر بكثرة، حيث استخدمت في ترصيف الممشى وفي تشكيل الجدار السائر والمزاغل.

¹ - علي خلاصي، المرجع السابق، ص. 80.

البطارية رقم 04:

موقعها:

تحتل المكان المحصور بين البطارية رقم 05 والبطارية رقم 03 وترتفع عنها بحوالي 2.30م، وبينهما خزان ماء مستطيل الشكل مقاساته 1.40م×1.50م يستمد مياهه من الأمطار بواسطة قناة تظهر أسفل الضلع الشمالي للخزان تم الكشف عنها خلال عمليات الترميم. أنظر المخطط رقم: 06.

- الوصف المعماري للبطارية رقم 04:

تمتد البطارية بشكل طولي على مسافة تقدر بحوالي 24م، وقد تهدم جزء كبير من جدارها الساتر، الذي كان يضم تسعة فتحات مدفعية⁽¹⁾ ولم يسلم منها إلا فتحتين يتوسطهما مزغلين للمراقبة، ولم يبق من جدارها الساتر سوى مسافة 9,50م وبسمك يقدر ب 1,50م. أنظر المخطط رقم: 10 والصورة رقم: 10.

البطارية رقم 05:

موقعها:

تحتل أعلى نقطة بالقصبة في الركن الجنوبي الغربي منها، عند قمة المدينة، حيث تلتقي سور باب الوادي بسور باب عزون، ويمكن القول أنها كثيرا ما ظهرت في مخططات مدينة الجزائر خلال الحكم التركي لها، وذلك بفضل شكلها الغير منتظم

¹ - علي خلاصي، المرجع السابق ، ص. 83.

والمتميز عن باقي النظام الدفاعي للقلعة السلطانية، ما يجعلنا نرجح أنها تمثل إحدى الحصنين الأصليين الذين كانا بالقصبة خلال القرن 16م⁽¹⁾. أنظر المخطط رقم: 06.

الوصف المعماري للبطارية رقم 05:

اتخذت البطارية شكلا مضلعا بستة أضلاع، وتشغل مساحة معتبرة تقدر بـ 200م²(2) تتشكل من طابق أرضي، يضم ثمانية فتحات مدفعية، ونصل إليه بواسطة مدخلين بالواجهة الشرقية للبطارية على جانب السلم المؤدي إلى السطح الذي به بعض الفتحات لتهوية الطابق من مخلفات المدفعية. نصل إلى سطحها عبر سلم مستحدث مكان الممر الأصلي الذي يفترض أنه كان منحدرًا لتسهيل نقل المدافع إلى أماكنها على غرار الممرات السالكة إلى بطاريات الواجهة البحرية والبطارية رقم 03 و 04.

يحمي سطح البطارية جدار سائر مسلح بثمانية مدافع، ويقدر ارتفاعه بـ 2,50م، ويتراوح سمكه ما بين 2,80م و 3م، وهو ضخم البناء مقارنة بالبطاريات الأخرى، وقد يكون لذلك علاقة بموضع البطارية من القصبة وبحجم المدفعية المستعملة.

يتصل بالركن الشمالي الغربي للبطارية برج مربع الشكل طول أضلاعه 1,30م وارتفاعها 1,90م، تستند عليها قبة ثمانية الشكل، وفتحت بجدرانها خمسة مزاغل ترتفع عن أرضيته بـ 0,90م، ومقاساتها من الداخل 0,55م ومن الخارج 0,25م . أنظر المخطط رقم: 11 والصورة رقم: 11.

¹– Fray Diego De Haedo; **Topographies...**, P 28.

²– لطيفة بورابة، <<الحصون الأولى بمدينة الجزائر العثمانية>>، دراسات تراثية، العدد : 4. مخبر البناء الحضاري، جامعة الجزائر-2، الجزائر. 2014، ص. 289.

بطارية رقم 07:

موقعها:

أقيمت في الموضع المحصور بين البطارية رقم 01 وقصر الداوي عند نهاية شارع القصبة الذي يربط هذه الأخيرة بالقسم السفلي من المدينة⁽¹⁾، حيث كانت دار الإمارة سابقا (1516-1517). أنظر المخطط رقم: 06.

الوصف المعماري للبطارية رقم 07:

تمثل البطارية رقم 07 الطابق العلوي للسقيفة التي تعود إلى المرحلة الأولى من بناء القصبة⁽²⁾ و قد اتضح بعد المعاينة الميدانية لها أن جدارها الساتر لا يزيد في ارتفاعه عن 2م، فتحت به خمسة فتحات مدفعية تفصل بينها مسافة 1,80م، اثنتان منها باتجاه المسجد البراني، وثلاثة باتجاه البحر مطابقة بذلك ما ذهب إليه ديفولكس في وصفه لها.⁽³⁾

عند تعرض القصبة لعملية توسعة لاستيعاب الإدارة والخزينة والمرافق الخاصة بإيواء عائلة الداوي وحاشيته، رفعت جدران البطارية وسقفت بسقف مستوي من الخشب تدعمه في وسطه وجوانبه سوارى ترتكز على خمسة أعمدة مشكلة قاعتين، أحدهما خاصة بالرماية والثانية مخصصة لقائد المدفعية⁽⁴⁾.

¹ - Péllissier (E.) ; Op. cit., p. 336.

² - علي خلاصي، القلاع والحصون...، ص. 83.

³ - Albert Devaulx, **Alger...**, in *Revue africaine*, N 20/1876, p. 158.

⁴ - علي خلاصي، القصبة...، ج. 01، ص. 93-95.

بعد احتلال المدينة سنة 1830م تعرضت عمارة البطارية لبعض عمليات التغيير بالزيادة في ارتفاع الجدران من الناحية الغربية والجنوبية، وسدّت فتحات المدفعية بها وحلّت محلها أربعة نوافذ، ونفس التغييرات لحقت بالجانب الشمالي منها، بتعويض فتحات المدفعية بنوافذ تطلّ على المدينة.⁽¹⁾ أنظر المخطط رقم: 12 والصورة رقم: 12.

برج تامنفوست:

موقعه وتاريخه:

هو آخر نقطة دفاعية بخليج مدينة الجزائر من الناحية الشرقية، على بعد 650م عن رأس "تامنفوست"⁽²⁾، شيدّ لحماية المرسى الطبيعي الذي بجانبه⁽³⁾، حيث يسمح برسو السفن به لتوفره على حماية ضدّ العواصف البحرية بفضل الرأس المتقدم في البحر⁽⁴⁾، وقد جاءت عملية بنائه تداركا للخلل الدفاعي الموجود بهذا المكان بعد استعماله من طرف سفن "شارل الخامس" عند حملته على الجزائر سنة 1541م. أنظر الخريطة رقم: 02.

كانت عمارة البرج قائمة بداية النصف الثاني من القرن 16م، وقد ذكرت بعض الدراسات التاريخية أنه في سنة 1556م، بعد وفاة "صالح رايس"، نزل به الحاكم الجديد لمدينة الجزائر الباشا "محمد تكليري" قبل التحاقه بمقر الحكم بقصر الجينية.⁽⁵⁾

¹ - علي خلاصي، القلاع والحصون....، ص. 84.

² - Victor Berard; **Op, cit.**, p. 166.

³ - DR. Shaw ; **Op, cit.**, p. 305. **Voir** : - Peyssonnel et Desfontaines, **Op.cit.**, P. 446.

⁴ . Quétain (E.) ; **Op.cit.**, P 224.

⁵ - Albert Devoulx ; « La Première révolte des Janissaires a Alger », in : Revue Africaine, N 85, 1871, P. 03.

تعرّضت عمارة البرج للترميم أكثر من مرّة⁽¹⁾ إحداها سنة 1661م على عهد "رمضان آغا" (1660-1661م)، والأخرى سنة 1685م من طرف الحاج "حسين باشا ميزومورتو" (1683-1688)، الذي قام بتسليح البرج بعد الحملة الفرنسية بقيادة "دوكين" على الجزائر⁽²⁾، وكان البرج مسلحا بأربعة وعشرين مدفعا موزعا على جدار التحصين الذي يطوق السطح⁽³⁾ وتشرف على حراسته حامية من 15 رجلا⁽⁴⁾، وقد حافظ على دوره الدفاعي إلى أن فقده خلال الفترة الاستعمارية⁽⁵⁾، حيث أصبح مجرد إقامة للمعمرين⁽⁶⁾، واستغلت بنايته حاليا كمتحف تحت وصاية الديوان الوطني لحماية وتثمين الممتلكات الثقافية.

الوصف المعماري لبرج تامنفوست:

يتقدم البرج نظام دفاعي يتمثل في الخندق الذي يحيط به كليا، ورغم أن ملامحه لم تصبح واضحة، إلا أنّ عرضه قد يفوق 10 أمتار وعمقه 3 أمتار، نعبه بواسطة جسر متحرك عرضه 3,20 م، يرفع وينزل عند الضرورة باستعمال سلاسل مثبتة أعلى المدخل.

نجد بعد الخندق مباشرة هيكل البرج المضلع الشكل -ثمانى الأضلاع- المشيد بالحجارة الرملية المصقولة، يقدر طول كل ضلع من أضلاعه بـ17 م، وارتفاعها من الأرضية الحالية إلى نهاية الجدار السّاتر بـ9.70م، أما سمكه فيصل إلى حوالي 9م. شيد على قاعدة تمثل جدرانها الطرف الداخلي للخندق، ونلاحظ أن ارتفاعها يختلف من جهة إلى أخرى، وقد يرتبط ذلك بطبوغرافية الموضع أو بنسبة الردم التي لحقت بالخندق.

¹ - علي خلاصي، القلاع والحصون...، ص. 91.

² - Henn klien ; **Op.cit.**, P.82.

³ - DR. Shaw ; **Op, cit.**, p. 190.

⁴ - Albert Devoulx ; **Tachrifat...**, P. 50.

⁵ - Georges Robert **Op.cit.**, P. 54. **Voir** : - Quétain (E.); **Op.cit.**, P.224.

⁶ - Louis Piesse ; **Alger...**, P. 49.

نلج إلى البرج عبر مدخل ارتفاعه 2،40م وعرضه 1،10م يؤدي إلى سقيفة طولها 6،40م وعرضها 1،90م وبجدارها الغربي منفذين، نصل من خلالهما إلى رواق بضلعه الجنوبي، حيث كانت المقصلة في الفترة الاستعمارية أين يوجد مزغل كبير الحجم، نشرف من خلاله على الجسر، وبجانبه الغربي ثلاثة قاعات متباعدة المقاسات، تطل الشمالية منها على الصحن بواسطة نافذة، وفي الركن الشمالي الشرقي له مدخل خاص بالسلم المؤدي إلى السطح.

يؤدي هذا الرواق مباشرة إلى الصحن المكشوف الذي اتخذ نفس شكل البرج، يحيط به رواق عرضه 1،90م مسقف بسقف نصف برميلي، يشرف على الصحن ببائكة من 17 عمودا اسطوانيا، يتوجها 15 عقدا منكسرا.

يتقدم الرواق مجموعة من القاعات، ترتفع عن أرضيته بـ 0،25م، وتتصل به بعدد من المداخل والنوافذ، موزعة بمعدل مدخل ونافذتين بكل غرفة باستثناء المصلى والمطبخ والمخبرة والحمام، وجميعها مسقوفة بأقبية نصف برميلية.

يقع المصلى عند نهاية الرواق الذي يلي السقيفة، وهو عبارة عن قاعة تقدر مساحتها بـ 11،5م²، يتوسط جدار القبلة لها محراب مصلع الشكل، وعلى جانبي مدخلها فتحتين دائريتي الشكل للإضاءة والتهوية.

يوجد المطبخ على يسار المصلى تفصل بينهما قاعة لا تختلف عن القاعات السالفة الذكر، له شكل غير منتظم، وموقده كان بالجدار الشمالي بناءً على المدخنة التي لا تزال قائمة بموضعها.

نجد على يسار المطبخ قاعة أكثر عمقا من غيرها يقال أنها مخبزة، وهي غير منتظمة البناء نتيجة بروز المطبخ إلى داخلها، وتقدر مساحتها بـ 38م²، هي الأخرى فتحت في سقفها مدخنة، وعلى يسار هذه القاعة يوجد المرحاض.

يتزود المرابطون بالبرج بمياه خزّان يقع في الركن الشمالي للصحن، يستمد مياهه من الأمطار بواسطة أربعة ميازيب فخارية متصلة بالسّطح، وهي تظهر بوضوح في الرواق المحيط بالصحن، وموزعة بشكل متناظر، وعندما يرتفع منسوب مياه الخزان، يتخلّص من الفائض باستعمال قناة يظهر جزء منها أسفل الجدار الفاصل بين المخبزة والمرحاض.

نصل إلى سطح البرج الذي يرتفع عن أرضية الصحن بـ 5,80 م، عبر سلّم طوله 9,20م، وعرضه 2,30م، ورغم شدة امتداده إلّا أنّه يعاب عليه صعوبة مسلكه، ويصادف الصاعد فيه مدخلا قليل الارتفاع، يؤدي إلى السجن الذي فتحت في سقفه فتحة للإضاءة والتهوية.

يحمي السّطح حائط سائر سمكه 2م، وارتفاعه 1,60م، فتحت به 24 فتحة للمدفعية يقدر عرضها من الداخل بـ 1م، ومن الخارج 1,80م، وزعت بمعدّل ثلاثة فتحات بكل ضلع، كما يضم أيضا 28 مزغلا ترتفع عن السطح بـ 1م، وصمّمت بشكل مائل بطريقة تسمح بمراقبة جوانب الخندق.

بعد المعاينة الميدانية للبرج وقفنا على سمك جدرانه، هذا ما أكسبها أكثر قوة ومتانة، وهذا التخطيط مرتبط بعدّة أسباب، نختصرها في أهمية الموضع الذي يحتله البرج "برأس تامنفوست"، حيث كان المكان صالحا لرسو سفن العدو، ما جعل هذا الأخير يدرجه في مخطّطه الحربي ضدّ مدينة الجزائر في أكثر من مرّة أولها في حملة "شارل الخامس" سنة 1541م، وآخرها في الحملة الفرنسية سنة 1830، كون الفرنسيين اختاروا بين نقطتين للإنزال بخليج سيدي فرج غربا وبرأس تامنفوست شرقا.

أما السبب الآخر فمرتبط بطبيعة المبنى، سواءً من الناحية الدفاعية أو الوظيفية، حيث شيد ليكون مقرا يستقبل فيه حكام الإيالة المعيّنين من طرف الباب العالي بتركيا قبل دخولهم إلى مدينة الجزائر، ما جعله بهذه الاستحكامات ونوعية المرافق المشكلة له.

كما أن هناك سبب آخر مرتبط بنوعية الترسانة الحربية المستعملة خلال هذا العهد، والمتمثلة في سلاح المدفعية، فابتكار هذا النوع من الأسلحة أملى على المختصين في العمارة الحربية، جعل عمارتها قوية تصمد أمام قصف مدفعية العدو لها، خاصة وأن برج "تامنفوست" يعاب عليه سهولة استهدافه من البحر من قبل سفن العدو، لانخفاض موقع تشييده⁽¹⁾، ولإكساب عمارته القوة الدفاعية اللازمة، عملوا على زيادة سمك جدرانه على حساب ارتفاعها، وإن كان لهذا التخطيط نقطة سلبية تتمثل في تقليص مسافة الرمي، والزيادة في سمك الأسوار، وله مشكل دفاعي آخر يتمثل في استحالة أو صعوبة مراقبة جوانب الأسوار، للسمك الكبير للسواتر التي بها فتحات المدفعية حيث يقدر سمكها بـ2م، وقد تدارك المعمارون ذلك باستعمال الخندق المائي المحيط بالبرج، ودوره منع العدو الإقتراب من جوانب السور، ويجعله في مرمى نيران المدافعين عبر المزاغل المنفذة في نفس الساتر، والتي تسمح برؤية الهدف بداية من الجوانب الخارجية للخندق. أنظر المخطط رقم: 13.

¹ – Général Poul- Azan ; Op. cit., P. 331.

برج الكيفان:

موقعه وتاريخه:

يعرف أيضا باسم برج الماء⁽¹⁾، لقربه من البحر، حيث كانت تصطدم المياه بواجهته البحرية، وكثيرا ما اتخذت الأبراج التي تحتل هذه المواضع هذه التسمية، وكانت شائعة بالفترة المرينية على عهد السلطان "أبي الحسن".

يعتبر هذا البرج ثاني أبراج مدينة الجزائر من الناحية الشرقية بعد برج "تامنفوست" الذي يبعد عنه بمرحلتين⁽²⁾، شيده محمد باشا (1718-1724م) سنة 1135هـ / 1722-1723م، وقد جاء ذلك في اللوحة التأسيسية التي تعلو مدخله الوحيد بالواجهة البرية، حيث تحمل كتابة عربية، منفذة بخط مشرقى ثم ملئت بالرصاص⁽³⁾. أنظر الخريطة رقم: 02.

نص الكتابة:

الحمد لله وحده والصلوة على رسوله

قد بنى هذا الحصن في دولة محمد باشا

يسّر الله مراده وبلغه كلّ ما يشاء

سنة 1135هـ

بنيت هذه العمارة لحماية الخليجين المشكلين على جانبيها من خطر العدو⁽⁴⁾، واستمر البرج في أداء وظيفته الدفاعية إلى غاية احتلال المدينة من طرف الفرنسيين الذين حوّله في أفريل من سنة 1855م إلى مركز للجمارك⁽⁵⁾.

¹ - Henn klien ; **Op.cit.**, P. 82.

² - Pellissier (E.); **Op. cit.**,p. 351.

³ - Gabriel Colin ; **Op.cit.**, P. 97.

⁴ - علي خلاصي، المرجع السابق، ص. 92.

⁵ - Henn klien; **Idem.**, P.68-82.

الوصف المعماري لبرج الكيفان:

اتّخذت هذه البناية الحربية شكلا منتظما عكس ما جاء عليه في عدد من الدراسات⁽¹⁾ وهي من طابق واحد بأربعة واجهات مشيّدة بالحجر الرملي المصقول، وزعت عليها مجموعة من الفتحات الخاصة بالمدفعية والأسلحة الخفيفة للرماية والمراقبة. **أنظر المخطط رقم: 14.**

يتقدم الواجهة الجنوبية الرئيسية للبرج خندق اصطناعي مائل الجوانب ومرصوف بالآجر ومصقول بالملاط لمنع تسرب المياه التي يتزوّد بها من البحر عبر قناة مشيّدة بالآجر بجانبها المتصل بالخندق، أمّا في جانبها الآخر فتم حفرها في الأرضية الصخرية بشكل أفقي منتظم ممتدّة نحو الشرق إلى أن تتصل بالبحر.

بعد عبور الجسر المتحرك الذي يصلنا بالمدخل الوحيد للبرج، والذي يتوسط واجهته الجنوبية المطلة على اليابسة، وهو متوّج بعقد محمول على عمودين أسطوانيا البدن يقومان بدورهما على قاعدتين هرميتا الشكل، ترتفعان عن الأرض بقدر عمق الخندق، وقد زيّن إطار العقد بزخرفة نباتية عبارة عن زهرة تعلوها الكتابة التأسيسية.

نلج عبر هذا المدخل إلى سقيفة على جانبها الأيسر يوجد غرفة ممتدة بشكل طولي، وعلى جانبها الأيمن رواق يؤدي إلى سلم منحدر بغرض نقل المدافع إلى السطح.

تؤدي السقيفة مباشرة إلى صحن مكشوف تحيط به أروقة من جهاته الثلاثة ومسقوفة بأقبية نصف برميلية محمولة على أربعة دعائم ضخمة مشيّدة بحجارة رملية مشدّبة، وهي متوسطة الارتفاع، حيث لا يتجاوز ارتفاعها 20م.

¹ - Alfred Nettement; **Op.cit.**, p. 583. **Voir:-** Vincent-Yves Boutin; **Op.cit.**, p. 191.

وزعت على واجهاته الأربعة مجموعة من المزاغل، حيث نجد بالرواق الشمالي أربعة مزاغل وبالرواق الغربي ثلاثة مزاغل وبالرواق الغربي ثلاثة مزاغل وبالرواق الشرقي مزغل واحد، إضافة إلى غرفة ندخل إليها من مدخل منخفض بجداره الجنوبي الشرقي أسفل السلم.

نصل إلى سطح المبنى بواسطة سلم منحدر (زلاقة) ينتهي بنا إلى غرفة ممتدة على طول الواجهة الجنوبية، ويبدو أنها شيدت في فترة لاحقة من تاريخ بناء البرج، ويظهر ذلك في اختلاف نوعية المواد المستعملة في بنائها، وزعت على جدارها الجنوبي ستة فتحات للمراقبة من نفس النوع تتوسطها فتحة كبيرة الحجم مشيدة بالآجر تعلو مباشرة المدخل.

أما الجوانب المتبقية من الصحن، حصنت بعدد من فتحات المدفعية، والتي حددها "بوتان" ب 11 مدفعا⁽¹⁾، وبعد المعاينة الميدانية تبين أن عددها 12 مدفعا، خمسة بالجانب الشمالي، وأربعة بالواجهة الشرقية، وثلاثة بالواجهة الغربية.

إنّ عمليات التهيئة التي أقيمت بالمبنى تحضيراً لترميمه كشفت عن التصميم الأصلي له، إضافة إلى المواد البنائية المشكلة لأقسامه من الداخل، حيث استعملت الطابية في بناء أسفل الجدران الجانبية للبرج إلى ارتفاع يقدر بحوالي 1م، والآجر في تشكيل أقبية الأروقة التي تقوم مباشرة على الدعائم المشكّلة لحدود الصحن وفي كسوة أجزاء الجدران المبنية بالطابية، إضافة إلى استعماله في ترصيف أرضية البرج، كما استخدمت الحجارة المصقولة في تشكيل واجهات البناية منها التي جلبت من مواقع قديمة رومانية⁽²⁾.

¹ - مجاهد لعربي، الحزام الدفاعي لمدينة الجزائر في الفترة العثمانية، برج الكيفان نموذجا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2008-2009، ص. 101.

² - نفسه، ص. 107.

برج الحراش:

موقعه وتاريخه:

ورد في الدراسات التي تعرّضت لتحصينات مدينة الجزائر، وفي المخططات التي أعدت لها في الفترة العثمانية بعدة تسميات، حيث جاء باسم برج "وادي الحراش"⁽¹⁾، وبرج "يحيى" وبرج "الآغا"، إضافة إلى برج "القنطرة" نسبة إلى القنطرة التي شيدها "الحاج أحمد داي" (1695-1698) سنة 1697م، وأعيد بناؤها من طرف "إبراهيم بن رمضان باشا" (1732-1745م) سنة 1736م⁽²⁾، وفي الفترة الاستعمارية أصبح يحمل اسم البيت المربع⁽³⁾. شيّد على ضفة وادي الحراش⁽⁴⁾ بالقرب من القنطرة التركية على بعد حوالي 2 كلم عن البحر⁽⁵⁾، وتمّ ذلك سنة 1724م على عهد "كرد عبيد باشا" (1724-1732م)⁽⁶⁾، و كانت تقيم به حامية تركية تحت إمرة الآغا، مهمتها الحرص على استخلاص الضرائب ومعاينة الممتنعين على دفعها⁽⁷⁾، كما كان يقيم عنده بايات الشرق قبل نزولهم "بعين الربط" (ساحة أول ماي) لتقديم الدنوش⁽⁸⁾.

أصبح في الفترة الاستعمارية بداية من سنة 1830م ملكا لسلاح الهندسة، استغل للدفاع عن معبر الحراش، وحراسة الساحل الشرقي لمدينة الجزائر⁽⁹⁾، إضافة إلى اتخاذ كسجن مركزي⁽¹⁰⁾.

¹ - ليليان مسلم، المرجع السابق، ص. 73.

² - Gabriel Colin ; **Op.cit.**, P. 103.

³ - Pellissier (E.); **Op. cit.**, p.40.

⁴ - L. M. Reus ; **Op.cit.**, p. 109.

⁵ - Victor Berard ; **Op.cit.**, p. 166.

⁶ - Louis Piesse ; **Op.cit.**, P. 48.

⁷ - Jules Duval ; **Op.cit.**, P. 195.

⁸ - أحمد توفيق المدني، محمد بن عثمان باشا...، ص. 114.

⁹ - Louis Piesse ; **Alger...**, P. 48.

¹⁰ - Georges Robert; **Op.cit.** P 53.

برج باب عزون:

موقعه وتاريخه:

يطلق عليه كذلك اسم برج "رأس تافورة"⁽¹⁾، و برج "سفيد" (البرج الأبيض)⁽²⁾، ويعتبر البرج من التحصينات الشرقية لمدينة الجزائر، حيث كان موقعه بجانب البحر على بعد 900م عن باب عزون⁽³⁾. أنظر الخريطة رقم: 02.

يعود تاريخ إنشائه إلى النصف الثاني من القرن 16م في الفترة الممتدة من 1581 إلى 1584⁽⁴⁾، أي أن أشغاله بدأت على عهد "جعفر باشا" (1580-1582)، وتمت على عهد "حسن فنزيانو" خلال عهده الثانية (1583-1587)⁽⁵⁾.

نظرا لأهمية البرج، تعرّضت عمارته إلى عدّة تجديدات، كانت أولها خلال حكم "مصطفى باشا"⁽⁶⁾، مثل ما توضحه الكتابة التأسيسية المحفوظة بمتحف الآثار القديمة بالجزائر، نفذت بطريقة الحفر الغائر المطعم بالرصاص على شكل أبيات شعرية، على لوحة رخامية بلغة تركية وبحروف عربية بخط نسخ شرقي:

¹- Delphin (G.); **Op.cit.**, P. 192.

² - علي خلاصي، المرجع السابق، ص. 94.

³- Pellissier (E.); **Op. cit.**, P. 70. **Voir:** - Alfred Nettement; **Op. cit.**, p. 444

⁴- Henn klien ; **Op.cit.**, P.79.

⁵- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص. 31-32.

⁶- أحمد الشريف الزّهار، المصدر السابق، ص. 82.

نص الكتابة:

تعالى الله زهى خير بلندكيم ايلدي ايجاد
جزايره متانت هم اوله اسوده حال عباد
او صدر عالي والي جزاير مصطفى باشا
ويدوب هممتي مبدول بو برجى ايلدي بنياد
ديدي بورج سفيد اسمن ركون در افرين اوستاد
كلوب بر هاتف عيبي ديدي جاكري تاريخين
حصن عجيب بالامتين قلعه سنكين نهاده سنة 1219⁽¹⁾.

نص الكتابة مترجمة إلى اللغة العربية:

وجد بفضل الله تعالى هذا العمل الخيري الذي صار قوة للجزائر .
ووفر الأمن للعباد صاحب الصدر العالي مصطفى باشا والي الجزائر
أولى عنايته لبناء هذا البرج فوضع الأسس على صخرة سوداء
وبناه على هذه الحال ثم قال أرغب أن يكون اسمه البرج الأبيض
شكرا أيها السيد هاتف غريب أطلقه جاكري
معلنا تاريخه حصن عجيب متين شيد على قاعدة صخرية سنة 1219 هـ (1804-1805)⁽²⁾.

¹ - سعيد بوزرينة، المرجع السابق، ص. 95.

² - علي خلاصي، القلاع والحصون...، ص. 95.

إنّ المكان الذي كان يحتله البرج ونوعية تسليحه جعل منه سدّا منيعاً أمام الحملات البحرية ومنعها من الاقتراب من تحصينات الميناء، إضافة إلى توفير الحماية لحصن الإمبراطور⁽¹⁾.

كما ساعده موقعه المكشوف على الاتصال بهذا الأخير عن طريق الإشارة من جهة، وببرج الفنار بالميناء من جهة أخرى⁽²⁾، وقد واصل أداء دوره العسكري في فترة الاحتلال الفرنسي حيث حوّل إلى إقامة للجيش⁽³⁾، واستغل جانب منه كسجن عسكري، وظلّ كذلك إلى أن هدم سنة 1905م⁽⁴⁾.

أمّا عن عمارة البرج سنكتفي بما قدّمه Delphin من معلومات، أفرد لها دراسة خاصة نشرت بالمجلة الإفريقية سنة 1904م تحت عنوان "حصن باب عزون"⁽⁵⁾.

اتخذ البرج شكلاً منتظماً بأربعة واجهات كانت مسلحة بعشرات من القطع المدفعية، بناءً على الإحصائيات المقدمة حول فتحات المدفعية الموزعة عليها، والتي تمت بالشكل التالي:

- الواجهة البحرية بها 19 فتحة سفلية و 18 فتحة علوية.
- الواجهة المطلّة على الطريق بها 18 فتحة علوية.
- الواجهة الجنوبية الشرقية 05 سفلية و 18 علوية.
- الواجهة الشمالية الغربية 03 سفلية و 12 علوية⁽⁶⁾.

¹- Delphin (G.); **Op. cit.**, P. 191-196. **Voir** : - Alfred Nettement; **Op. cit.**, P. 584.

²- **Idem.**, P 195.

³-Aumerat ; **La propriété...**, P. 168.

⁴- Henn klien ; **Op.cit.**, P.79.

⁵- Delphin (G.); **Ibid.**, P. 191-196.

⁶- Henn klien ; **Idem.**, P.79.

كان للبرج مدخل رئيسي وحيد بالواجهة الشمالية، وفي الفترة الاستعمارية استحدث مدخل آخر بالواجهة الغربية، نصل من خلال المدخل الرئيسي إلى صحن واسع، وزعت على جوانبه مجموعة من المرافق منها: غرف الجند التي كانت بالواجهة الغربية، حيث كانت تتسع لإقامة 300 جندي، أما مخازن الذخيرة، فكانت بالواجهة الجنوبية⁽¹⁾، كما كان البرج يضمّ مصلى، وتتزود حاميته بحاجياتها من الماء من عينين مجاورتين له، أحدهما متصلة بجدرانه⁽²⁾، إضافة إلى توفره على خزانين لتجميع مياه الأمطار عبر ميازيب متصلة بالسطح، يتسع أحدهما لـ 295م³، والآخر لـ 140م³، كإجراء احترازي عند الحصار⁽³⁾. أنظر المخطط رقم: 15. و الصورة رقم: 13.

برج مولاي حسن:

موقعه وتاريخه:

ذكر بعدة تسميات أشهرها حصن الإمبراطور نسبة إلى الإمبراطور الإسباني "شارل الخامس" الذي اتخذ من موضع تشييده مكانا لنصب مدفعيته، والإشراف على عملية مهاجمة مدينة الجزائر⁽⁴⁾، وهناك من يطلق عليه اسم برج "بوليلة"، وذلك مرتبط إما بحدث استقرار الإمبراطور بهذا المكان في ليلة 24 و 25 أكتوبر 1540م⁽⁵⁾، أو لأنه شيّده في أربعة وعشرين ساعة أي في ليلة واحدة⁽⁶⁾، ويعرف البرج أيضا بالبرج

¹- Delphin (G.); **Op.cit.**, P. 196.

²- Vincent Yves – Boutin ; **Op.cit.**, p. 191.

³- Delphin (G.); **Idem.**, P. 196.

⁴- Philippe (P.); «L' expédition espagnole de 1541 contre Alger», in : *Revue Africaine*, N° 200/ 1891, P. 184.

⁵- Louis pisse ; **Alger...**, P 37.

⁶- Fray Diego de Haedo ; **Topographie...** , P. 28. **Voir** : - Mercel Emrit ; **Un Astronome...**, P. 254.

الإسباني⁽¹⁾، و«برج» السلطان كلاصي⁽²⁾، و«برج الطاووس» لأنه كان يربّي فيه هذا النوع من الطيور.⁽³⁾

شيّد برج «مولاي حسن» بمكان يعرف بكدية الصابون (سيدي يعقوب) جنوب القسبة على بعد 800 م عنها⁽⁴⁾، ويشرف عليها بارتفاع يتراوح ما بين 40 و60م، وعلى برج باب عزون الذي يتقدمه من الناحية البحرية بارتفاع حوالي 100 م⁽⁵⁾، يمكن أن نصل إليه من أبواب المدينة مروراً بخارج أسوارها مثل الطريق الرابطة بين باب الوادي وبرج النجمة باتجاه الجبل، ومنه تواصل مسارها إلى أن تتصل بالبرج، أو بواسطة الطريق التي تصله بباب عزون مروراً بباب جديد، وأخيراً عبر باب جديد، وهي أقرب أبواب المدينة إليه⁽⁶⁾.

يتميز الموقع الذي شيّد به البرج ببعده عن البحر وبارتفاعه عنه الذي يصل إلى حوالي 200م⁽⁷⁾، هذا ما وفر له الحماية، حيث يستحيل على العدو التعرّض له من الناحية البحرية⁽⁸⁾، وأكسبه أولوية دفاعية وأهله لتوفير التغطية للقسبة، وأبراج الواجهة البحرية مثل: برج باب عزون وبرج الانجليز⁽⁹⁾.

¹ - سيمون بفايفر، مذكرات جزائرية عشية الاحتلال، ترجمة وتقديم وتعليق: أبو العيد دودو، دار هومة، الجزائر، 2009، ص. 86-88.

² - Rosalem (N.); **Op.cit**, P. 81.

³ - A. Defontaine De Resbecq ; **Op.cit.**, P. 169.

⁴ - Albert Devoulx ; **Alger...**, in : *Revue Africaine*, N° 22/ 1878, P 233. **Voir** : - Fray Diego de Haedo ; **Histoire...**, P.80. - Fray Diego de Haedo ; **Topographie...**, P. 35.

⁵ - Alfred Nettement; **Op. cit.**, P 580. **Voir**: - Vincent - yves - boutin; **Op.cit.**, p. 189. - E. Quetin; **Op.cit.**, p. 165.

⁶ - Lanfreducci et Bosio ; **Op.cit.**, P. 537.

⁷ - A. Defontaine De Resbecq, **Idem.**, P. 169.

⁸ - vincent yves - boutin; **Idem.**, p. 191.

⁹ - Général Poul- Azan ; **Op. cit.**, P. 239.

رغم أن البرج شيد بأعلى نقطة بالمدينة، إلا أنه له نقاط ضعف تكمن أساسا في موقع إنشائه، حيث يمكن الإشراف عليه واستهدافه بالمدفعية من أماكن أكثر ارتفاعا منه، تركت دون حماية بالجهة الغربية والشرقية والجنوبية، إضافة إلى إمكانية استخدامها في قطع الإمدادات عنه بالتعرض للطرق المؤدية إليه من الناحية الغربية⁽¹⁾، حيث توجد مرتفعات جبل بوزريعة التي يصل ارتفاعها إلى 400م عن سطح البحر، أي بارتفاع يزيد عن 200م عن موضع البرج⁽²⁾.

يضاف إلى هذا المظهر التضاريسي مظهر آخر، يتمثل في الجداول المائية المنتشرة بجواره، تشكلت بفعل انحدار موقع تشييده، يمكن للعدو استعمالها كخنادق طبيعية للاحتماء بها مثل ما حدث في حملة "شارلكان" سنة 1541م⁽³⁾.

كان الحكام الأتراك بمدينة الجزائر على دراية بهذا الخلل في النظام الدفاعي للبرج، وقد حاولوا تداركه بتحسين الواجهة الجنوبية له بسورين⁽⁴⁾، وبذلك تعزيز قدرته الدفاعية إذا ما داهمه العدو من الناحية الخلفية، حيث تكثر القمم المشرفة، ويبدو أن السبب الرئيسي في عدم إقامة تحصينات أخرى لحماية ظهر البرج على امتداد 285 سنة من إنشائه رغم إدراكهم أهمية هذا الحصن في دفاعات المدينة، وأنه مفتاح الدخول إليها إذا ما تمكن العدو منه⁽⁵⁾، راجع إلى الاهتمام بتحسين الواجهة البحرية للمدينة التي كانت في مواجهة مباشرة للخطر، على عكس الناحية البرية التي لم يحدث أن فاجأها العدو منها، منذ أن استقر بها الأتراك سنة 1516م، وقد استغل الاحتلال الفرنسي هذه النقطة والعوامل السابقة الذكر في إعداد مخطط حملته على الجزائر سنة 1830م⁽⁶⁾، والتي

¹ - Albert Devoulx ; **Alger...** , in : *Revue Africaine*, N° 22/ 1878, P 235.

² - Vincent yves boutin; **Op. cit.**, p. 59-60.

³ - Fray Diego de Haedo ; **Topographie...** , P. 36.

⁴ - Albert Devoulx ; **Idem.**, P. 233.

⁵ - Charles Féraud; **la prise...**, P. 75.

⁶ - Général Paul- Azan ; **Op. cit.**, P. 207-253.

تمكنوا على إثرها من احتلال حصن الإمبراطور ومن ثمة الاستيلاء على باقي تحصينات المدينة⁽¹⁾.

شيده "حسن بن خير الدين باشا" في فترة حكمه الأولى (1544-1552م)، سنة 1545م⁽²⁾ ونظرا لأهمية البرج في النظام الدفاعي للمدينة، تعرّض لعدّة تجديدات، كانت أولها سنة 1580م على عهد "حسن فنزيانو" (1577-1580م)⁽³⁾، وتلتها عملية أخرى سنة 1067هـ / 1656-1657م خلال فترة حكم البشاوات على يد إبراهيم باشا (1656-1659م)، وفي فترة الدايات سنة 1155هـ / 1742-1743م، تعرّض إلى صاعقة برقية فجّرت مخزن البارود ما تسبب في هدمه وهلاك حاميته، فقام الداوي إبراهيم (1732-1745م) بإعادة بنائه مع الحفاظ على مخططه العام الذي كان عليه من قبل⁽⁴⁾.

خلال الحملة الفرنسية على مدينة الجزائر سنة 1830م، هدم البرج مرّة أخرى في يوم 04 جويلية بعد أن أمر الخزناجي بتفجير مخزن البارود لمنع القوات الفرنسية من الاستيلاء عليه⁽⁵⁾، وكان يومها يتسع لإيواء حوالي 400 رجل⁽⁶⁾، ومسلّح بخمسين مدفعا وستة هاونات⁽⁷⁾. بعد احتلال المدينة قام الفرنسيون بترميمه⁽⁸⁾، واتخذوا منه ثكنة وسجنا تأديبيا للضباط⁽⁹⁾، وهو حاليا ملك لوزارة الدفاع الوطني.

¹- Alfred Nettement; **Op. cit.**, P. 580.

²- Peyssonnel et Desfontaines ; **Op.cit.**, P. 451.

³- Abd Elhadi Manssour ; **Op.cit.**, P.69- 70.

⁴- Albert Devoulx ; **Alger...** , in : Revue Africaine, N° 22/ 1878, P 239.

⁵- Charles Féraud; **La Prise...**, P. 75.

⁶- Général Paul- Azan ; **Op. cit.**, P. 238.

⁷- A. Defontaine De Resbecq, **Op, cit.**, P. 169.

⁸- **Idem.** , P. 169.

⁹- Georges Robert; **Op.cit.**, P. 53. **Voir** : - Victor Berard ; **Op, cit.**, p. 165.

أما عن عمارة البرج، فقد عرف مخططه تغييرا مستمرا بعد أن كان على عهد "حسن باشا" مجرد بناية حربية بسيطة، إلى أن قام "حسن فنزيانو" بتجديده وتحسين دفاعاته احترازا من العدو الإسباني، حيث اتخذ شكلا مربعا طول كل ضلع من أضلاعه 90 خطوة، وارتفاع جدرانه 7م، تدعم هذه الجدران أربعة أبراج حائطية، صممت بشكل يسمح بتسليحها ببعض المدافع التي تضاف إلى الفتحات الموزعة على هيكله على مستويين سفلية وعلوية.

يتوسط الحصن برج رئيسي أكثر ارتفاعا من الأبراج الحائطية بحوالي 3م⁽¹⁾، كما كان به خندق داخلي عمقه 05م وعرضه 3م، أنجز بطريقة جعلته يعزل البرجين الجنوبي والشرقي عن البرجين الخلفيين له، والغرض من استعماله بهذه الطريقة ليكون حاجزا تحتمي به حاميته، إذا ما تمكن العدو من احتلال الجزء الخلفي له⁽²⁾، إضافة إلى المرافق التي كان يتشكل منها، فقد كان يضم خزانًا للمياه يستعمل عند الضرورة⁽³⁾.

بعد مقارنة مخطط البرج الذي يعود إلى بداية القرن 17م، بمخطط آخر مؤرخ بمطلع القرن 19م، اتضح لنا أن عمارته قد عرفت بعض الزيادات، حيث أصبح مخططه مستطيل الشكل، وتدعمت جدرانه بأبراج إضافية بعد أن كان يضم أربعة أبراج ركنية فقط، إضافة إلى الرفع من قدرة تسليحه، ويظهر ذلك في زيادة عدد فتحات المدفعية بشكل كبير بسطح البرج المركزي للحصن بعد أن كان سنة 1619م لا يستوعب أكثر من أربعة مدافع⁽⁴⁾.

¹- Fray Diego de Haedo ; **Topographie...**, P. 36.

²- Albert Devoulx ; **Alger...**, in : *Revue Africaine*, N° 22/ 1878, P. 239.

³- مارمول كربخال، المصدر السابق، ص. 363.

⁴- Mikel de Epalza et Juan BTA. Vilar ; **Op. cit.**, P. 327.

استطعنا من خلال المخطط الأخير لبرج الإمبراطور⁽¹⁾، من تحديد مكان مدخله، حيث فتح في الضلع الجانبي للبرج الحائطي الذي يتوسط إحدى واجهاته، وهو من المداخل المنكسرة. أنظر المخطط رقم: 16. و الصورة رقم: 14.

استعملت مواد بناء مختلفة في تشكيل عمارة البرج، نذكر منها الحجارة المصقولة، والأجر الذي استخدم في رفع الجدران والأبراج⁽²⁾، إلى جانب الطابية التي وظفت في بناء البرج المركزي النواة القديمة للحصن، حيث كان مخزن البارود⁽³⁾.

برج محمد باشا:

موقعه وتاريخه:

سمي بهذا الاسم نسبة إلى مشيّد محمد باشا (1567-1568)⁽⁴⁾، ويطلق عليه أيضا اسم برج "التغريين" لأنه أقيم بالمكان الذي كان يسكنه جماعة من العرب الأندلسيين في الفضاء المحصور بين القسبة وحصن الإمبراطور⁽⁵⁾، واشتهر باسم النّجمة الذي استمده من شكله⁽⁶⁾.

يعود الفضل في إنشائه إلى محمد بن صالح رايس (1567-1568) الذي شيّد سنة 1568م جنوب غرب القسبة، خارج أسوار المدينة على بعد 1000 خطوة عن برج "علاج علي" بباب الوادي⁽⁷⁾، وعلى بعد حوالي 500 خطوة عن القسبة⁽⁸⁾.

¹ - لخضر درياس، المرجع السابق، ص. 131. راجع: - لطيفة بورابة، المرجع السابق، ص. 297.

² - Peyssonnel et Desfontaines ; **Op.cit**, P. 451.

³ - Fray Diego de Haedo ; **Histoire...**, P. 177.

⁴ - Fray Diego de Haedo ; **Topographie...**, P 34.

⁵ - Louis pisse ; **De l'Odyssie...**, P. 158.

⁶ - Mercel Emrit ; **Un astronome...**, P. 254.

⁷ - Fray Diego De Haedo ; **Idem.**, P. 34.

⁸ - Fray Diego De Haedo ; **Histoire...**, P. 451.

شيدّ البرج بمكان هام يتميز بارتفاعه، حيث يأتي ثانيا كأعلى مبنى عسكري ضمن تحصينات المدينة بعد حصن الإمبراطور، هذا ما أكسبه الأولوية الدفاعية⁽¹⁾، وأقيم البرج بهذا المكان لحماية القسبة، ولتغطية الخلل الموجود في النظام الدفاعي للمدينة من الناحية البرية، حيث كان العدو يركز في خطه الحربية على احتلال المرتفعات بعد إنزاله في شاطئ باب الواد، وذلك للإشراف على المدينة واستهدافها من الأعلى مثل ما حدث في الحملة الإسبانية سنة 1516م⁽²⁾، وظل موقع البرج قائما في مخططات العدو، حيث استعمله الفرنسيون سنة 1830م لنصب أحد بطارياتهم لضرب القسبة والأبراج السفلية بجهة باب الواد⁽³⁾.

رغم ما يتميز به موضع البرج من مزايا حربية، إلا أن ذلك لم يمنع وجود نقاط ضعف له، ناتجة عن الطبيعة التضاريسية لموقعه، وعلى رأسها بعض المرتفعات المشرفة عليه من الناحية الغربية والجنوبية، تركت دون حماية ما قد يشكل خطرا على البرج إذا ما أحسن العدو استغلالها⁽⁴⁾.

عند احتلال المدينة سنة 1830 م، كان البرج قد فقد دوره الدفاعي بسبب انفجار مخزن البارود به⁽⁵⁾، سنة 1750م⁽⁶⁾، إلا أنّ ذلك لا يمنع من تقديم شيء عن عمارته انطلاقا مما جاء في عدد من الدراسات.

¹ - Peyssonnel et Desfontaines, **Op.cit.**, P. 451.

² - أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة....، ص 181.

³ - Pellissier (E.) ; **Op. cit.**, 72.

⁴ - Frauy Diego de Haedo ; **Topographie...** , P. 34.

⁵ - Henn klien ; **Op.cit.**, P68-79.

⁶ - ألبارت ديفولكس، المرجع السابق، ص. 119.

اتَّخذ البرج شكل نجمة خماسية الرؤوس⁽¹⁾، وهذا التخطيط تقليد أوروبي انتقل إلى العمارة العسكرية الإسلامية ببلاد المغرب نتيجة التطور الحاصل في أسلحة الحصار، ونقصد بذلك ظهور سلاح المدفعية⁽²⁾.

شيّدت عمارة البرج بالطابية ودعمت أركانه بالحجارة المصقولة⁽³⁾، حيث يبلغ ارتفاع جدرانه بـ 7,5 م تتوجها شرافات سمكها 5م، يتوسطه صحن مكشوف به ثمانية غرف لإقامة حاميته إضافة إلى خزان واسع دائري الشكل لحفظ الماء.

يحيط بأساسات البرج من الخارج، نفق خاص بالأفراد يصل بين مخابئه⁽⁴⁾، أما عن تسليح البرج، فكان يضم عشرين فوهة مدفعية موزعة بمعدل أربعة فوهات بكل رأس من رؤوسه الخمسة⁽⁵⁾.

¹- Peyssonnel et Desfontaines, **Op.cit.**, P. 451. **Voir** : - Chevalier D'Arvieux, **Op.cit.**, P. 232.

²- الحسين بن علي حكيم، « الحصار »، دائرة المعارف الإسلامية، ج. 13، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الإمارات العربية، 1998، ص. 396.

³ - Albert Devoulx ; **Alger...** , in : *Revue Africaine*, N° 22/ 1878, P. 240.

⁴- Fray Diego de Haedo ; **Topographie...** , P. 33- 34.

⁵- Albert Devoulx ; **Idem.** , P. 240.

البرج الجديد:

موقعه وتاريخه:

يعرف أيضا ببرج "رمضان باشا"⁽¹⁾، وبرج "الزوبية"⁽²⁾، لقربه من مزبلة المدينة(*)⁽³⁾، شيد بالشمال الغربي خارج أسوار المدينة ولا يفصلها عنه سوى خندقها⁽⁴⁾، وموضع تشييده قريب من البحر مقارنة ببرج 24 ساعة⁽⁵⁾.

يعود تاريخ البرج إلى عهد "علج علي" (1568-1571) الذي شيد سنة 1569 م، ثم أعاد بناؤه "رمضان باشا" خلال فترة حكمه الأولى (1574-1577م) سنة 1576م⁽⁶⁾، وفي فترة حكم "مصطفى باشا" (1798-1805م) تعرضت عمارة البرج للتجديد⁽⁷⁾، وتمّ ذلك سنة 1217 هـ الموافق لـ 1802 / 1803م⁽⁸⁾، وهذا ما تؤكدته الكتابة التأسيسية المحفوظة في المتحف الوطني للآثار القديمة، وهي عبارة عن لوح رخامي مستطيل الشكل، نقش عليه كتابة تركية، من نوع خط الثلث وبتقنية الحفر الغائر المطعم بالرخام⁽⁹⁾.

¹- Fray Diego de Haedo ; **Histoire...** , P. 23.

²- Albert Devoulx ; **La Marine...** , P. 35.

* كانت مزبلة مدينة الجزائر بربض باب عزون، ومنها تستخرج الأسمدة الطبيعية (الدبال) ليستعملها الفلاحون في نشاطاتهم الزراعية، راجع:

- Dr. Shaw ; **Op, cit.**, p. 293.

- نجاة أحمد عروة، « تأملات حول مفاهيم مصطلحات، وخطة الوقاية من المخاطر الطبيعية في التراث العمراني الإسلامي »، مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد: 73، الامارات العربية، مارس 2011، ص. 158.

³- Louis pisse ; **Op.cit.**, P. 15-22.

⁴- Alfred Nettement; **Op. cit.**, p. 588.

⁵- Aumerat ; **La propriété...**, P. 193.

⁶- Albert Devoulx ; **Alger...**, in : **Revue Africaine**, N° 20/ 1876, P.147.

⁷- أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 80.

⁸- Albert Devoulx ; **Idem.**, P. 146- 147.

⁹- سعيد بوزرينة، المرجع السابق، ص. 422.

- نص الكتابة:

كوهر كان حروث هم وزير برسخا.

أمر ايدوب برج أنشأ إيلدي نيك بخت.

قيل تحشى مصطفى باشا يجون ايله دى.

مولا اتميمه سمند ولتن بن زين وريخت 1217⁽¹⁾.

- ترجمة نص الكتابة إلى اللغة العربية:

جوهرة منجم الإنسانية الوزير السخي.

قد أمر بتشيد هذا البرج المخطوط.

تأمل واجعل الدعاء لفائدة مصطفى باشا.

مولانا لا تحرم فرس دولته من السرج واللجام

سنة 1217 هـ الموافق لسنتي 1802-1803⁽²⁾.

جاء هذا البرج تدعيماً لتحصينات الواجهة البحرية الغربية للمدينة، وذلك بمنع العدو الاقتراب من الشاطئ، إضافة إلى استغلاله كدار صناعة تحفظ به السفن الصغيرة الحجم، حيث ساعد على ذلك موضعه القريب من البحر⁽³⁾، وظلّ البرج قائماً إلى غاية

¹- Gabriel Colin ; **Op.cit.**, P. 181.

²- علي خلاصي، القلاع والحصون ... ، ص. 101.

³- Albert Devoulx ; **Op.cit.** , P. 146.

الفترة الاستعمارية، حيث استغل بداية الأمر كسجن عسكري⁽¹⁾، وبعد أن هدم بنيت مكانه ثكنة "بيليسي" * Pélissier⁽²⁾.

أما عن الجانب المعماري له، فقد كان يتشكل من طابقين الطابق السفلي عبارة عن مخزن مسقوف بأقبية، نصل إليه عبر باب سرّي يفتح على الشاطئ، ويساعد على نقل السفن الصغيرة لحفظها به⁽³⁾.

كان البرج مسلحا بـ 27 مدفعا⁽⁴⁾، ثلاثة وعشرون منها بالواجهة البحرية، أربعة عشر بالطابق العلوي وتسعة بالطابق السفلي، والمدافع الأربعة المتبقية موزعة بالشكل التالي: مدفعين في القسم العلوي موجّهان إلى الريف في الشمال الغربي، وإثنان في نفس المستوى باتجاه المدينة، يطلّان على الطريق المؤدية إلى باب الوادي⁽⁵⁾. أنظر المخطط رقم: 17.

¹- Henn Klien ; **Op.cit.**, P. 78.

* هو قائد قيادة أركان الجيش الفرنسي بالجزائر في الفترة الممتدة من (1833-1834م).

²- علي خلاصي، المرجع السابق، ص. 101.

³- Albert Devoulx ; **Op.cit.** , P. 146.

⁴- Henn Klien ; **Idem.**, P. 78.

⁵- Albert Devoulx ; **Idem.** , P. 146.

برج باب الواد:

موقعه وتاريخه:

سمي كذلك نسبة إلى مكان تشييده بربض باب الوادي، وله أسماء أخرى، كبرج "علج علي" أو "علي باشا" الذي أتم بناؤه⁽¹⁾، وبرج "سيّتي تاكليت" وبرج أربعة وعشرون ساعة، لكونه تعرّض للحصار من طرف الإنجليز طيلة هذه المدة الزمنية⁽²⁾، وهناك من يرجع هذه التسمية الأخيرة إلى المدة الزمنية المستغرقة في إنشائه⁽³⁾، ومنها أخذ تسميته برج بوليلة⁽⁴⁾.

شيّد هذا البرج بربض باب الوادي على بعد حوالي 300 م عن البرج الجديد⁽⁵⁾، وذلك لحماية شاطئ باب الوادي، حيث يمكن رسو سفن العدو⁽⁶⁾، إضافة إلى توفير الحماية للمقبرة الملكية ومصادر المياه التي كانت بجواره⁽⁷⁾.

¹- Abd Elhadi Manssour ; **Op.cit.**, P.69. **Voir** : - Louis pisse ; **Op.cit.**, P. 22.

²- Fray Diego de Haedo ; **Topographie...**, P. 33.

³- علي خلاصي، المرجع السابق، ص 101.

⁴- Gabriel Colin ; **Op.cit.**, P. 22-23.

⁵- Pellissier (E.); **Op.cit.**, P. 65. **Voir** : - Albert Devoulx ; **Alger...** , in : **Revue Africaine**, N° 21/ 1877, P. 149.

⁶- Albert Devoulx ; **Idem.** , 150. **Voir** : - Fray Diego de Haedo ; **Histoire...** , P. 140.

⁷- Lanfreducci et Bosio ; **Op.cit.**, P. 537. **Voir**: - Charles Monchicourt ; « **Essai bibliographique** », in : **Revue Africaine**, N° 325/ 1925, P. 417.

رغم أهمية البرج في النظام الدفاعي لمدينة الجزائر، إلا أنه كانت له نقاط ضعف متصلة بموضع بنائه، كونه شيدّ بمكان مكشوف بالنسبة للعدو، حيث يمكن الإشراف عليه من عدّة نقاط خاصة من الناحية الخلفية له لكثرة المرتفعات بها⁽¹⁾، إضافة إلى إمكانية مراقبة الطرق المؤدية إليه وقطع الإمدادات عنه⁽²⁾.

بدأت أشغال إنشاء البرج في 7 جويلية 1567م على يد "محمد باشا" (1567-1568)، وتمت عملية إنجازها في 24 جوان من السنة الموالية في فترة حكم "علج علي" (1568-1571)⁽³⁾، وإليه ينسب البرج رغم أنه ورد في كتابته التأسيسية التي جاء نصها في ثلاثة أسطر، نفذت بالكتابة التركية وبخط عربي من النوع الريحاني بطريقة الحفر البارز⁽⁴⁾، باسم "محمد باشا" تمييزا له عن برج النجمة الذي يعرف في الوثائق الرسمية باسم "محمد باشا"⁽⁵⁾، الذي شيده في نفس الفترة.

نص الكتابة:

خرج ايدوب حق يولنه مال وزير اعظم

يا بدى بوسورى جزايرده متين واعلا

شويله بالاتراولوب كردون همسر أولمش

اراسك روي زميني بوليمزسن همتا

¹- Lanfreducci et Bosio ; **Op.cit.**, P. 537.

² - Fray Diego de Haedo ; **Topographie...** , P. 32. **Voir** : - Albert Devoulx ; **Alger...** , in : **Revue Africaine**, N° 21/ 1877, P. 149.

³- Lanfreducci et Bosio ; **Idem.**, P. 537. **Voir** : - Mercel Emrit ; **Un astronome...**, P. 254.

⁴- سعيد بوزرينة، المرجع السابق، ص. 413.

⁵ - Albert Devoulx ; **Tachrifat...** , P. 46.

نامى ياد أولمغيجون ديدى مدامى تاريخ

يا بدى بوقلعة مرعى محمد باشا

سنة 976هـ⁽¹⁾.

ترجمة النص إلى اللغة العربية:

مول وزير أعظم ابتغاء لربه الله

وبني بالجزائر هذا الحصن المتين والمرتفع

وبفضل علو مقامه (الوزير) وصل إلى أعلى مرتبة بثبات

بناه على أرضية لا مثيل لها وقال:

من أجل تخليد اسمه فإنّ تاريخ حكمه سيخاد

شيّد محمد باشا هذا البرج الجيّد الحراسة

سنة 976هـ الموافق لسنتي 1568 و 1569 م⁽²⁾.

استغل البرج بعد احتلال المدينة سنة 1830 م كتكنة لإقامة القوات الفرنسية⁽³⁾، إلى

أن تعرّض للهدم سنة 1853م⁽⁴⁾، لإنشاء دار الصناعة⁽⁵⁾.

¹ - Gabriel Colin ; **Op.cit.**, P. 22.

² - علي خلاصي، القلاع والحصون...، ص. 102، راجع: - سعيد بوزرينة، المرجع السابق، ص. 424 - لطيفة بورابة، المرجع السابق، ص. 294.

³ - Aumerat ; **Op, cit.**, P. 168.

⁴ - علي خلاصي، المرجع نفسه ، ص. 101.

⁵ - Henn klien ; **Op.cit.**, P68-79.

اتخذ البرج شكلا مستطيلا غير منتظم الأضلاع⁽¹⁾، يتوسطه صحن مكشوف به خزان لحفظ المياه، إضافة إلى عدد من المرافق الأخرى الموزعة على الواجهات الثلاثة له باستثناء الواجهة المطلّة على المدينة⁽²⁾، حيث يوجد المدخل الذي يتقدمه خندق مزود بجسر متحرك⁽³⁾، أما عن تسليح البرج، فقد ذكر "هايدو" أنه كان مسلحا بثمانية مدافع متوسطة العيار⁽⁴⁾، في حين يظهر مخطط للبرج نقله لنا "أ. بربروجر" أنه كان يتسع لعشرات المدافع⁽⁵⁾، وأكد ذلك "كلاين" عندما ذكر أنه كان محصنا بـ 27 مدفعا⁽⁶⁾، كما كان البرج معززا أيضا بنظام دفاعي متقدم، يتمثل في الطبانات الساحلية بباب الواد⁽⁷⁾، مثل الطبانة الحمراء التي كانت تبعد عنه بـ 190 م من الناحية البحرية⁽⁸⁾. **أنظر المخطط رقم: 18.**

¹- Alfred Nettement **Op.cit.**, p. 588.

²- Fray Diego de Haedo ; **Topographie...** , P. 32.

³- ليليان مسلم وآخرون، المرجع السابق، ص. 61-62.

⁴- Fray Diego De Haedo ; **Idem.** , P. 32.

⁵- لطيفة بورابة، المرجع السابق، ص. 298.

⁶- Henn klien ; **Op.cit.**, P.68-79.

⁷- Alfred Nettement; **Idem.**, p. 588.

⁸- Albert Devoulx ; **Alger...** , in : *Revue Africaine*, N° 21/ 1877, P. 149.

برج قامة الفول:

موقعه وتاريخه:

شيّد بساحل البحر في الشمال الغربي للمدينة⁽¹⁾، حيث بلدية بولوغين (سان أوجان سابقا)⁽²⁾، في موضع مقابل للمقبرة المسيحية واليهودية⁽³⁾، على بعد 1500 م عن برج 24 ساعة⁽⁴⁾.

احتل البرج موقعا طبوغرافيا هاما ومكشوبا بالنسبة لجميع تحصينات المدينة، ما جعله في اتصال مباشر معها⁽⁵⁾، كما مكنه موقعه المشرف على البحر على حماية خليج باب الواد الذي يعتبر أهم نقطة لإنزال العدو بالناحية الغربية للمدينة⁽⁶⁾.

سمي ببرج قامة الفول نسبة إلى نشاط زراعة الفول الذي كان يغرس بجواره⁽⁷⁾، ويعرف أيضا باسم برج الإنجليز⁽⁸⁾، بعد حادثة تبادل إطلاق النار بالمدفعية بين الإنجليز وحامية الحصن⁽⁹⁾، في النصف الثاني من القرن 18م⁽¹⁰⁾.

¹- Gabriel Colin ; **Op.cit.**, P. 66.

²-Georges Robert; **Op.cit.**, P. 38.

³- Louis Piesse ; **Op.cit.**, P. 33.

⁴- Pellissier (E.); **Op. cit.**, P. 81.

⁵-. Rosalem (N.) ; **Op, cit.**, P. 81.

⁶- Mercel Emrit ; **Le voyage ...**, P. 380.

⁷- Gabriel Colin ; **Idem.**, P. 66.

⁸- Albert Devoulx ; **Alger...**, In : Revue Africaine, N° 21/ 1877, P. 153.

⁹- Henn Klien ; **Op.cit.**, P. 80.

¹⁰- Louis Piesse ; **Idem.**, P. 32.

شيّد البرج على عهد "حسن فنزيانو" (1577-1580م) خلال فترة حكمه الأولى سنة 1580م⁽¹⁾، وقد عرف عنه بمحاربته للإسبان، وبتطويره للنظام الدفاعي لمدينة الجزائر احترازا من أي حملة عدوانية عليها⁽²⁾، وتمت أشغال البرج على يد عامله "جعفر باشا" الذي تقلّد بدوره الحكم في الفترة الممتدة ما بين 1580 إلى 1582م⁽³⁾.

تعرّض البرج إلى عملية إصلاح على يد "الحاج علي آغا" الذي حكم خلفا "لشعبان آغا" في الفترة الممتدة ما بين (1665-1671م)، وتم ذلك سنة 1080هـ / 1669-1670م، حسب ما جاء في الكتابة الأثرية التي كانت مثبتة أعلى المدخل، وهي محفوظة حاليا بالمتحف الوطني للآثار القديمة.

نفذ نص الكتابة على لوحة رخامية مربعة الشكل بكتابة تركية وبخط عربي من نوع نسخ تعليق بطريقة الحفر البارز، ووزعت على خمسة أسطر⁽⁴⁾.

نص الكتابة:

هاتف غيب بو برجه تاريخ

ريدي بوبيت عديم البدلي

ايلدي بونده بناسن برجك

در زمان اسمعيل باشا سنة 1080هـ⁽⁵⁾.

¹ - Henn Klien ; **Op.cit.**, P. 80.

² - أحمد توفيق المدني، محمد بن عثمان... ، ص. 31.

³ - Henn Klien ; **Idem.**, P. 80.

⁴ - سعيد بوزرينة، المرجع السابق، ص. 425.

⁵ - Gabriel Colin ; **Op.cit.**, P. 65.

ترجمة نص الكتابة إلى اللغة العربية:

صوت غريب هتف بتاريخ هذا البرج

هذا البيت الذي لا بديل عنه

قد بنى الحاج علي بتصميمه المهيّب حصنا

بهذا المكان في زمن إسماعيل باشا سنة 1080 هـ (1669-1770)⁽¹⁾.

عند تولي مصطفى باشا الحكم (1798-1805) الذي كانت له بصمته في تحصينات مدينة الجزائر، فكر في تجديد وتوسعة البرج، وذلك لتواضع عمارته التي لا تتناسب مع أهميته الدفاعية⁽²⁾، وقد باشر عمله بإنشاء عين وربطها بقناة تؤدي إليه ، إلا أنّ وفاته حالت دون إتمام مشروعه⁽³⁾.

حافظ برج "قائمة الفول" على دوره الدفاعي إلى نهاية الحكم التركي للجزائر، حيث كان أول ما استهدفته البحرية الفرنسية من دفاعات مدينة الجزائر سنة 1830 م، إلا أنّها فشلت في الاستيلاء عليه، وأجبرها على التراجع بعد أن ألحق أضرارا بسفنها⁽⁴⁾، وبعد الاحتلال الفرنسي للجزائر واصل الفرنسيون استغلاله كمخزن للبارود⁽⁵⁾. أنظر المخطط رقم: 19.

¹ - علي خلاصي، القلاع والحصون...، ص. 102.

² - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 80-82.

³ - Albert Devoulx ; **Alger...**, in : *Revue Africaine*, N° 21/ 1877, P 155.

⁴ - أحمد الشريف الزهار، المصدر نفسه ، ص. 174.

⁵ - Henn Klien ; **Op.cit.**, P. 68-74. **Voir** : - Georges Robert; **Op.cit.**, P. 38. - Louis Piesse ; **Op.cit.**, P. 33.

أبراج مرسى الذبان:

كان "مرسى الذبان" خلال الفترة العثمانية محصنا ببرجين، يعتبران آخر تحصينات خليج مدينة الجزائر من الجهة الغربية⁽¹⁾، شيدا على حافة البحر على بعد 5 كلم عنها⁽²⁾، لحماية هذه النقطة البحرية التي يمكن للعدو الرسو بها، حيث كانت فيما مضى من موانئ المغرب الأوسط القريبة من مدينة الجزائر على غرار مرسى جنابية⁽³⁾ ومرسى تامنفوست⁽⁴⁾.

برج مرسى الذبان القديم:

موقعه وتاريخه:

هو نفسه برج "باربروس" ويرجع إلى بداية الحكم التركي للجزائر⁽⁵⁾، وتعرض إلى عمليات تجديد وإصلاح سنة 1671م من طرف علي آغا (1665-1671م)، ومن بعدها على عهد "كردي عبدي باشا" (1724-1732) سنة 1724م⁽⁶⁾، وقد كان في بداية الحقبة الاستعمارية مهملًا ومهدمًا⁽⁷⁾. أنظر الخريطة رقم: 03.

¹ - Alfred Nettement; **Op. cit.**, P. 589.

² - Gabriel Colin ; **Op.cit.**, P. 230.

³ - أبو عبيد الله البكري، المصدر السابق، ص. 82.

⁴ - الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ص. 89.

⁵ - Albert Devoulx ; **Alger...**, In : *Revue Africaine*, N° 28/ 1878, P. 229.

⁶ - Henn Klien ; **Op.cit.**, P.81.

⁷ - Jules Duval ; **Op, cit.**, P. 119.

يتشكل من طابقين⁽¹⁾، فتحت بواجهاته الثلاث مجموعة من فتحات المدفعية موزعة على واجهاته الشمالية والشمالية الغربية والشرقية بالتساوي بمعدل فتحتين بكل واجهة، وكان يضم أيضا مخزنا تعلوه قبة لحفظ البارود⁽²⁾.

برج مرسى الذبان الجديد:

موقعه وتاريخه:

شيّد شمال مصنع الاسمنت⁽³⁾ خلف البرج القديم على بعد حوالي 50م، وتم ذلك سنة 1823م على يد "حسين داي" آخر دايات الجزائر⁽⁴⁾، وهذا ما تظهره الكتابة التأسيسية له المنقذة على لوح رخامي بكتابة تركية بحروف عربية من نوع خط نسخ مشرقى، وبطريقة الحفر البارز، وزعت على ثلاثة أسطر⁽⁵⁾:

نص الكتابة:

والي سلطان جزاير اول حسين باشا

جهاد ايجون اثر قويدي يايوب بوقلعة بنا

سنة تسعة وثلاثون وما يتن وألف 1239هـ⁽⁶⁾.

¹ - لخضر درياس، المرجع السابق، ص. 110.

² - Albert Devoulx ; **Alger...**, in : *Revue Africaine*, N° 22/ 1878, P. 229.

³ - علي خلاصي، المرجع السابق، ص. 103.

⁴ - Henn klien ; **Op.cit.**, P.81.

⁵ - سعيد بوزرينة، المرجع السابق، ص. 427.

⁶ - Gabriel Colin ; **Op.cit.**, P. 229- 230.

ترجمة نص الكتابة إلى اللغة العربية:

الحاكم الأول للجزائر السلطان حسين باشا

أضاف أثرا للجهاد ببنائه لهذا البرج

سنة تسعة وثلاثون ومائتين وألف 1239 هـ / 1823-1824 م⁽¹⁾.

البرج له شكل حدوة فرس مسلح بـ 19 مدفعا، وزعت على واجهاته بالشكل التالي: عشرة بالواجهة البحرية، وثلاثة بالشرق وأربعة بالغرب، وإثنين أعلى الباب⁽²⁾، وتدافع عنه حامية مشكلة من 15 رجلا⁽³⁾. أنظر الخريطة رقم: 04 و المخطط رقم: 20.

برج بوزريعة:

موقعه وتاريخه:

شيّد البرج بجبل بوزريعة، وهو بذلك يحتل أعلى نقطة ضمن تحصينات مدينة الجزائر⁽⁴⁾، ما أهله لمراقبة البحر لأبعد مسافة ممكنة.

أما تاريخه، فليس لدينا تاريخ محدد لإنشائه، إلا أنّ موقعه كان معتمدا في النظام الدفاعي للمدينة منذ فترة متقدمة لحكم الأتراك للجزائر، فقد ذكرت النصوص التاريخية مع قلّتها أنّ "حسن آغا" خلال حملة "شارل الخامس" على مدينة الجزائر سنة 1541م، أمر مجموعة من الخيالة بالصعود إلى جبل بوزريعة ليأتوه بعدد سفن العدو⁽⁵⁾، ونفس المكان

¹ - علي خلاصي، المرجع السابق، ص 104.

² - Albert Devoulx ; **Alger...**, in : *Revue Africaine*, N° 22/ 1878, P. 230- 231.

³ - Albert Devoulx ; **Tachrifat...**, P. 50.

⁴ - Nadir Assari ; **Alger un passé a la carte**. édition Dalimen, S.D, P. 328.

⁵ - الآغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص. 222، راجع:

- Philippe (P.); **Op.cit.**, P. 181-182.

استعمل في الكشف عن الأسطول الإسباني خلال حملة أورلي على المدينة سنة 1775م⁽¹⁾.

كانت عمارته تضم مخزنا للبارود على غرار عدد من أبراج مدينة الجزائر مثل مخزن برج مولاي حسن، ومخزن برج النجمة ومخزن القصبية ومخزن برج الكيفان⁽²⁾.

برج سيدي فرج:

موقعه وتاريخه:

كان موقعه غرب مدينة الجزائر على بعد 29 كلم منها⁽³⁾، حيث يوجد "ضريح سيدي فرج"⁽⁴⁾، لحماية الخليج البحري، حيث يمكن لسفن العدو الرسو⁽⁵⁾، وذلك لما يتوفر عليه من مزايا طبيعية، فشبه الجزيرة التي شيد بها توفر الحماية للمراكب في المواسم الهادئة أو المضطربة بفضل استعمال أحد جانبيها، وذلك حسب اتجاه الرياح⁽⁶⁾. أنظر الخريطة رقم: 03.

رغم أهمية موقعه إلا أنه برج متواضع وقدرته الدفاعية⁽⁷⁾ ضعيفة، ما جعل الإسبان يسمونه "البرج الصغير" Torre Chica ويتجلى ما سبق ذكره عن عمارته في الوصف الذي قدمه الجاسوس الفرنسي "بوتان" في قوله: «> له شكل مربع، يتراوح ارتفاعه ما بين 16 إلى 20م أو أكثر، كلّ واجهاته يتراوح عرضها ما بين 3 إلى 5م، ومسّاح بمدافع

¹ - Adrien Berbrugger, *l'expédition....*, P. 177.

² - لخضر درياس، المرجع السابق، ص. 65.

³ - علي خلاصي، المرجع السابق، ص. 106.

⁴ - Pellissier (E.) ; *Op. cit.*, P. 36.

⁵ - Thiboud Landroit ; *Op.cit.*, P. 13.

⁶ - Général Paul- Azan ; *Op. cit.*, P. 233-234.

⁷ - Rinn (L.) ; *Op.cit.*, in: *Revue Africaine*, N° 224, 1897, P. 142.

سيئة صغيرة العيار، وهذا البرج قديم، ولا يصمد أمام المدفعية الثقيلة >>⁽¹⁾، وقد كان خلال هذه الفترة مسلحا بثمانية مدافع، موزعة على واجهاته الأربعة بالتساوي.⁽²⁾

تضررت عمارة البرج خلال الحرب الفرنسية الجزائرية جرّاء تعرّضه لنيران مدفعية سفينة البحرية الفرنسية سنة 1828م⁽³⁾، وعلى الرغم من عمليات الإصلاح التي لحقت به، إلا أنها كانت غير كافية لصدّ أي حملة عدوانية محتملة، وهي من نقاط الضعف التي استغلها الفرنسيون للإنزال بالمنطقة، إضافة إلى اعتبار الموضع الذي شيّد به أقرب نقطة صالحة للرسو بالجهة الغربية للمدينة بعد شاطئ باب الواد الجيّد التحصين، والمسافة الممتدة بين مرسى الذبان ورأس كاكسين هي الأخرى محصنة، وتتميز بصعوبة تضاريسها⁽⁴⁾.

الطبانات الخارجية لمدينة الجزائر:

كان خليج مدينة الجزائر الممتد من مرسى الذبان إلى رأس تامنفوست محصنا بعدد من البطاريات⁽⁵⁾، يتمركز معظمها بالساحل الشرقي لها لحماية النقاط المناسبة للإنزال مثل: الخلجان ومصببات الأودية التي تكثر بهذه المنطقة مقارنة بالجهة الغربية، وقد كانت الطبانات الشرقية لوحدها عند احتلال المدينة سنة 1830م مسلحة بـ 120 مدفعا، وصنّفت في نفس التاريخ تحت أرقام من 1 إلى 12⁽⁶⁾.

¹ - Alfred Nettement; **Op. cit.**, p. 232. **Voir :** - Albert Devoulx ; **Alger...**, in : *Revue Africaine*, N° 22/ 1878, P. 232.

² - Vincent yves-boutin; **Op. cit.**, p. 208.

³ - Quétain (E.) ; **Op. cit.**, P. 228.

⁴ - Général Paul- Azan ; **Op. cit.**, P. 233-234.

⁵ - Thiboud Landroit ; **Op.cit.**, P. 13.

⁶ - Henn klien ; **Op.cit.**, P. 82.

كما استعملت بعض الطبانات لتعزيز القدرة الدفاعية لعدد من الأبراج البحرية⁽¹⁾، هذا الدور الذي اكتسبته بفضل موقعها المنخفض مقارنة بالأبراج المقترنة بها مثل: طبانة ربض باب عزون وطبانة الطابية والطبانة الحمراء وطبانة سيدي فرج.

اتخذت طبانات مدينة الجزائر أشكالاً مختلفة، فمنها البسيطة المنتظمة البناء، ومنها التي تتبع شكل المنحدرات الصخرية على ساحل البحر، حيث يكون لها في الغالب شكل منحني على شكل قوس أو نصف دائرة⁽²⁾، مثل طبانة سيدي الكتاني بشاطئ باب الوادي.

عمارة الطبانات مشكّلة من سور يصل ارتفاعها إلى أعلى الساتر حوالي 14 قدم، ويتراوح سمكها ما بين 12 و18 شبرا (3م ← 4،50م)⁽³⁾، يحميها في جزئها العلوي ساتر من الحجارة يتراوح ارتفاعه ما بين 5 إلى 7 قدم، وسمكه من 3 إلى 4 قدم، وهي في أغلب الحالات مفتوحة العنق⁽⁴⁾، وسطوحها مرصفة بالآجر أو الحجارة، وتتكون من خزانات للمياه تسمح بتمويل الحامية المشرفة عليها وخلال الحصار⁽⁵⁾.

¹ - لخضر درياس، المرجع السابق، ص. 149. راجع: - علي خلاصي، المرجع السابق، ص. 105.

² - Alfred Nettement; Op. Cit., p. 589.

³ - Vincent yves-boutin; Op. cit., p. 194.

⁴ - Alfred Nettement; Idem., p. 589.

⁵ - Ibid., P. 582.

الطبانات الشرقية لمدينة الجزائر:

طبانة "ربض باب عزون":

موقعها وتاريخها:

كانت تتقدم حصن باب عزون من الناحية البحرية على بعد 900 م عن أسوار المدينة⁽¹⁾، شيدت الطبانة على شكل نصف دائري⁽²⁾، وسلّحت بـ 11 قطعة مدفعية⁽³⁾، والغاية من إنشائها تدعيم القدرة الدفاعية لحصن باب عزون⁽⁴⁾.

طبانة "وادي كنيس":

موقعها وتاريخها:

تقع على يسار وادي كنيس قرب الحامة⁽⁵⁾، وتعرف كذلك باسم طبانة "شارل الخامس"، وبطبانة المجاهدين تخليداً لذكرى استشهاد 200 جزائري دفاعاً عن المدينة خلال حملة Oreilly ونزوله بالمنطقة سنة 1775م⁽⁶⁾، وقد كان لها دور في التصدي لهذه الحملة بفضل شجاعة القائمين عليها بقيادة قائد المدفعية "عمر بومقصيص" الذي وجّه مدفعين من مدافع الطبانة على حائطها الشرقي الذي لم يكن مسلحاً وأحدث به فتحة باتجاه الإسبان الذين نصبوا بطارية بالجهة الشرقية، وأخذ يرميهم بالمدفعية⁽⁷⁾.

¹ - Alfred Nettement; **Op. Cit.**, p. 444.

² - Delphin (G.) ; **Op, cit.**, P. 192.

³ - Heen Klien ; **Op, cit.**, P. 79.

⁴ - لخضر درياس، المرجع السابق، ص. 149.

⁵ - نفسه. ص. 149.

⁶ - Heen Klien ; **Idem.**, P 82.

⁷ - أحمد توفيق المدني، محمد بن عثمان...، ص. 99.

طبانة وادي الحمير:

موقعها وتاريخها:

كانت هذه الطبانة عند مصب وادي الحمير⁽¹⁾، بالضفة اليسرى منه⁽²⁾، أخذت اسمها من اسم الوادي الذي كان في الأصل اسمه وادي الخميس نسبة إلى سوق الخميس الذي كان بالمنطقة وبها كان يعسكر الجيش الزياني عند محاصرته لمدينة الجزائر⁽³⁾.

طبانة واد الحراش:

موقعها وتاريخها:

نظرا لكون وادي الحراش أهم أودية مدينة الجزائر، ولكونه من الأماكن المناسبة للإنزال بالنسبة للعدو، حرص حكام مدينة الجزائر على تحصين هذه النقطة، بإنشاء طبانة على يمين مصب الوادي⁽⁴⁾، إلا أنّ إنشائها تأخر جدّا، رغم ما كان يشكّله موضعها من خطر على مدينة الجزائر، فقد ذكر د. خلاصي في كتابه << القلاع والحصون في الجزائر >> أنّ ذلك تم بعد حملة O'Reilly على المدينة سنة 1775م على عهد "الداي محمد بن عثمان باشا"⁽⁵⁾.

¹- Heen Klien ; **Op, cit.**, P. 82. **Voir** :- Georges Robert; **Op.cit.**, P. 54.

²- Quétain (E.) ; **Op. cit.**, P. 223.

³- مؤلف مجهول، **زهر البستان في دولة بني زيان**، تحقيق وتقديم: بوزياني الدراجي، مؤسسة بوزياني للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص. 141-210.

⁴- Heen Klien ; **Op, cit.**, P. 82.

⁵- علي خلاصي، **القلاع والحصون...**، ص. 96.

الطبانات الغربية لمدينة الجزائر:

بنى الأتراك عددا من الطبانات بالساحل الغربي لمدينة الجزائر، الذي كان يمتد من ربض باب الوادي خارج أسوارها إلى سيدي فرج، إلا أنّ معظمها كان محصورا في المجال الممتد بين باب الوادي ومرسى الذبان، حيث يمكن للعدو الإنزال ومهاجمة المدينة مثل ما حدث في الحملة الإسبانية سنة 1516م⁽¹⁾، إضافة إلى توفير الحماية للحصون المقامة بهذه المنطقة⁽²⁾.

طبانة الطابية:

موقعها وتاريخها:

كانت بالقرب من البرج الجديد⁽³⁾، على بعد 125م منه باتجاه الشمال، وحسب مخطط 1832 كانت مسلحة بـ 11 مدفعا⁽⁴⁾

الطبانة الحمراء:

موقعها وتاريخها:

شيّدت على بعد 30م عن طبانة الطابية، وقد كانت مسلحة بثمانية مدافع⁽⁵⁾، وبإنشاء السور الفرنسية للمدينة في أواخر النصف الأول من القرن 19م، أدمجت الطابنتين فيها⁽⁶⁾.

¹ - أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة...، ص. 180-183. راجع:

- Lanfreducci et Bosio ; **Op.cit.**, P. 520.

² - علي خلاصي، المرجع السابق، ص. 105.

³ - Heen Klien ; **Op, cit.**, P. 80.

⁴ - Albert Devoulx ; **Alger...** , in : Revue Africaine, N° 21/ 1877, P. 148.

⁵ - **Idem.**, P. 149.

⁶ - Heen Klien ; **Idem.**, P. 80.

طبانة سيدي الكتاني:

موقعها وتاريخها:

كان موضع إقامتها على بعد 200م عن الطبانة الحمراء⁽¹⁾، وسميت كذلك نسبة إلى "سيدي الكتاني" الذي دفن بالقرب من مكان بنائها⁽²⁾، كانت الطبانة عند احتلال المدينة تضم 14 مدفعا، وهي تمثل نهاية السور الفرنسية عند حافة البحر، حافظ عليها الفرنسيون في نظامهم الدفاعي، لكن بكثير من التجديدات، كما كانت مدعمة بطبانة أخرى مجهولة الاسم تبعد عنها بـ 45م⁽³⁾.

طبانة عيون بني منّاد:

موقعها وتاريخها:

أقيمت بجانب الطريق المؤدية إلى بولوغين (Saint Eugene)⁽⁴⁾، بالقرب من عين بني منّاد ومنها أخذت اسمها⁽⁵⁾، حولت في فترة الاحتلال الفرنسي إلى ملهى⁽⁶⁾.

طبانة قلعة الفول:

موقعها وتاريخها:

إضافة إلى الطبانات السابقة التي أقيمت بمقربة من الشاطئ، كان بنواحي باب الوادي طبانات أخرى نذكر منها: طبانة "قلعة الفول" وطبانة راس النادر "اللتان كان موضعهما بالقرب من برج الانجليز.

¹- Heen Klien ; **Op, cit.**, P. 80.

²- Albert Devoulx ; **Alger...** , in : *Revue Africaine*, N° 21/ 1877, P. 153.

³- **Idem.**, P. 153.

⁴- Heen Klien ; **Op, cit.**, P. 80.

⁵- Albert Devoulx ; **Ibid.**, P. 153.

⁶- Louis Piesse ; **Alger ...**, P. 32.

تعرف طبانة قلعة الفول أيضا باسم طبانة " راس النادر العلوية"⁽¹⁾، لأنها شيدت في مكان مرتفع مقارنة بالطبانة الأخرى، وهي موجهة لتعزيز دفاعات حصن "قلعة الفول"، ولأجل ذلك سلحت بثمانية مدافع⁽²⁾.

كان يشرف عليها خلال الحملة الفرنسية على المدينة سنة 1830م فريق مشكل من 55 رجل موزعين بمعدل 7 أشخاص على كل مدفع، باستثناء المدفع الثامن الذي كان يشرف عليه ستة رجال⁽³⁾.

طبانة رأس النادر السفلية:

موقعها وتاريخها:

شيدت في مكان أقل ارتفاعا من الطبانة السابقة، وسلحت بأربعة مدافع وخلال 1830م كان يديرها فريق مكون من 30 رجل موزعين على القطع الأربعة بالشكل التالي:

- تسعة رجال على المدفع الثالث والرابع.

- ثمانية رجال على المدفع الأول.

- أربعة رجال لخدمة المدفع الثاني⁽⁴⁾.

¹ - Albert Devoulx ; **Alger...** , in : *Revue Africaine*, N° 22/ 1878, P. 226.

²- Heen Klien ; **Op, cit.**, P. 81.

³ - Albert Devoulx ; **Idem.**, P. 226-227.

⁴- **Ibid.**, P 227-228.

طبانة مرسى الذبان:

موقعها وتاريخها:

تقع خلف مرسى الذبان باتجاه الغرب، على مرتفع صخري يحده من الغرب البحر⁽¹⁾، وقد ذكر "كلاين" أنها: «شيدت بالقرب من وادي فرح على بعد خطوات من حصن المرسى»⁽²⁾، وفي سنة 1830م تحضيراً لصدّ الحملة الفرنسية، جهّزت بثماني مدافع على غرار طبانة "رأس النّادر العلوية"، وكان يشرف عليها آنذاك 76 مدفعياً موزعين على قطع المدفعية بالشكل التالي:

- عشرة رجال على المدفع الثالث والرابع والخامس والسابع.
- إحدى عشرة رجل على المدفع الثاني.
- تسعة رجال على المدفع الثامن.
- وأخيراً ثمانية رجال على المدفع الأول والسادس⁽³⁾، ولكن ميلان الكفة للفرنسيين في المعركة جعلت المدفعية يلقون بها في البحر تجنباً لاستحواذ العدو عليها⁽⁴⁾.

طبانة سيدي فرج:

موقعها وتاريخها:

هي آخر نقطة مسلحة بالساحل البحري الغربي للمدينة إلى جانب برج "سيدي فرج"، حيث شيدت بمكان منخفض على حافة البحر ليس بعيداً عن برج "سيدي فرج"، واستعملت في تشكيل هيكلها مادة الحجارة⁽⁵⁾.

¹ - Albert Devoulx ; **Alger...** , in : *Revue Africaine*, N° 22/ 1878, P.229.

² - Heen Klien ; **Op, cit.**, P. 81.

³ - Albert Devoulx ; **Idem.**, P.229-230.

⁴ - Heen Klien ; **Idem.**, P. 81.

⁵ - Pellissier (E); **Op. cit.**, p. 37.

ذكر "كلاين" أنها شيدت بعد سنوات من زيارة الجاسوس الفرنسي النقيب "بوتان" للجزائر، والذي أعدّ تقريراً مفصلاً حول دفاعات مدينة الجزائر، وأهم المواقع المحصنة بالإيالة الجزائرية خاصة بعواصم البايليك⁽¹⁾، وأغلب الظنّ أنها نفسها التي ذكرها "أحمد الشريف الزهار" في قوله: >> أمّا يحيى آغا فقد خرج إلى الأبراج والحصون ورتبها، وذهب لسيدي فرج وبنى هنالك حصناً من إثني عشر مدفعاً<<⁽²⁾، وكان ذلك سنة 1827 م تحضيراً للحملة الفرنسية على المدينة، ومن أجل تقوية دفاعات برج "سيدي فرج" الذي أكّد "بوتان" أنّه غير قادر على الصمود أمام المدفعية الثقيلة للقوات الفرنسية⁽³⁾، كما كانت هناك طبانة ثانية إلاّ أنّها بعيدة نوعاً ما عن البرج⁽⁴⁾.

ثكنات مدينة الجزائر:

كانت بمدينة الجزائر ثكنات أو قشلات، وهي بنايات عسكرية لإقامة الانكشاريين العزب⁽⁵⁾، في حين يسكن المتزوجون منهم بالمدينة مع عامة الناس⁽⁶⁾، وتتمركز هذه الثكنات بالقرب من باب عزون وباب الجزيرة⁽⁷⁾، ويبدو أنها وزعت بطريقة مدروسة، وذلك بجعلها في الأطراف قرب الأبواب الرئيسية الأكثر حركة بالمدينة، والتي لها علاقة بالعمل العسكري البرّي والبحري، إضافة إلى إبقائها تحت الرقابة بجعلها مجتمعة، ما يسهّل السيطرة عليها في حالة التفكير في الانقلابات العسكرية، إلى جانب التقليل من الاحتكاك بالسكان، وظاهرة عزل العسكر عن المجتمع المدني ليست جديدة في الفكر العسكري الإسلامي، بل تعود على الأقل إلى القرن 2هـ / 8م، عندما أقام "جعفر المنصور" مدينة

¹ - Heen Klien ; **Op, cit.**, P. 81.

² - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 163.

³ - Alfred Nettement; **Op.cit.**, p 578.

⁴ - Pellissier (E.) ; **Op.cit.**, p. 37.

⁵ - Heen Klien ; **Idem.**, P. 95.

⁶ - Général Paul- Azan ; **Op. cit.**, P. 34.

⁷ - Sakina Missoum ; **Op.cit.**, P. 139.

"الرّصافة" الخاصة بجيشه مستقلة عن مدينة بغداد عاصمة الدولة العباسية. أنظر المخطط رقم: 02.

اختلفت آراء الباحثين حول عددها بمدينة الجزائر، حيث تراوحت إحصائياتهم بين السبعة⁽¹⁾، إلى إثنتي عشرة ثكنة⁽²⁾، وهذا الاختلاف راجع أحيانا إلى مجاورة ثكنتين لبعضهما البعض مثل: الثكنة القديمة والجديدة⁽³⁾، وبالتالي أدرجتا تحت اسم واحد والمعروفة بالثكنة القديمة⁽⁴⁾، وقد يعود ذلك إلى تزايد عدد الجيش النظامي⁽⁵⁾، أو لاتخاذ بعض البنايات الحربية الدفاعية كثكنات كونها جمعت بين الدورين الدفاعي والسكني في آن واحد مثل: القصبة وحصن "مولاي حسن" الذي قال عنه "مارمول": أن الأتراك اتخذوا منه ثكنة تتسع لألف من الجند⁽⁶⁾، ويمكن أن يرتبط هذا الاختلاف في عددها أيضا، بحصر هذه الاحصائيات على الثكنات داخل المدينة دون غيرها، فقد أشار "أومير" Aumerat في دراسة له نشرها تحت عنوان "الملكية العمرانية بمدينة الجزائر" أنه كان بربض باب عزون خارج المدينة ثكنة خاصة لإقامة الانكشارية بضريح "سيدي بتقة"⁽⁷⁾.

تتشكّل هذه الثكنات من عدد كبير من الغرف، ما أهلها لاستيعاب المئات من الجند⁽⁸⁾، وبمجرد التحاقهم بها يعلّم الوجه الخلفي للذراع الأيسر لكل واحد منهم برقم حجرته⁽⁹⁾، ويشرف عليها قائد الغرفة يعرف "بأوده باشي" ويخدمها مجموعة من العبيد يسهرون على نظافتها⁽¹⁰⁾.

¹- Heen Klien ; **Op, cit.**, P. 95.

²-Venture De paradis ; **Alger...**, in : *Revue Africaine*, N° 224/ 1897, P. 88.

³- Gabriel Colin ; **Op.cit.**, P. 43.

⁴-Aumerat ; **La propriété...**, P. 329.

⁵- علي خلاصي، القلاع والحصون....، ص. 39.

⁶- مارمول كريخال، المصدر السابق، ص. 363.

⁷- Aumerat ; **Idem.** , p.328.

⁸- Peyssonnel et Desfontaines, **Op.cit.**, P 154.

⁹- وليم سبنسر، المرجع السابق، ص 86.

¹⁰- Venture de Paradis ; **Op.cit.**, P. 88. **Voir** : - Heen Klien ; **Op, cit.**, P. 95.

خلال الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830 م، استعملت هذه الثكنات لعلاج الجرحى⁽¹⁾، وحوّلت بعد احتلالها إلى إقامات للقوات الفرنسية، على غرار العديد من التحصينات الأخرى، والسبب في ذلك متصل بطبيعة عمارتها الواسعة، إضافة إلى نظافتها مثل: عمارة المساجد، التي كان الإقبال على استعمالها لنفس السبب⁽²⁾.

أما عمارتها عبارة عن بنايات واسعة، حيث اتسعت البعض منها لأكثر من ألف مقيم مثل: ثكنة "صالح باشا" و"علي باشا" و"ثكنة اللبانجية" بباب عزون⁽³⁾، تتشكل كل ثكنة من طابقين⁽⁴⁾، ومن صحن مكشوف به نافورة رخامية، وتحيط به أروقة تطل عليه ببوائك مشكلة من الأعمدة والعقود، وبها أيضا عددا كبيرا من الدكات موزعة على جدرانها، وتزين أحيانا مداخلها جداريات عبارة عن صورة لسفينة⁽⁵⁾.

تتوفر الثكنات أيضا على بيوت صغيرة للضباط ومطابخ، ومصليات ومغاسل ونوادي وحمامات...الخ⁽⁶⁾، وقد حرص حكام المدينة على تزويدها بالماء الذي كان يأتيها من الحامة عبر قنوات أصبحت أكثر فعالية بعد تجديدها من طرف الداوي "محمد بن عثمان باشا"⁽⁷⁾.

1- سيمون بفايفر، المصدر السابق، ص.84-89.

2- Delamare ; **Exploration scientifique de l'Algérie pendant les Année 1840 - 1842**, T.01, imprimerie Royal, Paris, France, S.D., P.273.

3- Sakina Missoum ; **Op.cit.**, T.I, P. 139-140.

4- علي خلاصي، المرجع السابق، ص. 40.

5- Heen Klien ; **Idem.**, P. 96.

6- علي خلاصي، المرجع نفسه ، ص. 40.

7- أحمد توفيق المدني، محمد بن عثمان...، ص. 97.

ثكنة المقرئين:

موقعها وتاريخها:

تعرف باسم ثكنة "متاع المقارون" وكان محلها بشارع "المقارون"⁽¹⁾، بالقرب من مسجد "عبدي باشا"⁽²⁾ بشارع البحرية⁽³⁾، على بعد حوالي 50 م عن باب الجزيرة باتجاه الشرق⁽⁴⁾.

يعود تاريخها على الأقل إلى القرن 11هـ / 17م، حيث أقدم وثيقة أشارت إليها مؤرخة بسنة 1089هـ / 1678م-1679م⁽⁵⁾، وقد كانت تتكون من 27 غرفة يقيم بها 899 رجلا مشكلين 48 أوجاقا⁽⁶⁾.

حوّلت في فترة الاحتلال الفرنسي إلى مخزن مركزي للمستشفيات العسكرية بمدينة الجزائر⁽⁷⁾، وبقيت على هذا الشكل إلى أن هدمت سنة 1934⁽⁸⁾.

¹ - Albert Devoulx ; **Alger...**, in : *Revue Africaine*, 1875, P 313.

² - Heen Klien ; **Op. cit.**, P. 96.

³ - ليليان مسلم، "جدول باسماء الشوارع ...، ص. 177.

⁴ - Sakina Missoum ; **Op.cit.**, T. 01, P 72.

⁵ - علي خلاصي، المرجع السابق، ص. 40.

⁶ - Dény (J.); « **Les registres de solde des Janissaires conservés à la bibliothèque d'Alger** », in : *Revue Africaine*, N° 302-303 /1920, P 219.

⁷ - Albert Devoulx ; **Idem.**, P. 313.

⁸ - Heen Klien ; **Idem.**, P. 96.

ثكنة باب عزون:

موقعها وتاريخها:

تسمى أيضا بالثكنة الانكشارية الكبيرة وبثكنة اللبانجية⁽¹⁾، كان موضع تشييدها بشارع باب عزون ليس بعيدا عن رحبة الحبوب⁽²⁾، وهي أقرب ثكنات هذه الناحية إلى باب المدينة⁽³⁾.

يعود تاريخ بنائها إلى عهد "حسن بن خير الدين باشا" (1544-1552) سنة 958هـ / 1551م، على يد "محمد بن مصطفى"، وهذا ما يوضحه نص الكتابة التذكارية التي كانت تعلو مدخلها.

نص الكتابة:

يا حسن بنيت بيت	لعسكر مرابطين صابرين حنفا
قد شيدت بفضة	ومرمر شيدها محمد بن مصطفى
أثابه الله على بنائها	فالقال من تاريخها خز عرفا ⁽⁴⁾

تضم هذه الثكنة 28 غرفة يقيم بها 1661 رجل موزعين على 63 أوجاق⁽⁵⁾ حوّلت بعد احتلال المدينة سنة 1830م إلى مستشفى عسكري⁽⁶⁾، وفي سنة 1838م إلى

¹ - Sakina Missoum ; **Op.cit.**, T. 01, P. 139.

² - Albert Devoulx ; **Alger...** , **Op.Cit**, in : *Revue Africaine*, 1875, P 313. **Voir** : - Albert Devoulx ; « **Chronique** », in : *Revue Africaine* , N ° 88/ 1871, P 396.

³ - Heen Klien ; **Op, cit.**, P. 95.

⁴ - Albert Devoulx ; **Idem.**, P. 396-397.

⁵ - Dény (J.); **Op, cit.**, P. 219.

⁶ - Albert Devoulx ; **Ibid.**, P. 396-397.

مدرسة⁽¹⁾، وبعدها إلى ثانوية⁽²⁾، واستمرت على هذه الحال إلى أن هدمت سنة 1870م⁽³⁾.

ثكنة صالح باشا وثكنة علي باشا:

موقعها وتاريخها:

يطلق عليها اسم "الخراطين" لقربها من سوق الخراطين⁽⁴⁾، وكان موضعها بين شارع "بوزا" وشارع "الصقر"⁽⁵⁾، بجانب أسوار الواجهة البحرية في المسافة المحصورة بين برج البحر وطبانة "الماريستان"⁽⁶⁾.

كان بهذه البناية كتابتين، الأولى تحمل سنة 1125هـ / 1713م، والثانية مؤرخة سنة 1162هـ / 1749م⁽⁷⁾، ما يدلّ على أنّ الثكنتين كانتا قائمتين على الأقل منذ النصف الأول من القرن 18م.

نص الكتابة الأولى:

غفر الله لمن بنى المذنب الغراق

تمّ هذا البناء بعون الخلاق

لعلي باشا وسعه الله الرزاق

هو المحمد بن الحسن الخزنجي

في شهر رجب كملها بحسن أخلاق

تاريخ خمسة وعشرون ومائة وألف

¹ - Heen Klien ; **Op, cit.**, P. 95.

² - Gabriel Colin ; **Op.cit.**, P. 116. **Voir** : - Albert Devoulx ; **Alger...** , in : Revue Africaine, 1875, P 317.

³ -Stéphane Gsell ; **Atlas...**, P. 03.

⁴ - Heen Klien ; **Idem.**, P. 95.

⁵ - Dény (J.); **Op, cit.**, P. 219.

⁶ - Sakina Missoum ; **Op.Cit**, T. 02, P. 72.

⁷ - Gabriel Colin ; **Idem.**, P. 90-107.

نص الكتابة الثانية:

لا إله إلا الله

محمد رسول الله

صاحب مالك عبد الله

سنة 1162هـ

هذه الثكنة عبارة عن عمارة كبيرة تضم ثكنتين، تتكون ثكنة "صالح باشا" من 26 غرفة لإقامة 1266 رجلا، يشكلون 60 أوجاقا، وثكنة "علي باشا" من 24 غرفة لإيواء 1516 رجلا مشكلين 55 أوجاقا⁽¹⁾.

حافظت البناية بعد احتلال المدينة على وظيفتها كثكنة لإقامة القوات الفرنسية قبل أن تتحول إلى مستشفى عسكري الذي أصبح بدوره مستشفى مدني، وبعدها مصلحة للخزينة والبريد⁽²⁾، وهدمت سنة 1862م لإنشاء شارع الشعب⁽³⁾.

ثكنة "أوسطى موسى"

موقعها وتاريخها:

نسبة إلى القائد العسكري والمهندس المعماري "موسى الأندلسي" الذين كان قائدا لجندها⁽⁴⁾، تسمى أيضا بدار الانكشارية متاع باب الجزيرة، وذلك لقربها من باب البحرية، حيث شيدت في وضعية مقابلة لثكنة الدروج⁽⁵⁾.

¹- Dény(J); **Op, cit.**, P. 220.

²- Aumerat ; **La propriété...** , in : *Revue Africaine*, N° 228/ 1898, P. 168.

³- Heen Klien ; **Op, cit.**, P. 70.

⁴- **Idem.**, P. 96.

⁵- Albert Devoulx ; **Alger...**, in : *Revue Africaine*, N° 20, 1876, P. 344.

أقيمت عمارتها في فترة البشاوات على عهد "حسين باشا" (1627-1633)⁽¹⁾، ولها أكبر قدرة استيعاب، حيث تضمّ 31 غرفة يشغلها 1833 رجلا مشكّلين 72 أوجاقا⁽²⁾. حوّلت في الفترة الاستعمارية إلى إقامة خاصة بسلاح المشاة⁽³⁾، تحت اسم ثكنة Lemercier، وفي سنة 1870م، تعرّضت للتوسعة ولم تعمّر طويلا بعد ذلك كونها هدمت سنة 1878م⁽⁴⁾.

ثكنة متاع الدروج:

موقعها وتاريخها:

اتخذت هذه التسمية لأنّه يتم الدخول إليها بعد عبور سلم يتشكل من عدد من الدرجات⁽⁵⁾، وتحمل مسميات أخرى منها: ثكنة "يالي" أي السفلى، وثكنة القناصل لكونها تواجه شارع القناصل⁽⁶⁾ وثكنة "متاع الدواميس" لقربها من شارع الدواميس⁽⁷⁾، وفي فترة الاحتلال الفرنسي عرفت باسم ثكنة باب فرنسا⁽⁸⁾.

هي الأخرى من ثكنات حي البحرية، شيدت في وضعية مقابلة لثكنة "أوسطى موسى" على يمين الداخل من باب الجهاد، وتعدّ من أصغر ثكنات مدينة الجزائر، حيث تضم 15 غرفة تأوي 602 رجلا مشكّلين 27 أوجاقا (فرقة عسكرية)⁽⁹⁾.

¹- Sakina Missoun; **Op.cit.**, T. 01, P. 140.

²- Dény (J.); **Op, cit.**, P. 221.

³- Louis Piesse ; **Alger ...**, P.11.

⁴- Gabriel Colin ; **Op.cit.**, P. 39.

⁵- **Idem.**, P. 39.

⁶ - علي خلاصي، المرجع السابق، ص. 43.

⁷- Heen Klien ; **Op, cit.**, P. 96.

⁸- Sakina Missoun ; **Idem.**, P. 141.

⁹- Dény (J.); **Idem.**, P. 221.

الثكنة القديمة والثكنة الجديدة:

موقعها وتاريخها:

هما عبارة عن ثكنتين تتقاسمان اسم دار الانكشارية متاع الخضارين، وذلك لوجودهما بالقرب من سوق الخضارين⁽¹⁾، يطلق عليها أيضا اسم الثكنة الانكشارية التحتانية (القديمة) والفوقانية (الجديدة)⁽²⁾.

تعتبر الثكنة الوحيدة القائمة بمدينة الجزائر، حيث شيدت ناحية باب عزون بجوار مسجد "علي باشا"⁽³⁾، بشارع ميدي⁽⁴⁾، الذي يعرف حاليا بنهج عالم أحمد⁽⁵⁾.

يعود تاريخ بناء الثكنتين إلى فترتين مختلفتين، فالثكنة السفلى هي الأقدم، وترجع حسب الكتابة التذكارية التي تعلو المدخل الأصلي لها إلى سنة 1037هـ الموافق لسنة 1627م-1628م، على عهد "حسين باشا" (1627م-1633م) من طرف المهندس "موسى الأندلسي".

نص الكتابة:

تمّ بناء دار من حسن الديار

باليمن واليسار للعسكر الحرار

أيام تبليغ المراد دولة مولانا مراد

في زمن الباشا حسين لا زال مبسوط اليدين

¹ - Heen Klien ; **Op, cit.**, P. 36.

² - Sakina Missoum, **Op.cit.**, T. 01, P. 143.

³ - Aumerat ; **La propriété...** , in : *Revue Africaine*, N° 228/ 1898, P. 184.

⁴ - Louis Piesse ; **Alger...**, P. 20.

⁵ - ليليان مسلم، جدول بأسماء....، ص. 165 .

على يد موسى اليسري الأندلسي الحميري

عام ثلاثين وألف وسبعة بحسن وصف

من هجرة المختار صلى عليه البارّ.

ما دامت الجزائر تعمورها العساكر⁽¹⁾.

أمّا الثكنة العليا فيعود تاريخ بنائها إلى سنة 1047هـ/1637م-1638م بفارق عشر سنوات عن الثكنة القديمة في فترة حكم علي باشا (1637-1639)، على يد المهندس على بن موسى الأندلسي، حسب ما جاء في الكتابة التذكارية التي كانت أعلى مدخلها

نص الكتابة:

كمل هذا البناء المعمور عن اذن العسكر المنصور

في ولاية المولى الكبير أبي الحسن علي باشا الشهير

خليفة مولانا الباد شاح خلد الله لنا ملكه في الأفراح

على يد الأمين السيد علي ابن السيد موسى صاحب المباني

في أوائل شهر ربيع الأول عام سبعة وأربعين وألف الأكمل⁽²⁾.

واصل الاستعمار الفرنسي استغلال البناية لأغراض عسكرية كثكنة ل سلاح الهندسة⁽³⁾، ونادي لضباط القوات البرية والبحرية⁽⁴⁾، قبل أن تحوّل الى الأكاديمية العسكرية الفرنسية لمدينة الجزائر سنة 1876م، وأصبحت تضمّ مجموعة من المرافق

¹– Gabriel Colin ; **Op.cit.**, P. 35-36.

²- **Idem.**, P. 42.

³- Aumerat ; **La propriété...** , in : *Revue Africaine*, N° 228/ 1898, P 184.

⁴- Gabriel Colin ; **Ibid.**, P. 36.

الخدمية والعلمية من ضمنها: المكتبة، قاعة المحاضرات، ومخابر الكيمياء والفيزياء، وقاعات للرسم ومطعم⁽¹⁾، وخلال فترة السبعينات والثمانينات من القرن العشرين، أصبحتا تعرفان بنادي ضباط الجيش الوطني الشعبي، وحاليا تحملان اسم النادي الوطني للمجاهد⁽²⁾.

كانت الثكنة السفلى (القديمة) تحتوي على 31 غرفة تتسع لـ 1089 رجلا مشكّلين 60 أوجاقا، في حين الثكنة العليا (الجديدة) كانت تضم 19 غرفة تأوي 856 رجلا مشكّلين 38 أوجاقا⁽³⁾.

الوصف المعماري للثكنتين:

الثكنة العليا:

ندخل إليها عبر مدخل عرضه 2,40 م وارتفاعه 3,20م، تعلوه اللوحة الرخامية التي تحمل نص الكتابة التأسيسية، وقد تم غلقه واستبداله بمدخل آخر في الفترة الاستعمارية.

اتخذت الثكنة شكلا مستطيلا، وهي تتكون من طابقين، الطابق السفلي عبارة عن نفق تحت الأرض مسقوف بقباب متقاطعة تستند على دعائم ضخمة، وقد كان يستمد الإضاءة والتهوية من الفتحات التي كانت أسفل جدران الغرف المحيطة بالصحن بالطابق الذي يعلوه.

نصل إلى الطابق الأول عبر مدخل في الركن الشمالي الغربي منها، يتوسطه صحن مكشوف مساحته حوالي 340م²، تطوقه أروقة من جهاته الأربعة، وتطل عليه عبر بوائك محمولة على أعمدة أسطوانية البدن تتوجها عقود متجاوزة منكسرة، تزيّن أطرافها أشرطة من

¹ - Louis Piesse ; **Alger...**, P. 20.

² - داود ميم، الثكنات الانكشارية بمدينة الجزائر، الثكنة العليا والسفلى نموذجا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2008، ص. 65.

³ - Dény (J.); **Op, cit.**, P. 221.

المربعات الخزفية تتقدم هذه الأروقة مجموعة من الغرف استخدمت كمرافق معيشية وغرف لمبيت الجند. . أنظر المخطط رقم: 21.

الطابق الثاني: نصل إليه عبر سلمين، حيث يضمّ عددا من الغرف متباينة في مقاساتها، استغلت في الوقت الحالي لأداء وظائف متنوعة مثل: المكتبة وقاعة المطالعة، وينتهي هذا الطابق بسطح نصل إليه بواسطة سلمين شيدا على جانبيه الشرقي والغربي. . أنظر المخطط رقم: 22.

الثكنة السفلى:

هي الأخرى لها شكل مستطيل، ومدخلها الأصلي تمّ غلقه ولم يبق سوى الجزء العلوي منه والكتابة التأسيسية التي تتوجه، تتشكل من طابقين، يضمّ الطابق السفلي رواقا وخمسة فضاءات معمارية، أما الطابق العلوي يتكون من قاعات استغلت كقاعة محاضرات ومكاتب إدارية خاصة بنادي المجاهد. أنظر المخطط رقم: 23-24.

يفصل بين الثكنتين فراغ استغل في إنشاء فندق، أكثر الظن أنه بني على أنقاض مسجد "علي باشا" كما يوجد في الجهة المقابلة للفندق مخزن مستطيل مساحته حوالي 210م² يعلوه سقف برميلي الشكل.

تتكون عمارة الثكنتين من عناصر معمارية مختلفة الأنواع والأشكال من ضمنها دكات الجلوس والشمسيات والدعامات والأعمدة بنوعيتها البسيطة والمركبة، إضافة إلى العقود التي جمعت بين دورها الوظيفي والجمالي.

استعملت في تشكيل عمارة الثكنتين مواد بناء عديدة كالقرميد الذي وظف على شكل أفاريز تتوج أعلى الواجهات المطلة على الصحن، والغرض منها منع تسرب مياه الأمطار إلى الأروقة، إضافة إلى دورها الجمالي، واستخدمت مادة الحجر في بناء الجدران الفاصلة

والقباب، واستعملت مادة الخشب بشكل واسع كعوارض لحمل السلالم أو لصناعة بعض الأنواع من العناصر المعمارية مثل: الدرابزينات والنوافذ والأبواب، وقد كانت للمواد الأخرى حظ في هذه البناية العسكرية مثل: الرخام الذي نجده في الأعمدة والتيجان، والحديد في صناعة شبابيك النوافذ والبلاطات الخزفية التي تميّزت بكثرتها في التكنتين على غرار العديد من العمائر العثمانية بمدينة الجزائر مثل: المساجد والأضرحة والمساكن والقصور، إذ نجدها ككسوة للجدران والسلالم، وكأشرطة زخرفية تزين أطر العقود المشكلة للبوائك المحيطة بالصحن.

دور البارود بمدينة الجزائر:

أشرنا في فصل الأوضاع الأمنية إلى أنّ الإيالة الجزائرية كانت تتحصل على أسلحتها ومنها البارود، على شكل ضرائب أو هدايا أو عبر الشراء، أو بالاعتماد على الإنتاج المحلي بالمعامل الخاصة أو مصانع البايليك، وقد كانت بمدينة الجزائر عدد من مخازن البارود الموزعة على حصونها: كحصن الإمبراطور، وبرج النجمة وبرج أربعة وعشرون ساعة ومخزن برج الكيفان، ومخزن برج بوزريعة، وكانت كلّها تحت سلطة قائد المدفعية ببرج الفنار بالميناء⁽¹⁾، ولتأمين حاجياتها من هذه المادة الحربية، قام حكام مدينة الجزائر ببناء ثلاثة دور صناعة، تتمثل في مصنع القصبة ومصنع باب الوادي ومصنع ناحية باب عزون.

¹ - Albert Devoulx ; **Alger...**, in : *Revue Africaine*, N° 20, 1876, P. 481.

دار البارود بالقصبة:

موقعها وتاريخها:

تحتل تقريبا وسط القصبة⁽¹⁾، خلف البطارية رقم 01 وعلى يمين الطريق الفرنسية السالكة إلى الأبيار في وضعية مقابلة لمسجد الجيش، وبجانبها كانت حديقة النعام.⁽²⁾ هي أقدم مصانع البارود بمدينة الجزائر، ويعود تاريخ بنائها إلى المرحلة الأولى من إنشاء القصبة⁽³⁾، حيث جاء في إحدى التقارير الأوروبية حول مدينة الجزائر مؤرخ بسنة 1585م، بأن القصبة كانت خزانا لكميات معتبرة من الذخيرة كالرصاص والبارود⁽⁴⁾. أنظر المخطط رقم: 06. والصورة رقم: 15.

تعرضت للهدم مرتين الأولى كانت على عهد "مصطفى باشا" سنة 1616م، والثانية سنة 1629م، نتيجة ثورة الكراغلة التي أخمدها "حسين خوجة" (1627-1633) سنة 1629م⁽⁵⁾، وأعيد بناؤها من طرف "علي باشا" (1637-1639) سنة 1638م⁽⁶⁾، واستمر العمل بها إلى غاية 1817م تاريخ نقل مقر السلطة من قصر الجنيينة إلى القصبة، واقتصر دورها حينها على حفظ البارود⁽⁷⁾، الذي تواصل خلال الحقبة الإستعمارية، فقد ذكر "كتان" Quétin الذي زار القصبة سنة 1845م، أنه كان بمخزن البارود أزيد من 6000 قذيفة و300 ألف من الذخيرة⁽⁸⁾.

¹- Albert Devoulx ; **Op.cit.**, P. 481.

²-Lucien Golvin ; **Op.cit.**, P. 27.

³- علي خلاصي، القصبة...، ج.1. ص 118.

⁴- Lanfreducci et Bosio ; **Op.cit.**, P. 451.

⁵- Louis Piesse ; **iteniraire...**, P.34. **Voir** : - Louis Piesse ; **Alger...**, P.27-28.

- عزيز سامح آلتر، المرجع السابق، ص. 356-357.

⁶- لخضر درياس، المرجع السابق، ص. 57.

⁷- علي خلاصي، المرجع نفسه، ص. 123.

⁸- Quétin(E.); **Op, cit.**, P. 158.

الوصف المعماري لدار البارود بالقصبة:

اتخذ مصنع البارود شكلا مثنيا، قطره 25م⁽¹⁾، يحيط به جدارين، السور الخارجي سمكه 1،60م والداخلي 1،20م، بينهما تجويف عرضه 0،60م، لتخفيف الضغط في حالة حدوث انفجار⁽²⁾، وهذه التقنية لا تقتصر على العمارة العسكرية، بل تستعمل أيضا في بعض عمائر المدن كإجراء لعزل الضجيج⁽³⁾.

زوّد أعلى الجدار الخارجي له بمجموعة من فتحات التهوية والإنارة موزعة بمعدل أربعة فتحات في كلّ ضلع، وصممت بشكل منكسر يمنع تعرّض المواد المشتعلة مباشرة إلى أشعة الشمس⁽⁴⁾.

نلج إليه عبر مدخل يتوجه عقد نصف دائري عرضه 1،50م وارتفاعه 2،75م، شيّد في هيكل بارز إلى الخارج عن الضلع الشمالي، يؤدي مباشرة إلى مركز الدار، بعد عبور رواق عرضه 2،90م، محصور بين الجدار الخارجي الثاني وجدار آخر يحيط بالمركز سمكه 1،40م.

قسمت دار البارود إلى ثلاثة أروقة ممتدة من الشرق إلى الغرب، أوسعها الرواق المركزي بـ4،30م، في حين لا يتجاوز الجانبين 3،70م، وسقفت بأقبية نصف أسطوانية قائمة على بائكتين، تتكون كلّ منهما من ثلاثة دعائم مستطيلة الشكل (1،60م×1،20م) تعلوها عقود وتفصل بينها مسافة 2،60م. أنظر المخطط رقم: 25.

¹ - Albert Devoulx ; **Alger...** , in : *Revue Africaine*, N° 20, 1876, P. 163.

² - لخضر درياس، المرجع السابق، ص. 58.

³ - ابن الرامي، الإعلان بأحكام النبيان، مركز النشر الجامعي، تونس، 1999، ص. 76.

⁴ - علي خلاصي، المرجع السابق، ص. 124.

كشفت الحفريات التي أقيمت بدار البارود على وجود عدد من المطامير لحفظ الذخيرة، وبها خزانات لحفظ الماء، نظرا لحاجة هذا النوع من الصناعة لهذه المادة الحيوية، تتصل بها قنوات من الفخار.⁽¹⁾

استخدمت في بناء جدرانها مادة الطابية، ثم كسيت بالآجر أو الحجارة باستعمال تقنية البناء المنتظم وتقنية البناء بالدبش، أما العقود والسقف فشكّلت بالآجر.

دار البارود بباب الواد:

موقعها وتاريخها:

كان محلّها بحدائق الداي بباب الوادي⁽²⁾، شيّدها الحاج "علي باشا" (1809-1815) برعاية القنصل السويدي "شولتز" M. Schultz سنة 1230هـ / 1814-1815م، وخلّد هذا العمل بلوح رخامي يحمل كتابة تركية من خمسة سطور نفذت بخط نسخ مشرقى⁽³⁾. أنظر المخطط رقم: 26.

نص الكتابة:

شادمان أولسون جزائر شناكين ايتسون مدام

حمد الله بولدى باروت خانه شمدي نظام

حد ذا تنده بوالزام أولدو غندن جملة دن

طرز نوا يجاد اولوب شائنه هم اولدى اهتمام

أول خد ادن ويرى أما سيالي حاج علي باشا

¹ - علي خلاصي، المرجع السابق، ص. 127-128.

² - A.de Fontaine de Resbeq ; **Op.cit.**, P. 167.

³ - Gabriel Colin ; **Op.cit.**, P. 196-197.

في سبيل الله جهاد ايجون بنا ايتدى بنام

غازى بكلى باروتندن طولدروب توفنكلر

أئك أول كفارة قارسو الك اندن انتقام

اشكار اسويله دي علوى بونك تارخني

بيك ايكي يوز أو توزنده كنزايله اولدي تمام سنة 1230هـ.

واصل هذا المصنع عمله إلى نهاية الحكم التركي سنة 1830م⁽¹⁾، وباحتلال الفرنسيين للمدينة حوّل لأغراض عسكرية تحت اسم ثكنة ملح البارود، ونقلت كتابته التذكارية، وثبتت بالقرب من باب القصبة⁽²⁾، أما عمارتها فعبارة عن بناية واسعة تتشكل من عدد كبير من القاعات ومسقوفة بأقبية⁽³⁾.

دار البارود بباب عزون:

موقعها وتاريخها:

يظهر في مخطط أعدّه النقيب الفرنسي "بوتان" لتحصينات مدينة الجزائر⁽⁴⁾، الممتدة من رأس تامنفوست إلى برج سيدي فرج وجود مصنعين للبارود أحدهما بباب الوادي والآخر خارج أسوار المدينة بجوار مقبرة ربض باب عزون، تخطيطها لا يختلف بصفة عامة عن باقي دور البارود بنواحي مدينة الجزائر، فقد اتخذت شكلا مستطيلا يضمّ ثلاثة قاعات

¹ - لخضر درياس، المرجع السابق، ص. 61.

² - عزيز سامح ألتر، المرجع السابق، ص. 601.

³ - A.de Fontaine de Resbeq ; Op.cit., P. 167.

⁴ - لخضر درياس، المرجع نفسه، ص. 109.

ممتدة بشكل طولي واحدة بجانب الأخرى، يعلوها سقف على شكل أقبية⁽¹⁾. أنظر المخطط رقم: 26.

دار الصناعة بمدينة الجزائر:

موقعها وتاريخها:

شيّدت دار الصناعة بمحاذاة سور المدينة على يسار مسجد المسمكة على بعد حوالي 320م عن طبانة العسل في الزاوية الجنوبية الشرقية للمدينة⁽²⁾، في نفس موضع دار الصناعة الموحدية⁽³⁾، وتمّ اختيار هذا المكان المحفور في اليابسة، حيث يمكن سحب السفن إلى البر⁽⁴⁾، لربح مساحة إضافية بالميناء الذي يتميز بصغر حجمه⁽⁵⁾. أنظر المخطط رقم: 02-04.

يعود الفضل في إنشاء أول دار صناعة بالمدينة إلى الموحدين، بعد حملتهم على بلاد المغرب الأوسط والأدنى سنة 546هـ-547هـ / 1151م⁽⁶⁾، أمّا دار الترسانة التركية فيرجع تاريخها إلى عهد "خير الدين باشا" في نفس زمن إنشاء رصيف الميناء⁽⁷⁾، ويثبت

¹ - A.de Fontaine de Resbeq ; **Op.cit.**, P. 168.

² - Albert Devoulx ; **Alger...** , in : *Revue Africaine*, N° 20, 1876, P. 250-336. **Voir** : - Fray Diego De Haedo ; **Topographie...** , P. 74-76.

³ - الاسعد شوشان، المرجع السابق، ص 312.

⁴ - Charles Monchicourt ; « **Essai bibliographique sur les plans imprimés de Tripoli, Djerba et Tunis Goulette Au 16 siècle et note sur un plan d'Alger** », in : *Revue Africaine*, N° 325, 1925, P. 417.

⁵ - Sander Rang ; **Op.cit.**, T. 02, P. 372.

⁶ - علي عشي، المرجع السابق، ص. 520.

⁷ - شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ج2، ص. 336.

صحة ذلك تقرير إسباني مؤرخ سنة 1533م، نشر محتواه د. أحمد توفيق المدني في كتابه «حرب الثلاثمائة» جاء فيه أن مدينة الجزائر تتوفر على دار صناعة⁽¹⁾.

ساعدت على قيام هذه الصناعة مجموعة من العوامل في مقدمتها وفرة المادة الأولية، وعلى رأسها: مادة الخشب التي كانت تتزوّد بها من غابات شرشال⁽²⁾، لتنوع الغطاء النباتي بها من أشجار الصنوبر والعرعار⁽³⁾، لكن مع مرور الوقت أصبحت هذه المنطقة لا تلبي حاجيات هذه الدور من مادة الخشب⁽⁴⁾، ما استدعى التوجه إلى المنطقة الشرقية من الإيالة^(*) في منتصف القرن 17م، وتحديدًا بالمناطق القريبة من بجاية بكلّ من غابات بني ميمون وبني عمرو، وبني فوغال التي استعانوا بها بداية من منتصف القرن 18م، نظرا لما يتميز بها خشبها من جودة ومقاومة للكسر⁽⁵⁾، وقد اعتمد حكام مدينة الجزائر في توفير الخشب أيضا على غابات منطقة الساحل المجاورة للمدينة، حيث استغلها الداوي "محمد بن عثمان باشا" (1766-1791) في بناء عدد كبير من السفن سنة 1789م⁽⁶⁾، في حين استعان الداوي حسين (1818-1830) بغابات بني جنّاد شرق الجزائر في صناعة عمائره البحرية⁽⁷⁾، كما كانت دور الصناعة، تتحصل على بعض المواد الصناعية على شكل مادة أولية أو قطع جاهزة للتركيب بسبل مختلفة، على شكل

¹- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة...، ص. 277-278.

²- مارمول كريخال، المصدر السابق، ص. 368. راجع:

- Fray Diego de Haedo ; **Topographie...** , P. 75-76.

³ - Fray Diego de Haedo ; **Histoire...** , P. 18.

⁴-Ernest Mercier ; **Histoire De l'Afrique...**, P. 145.

* لم يقتصر دور الغابات الشرقية من الإيالة الجزائرية على توفير الطلبات المحلية من مادة الخشب، بل كانت موجهة أيضا للتصدير، حيث ظلّت غابات عنابة والقالة وبني صالح وسيبوس، تزود انجلترا بهذه المادة إلى سنة 1817م نظير مبلغ مالي هام. راجع: - ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي...، ص. 31.

⁵ -Charles Feraud ; **Histoire de villes....**, P. 286-287.

⁶ - ناصر الدين سعيدوني، المرجع نفسه، ص. 31.

⁷-Ali Effendi Ben Hamdan Ben Otsman Khodja; **Op, cit.**, P. 07.

ضرائب سنوية⁽¹⁾، تقدم من طرف عدد من الدول الأوروبية مقابل حفظ مصالحها مثل: دولة هولندا، التي كانت تدفع للجزائر عتادا متنوعا يدخل في صناعة السفن كالقطع الخشبية والحبال⁽²⁾، وعن طريق الشراء أو المقايضة مثل: دولة بريطانيا التي كانت تزودها بالقطع التي تدخل في تركيب السفن والأسلحة مثل: الحبال والبارود مقابل الحصول على المواد الغذائية كالزيت والحبوب لتغطية حاجيات جنودها بجبل طارق⁽³⁾، وعلى شكل هدايا يقدمها السلاطين العثمانيين لحكام الجزائر، وقد تلقت الكثير منها في عهد الداوي "محمد بن عثمان باشا" عبارة عن معدات مختلفة تدخل في صناعة السفن مكونة من سرايا ومجاذيف ومراسن وقواعد وكميات كبيرة من المسامير والزفت⁽⁴⁾ وتلقى "علي باشا" (1809-1815) سنة 1810م هدايا لا تقل أهمية عن سابقتها، تتضمن فرقاطة وسفينتين وكميات من الخشب والحديد والقطران، أهداها له السلطان "محمود الثاني" بمناسبة توليه كرسي السلطة العثمانية⁽⁵⁾، أو تحصل عليها عبر إعادة استغلال السفن القديمة أو المكسرة التي تم الاستيلاء عليها في عمليات الجهاد البحري⁽⁶⁾.

¹-Albert devoulx, **La marine...**, P. 05.

²- Venture de paradis ; **Alger...**, in : **Revue Africaine**, N° 224, 1897, P. 89.

³ - Vincent Yves Boutin; **Op. cit.**, p. 211.

⁴ - أحمد توفيق المدني، محمد بن عثمان باشا...، ص. 150-152.

⁵ - عزيز سامح آلتر، المرجع السابق، ص. 594.

⁶-Moulay Belhamissi ; **Op. cit.**, P. 67

يرجع كذلك نشاط هذه الصناعة إلى وفرة اليد العاملة المؤهلة من خلال الاستفادة من المهاجرين الأندلسيين، وبالاكتفاء على الخبرة الأوروبية باستقدام المهندسين والصنّاع^(*)(1)، مثل القرصان الإسباني "سيمون دانس" بداية القرن 17م⁽²⁾ والمهندس الفرنسي "جوفرو" أواخر القرن 18م⁽³⁾، إضافة إلى الأسرى والعبيد المسيحيين^(*)(4) الذين يمتنون حرفا متنوعة لها علاقة بهذه الصناعة، خاصة النجارين والحدادين والزفّاتين⁽⁵⁾.

إنّ وفرة المادة الأولية وتنوع مصادرها لم يمنع من ظهور بعض العراقيل، التي أثّرت سلبا على هذه الصناعة، كنقص اليد العاملة الأجنبية، خاصة بعد حملة اللورد "أكسموث" سنة 1816م، وإبرامه مع الطرف الجزائري اتفاقية تنص على تحرير الأسرى المسيحيين، ما أدّى إلى تراجع عددهم⁽⁶⁾، أمام هذا الظرف، اضطرت السلطات إلى إلغاء عقوبة الإعدام، واستبدالها بعقوبة الأشغال الشاقة لتغطية العجز المسجل في اليد العاملة.

* إنّ سياسة الاعتماد على الخبرة الأجنبية المنتهجة من طرف السلطة التركية في الجزائر، تواصل استغلالها من طرف الأمير عبد القادر في فترة الاحتلال الفرنسي، حيث أنشأ عددا من دور صناعة السلاح، واستقدم إليها خبراء أجانب من إسبانيا وفرنسا للإشراف على هذه المنشآت التي أنتجت أسلحة متنوعة من سيوف وحراب وبنادق وبارود ومدافع، وفي نفس الوقت تكوين الجزائريين في هذا المجال الصناعي، راجع: - محمد بن عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ج 1، ص 204. - الكلونيل اسكوت، مذكرات الكلونيل اسكوت عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر 1841، ترجمة وتعليق: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 88.

¹- Charles Feraud ; **Histoire de villes...**, P. 276.

²- Albert devoulx ; **La marine...**, P. 30.

³- ناصر الدين سعيدوني، والشيخ المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 65-66.

* لم يقتصر استخدام هذه الفئة من اليد العاملة على دور الصناعة الجزائرية فقط، بل امتدت إلى دول الجوار مثل: ورشات الصناعة بالإيالة التونسية ونذكر على سبيل المثال دار الصناعة "بغار المالح" بالساحل الشرقي من الجمهورية التونسية، راجع:

- Ahmed Saadaoui ; **<Les Andalous>**, in : **Ifriqiya**, Edisud, Tunis, S.D, P 119.

⁴- Charles Feraud ; **Idem.**, P. 276.

⁵- Dr. Shaw ; **Op, cit.**, p. 201.

⁶- A.de Fontaine de Resbeq, **Op.cit.**, P. 151.

كما ترتب عن هذه الإتفاقية انقطاع التجهيزات البحرية، التي كانت تتعهد بتقديمها الدول الاسكندنافية في نطاق الأتوات، والهدايا الإلزامية، كالحبال والأخشاب والأشعة، إضافة إلى غياب الاستثمار الداخلي في المواد المتوفرة محليا، كالحديد والزنك والأخشاب⁽¹⁾، هذه الأخيرة التي كانت تشرف عليها عائلات محلية من القبائل المشهورة في إنتاج الخشب، مثل عائلة المقراني⁽²⁾. احتكرتها عائلتي اليهودي "بوخريص" و"بوشناق" بمواقفة من السلطة على عهد "مصطفى باشا" (1798-1805) سنة 1799م، وعلى الرغم من الفوائد التي كانت تجنيها، إلا أنها كانت تعرض أسعار شراء منخفضة مقارنة بالأسعار المتعود عليها سابقا من طرف المالكين، إضافة إلى التأخير في دفع مستحقاتهم، ما تسبب في تعطيل صفقات الشراء، وتأخر تزويد دور الصناعة بهذه المادة، وبالتالي حدوث فجوة في هذه الصناعة⁽³⁾.

رغم الصعوبات التي واجهتها صناعة السفن، إلا أن هذا لم يضع حداً لنشاطها، بل تواصل إلى نهاية الحكم التركي، وكدليل على ذلك سنكتفي بذكر بعض الإحصائيات في فترات مختلفة، فبعد حملة "شارل الخامس" على تونس سنة 1535م، أمر "خير الدين باشا" بصناعة ثمانية سفن لتدعيم أسطولها⁽⁴⁾، وفي سنة 1754م، كانت بدار الصناعة ثمانية سفن قيد الصناعة⁽⁵⁾.

¹ - ناصر الدين سعيدوني، والشيخ المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص. 66.

² - Charles Feraud ; **Histoire des villes...**, P. 291.

³ - مبارك محمد الملي، المرجع السابق، ج. 3، ص. 331.

⁴ - Albert Devaulx ; **La marine...**, P. 08.

⁵ - Rosalem (N.); **Op, cit.**, P. 80.

عرفت ورشات الصناعة بالمدينة نهاية القرن 18م، نشاطا كبيرا، وذلك راجع إلى الظرف الأمني، حيث وصلت الحرب بين الجزائر وإسبانيا ذروتها، وكان ذلك على عهد الداى "محمد بن عثمان باشا" (1766-1791) الذي بعث مشروع إنجاز خمسمائة سفينة حربية⁽¹⁾، وقد تواصلت هذه الحركة الصناعية بعده خلال فترة حكم "مصطفى باشا" (1798-1805)، ويظهر ذلك في قول "أحمد الشريف الزهار" <<وأنشأ فرقاطتين كبيرتين واحدة بعد واحدة، فلما أتمهما أنشأ مائتين من اللنجور، وعندما أتمهما أنشأ زوج بلاندا واحدة بعد واحدة، وقد اجتمع لديه من الرؤساء خمسمائة رايس، بعضهم كان يركب المراكب الجهادية، وبعضهم يسافرون رؤساء الطريق، وبعضهم مقيمون في البلاد، يتناوبون ركوب المراكب>>⁽²⁾.

استمرت ورشات الصناعة في عمليات الإنتاج بداية القرن 19م، رغم ما لحق تحصينات المدينة وأسطولها من أضرار خلال هذه الفترة جرّاء الحملة الانجليزية سنة 1816م، فبعد سنتين استعادت عافيتها، وتمكنت من إنتاج سفينة حربية كبيرة مجهزة بـ 32 مدفعا⁽³⁾، وفي سنة 1822م كانت بدار الصناعة ثلاثة سفن قيد الإنجاز على حدّ قول "وليام شالر" القنصل الأمريكي بالجزائر⁽⁴⁾.

¹ - أحمد توفيق المدني، محمد بن عثمان باشا...، ص 106.

² - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 80.

³ - Albert Devoulx ; *La marine...*, P. 36.

⁴ - ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي...، ص. 161.

حافظت هذه الدور على نشاطها إلى غاية 1830م تاريخ احتلال المدينة من العدو الفرنسي، وقد أقدمت السفن التجارية المرافقة له بإخلاء مخازن الميناء من المواد المختلفة، ومنها الصوف والحبال والسلاسل والمراسي، هذه الأغراض المرتبطة بالصناعة البحرية⁽¹⁾.

إنّ نشاط دور الصناعة بالإيالة الجزائرية خلال الحكم التركي لها، لا يعني أنها غطّت حاجيات أسطولها الحربي والتجاري من السفن، خاصة وأنها كانت موجهة لإنتاج أنواع معينة من السفن الحربية، ما جعل الحكّام يلجؤون إلى تأمينها عن طريق الشراء من أوروبا⁽²⁾، ففي حملة "حسن باشا" على وهران كانت هناك سفينتين من عمل فرنسي ضمن الأسطول المشارك في هذه الحملة⁽³⁾، كما كانوا يتحصلون عليها عن طريق الكراء لإستعمالها في نقل الحجاج وأوقاف الحرمين الشريفين⁽⁴⁾، أو لنقل الأسلحة التي كانوا يبتاعونها من أوروبا⁽⁵⁾، إضافة إلى اعتماد سبل أخرى كالحصول عليها على شكل مساعدات أو هدايا من الدولة العثمانية، فقد ذكر "حمدان خوجة أنّ "مصطفى باشا" تلقى مساعدات من الباب العالي، ومن ضمنها عدد من الحرّاقات⁽⁶⁾.

¹ - عثمان بن حمدان خوجة، المصدر السابق، ص. 201.

² - Charles Feraud ; **Histoire des villes...**, P. 276.

³ - مارمول كبرخال، المصدر السابق، ص. 340.

⁴ - ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي...، ص. 165.

⁵ - أحمد بن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص. 22.

⁶ - عثمان بن حمدان خوجة، المصدر نفسه، ص. 96.

اتخذت دار الصناعة شكلا نصف دائري⁽¹⁾، محاطة بسور وقطرها حوالي 80 خطوة، ليس لها أي باب تصلها بالمدينة، في حين لها مدخلين من الناحية البحرية⁽²⁾ عبارة عن عقدين كبيرين تعلوهما بطارية، يؤديان إلى حوضين مسقوفين يتسعان لصناعة وإصلاح سفينتين في آن واحد، ويوفران لهما الحماية اللازمة⁽³⁾

ظلت دار الصناعة محافظة على شكلها دون أن تعرف أي توسعة تذكر منذ القرن 16م إلى غاية الدخول الفرنسي إلى المدينة سنة 1830م⁽⁴⁾ ما شكّل عائقا أمام رغبة الحكام الأتراك في مسايرة التطور الذي عرفته صناعة السفن عند القوى الأوروبية الكبرى، حيث تحتاج إلى مساحات واسعة، وأمام هذا الوضع اهتموا إلى إنشاء ورشة صناعة جديدة في عمق الميناء بالقرب من الجزيرة الكبيرة، واقتصر دور الورشة القديمة على صناعة السفن المنخفضة⁽⁵⁾، وبقيت على هذه الحال إلى أن أهملت وأُخِر الحكم التركي تاريخ تحويلها إلى مخازن لحفظ معدات البحارة⁽⁶⁾

توفرت مدينة الجزائر أيضاً على ورشتين أخريتين كانت أولهما خارج باب الواد أسفل برج الزووية⁽⁷⁾، عبارة عن مخزن للبحرية ومخصص لصناعة عتاد السفن كالأشرعة والحبال⁽⁸⁾، أما الورشة الثانية محلها بباب عزون، حيث كانت تصنع المراكب الصغيرة⁽⁹⁾.

¹ - Fray Diego De Haedo ; **Topographie...**, P. 75.

2-Albert Devaulx, **Alger...**, in; Revue africaine N20/1876. p 252.

3-Sander Rang, **Op, cit.**, P. 372.

4-Fray Diego De Haedo; **Idem.**, in; Revue Africaine, N 88/1871, P. 383.

5-Sander Rang, **Op, cit.**, p. 372.

6-Albert devoulx ; **Idem.**, p.252 .

7-Albert Devaulx, **La marine...**, p. 35.

8- Moulay Belhamissi, **Op, cit.**, p. 64

9- أمين محرز، الجزائر في عهد الأغوات (1659.1671)، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص.

التحصينات الشرقية لدار السلطان:

شيّد الحكام الأتراك مجموعة من الأبراج على امتداد الطرق السلطانية، خاصة بالطريق الرابطة بين دار السلطان وبايليك الشرق الذي يقطع منطقة القبائل المعروفة بكثرة ثوراتها ضدّ السلطة التركية.

يرجع تاريخها إلى فترة متقدمة من حكمهم للإيالة الجزائرية، وكانوا يهدفون من وراء إنشاء هذه المباني الحربية إلى استتاب الأمن بالمنطقة من خلال اتخاذها كقواعد عسكرية تحمي هذه المسالك خاصة عند خروج محلاتّ تحصيل الضرائب، وتأديب القبائل المتمردة والمتخلفة عن أداء واجباتها اتجاه سلطة البايليك، إضافة إلى توفير الحماية للأسواق، واتخاذها كمخازن للحبوب المتحصل عليها عن طريق العشور وكأماكن راحة توفر الماء لقاصديها من عابري السبيل⁽¹⁾.

كان بقيادة "سباو" شرق مدينة الجزائر والتي تعتبر بوابة بلاد القبائل والمنطقة الشرقية مجموعة من الأبراج أكثر الظن أنّ العديد منها أقيم على أنقاض القلاع البربرية التي سبقت دخول الأتراك إلى الجزائر، مثل "قلعة بوغني" و"قلعة ذراع الميزان" بقيادة بوغني⁽²⁾.

وقد اشتهرت هذه المنطقة بكثرة حصونها منذ الفترة الرومانية، حيث كانت تشغل جوانب مسار الأودية خاصة "واد سباو" و"واد يسر"، وبالقرب من طرق المواصلات التي يمتد بعضها إلى ساحل البحر، حيث "مرسى جنات" و"مرسى الدجاج"⁽³⁾.

¹ -Louis Piesse; *itinéraire ...*, P. 135.

² -Tarik Bellahsene; *Op.cit.*, P. 85-88.

³ - Camille Viré (A.), «Archéologie du Conton de Bordj- Menaiel»; *in: R. de Constantine*, 1898, P. 32-41.

برج منايل:

كان موضع تشييده بالضفة اليمنى لواد "يسر"⁽¹⁾ على أنقاض موقع أثري روماني⁽²⁾ وبه كانت قلعة بربرية أعاد الأتراك استغلالها بعد ترميمها⁽³⁾.

شيّد البرج من طرف "محمد الذبّاح" في إطار مشروعه الدفاعي بمنطقة القبائل في نفس فترة إنشاء "برج سباو" و"برج تيزي وزو"⁽⁴⁾ لمراقبة الجانب الشمالي الغربي لأراضي "فليسة"⁽⁵⁾.

فقد البرج دوره الدفاعي، ففي سنة 1830م أصبح مجرّد مستودع لقبائل المخزن⁽⁶⁾. وفي الفترة الاستعمارية شغلت عمارته مقر البلدية والدرك والكنيسة والمدرسة⁽⁷⁾.

برج تازرار (برج سباو القديم):

هو الآخر يطلق عليه اسم برج "سباو"⁽⁸⁾، كان موضعه بالضفة اليمنى من واد سباو بالقرب من سوق برج تازرار⁽⁹⁾.

شيّد ليكون مقرا لقيادة سباو ونقطة لمراقبة المنطقة والسوق التي بجواره⁽¹⁰⁾، وفي سنة 1716م⁽¹¹⁾، هاجمته قبيلة إيراثن وألحقت أضرارا كبيرة بعمارته⁽¹⁾.

¹-Nicolas Bibesco; **Op.cit.**, P. 124.

² - Louis Piesse; **Itinéraire...**, P. 153.

³- Tarik Bellahsene; **Op.cit.**, P 87-88.

⁴- Nicolas Bibesco; **Idem.**, P. 124.

⁵- Tarik Bellahsene; **Idem.**, P. 88.

⁶- Rinn (L.); **Op.cit.**, in: **Revue Africaine**, N 224/ 1897, P 143.

⁷- Louis Piesse; **Idem.**, P. 153.

⁸- Tarik Bellahsene; **Ibid.**, P. 87.

⁹- Nicolas Bibesco; **Ibid.**, P. 113.

¹⁰- Tarik Bellahsene; **Ibid.**, P. 87.

¹¹ - علي خلاصي، القلاع والحصون...، ص. 180.

ونظرا للخلل الموجود في نظامه الدفاعي المتصل بعمارته وموضع إنشائه تخلّت عنه السلطة التركية وعوّضته ببرج سباو الجديد⁽²⁾، في موضع مشرف بالجهة اليسرى من وادي سباو⁽³⁾. أنظر الخريطة رقم: 04

برج سباو(الجديد):

يعرف أيضا باسم برج سباو الجديد، تميزا له عن برج تازرارت، تمّ تشييده في مكان مرتفع بالضفة الشرقية من واد "سباو"⁽⁴⁾ أنظر الخريطة رقم: 04.

أقيم على عهد "محمد بن حسن باشا" (1718-1724م) سنة 1720م⁽⁵⁾، وبه كان مقر قيادة سباو⁽⁶⁾ الممتدة الى ساحل البحر حيث تحدها من الجنوب "قبيلة فليسة" ومن الشرق "الزواوة" ومن الغرب "يسر"⁽⁷⁾، ويشرف عليه قائد تركي، وقد قدر حاميتها "رين" "Rinn" بـ 60 رجلا⁽⁸⁾، موجّهة لحراسة البرج ووضع حدّ لثورات "قبائل زواوة".⁽⁹⁾

إن حالة الحفظ السيئة للبرج تجعلنا نجهل قدرة تسليحه بالمدفعية، إلّا أنّ القائد العسكري الفرنسي "بليسيي" "Péllissier E." ذكر أنّه عند احتلال الجزائر سنة 1830م كان مسلّحا بستّة مدافع⁽¹⁰⁾، في حين جاء في تقرير عسكري لنفس الضنة أنّه كان مسلّحا بـ 08 إلى 10 مدافع⁽¹¹⁾، وهو رقم معقول مقارنة بحجم عمارته.

¹- Nicolas Bibesco; **Ibid.**, P. 114.

²- Tarik Bellahsene, **Op.cit.**, P. 87.

³- Nicolas Bibesco; **Op.cit.**, P. 124.

⁴- Tarik Bellahsene; **Idem.**, P. 87.

⁵- Rinn (L.); **Op.cit.**, P. 143.

⁶- Louis Piesse; **Itinéraire...**, P. 353.

⁷- Pellissier (E.); **Op.cit.**, P. 353.

⁸- Rinn (L.); **Idem.**, P. 143.

⁹-DR. Shaw; **Op.cit.**, P. 346.

¹⁰-Pellissier (E.); **Idem.**, P. 346.

¹¹- Alfred Nettement ; **Op.cit.**, P. 590.

ظلّ البرج يؤدي دوره الدفاعي إلى غاية احتلال مدينة الجزائر تاريخ تعرّضه لهجوم سكان منطقة القبائل، أبيدت خلال هذه العملية حاميته⁽¹⁾، وبذلك فقد دوره الدفاعي⁽²⁾، إلى حين شغله بلقاسم أوقاسي آغا عملاوة خليفة الأمير عبد القادر بالمنطقة إلى غاية سنة 1847 م⁽³⁾، ليتعرّض للإهمال مرّة أخرى إلى سنة 1851 م تاريخ إصلاحه، ليعين به بلقاسم أوقاسي باشا آغا على منطقة سباو من طرف الحاكم العام الفرنسي بالجزائر، واستمر مقامه به إلى سنة 1855 م⁽⁴⁾.

تعرّض البرج في سنة 1856 م إلى عملية إصلاح وتوسعة، حيث شيّدت حوله سور من جهة الجنوب والغرب والجنوب الغربي ودعّمت بعدد من الأبراج وبنيت داخلها بنايات خاصة بالمؤونة ومخازن وثكنات وإقامات للضباط... إلخ⁽⁵⁾. أنظر المخطط رقم: 27 والشكل رقم: 01. والصورة رقم: 16

البرج الأحمر:

كان يحتل موقعا أقل ارتفاعا من برج "تيزي وزو"، حيث شيّدت عند قدم القسم العلوي من حوض سباو، إلّا أنه لم يكن له دور في النظام الدفاعي للمنطقة، حيث هدم قبل الانتهاء من أعمال تشييده⁽⁶⁾.

¹ - Louis Piesse; **Itinéraire**, ..., P. 156.

²-Berard Victor; **Op.cit.**, P. 282.

³ - علي خلاصي، القلاع والحصون...، ص. 180.

⁴- Berard Victor; **Idem.**, P. 282.

⁵- **Ibid.**, P. 282.

⁶- Tarik Bellahsene; **Op.cit.**, P. 80.

برج القطة:

كان موقعه في المرتفعات الفاصلة بين يّسر وسباو، وبالقرب من "كدية عزيب زعموم" المرحلة الأخيرة من الطريق السلطانية (الجزائر - برج سباو) للوصول إلى برج سباو (1).

برج مدينة دّلس:

اعتمد الأتراك على مدينة دّلس، في مخططهم السياسي منذ فترة حكم الإخوة بربروس، حيث جعلوا منها عاصمة للمقاطعة الشرقية، وفي نفس الوقت اتخذوا بها برجا لتأكيد السلطة بها، ويظهر ذلك في وصف "مارمول" للمدينة بقوله: «آخر مدينة في إقليم الجزائر من الشرق... تحيط بها أسوار جيّدة ... وفيها حصن يسكنه الحاكم المعين من قبل حاكم الجزائر التي تعدّ هذه المدينة من ولايتها» (2).

برج بني جنات:

موقعه وتاريخه:

ذكر "أ. ديفولكس" "A. Devoulx" في دفتر التشريفات أنه كانت به سنة 1829م حامية من صفرتين تشكلان من 30 رجلا (3)، وقد يكون موضعه بالقرب من ميناء جنات شمال شرق يّسر، والذي كان إلى غاية القرن 18 م يستعمل في تصدير كميات كبيرة من الحبوب إلى أوروبا (4).

¹ - ناصر الدين سعيدوني، شبكة المواصلات...، ص. 76.

² - مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج. 02، ص. 372.

³ - Albert Devoulx ; Tachrifat..., P. 31.

⁴ - DR. Shaw ; Op, cit., p. 308.

برج تيزي وزو:

موقعه وتاريخه:

سمي نسبة إلى موقع بنائه⁽¹⁾ ونبات الوزال الذي استعمله البنائون في إيقاد أفران الجير والأجر لتحضير مواد تشييده⁽²⁾.

شيّده "محمد الذباح" بمكان مرتفع على أنقاض آثار رومانية، وقد ساعده هذا الموقع على مراقبة المنطقة الشرقية وكل حوض سباو⁽³⁾، ولكن رغم هذه الميزة إلا أن الاعتماد عليه في العملية العسكرية كان محدودا، وذلك نظرا لطبيعة موقعه الجبلي⁽⁴⁾.

أمّا عمارته، فعبرة عن أسوار متينة تشكل هيكله الخارجي، نلج إليه عبر مدخل يعلوه عقد، يؤدي إلى صحن مكشوف به بئر وتحيط به غرف لمبيت الحامية المراقبة به⁽⁵⁾، والتي كانت تتشكل من 50 رجلا، لينخفض عددها إلى 29 رجلا سنة 1830م⁽⁶⁾.

تعرضت عمارة البرج على عهد "يحيى آغا" قائد القوات الجزائرية إلى الترميم⁽⁷⁾، واستمر البرج في أداء دوره الدفاعي في الحقبة الاستعمارية بعد أن أصلحه "الجنيرال كوني" Cuny، وكان ذلك في سنة 1851م⁽⁸⁾. أنظر المخطط رقم: 28-29.

¹- Tarik Bellahsene; **Op.cit.**, T. 01, P 87.

²-Bebesco (N.); **Les Kabyles**,P. 124.

³- Louis Piesse; **Itinéraire,**, P. 157.

⁴- Tarik Bellahsene; **Idem.**, P. 87.

⁵-Comandant Durausset; **Excursion dans la grande Kabylie**, P. 276.

⁶- Rinn (L.); **Op.cit.**, in : **Revue Africaine**, N 224, 1897, P. 144.

⁷- Bebesco (N.); **Idem.**, P. 129.

⁸- Robert Georges ; **Op.cit.**, P. 88.

برج جمعة الصهريج وحصن أزفون:

موقعه وتاريخه:

شيّد البرج بجمعة الصهريج بإحدى قرى إمارة كوكو⁽¹⁾ من طرف "الباشا مصطفى قوصة" (1605-1607م) لحماية المارة والقوافل السالكة لهذه الطريق⁽²⁾.

عرفت هذه الفترة أعمالا عسكرية هامة: ففي فترة حكم "محمد قوصة" (1603-1605) صدّ غارة إسبانية على مرسى أزفون^(*)⁽³⁾، وفي سنة 1608م بعث باشا الجزائر حامية إلى هناك، حيث أفشلت محاولة بيع قبائل جرجرة نفس الميناء السابق الذكر للإسبان⁽⁴⁾.

لا نستبعد أن يكون الأتراك قد استعملوا في حماية الميناء حصن أزفون، الذي يعود تشييده إلى سنة 1313م من طرف الزيانيين على عهد "أبو حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن" خلال محاولاته إخضاع بجاية⁽⁵⁾، والذي تواصل استعماله من طرف الحفصيين في مطلع القرن 16م⁽⁶⁾، قبل خضوع المدينة للاحتلال الإسباني الذي نتج عنه قيام

¹ - مارمول كرخال، المصدر السابق، ج. 2، ص. 374.

² - علي خلاصي، المرجع السابق، ص. 181.

* مرسى أزفون هو نفسه مرسى الفحم، ويعرف أيضا بمرسى تامقوت 'Port de Tam goût' راجع:

- Adrien Berbrugger ; **Les époques militaires...**, P. 70.

³ - أحمد توفيق المدني، محمد بن عثمان باشا...، ص. 33.

⁴ - Jules Lionel ; **Kabylie...**, P. 130.

⁵ - Ernest Mercier ; **Histoire de L'Afrique...**, T. O2, P. 275. **Voir :**

- Féraud ; **Histoire des villes ...**, P. 181.

- Adrien Berbrugger, **Idem.**, P 107-178-181.

⁶ - Charles Féraud ; « Conquête de Bougie par les espagnols », in : **Revue Africaine**, N° 71/ 1868, P. 344.

إمارتي بني عباس وكوكو، هذه الأخيرة التي كانت تستعمل مرسى الفحم في مبادلاتها التجارية مع بعض الدول الأوروبية مثل فرنسا⁽¹⁾.

أما قلعة أزفون فقد شيدت فوق منحدر صخري ما زاد من حصانتها من جهاتها الثلاثة الجنوبية والشرقية والغربية، وساعد موضعها في جعلها مستطيلة الشكل بمساحة إجمالية تقدر بحوالي 8000م²، تحيط بها أسوار شيدت باستعمال الحجارة المصقولة التي تعود إلى الفترة الرومانية، وندخل إليها عبر باب فتح في الجهة الشمالية منها، تؤدي إلى داخل القلعة حيث يوجد مرافق مختلفة، منها عدد من القاعات مسقوفة بأقبية⁽²⁾.

التحصينات الغربية و الداخلية بدار السلطان:

تحصينات مدينة شرشال:

أسوار مدينة شرشال:

لمحة تاريخية لأسوار مدينة شرشال:

بعد الهجرة الأندلسية إلى مدينة شرشال أواخر القرن 15 م، عرفت نهضة معمارية واسعة، وهذا بشهادة الرحالة الذين زاروها إلا أنهم لم ينقلوا لنا الكثير عن تحصيناتها، وفي مقدمتها الأسوار، فقد اكتفى "الحسن بن محمد الوزان الفاسي" بذكر أسوار المدينة الرومانية بقوله: «هي مدينة كبيرة...، شيدها الرومان...، وكانت دائرتها في القديم تكاد تبلغ ثمانية أميال وهو طول سورها الشاهق المبني بأحجار ضخمة منحوتة...»⁽³⁾.

¹ - مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج2، ص 375.

² - Général Thomas, «Ruines de Zeffoun», in : *Revue Africaine*, N° 12/ 1858, P. 441-442.

³ - حسن الوزان الفاسي، المصدر السابق، ج. 02، ص. 34.

أما معاصره الراهب والجاسوس الإسباني "مارمول كاربخال" الذي زار شرشال خلال مدة إقامته بشمال إفريقيا فاقت العقدين من الزمن (1535م - 1559م)، فقد أشار إلى معلومة هامة تفيد أنه لا سور للمدينة بقوله: «... وليست المدينة في وقتنا الحاضر محاطة بأسوار...، وضمانة حمايتها في عدد سكانها وشجاعتهم...»⁽¹⁾، وقد أكد ذلك الأسير الإسباني "هايدو" بمدينة الجزائر ما بين 1578 - 1581م عندما ذكر أن المدينة كانت غير محصنة خلال حملة "أندري دوريا" على شرشال سنة 1531م⁽²⁾، ويبدو أن تحصينات المدينة بما فيها الأسوار قد اكتملت على عهد الباشاوات على أكثر تقدير وإلى ذلك أشار "التمجروتي ت : 1003هـ" الذي زار مدينة شرشال في طريقه إلى مدينة الجزائر بقوله: «ثم أرسينا على شرشال وهي بليدة حصينة كثيرة العمارة...»⁽³⁾.

ويمكن اعتبار الدكتور شاو Dr. Shaw الذي زار بدوره شرشال في القرن 18م على عهد الدايات، الوحيد الذي قدّم وصفا معماريا وافيا لأسوار مدينة شرشال خلال هذه الفترة، ذكر فيه أنها: «يحيط بها سور متين ارتفاعه 40 قدم مدعم بأبراج، ويقدر محيطه بثلاثة أرباع مرحلة...، بها ثلاثة أبواب أحدها تؤدي إلى قبائل بني مناصر...، واثنين منها من ناحية البحر، واحدة بالغرب والأخرى بالجهة الشرقية...»⁽⁴⁾.

¹ - مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج 2، ص. 356.

² - Fray Diego de Haedo ; **Histoire...**, P. 44- 45.

³ - التمجروتي، النفحة المسكية في السفارة التركية، تقديم: سليمان الصيد المحامي، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، د.ت، ص 18.

⁴ - DR.Shaw ; **Op.cit.**, P. 269.

الوصف المعماري لسور المدينة:

إنّ اندثار السور كليا وقلة المادة العلمية التي من شأنها أن تساعدنا على تقديم دراسة وافية له، جعلتنا نستعين بالمادة الأرشيفية والمتمثلة في مجموعة من المخططات للمدينة في الفترة الاستعمارية، والتي تعتبر السبيل الوحيد لمحاولة إعادة تصور مسار السور وأهم تركيباته المعمارية.

قمنا ببناء هذه الدراسة على مخططات من إعداد السلطات العسكرية والمدنية الفرنسية، أول هذه المخططات من إنجاز "ديلو DULOST"، تم إنجازه على مرحلتين وهذا يبدو من خلال تأريخه، فقد أرّخ بأكتوبر 1840 م، وأكتوبر 1841م، ساعدنا هذا المخطط على تتبع مسار السور إضافة إلى معرفة أهم التطورات الحاصلة في تحصين المدينة خلال هذه المدة.

كما له دور هام يتمثل في إثبات السور الأصلي، تبين ذلك من تاريخ إنجاز المخطط الذي يوضح أنّ السور العثماني هو نفس السور المستغل من طرف الفرنسيين، التي لا تزال بعض الأجزاء منه قائمة إلى يومنا هذا.

والدليل على ذلك أننا إذا اعتبرنا تاريخ احتلال شرشال مارس 1840م، أو ماي 1840م، فمدة سبعة أو ثمانية أشهر غير كافية لبناء سور جديدة للمدينة، وبالتالي أغلب الظن أن الفرنسيين أعادوا استغلال هذه السور مع تصليح الأجزاء المتضررة منه.

وما يزيد من إثبات ذلك، أنه عند عرض تطور تحصين المدينة بعد سنة من احتلال المدينة 1841م، تبين من المخطط أنه لم يحدث تغيير على مسار السور، واكتفى

الاحتلال الفرنسي بإنشاء خط تحصيني وهمي، تولّد عن طريق إنشاء مجموعة من مراكز المراقبة المتقدمة نصبت في أطراف المدينة باستغلال بقايا بعض المباني الرومانية، نذكر منها "برج فالي T.Valée" و"برج أماهار T.Amahar" و"برج أنابود T.Anabout".

أما المخططات الأخرى فهي تعود إلى القرن (19- و20م)، نذكر منها مخططا من إعداد مصلحة مسح الأراضي مؤرخ بسنة 1870م، ولقد كان اختيارنا لهذه المخططات مقصودا لأنها تساعدنا على إعداد تصور مسار السور بوضوح، كما تمكننا من معرفة أهم التغيرات الطارئة عليه خاصة وأنها أعدت في فترات مختلفة ومتتابة.

اتخذ السور شكلا غير منتظم، ويبدو أن البنية الجغرافية للمدينة هي التي أثرت فيه، فجاء على شكل قوس مفتوح من الجهة الشمالية على الميناء، ومن المحتمل أنه كان مدعما بالبطاريات الخاصة من الجهة الشمالية كنظام دفاعي إضافي لبرج شرشال وحصن جوانفيل. أنظر المخطط رقم: 30.

ينطلق السور حسب المخططات التي تحصلنا عليها من المعبر الذي يؤدي إلى جزيرة جوانفيل في الجهة الغربية من المدينة، ليمتد بجانب البحر، متخذا نفس مسار السور الروماني الذي لا نستبعد أنه أعيد استغلال أجزاء منه، كجزء مكمل للسور العثماني، ومن بعده السور الفرنسي الذي لا يزال الجزء السفلي منه قائما إذ يقدر سمكه بـ1,10م، وبأسفله فتحات يتنفّس من خلالها وزعت عليه بانتظام وبالتناوب، اثنتين في الأسفل وواحدة في الأعلى.

يغير السور مساره قاطعا المنحدر الصخري متجها نحو الجهة الشرقية، حيث محطة الحافلات بالقطار، ثم ينحرف مرّة أخرى ليواصل مساره الأصلي في نفس الاتجاه مع طريق القطار، والذي عوض بالسور الفرنسي الذي لا يزال محافظا على هيكله، بحيث

يقدر ارتفاعه بـ5م، وسمكه بـ1م، فتحت فيه مجموعة من المزاغل تفصل بين كل مزاغل وآخر مسافة تقدر بـ2م.

ينكسر السور مرة أخرى ليتصل بباب الغرب المقابل لنهج "نوفي أحمد عبد الحق"، ليواصل مساره جنوباً، ويتخلل هذا الجزء من السور بضعة أبراج، وتدعم السور من هذه الجهة بحاجز طبيعي يتمثل في المنحدر الصخري الغربي.

يدخل السور مرحلة جديدة، وذلك بتغيير اتجاهه في وضعية أفقية غير منتظمة، وهو حالياً موجود في نطاق الأكاديمية العسكرية لمختلف الأسلحة، تتخلله مجموعة من الأبراج موزعة شرق وغرب باب مليانة التي نصل إليها عبر نهج "سيدي إبراهيم الغبريني".

يغير السور مساره من الجنوب نحو الشمال ليتصل بباب الجزائر، ثم ينحرف قليلاً نحو الغرب ليتصل بالرصيف الصخري الشمالي الذي استغل كنظام دفاعي طبيعي لامتيازه بالعلو وشدة الانحدار، تخللت هذه الجهة من السور على غرار الجهات الأخرى عدد من الأبراج واحد منها استغل كمخزن للبارود في الفترة الاستعمارية حسب مخطط المصلحة التقنية للمدينة المؤرخ بسنة 1950م.

أما بالنسبة لمادة البناء، فخلال القيام بالعمل الميداني عثرنا في الناحية الشمالية الغربية على جزء أصلي من السور، تم هدمه أثناء القيام بعملية إنجاز قنوات صرف المياه، اتضح من خلاله أن الجزء العلوي منه تم تشكيله بالطابية، أما أسفله فقد شكّل بمختلف أنواع الحجارة التي جلبت من بقايا المباني والأسوار الرومانية، وهي نفس الطريقة التي اعتمدت في بناء أسوار بعض المدن البحرية التي تعود إلى نفس الفترة مثل مدينة الجزائر ومدينة برشك⁽¹⁾.

¹ - حسن الوزان الفاسي، المصدر السابق، ج 02، ص 34.

كان لمدينة شرشال أربعة أبواب وزعت على النحو التالي: باب في السور الشرقي وهو باب الجزائر، وباب في السور الغربي وهو باب تنس، وباب ثالث في السور الجنوبي يعرف بباب مليانة، وأخيرا باب البحر حيث الميناء ⁽¹⁾. أنظر المخطط رقم: 29.

باب الجزائر :

يعرف أيضا بباب الدزاير أو باب الشرق، وقد عرف كلاً من باب مدينة تنس ومليانة بهذا الاسم، وترتبط تسميته بطريق دار السلطان التي كانت تربط بين شرق المدينة ومدينة الجزائر.

يقع هذا الباب في الناحية الشرقية من السور العثماني محتلا الطريق الوطني رقم 11، متقدما كلا من مقر الدائرة الإدارية ومقر البلدية، أما هيكله فلم يعد موجودا اليوم.

باب تنس:

يعرف بباب الغرب، وحسب مخطط نشره الدكتور سعيديوني لفحوص المدينة خلال العهد العثماني، تبين من خلاله أنه كان يعرف أيضا بباب وهران ⁽²⁾، وقد عرف الباب الغربي لمدينة مليانة بهذا الاسم.

أطلقت هذه التسمية على الباب نسبة إلى طريق دار السلطان الذي كان يربط بين غرب المدينة ومدينة تنس، وهو يقع في الناحية الغربية من السور العثماني محتلا بذلك مسار الطريق الوطني رقم 11 في نفس الوضعية تقريبا مع باب الجزائر ومتقدما الباب الروماني من الناحية الشرقية بحوالي 350 متر.

¹– Amable Ravoisié, *Exploration scientifique de l'Algérie pendant les années 1840, 1841, 18842*, Paris, S.D, P. 46

²– Saidouni (N) ; *L'Algérois rural a la fin de l'époque ottomane (1791-1830)*, Dar-El-Gharb Al-Islami, Beyrouth, 2001, P. 551.

أما هيكل الباب غير أصلي استبدل بهيكل آخر في الفترة الفرنسية، يقدر ارتفاعه بحوالي 7,50 م وعرضه بـ 4 م، أما عمقه فيقدر بـ 4 م، وجاء كله مشكلا بالحجارة الرملية والآجر الذي استعمل في أطر المزاحل التي فتحت في جانبيه، وشكله مشابه لحدّ كبير لهيكل باب وهران بمليانة.

باب مليانة:

يعرف عند بعض الدارسين باسم باب مناصر⁽¹⁾، وحسب الرواية الشفوية يقال أنه عرف باسم باب المطمر، وذلك نسبة إلى مطامير القمح التي كانت بالقرب منه، وسمي بباب مليانة نسبة إلى الطريق الثانوية التي تصل جنوب المدينة بمليانة، وهو بذلك بمثابة المعبر الرئيسي للقادمين إلى المدينة من المنطقة الجنوبية عامّة ومليانة خاصة، وهذا ليس بالأمر الغريب لأن مرفأ مليانة أي منفذها إلى البحر هي شرشال⁽²⁾.

يقع الباب في الناحية الجنوبية من السور العثماني، ويوجد حاليا في نطاق الأكاديمية العسكرية لمختلف الأسلحة، وجاء هيكله مماثلا لباب تنس من حيث الشكل والمقاسات ومادة البناء.

¹– Saidouni (N.); **Op.cit.**, P. 80.

²– إسماعيل العربي، «حكومة الأمير عبد القادر، إدارتها ومهامها»، مجلة الثقافة، العدد: 75، 1983، ص.

حصون وأبراج مدينة شرشال:

القلعة الأندلسية بشرشال:

موقعها وتاريخها:

بعد المطالعة على مخطط المدينة في الحقبة الاستعمارية ⁽¹⁾ اتضح لنا أن موقع القلعة كان بالساحة العمومية، حيث كانت تشغل جانبا من الجهة البحرية منها في وضعية مشرفة على الميناء من جهة، وفي مقابلة مسجد "الرحمان" من جهة أخرى. أنظر الخريطة رقم: 05 و المخطط رقم: 29.

ليس لدينا تاريخ محدد حول إنشائها، إلا أنه من المؤكد أنها تعود إلى ما قبل دخول الأتراك إلى المدينة، وأعيد استغلال عمارتها أكثر من مرة، حيث ذكر الرحالة الألماني "هاينريش فون مالتسان" أنها من عمل البيزنطيين ⁽²⁾، وقد تكون من بين الرباطات البحرية التي كانت تحمي المدينة منذ فترة متقدمة من الحكم الإسلامي لها، حيث ذكر "البكري" (ق: 5 هـ / 11م): «أنه كان بمدينة شرشال رباطات يجتمع إليها في كل عام خلق كثير...» ⁽³⁾، وفي أواخر القرن 15م، عرفت سواحل الدول المغربية على رأسها الجزائر إقبالا كبيرا من المهاجرين الأندلسيين ، حيث حلّوا بشرشال وجدّدوا عمارة القلعة ⁽⁴⁾.

¹ - Amable Ravoisié; **Op.cit.**, P. 46.

² - هاينريش فون مالتسان، ثلاث سنوات في شمال غرب إفريقيا، ترجمة: أبو العيد دودو، ج 1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ت، ص. 168.

³ - أبو عبد الله البكري، المصدر السابق، ص. 82.

⁴ - حسن الوزان الفاسي، المصدر السابق، ج. 02، ص. 34. راجع: مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج. 02، ص. 356.

رغم أننا لا نملك نصّا يشير إشارة مباشرة إلى استمرار استغلال هذه البناية الحربية من طرف الأتراك، إلا أننا لا نستبعد ذلك، حيث ظلت عمارتها قائمة في مخططات المدينة إلى غاية الحقبة الاستعمارية، وذلك نظرا للموقع الهام الذي كانت تحتله بالمدينة، حيث يمكن استغلالها لحماية المدينة ومينائها رفقة "برج الترك"، وللإشارة فقد جاء في تقرير لـ "Lanfreducci" مؤرخ بسنة 1575م أنه يوجد بالمدينة قلعة مجهزة جيّدا بالرجال والمدفعية ⁽¹⁾، إلا أنّ وجود برج "بابا عروج" إلى جانبها يجعلنا نجهل أيّهما يقصد، وقد تكون نفسها التي أمر الأمير عبد القادر ببنائها لإيواء الحامية العسكرية التي كانت موجودة بالمدينة ⁽²⁾.

حصن البحر:

موقعه وتاريخه:

كان موقعه بجانب فنار إرشاد السفن ⁽³⁾، حيث أقيم في نقطة حساسة من المدينة في نفس موضع المدينة الفينيقية، وذلك قصد حماية ميناء المدينة والواجهة البحرية لها ⁽⁴⁾. أنظر المخطط رقم: 30-31-32.

أما تاريخ إنشائه فيبقى مجهولا، فحسب "بربريغر" Berbrugger، فتاريخه يرجع إلى فترة سابقة من إنشاء برج شرشال المعروف ببرج "بابا عروج" ⁽⁵⁾، وهذا ما يجعلنا نرجح أنه من عمل الأندلسيين على غرار برج الفنار بمدينة الجزائر.

¹- Lanfreducci et Bosio; **Op.cit.**, P. 524.

²- رشيد بورويبة، القلاع والحصون والمؤسسات، ص. 101.

³- Amable Ravoisié; **Op.cit.**, P. 50.

⁴- محفوظ بوطبة، المرجع السابق، ص. 131.

⁵- Adrien Berbrugger ; « **Le fort de Cherchell** », in : *Revue Africaine*, 1865, P 202.

استغل الحصن من طرف الجيش الفرنسي بعد احتلال المدينة سنة 1840م، وأطلق عليه اسم حصن " جوائفيل"، وكان ذلك في الفترة الممتدة ما بين 1840 و1848م⁽¹⁾، ودعموه بإنشاء بطارية بالناحية الشرقية خارج أسوار المدينة، وتحديدًا بحي "تيزيرين" بالقرب من المقر الإداري للبحرية الجزائرية حسب ما يظهره مخطط للمدينة من إعداد Meunier Gaston أواخر القرن 19م⁽²⁾.

كان يعرف أيضا باسم برج "العسة"، ويتضح ذلك من خلال مخطط للمدينة وضواحيها أعدّه الجنرال "بولي" Pelet نقلا عن الطلبة الضباط للفرقة الملكية لقيادة أركان الجيش المؤرخ بمارس 1959م⁽³⁾، وورد أيضا باسم "حصن البحر" في مخطط نشره الدكتور "ناصر الدين سعيدوني" لفحوص مدينة شرشال في العهد العثماني⁽⁴⁾.

لم يفقد هذا الموقع أهميته العسكرية حيث تشغله حاليا كتلة للقوات البحرية الجزائرية على غرار العديد من الواقع البحرية الاثرية بالدولة الجزائرية تتقدمها قلعة المرسى الكبير بالغرب الجزائري.

¹– Adrien Berbrugger, **Le fort...**, P. 203.

²– الأسعد شوشان، المرجع السابق، ص. 115.

³– أرشيف حصن 23، شرشال، العلة رقم 02.

⁴– Saidouni (N.); **Op.cit.**, P. 551.

برج شرشال (بابا عروج):

موقعه وتاريخه:

كان موضع البرج في الركن الشمالي الغربي للساحة العمومية، حيث يوجد حالياً الموقف البلدي للسيارات، أعلى المنحدر الصخري المطل على الميناء، وهو أقرب إليه مقارنة بالقلعة الأندلسية السابقة. أنظر المخطط رقم: 30.

أما عن تاريخ إنشائه، فقد تم العثور على لوحة تأسيسية له، والتي كانت مثبتة أعلى مدخله، من خلال حفرة أجريت في الموقع سنة 1926م، وهي محفوظة حالياً بالمتحف الوطني بشرشال، اتضح من خلالها أنّ البرج تمّ بناؤه على يد "محمود بن فارس الزكي" بأمر من القائد التركي "عروج بن يعقوب"، وذلك سنة 924هـ / 1518م⁽¹⁾، وتمّ هذا العمل بمساهمة الجند الأتراك والأهالي⁽²⁾، وللإشارة فإنّ هذه اللوحة الرخامية مربعة الشكل نقشت عليها كتابة عربية منقّدة عن طريق الحفر البارز وبخط نسخ مغربي، وجاءت موزعة على ستّة أسطر متوازية وهذا نصّها:

بسم الله الرحمن الرحيم

صلّى الله على سيّدنا محمد وآله

هذا برج شرشال أنشأه القائد محمود

بن فارس الزكي في خلافة الأمير القائم بأمر الله

المجاهد في سبيل الله أروج بن يعقوب بإذنه

بتاريخ أربع وعشرين وتسع مائة⁽³⁾.

¹- Stéphane Gsell ; **Cherchell antique, Iol Césarea**, Paris, 1952, P. 31.

²- Adrien Berbrugger, **Le fort ...**, P. 205.

³- Gabriel Colin, **Op.cit.**, P. 11-12.

بناءا على تاريخ بناء البرج الذي تمّ في سنة 924هـ / 1518م، يجعله من أقدم المباني الحربية التي خلفها الأتراك بالإيالة الجزائرية، وقد أشرف عليه عدّة قادة نذكر منهم القائد بوهراوة الكبير⁽¹⁾، كما كان له دور دفاعي هام يتجلى في صدّ الخطر الذي يحدق بالمدينة خاصة من الناحية البحرية، وذلك نظرا للموقع الإستراتيجي الذي يحتله، حيث يتيح للحراس إدراك الخطر على مسافة بعيدة، إضافة إلى تحصنهم فيه خاصة أثناء الدخول مع العدو في معركة غير متكافئة الموازين والقوى، وكمثال على ذلك نذكر حملة "أندريا دوريا" على المدينة سنة 1531م، والتي احتمي خلالها الجند في البرج وانتهت في آخر المطاف بقهر العدو وردّه على أعقابهِ⁽²⁾.

استمر استغلال البرج في الفترة الاستعمارية من طرف الفرنسيين، بحيث أطلقوا عليه اسم الحصن الملكي⁽³⁾، وتواصل ذلك إلى أن تمّ هدمه سنة 1860م⁽⁴⁾، ولم يمنعنا هذا من محاولة إعادة تصوّر شكله، الذي كان يقوم على قاعدة مربعة، تمّ تشكيله بحجارة مصقولة جلبت من مباني قديمة⁽⁵⁾.

¹- Gain (L.); «Notice sur la famille de Robrini de Cherchell», in *Revue Africaine*, 1873, P. 451.

²- Adrien Berbrugger, *Le Fort ...*, P. 205- 206.

³- *Idem.*, P. 202.

⁴- عزيز سامح آلتر، المرجع السابق، ص. 68.

⁵- Adrien Berbrugger, *Ibid.*, P. 205- 205.

برج أنابود بمدينة شرشال:

موقعه وتاريخه:

يقع هذا البرج في الجنوب الغربي لحي عين قصبية، وبالضبط في حي سيدي يحي، يحده من الشمال الشرقي والشرق الأكاديمية العسكرية، ومن الشمال الغربي المقبرة الحديثة، ومن الغرب حي المهام، ومن الجنوب غابة سيدي يحي، وهو يعتبر من المعالم الأثرية المصنفة وطنيا بمساحة تقدر ب 220م². أنظر المخطط رقم: 30.

إنّ الموقع المرتفع للبرج سمح بمراقبة المدينة والسواحل البحرية الواسعة من منطقة شنوة شرقا إلى تنس غربا (1)، وساهم في تأمينها من الناحية الجنوبية.

تاريخ البرج يكتنفه كثير من الغموض، خاصة وأنه لم يلق الاهتمام من الباحثين، فهناك من ينسبه إلى الاسبان الذين احتلوا المدينة سنة 1511م، وهذا الرأي وليد الفترة الاستعمارية، وهذا ما استنتجته من خلال مخطط للمدينة أعدّ في الفترة الاستعمارية يبين موقع البرج، ويحمل اسم برج إسباني (2)، وهناك من ينسبه للأتراك ولا نستبعد إمكانية استغلالهم له، واستغل من بعدهم من طرف الجيش الفرنسي، فقد بدا واضحا في الصورة التي رسمها "أ. جوني"، إضافة إلى نوع مادة البناء وبعض العناصر المعمارية المشكلة له.

¹ - أرشيف حصن 23، شرشال، العلة رقم 02، (ملف برج أنابود).

² - نفسه.

الوصف المعماري لبرج أنابود:

اتخذ البرج شكلا مستطيلا طوله 7,20م، يصل ارتفاعه من بداية قاعدته إلى نهايته 12 م، ويقدر سمك جدرانه بـ 0,50م، ولقد كان الإقبال على هذا النوع من الأبراج كبير لأن بنائه أسهل من بناء الأبراج المستديرة⁽¹⁾. فتحت في واجهاته الأربع مجموعة من الفتوحات والمزاغل للمراقبة، وهي موزعة بانتظام على شكل صفوف متوازية ومتقابلة من كل الواجهات، وهذا يسمح بمعرفة أقسام البرج دون الدخول إليه.

فتحت في الطابق العلوي من الواجهة الشمالية فتحة كبيرة على شكل باب يعلوه عقد موتور نشرف من خلاله على المدينة والبحر، إضافة إلى وجود غرفة بارزة تعلو الركن الشمالي للبرج، وهي تقوم على حوامل حديدية.

يتصل بالواجهة الشمالية بناية على شكل فناء مكشوف تتصل جدرانها بالبرج في كل من الجدار الشمالي والغربي، وتتميز جدرانها بعدم الانتظام، ندخل إليها عبر مدخل عرضه 1م يتوسط جدارها الشرقي، وقد فتحت في كل من جداريه الغربي والشمالي مجموعة من المزاغل ترتفع عن سطح الأرض بـ 1,20م.

يوجد في الركن الشمالي الغربي للبنية غرفة حراسة بارزة إلى الخارج، تتصل بها عن طريق مدخل عرضه 1م، فتحت في جدرانها الثلاثة ثلاث مزاغل موزعة بمعدل مزغل واحد في كل جدار، وهي ترتفع عن الأرضية بـ 1م.

يتكون البرج من طابقين، يقوم الطابق الأول له على قاعدة مربعة ترتفع عن سطح الأرض بـ 1م، تقدر مقاساته بـ 6,20 × 5,30م، قسم إلى ثلاث وحدات على شكل غرف، واحدة منها في الجهة الغربية للطابق، وهي مقابلة ومماثلة للغرفة الثانية في الجهة

¹ - محفوظ بوظبة، المرجع السابق، ص. 135.

الشرقية، يصل بينهما مدخل عرضه 1م، وما يميز الغرفتين عدم انتظام جدرانهما، وذلك لوجود غرفة ثالثة تتوسط وتتصل بالجدار الشمالي مشكلة غرفة مستطيلة مقاساتها $2,40 \times 2,10$ م.

تتخلل جدران الطابق مجموعة من الفتحات للمراقبة جاءت متماثلة وموزعة بانتظام على جميع الجدران، كما أنها تمتاز بالتقابل في الجدار الغربي والشرقي، حيث يحتوي كل منهما على ثلاث فتحات تبعد عن بعضها البعض بمسافات متساوية.

أما الجدار الجنوبي فقد فتحت فيه أربع فتحات اثنتان منها في الجدار الجنوبي للوحدة الغربية واثنتان في الوحدة الشرقية، تبعد عن بعضها البعض بـ 1م، أما الجدار الشمالي فقد جعلت فيه فتحة واحدة تتوسط الجدار الشمالي للغرفة الشرقية للطابق الأرضي.

والملفت للانتباه أن كل هذه الفتحات جاء شكلها منكسرا، وقد يعود ذلك لضرورة أمنية، وذلك لقربها من الأرض، حيث تحجب على الذي بالخارج رؤية ما بداخل الطابق، إضافة إلى منع دخول الطلقات النارية، وذلك بجعلها تصطدم بالانكسار الموجود في الفتحة. ويمكن ان يتصل تصميمها بهذا الشكل بوظيفة الطابق في حفظ الذخيرة والبارود وذلك تجنباً لتعرضها المباشر لأشعة الشمس.

انهار سقف الطابق كليا ولم يبق منه سوى جزء من العوارض الحديدية المثبتة بالجدران الخارجية، ويبدو أن السقف كان على شكل أنصاف أقبية برميلية.

أما الطابق العلوي فيلي مباشرة الطابق الأرضي، وجاء مماثلاً له من حيث المقاسات، ويقدر ارتفاع جدرانه بـ 3,20م، كان يحتوي على غرفة في الركن الجنوبي الشرقي له، لم تعد موجودة اليوم، تدل عليها آثار جدرانها التي كانت متصلة بالجدار الجنوبي والشرقي للطابق العلوي.

تتخلل جدران الطابق مجموعة من المزاغل لها شكل موحد يشبه السهم، واسع من الداخل وضيق من الخارج، كانت مسيجة بشبابيك حديدية، وهي موزعة على الشكل التالي:

يتوسط الجدار الشمالي باب يعلوه عقد منكسر عرضه 1,40 م، وارتفاعه 2,30م، وهو يعلو مباشرة الغرفة الثالثة من الطابق الأرضي، نطل من خلالها على الصحن وغرفة الحراسة اللذان يتقدمان البرج في الواجهة الشمالية، فتح في جانبيه مزغلين.

فتحت في الجدار الجنوبي أربعة مزاغل تبعد عن بعضها البعض بـ0,60م، وترتفع عن الأرضية بـ1,50م، اثنان منها يضمها الجدار الجنوبي للغرفة التي كانت بالطابق، أما بالنسبة للجدارين الغربي والشرقي، فقد فتح في كل منهما ثلاثة مزاغل متماثلة ومتقابلة موزعة بالتناوب.

سقف الطابق بأقبية نصف برميلية، تفصل بينها عوارض حديدية، يتوسط السقف فتحة مستطيلة طولها 0,60م، وعرضها 0,50م تؤدي مباشرة إلى السطح، كما أن هناك فتحتين في السقف كانت تثبت فيهما قنوات حديدية لصرف مياه الأمطار.

يوجد في أعلى الركن الشمالي الشرقي للبرج غرفة حراسة مربعة الشكل بارزة إلى الخارج تقوم على حوامل حديدية، ندخل إليها من السطح عبر مدخله عرضه 0,50م، ولقد فتح في جدارها الجنوبي مزغل واحد للمراقبة.

أحيط سطح البرج بجدران، يتراوح ارتفاعها بين 2 و3م، فتحت فيها مزاغل مماثلة التي بالطابق العلوي، وهي ترتفع عن سطح البرج بـ1,30م، وزعت فيها على النحو التالي: ثلاثة منها في الجدار الغربي، وهي مقابلة لمزغلي الجدار الشرقي، ولم يبق منها إلاّ مزغلان، حيث انهار المزغل الثالث مع انهيار الجزء الجنوبي للجدار الغربي، كما

فتحت في الجدار الشمالي أربعة مزاغل هي الأخرى مقابلة لمزاغل الجدار الجنوبي، والتي لم يبق منها إلا مزغل واحد، أما الجدار الجنوبي فلم يبق منه إلا المزاغل الأوسطان. أنظر المخطط رقم: 33. و الشكل رقم: 02.

استعملت في عمارة البرج مواد بناء متنوعة تتقدمها الحجارة التي استخدمت بكثرة في بناء الجدران الخارجية والفاصلة للبرج، وهي مختلفة منها المشطوفة وغير المشطوفة، واستعمل الاسمنت كمادة لاحمة، وهذا يدل على أنه أعيد بناؤه في الفترة الاستعمارية.

الآجر، هو الآخر كثير الاستعمال في أجزاء البرج، خاصة في تشكيل السقف، وذلك لخفة وزنه، واستعمل أيضا في أطر المزاغل وبناء غرفة الحراسة، ووظف كمادة ثانوية إلى جانب الحجارة في بناء الجدران وتسويتها.

وظف الحديد كعوارض حاملة للأقبية النصف برميلية ولغرفة الحراسة الموجودة بأعلى البرج، بالإضافة إلى تشكيل شبابيك المزاغل في الطابق العلوي والجدران المطوقة للفناء، وكذلك في قنوات صرف المياه.

دار الصناعة بمدينة شرشال:

موقعها وتاريخها:

مدينة شرشال مدينة بحرية، كان بها ميناء طبيعي يشغل نفس موضع الميناء القديم، وبخضوع المدينة لسلطة الأتراك، قاموا بإنشاء الرصيف الذي يربط المدينة بالجزيرة في نفس فترة إنشاء رصيف مدينة الجزائر، وقد كان هذا المشروع قائما منذ سنة 1516 م⁽¹⁾، إلا أنه لم يتجسد على أرض الواقع إلى عهد خير الدين باشا بعد سنة 1530م بعد أن

¹ - مارمول كبرخال، المصدر السابق، ج. 2، ص. 366.

استكانت له مدينة الجزائر بإنهاء الوجود الإسباني بها⁽¹⁾، ويرتبط اهتمام الحكام الأتراك بميناء المدينة بالموقع الإستراتيجي الذي تحتله، وذلك بقربها من مدينة الجزائر، ما جعل منها قاعدة بحرية تتدعم بها البحرية الجزائرية بكل من مدينة الجزائر وجيجل في ظل تأخر بسط نفوذها على عدد من المدن البحرية: بجاية وعنابة ووهران التي سيكون لها وزن على الصعيدين الاقتصادي والعسكري في تاريخ الإيالة الجزائرية.

كما أنّ قرب شرشال من جزر البليار وإسبانيا، عامل آخر شدّ اهتمامهم بمينائها، وذلك لدعم عمليات الجهاد البحري وانعكاس ذلك إيجابيا على الجانب الاقتصادي من خلال المساهمة في المبادلات التجارية بين موانئ الضفتين⁽²⁾.

تتجلى مظاهر الاهتمام بميناء شرشال، إضافة إلى بناء الرصيف وتحصينه في إنشاء دار صناعة السفن به، هذا النشاط الصناعي الذي تعود أصوله على الأقل إلى أواخر القرن 15م على يد الأندلسيين، الذين هاجروا إلى المدينة بعد سقوط غرناطة سنة 1492م، ويظهر ذلك في قول "الحسن بن محمد الوزان الفاسي": «... فقصدها الغرناطيون...، ثم صنعوا كثيرا من السفن للملاحة...»⁽³⁾.

ساعد على قيام هذا النشاط وفرة المادة الأولية من الخشب⁽⁴⁾، إضافة إلى كثرة المعادن بالمنطقة مثل: منجم زكّار جنوب المدينة⁽⁵⁾، ما انعكس إيجابا على مختلف صناعات الحدادة بما فيها صناعة الأسلحة⁽⁶⁾.

¹ – DR.Shaw ; **Op.cit.**, P. 271.

² - Fray Diego de Haedo ; **Histoire...** , P. 80.

³ – حسن الوزان الفاسي، المصدر السابق، ج. 02، ص. 34.

⁴ – مارمول كريخال، المصدر السابق، ج. 2، ص. 368.

⁵ – Quétin (E.); **Op.cit.**, P 60.

⁶ – ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية، ط 01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2003، ص 54. **راجع:**
– بسم العسلي، خير الدين بربروس والجهاد البحري 1470 – 1547، ط 02، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1983، ص 123.

إنّ نشاط الصناعة الحربية بشرشال لم يتوقف بنهاية الحكم التركي لها، بل واصلت نشاطها الحربي بإنتاج الأسلحة في فترة حكم الأمير عبد القادر، حيث كان يتزود منها بما يحتاجه من القذائف (1).

تحصينات مدينة تيبازة:

أبراج مدينة تيبازة:

برج تيبازة:

ذكر "بوتان" في تقريره المؤرخ بسنة 1808م أنه يوجد برج بالضفة اليمنى لـ"وادي ملج" "Melagge" (2)، وقد يكون نفسه وادي الناظور الذي ينطلق مجراه من الجنوب، ويمرّ شرق بلدية الناظور ليصبّ في البحر، حيث المكان المعروف حاليا بالبلج.

تحصينات مدينة القليعة:

أسوار مدينة القليعة:

تعتبر القليعة من أهم المدن المشكّلة لإقليم دار السلطان (3)، شيدت على عهد "حسن بن خير الدين باشا" في فترة حكمه الأولى (1544-1552) سنة 1550م (4)، كان يحيط بها سور من الطابية، وفي بعض الجوانب منها مشكلة من تراص المساكن فيما بينها (5)، ولقد تضررت كباقي عمائر المدينة من الزلزال الذي أصابها على عهد "مصطفى باشا" (1798-1805) سنة 1802م (6)، وزلزال 1825م على عهد الداوي حسين (7).

¹ - رشيد بورويبة، القلاع والحصون....، ص. 101.

² - Alfred Nettement; **Op.cit.**, p. 591.

³ - Quétin (E.); **Op.cit.**, P. 230.

⁴ - Louis Piesse; **Itinéraire**,, P. 98.

⁵ - Quétin (E.); **Idem.**, P. 230.

⁶ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 83.

⁷ - Louis Piesse; **Alger...**, P. 57.

تعرّضت المدينة للتعمير من جديد، وظلّت أسوارها قائمة، إلّا أنّها فقدت دورها الدفاعي، حيث كانت في النصف الثاني من القرن 19م منهارّة من عدّة جهات⁽¹⁾.

تحصينات مدينة البليدة:

أسوار مدينة البليدة:

ذكر الدكتور "شو" Dr. Shaw الذي زار البليدة سنة 1729⁽²⁾، أنّها كانت محاطة بسور من الطابية⁽³⁾، يقدر محيطها بـ1600م، وقد كانت في بعض جوانبها تتشكل من تراص المساكن⁽⁴⁾، على نفس الطريقة المتبعة في تحصين مدينة القليعة، هذه الظاهرة المعمارية التي عرفت أول مرّة في الدولة الإسلامية بالمدينة المنورة على عهد سيدنا النبي محمّد رسول الله (ص).

تعرّضت مدينة البليدة إلى زلزال عنيف يوم الأربعاء 2 مارس 1825⁽⁵⁾، ما استدعى تدخلا عاجلا لحكام مدينة الجزائر، ممثلة بيحيى آغا، ونظرا لما لحق بالمدينة من أضرار، أمر بإنشاء مدينة جديدة⁽⁶⁾، على بعد 2 كلم باتجاه الشمال⁽⁷⁾، ولأجل ذلك استقدم البنائين من جميع البلاد، وعمل على توفير المادة البنائية بإقامة أفران لصناعة الآجر والجير⁽⁸⁾، وجلب الخشب من غابة مطماطة⁽⁹⁾، وشرعوا في بناء سور المدينة، إلّا أنهم اضطروا إلى وقف الأشغال وأجلّوا ذلك إلى فصل الربيع بعد أن قربوا من إتمام بنائه

¹ - Berard Victor ; **Op.cit.**, p.241

² - C. Trumlet ; **Blida**, t02, Adolphe, Jourdan, 1887, p.293 .

³ - DR.Shaw ; **Op.cit.**, P. 308.

⁴ - C. Trumelet; **Idem.**, P. 293.

⁵ - Berard Victor; **Idem.**, P. 213.

⁶ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 155-156.

⁷ - Berard Victor; **Ibid.**, P. 241.

⁸ - أحمد الشريف الزهار، المصدر نفسه، ص. 155-156.

⁹ - C. Trumelet, **Ibid.**, P 243.

بسبب الأمطار الغزيرة التي عرقلت أشغال البناء وتسببت في هدم أجزاء كثيرة منه، وبقيت السور على حالها دون أن تتم عملية بنائها ⁽¹⁾، وهي مثل سابقتها من الطابية، ولها شكل مربع ⁽²⁾.

تعرضت المدينة في الفترة الاستعمارية إلى عملية توسعة، حيث أصبحت أسوار المدينة التركية مدمجة في المباني الفرنسية ⁽³⁾، وعوّضت بسور جديدة يقدر ارتفاعها بـ 7م ومشيدة بالحجارة ⁽⁴⁾، فتحت بها ستة أبواب حافظت معظمها على أسمائها القديمة، وتتمثل في باب الجزائر وباب الرحبة وباب الزاوية وباب السبت وباب مخيم الصيد وباب القبور الذي يعرف أيضا بباب بيزو Porte de Bizot ⁽⁵⁾، كما قاموا بتدعيمها بحصن "ميميش" الذي شيد بالجنوب الشرقي ⁽⁶⁾، خارج أسوار المدينة بكدية بني شبله، حيث كانت طبانة ميميش (طبانة المشماش) ⁽⁷⁾.

كان بمدينة البليدة خلال العهد العثماني ستة أبواب، أربعة منها يربط بينها الشارعين الرئيسيين للمدينة، حيث يصل الشارع الأول بين باب الجزائر وباب القبور، والشارع الثاني بين باب السبت وباب الرحبة، أما البابين الآخرين المتبقين منها يتمثلان في باب الزاوية وباب الخويخة.

كانت هذه الأبواب مجهزة بمصراعين من الخشب، وتغلق عند صلاة المغرب باستثناء باب الجزائر التي تغلق عند صلاة العشاء نظرا للحركة الكبيرة التي كانت تعرفها هذه

¹ - أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص. 155-156.

² - Berard Victor; **Op.cit.**, P. 213.

³ - C. Trumelet; **Op.cit.**, P. 297.

⁴ - Louis pisse ; **Op.cit.**, P. 69.

⁵ - Berard Victor; **Idem.** , P. 282.

⁶ - **Ibid.** P. 219.

⁷ - C. Trumelet; **Idem.**, P. 298.

الأخيرة⁽¹⁾، ورغم أن هذه الأبواب هدمت في الحقبة الاستعمارية، إلا أن الذاكرة الحية لا تزال تحفظ مواقع بعضها إلى يومنا هذا على لسان كل كبير وصغير.

أبواب مدينة البليدة:

باب الجزائر:

سميت كذلك لأنها تفتح على الطريق التي تصل البليدة بمدينة الجزائر، وهي أكثر الأبواب حركة كونها تؤدي إلى أحد شوارع المدينة، حيث يوجد عدد من الأسواق مثل سوق الخرازين وسوق العطارين وسوق النسيج وسوق الدالّين، وبالقرب منها كان سوق البراعدية والحدادة، ومسجد باب الجزائر^(*)، وعندها كانت تتم عمليات الإعدام على غرار باب عزون وباب الجديد بمدينة الجزائر عاصمة الإيالة.

باب الرحبة:

كان موضعها جنوب المدينة بالقرب من حي الجوف على بعد 30م يمين باب الرحبة بالسور الفرنسية، سميت نسبة إلى السوق التي كانت تباع فيها الحبوب، هي الأخرى تفتح على شارع كثير الحركة به بعض الصناعات مثل سوق النجارين، وسوق الحياكين، وعلى يسارها كان مسجد "القائد أحمد بن قدور".

¹ - C. Trumelet; **Op.cit.**, P. 292-308.

* يعرف أيضا باسم مسجد باب محمد، حول سنة 1839م إلى ثكنة للقوات الفرنسية، وبعدها إلى ثكنة للرماة الأهالي، وكان ذلك سنة 1856م، قبل أن يتعرض للهدم سنة 1857م، **راجع:**

- C. Trumelet; **Idem.**, P. 302.

باب السَّبْت:

كانت بالجهة الشمالية، وسميت بهذا الاسم لأنها كانت تفتح على الطريق المؤدية إلى سوق السبت في الضفة الشرقية للشَّفة، وخارجها كانت تقام سوق الماشية يوم الجمعة.

باب القبور:

فتح بالجهة الغربية من السور، وكان منفذ المدينة إلى المقبرة، وهذه الظاهرة أَلفناها بالمدن الإسلامية مثل باب المقابر بالسور الشرقية لمدينة عنابة ببابليك الشرق بالإيالة الجزائرية.

باب الزاوية:

توجد بالجهة الشمالية الشرقية قرب شارع الباي، سميت بهذه التسمية لأنها تفتح على الطريق المؤدية إلى زاوية "سيدي مجبر".

باب الخويخة:

هي من أبواب السرّ أو النّجدة، وهذه التّسمية كانت منتشرة بعدد من مدن المغرب الأوسط مثل باب الخويخة ببسكرة⁽¹⁾، والأخرى بتلمسان⁽²⁾.

¹– Albert Devoulx ; **Tachrifat...**, P. 107.

²– Barges (L.); **Tlemcen**, Paris, 1859, P. 174-175.

تحصينات مدينة مليانة:

رغم أنّ كتب الرحالة والجغرافيين العرب لم تذكر شيئاً عن تحصينات المدينة في الفترة المتقدمة من تاريخ المغرب الإسلامي⁽¹⁾، إلا أنّ المؤكد أنها جمعت بين الحصانة الطبيعية والمعمارية⁽²⁾، ونظراً لموقعها الهام باعتبارها مفتاحاً إلى داخل البلاد⁽³⁾، سارع الأتراك إلى ضمّها إلى أملاكهم بداية القرن 16م، قبل أن تصبح على عهد الأمير عبد القادر مقراً للمقاطعة الثالثة وحصناً من حصون الخط الدفاعي الثاني، وبها كان مصنع المدافع بالناحية الشرقية منها⁽⁴⁾، وقد كان على رأسها "السيد محي الدين الصغير"، ولما مات خلفه عليها "السيد محمد بن علال القليعي"⁽⁵⁾.

أسوار مدينة مليانة:

استمر الأتراك في استغلال أسوار المدينة الإسلامية التي شيدت على بقايا السور الرومانية⁽⁶⁾، وهي أسوار عالية حصينة جيدة البناء⁽⁷⁾، مشيدة بالحجارة والطابية يتراوح سمكها ما بين 0,60م و2,5م، ويصل علوها إلى سبعة أمتار، تدعمها أبراج مربعة الشكل⁽⁸⁾، إلاّ أنه يوم احتلها الفرنسيون كانت في وضعية سيئة بها ثلاثة أبواب، تدافع بثلاثة أبراج مسلحة ببعض المدفعية⁽⁹⁾، كما كانت بالمدينة قلعة تحتل مكاناً مرتفعاً بها⁽¹⁰⁾.

¹ - إسماعيل العربي، المدن المغربية...، ص. 151-152.

² - حسن الوزان الفاسي، المصدر السابق، ج 02، ص. 35. راجع:

- مارمول كربخال، المصدر السابق، ج. 2، ص. 360.

³ - Quétin (E.); Op.cit., P 236.

⁴ - رشيد بورويبة، القلاع والحصون...، ص. 87-99.

⁵ - إسماعيل العربي، حكومة الأمير عبد القادر...، ص. 222.

⁶ - L.M. reuss; Op.cit., P. 136.

⁷ - مارمول كربخال، المصدر السابق، ج 2، ص. 360.

⁸ - محمد حاج صادق، مليانة ووليها سيدي أحمد بن يوسف، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989، ص. 51.

⁹ - Péllissier E; Op.cit., P. 236.

¹⁰ - مارمول كربخال، المصدر نفسه، ص. 360.

برج بوحلوان:

شيد هذا البرج جنوب زكار، وهو من التّحصينات الموجهة لحماية الطريق السلطانية الرابطة بين الجزائر ووهران ⁽¹⁾، وكثيرا ما كانت القوافل وفرق الجيش المارة تغير مسارها بين سهلي متيجة وحوض الشلف، تجنباً لمضايق "وادي جر" الصعبة والخطيرة، وتجتاز مواطن قبائل بني مناد وبني مناصر وريغة غير بعيد عن حامية "برج بوحلوان". ⁽²⁾

¹ - ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي...، ص. 160، راجع: -جون أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص. 61.

² - ناصر الدين سعيدوني، شبكة المواصلات...، ص. 70.

الفصل الخامس

تخصينات بايليك الشرق

تحصينات بايليك الشرق:

تحصينات مدن بايليك الشرق:

تحصينات مدينة قسنطينة:

أسوار مدينة قسنطينة:

لا يمكن الحديث عن التحصينات المعمارية لمدينة قسنطينة دون التعرض لحصانيتها الطبيعية التي شددت انتباه الكتّاب العرب والأجانب على فترات مختلفة⁽¹⁾، حيث شيدت على أرضية صخرية مائلة لها شكل شبه جزيرة يبلغ أقصى ارتفاع لها 644 م عن سطح البحر عند القصبية، حيث تفوق المنحدرات الصخرية هناك 100 م، وأدناها عند قمة سيدي راشد بارتفاع لا يزيد عن 534 م⁽²⁾، ولقد كان لهذا الميلان تأثير واضح على النسيج العمراني للمدينة الذي جاء بشكل متدرّج، وفي تخطيط شوارعها المنكسرة التي لم تخرج عن ما هو مألوف في المدينة الإسلامية عامة، إضافة إلى ميزات عملية أخرى، كاستغلال المنحدرات في التخلص من النفايات الصناعية مباشرة في الوادي بسهولة كالدباغة مثلا⁽³⁾.

يحيط بالمدينة خندق طبيعي⁽⁴⁾، من كل جهاتها باستثناء الجهة الغربية، حيث تتصل بالبرّ ويتمثل في وادي الرمال، هذا ما جعل منها حصنا منيعا، وذلك لما يتوفر عليها موقعها من صفات طبيعية مطابقة لما ذهب إليه "ابن الأزرق" في قوله: «... أن تكون

¹ - أبو عبيد الله (البكري)، المصدر السابق، ص. 63. راجع: - الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ص. 118.
- محمد العبدري البلنسي، المصدر السابق، ص. 57-58. - الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ج 2، ص. 55-56.

² - Dr. Reuss; **Op.cit.**, P. 27.

³ - Ernest Mercier; « Constantine avant la conquete française 1937 », in: **R.Constantine**, Année 1878, P. 53.

⁴ - Djelloul Neji; **Op.cit.**, P. 215.

على هضبة متوعدة من الجبل أو باستدارة بحر أو نهر حتى لا يوصل إليها العدو إلاّ بعد العبور على جسر أو قنطرة، فيصعب منالها من العدو ويتضاعف تحصينها >>(1).
أنظر المخطط رقم: 34.

عزّز هذه الميزات التحصينية نظام دفاعي معماري، يتمثل في الأسوار التي شيدت بأماكن محدودة من المدينة خاصة بالجهة الغربية والشمالية الغربية خلف القسبة وبالجهة الجنوبية، ونجدها أيضا في أماكن متفرقة عند باب القنطرة(2)، وفي الجزء السفلي من المنحدر الصخري الممتد بين باب القنطرة وجسر سيدي راشد، وتمتاز هذه السور عامة بالانكسار وعدم انتظامها(3)، وقد استعملت في تشييدها حجارة مباني المدينة الرومانية التي كانت تجلب من عدد من المحاجر الغنية بالحجارة الكلسية، خاصة بمقلعة "سيدي مسيد" ومقلعة المنصورة"(4).

حصّن الممر الرابط بين المدينة و"كدية عتي" بسور ممتد بشكل شبه مستقيم، وقد ذكر "بايسونال" "Peyssonnel" أنه كان بهذه الجهة سورين، والسور الثانية منها قديمة جدا(5)، إلاّ أننا نجهل وضعيتها الدفاعية آنذاك، خاصة مع استحالة الوقوف على ذلك ميدانيا نظرا للتوسع والتغيرات الحاصلة على عمران المدينة من جهة، وعدم الإشارة إليها من طرف الباحثين من جهة أخرى، حيث اكتفوا بذكر سور واحدة بالجهة الغربية، وهذا ما يظهر على مخططات المدينة، غير أنّ هذا النظام الدفاعي الذي يعتمد على تعدد الأسوار كان شائعا بالمدن الإسلامية في الفترة الوسيطة، وذلك لطبيعة الأسلحة الهجومية المعتمدة آنذاك، وما يمكن الإشارة إليه أيضا أن السور الخارجية هي الأخرى قديمة أعيد

¹ - محمد عثمان عبد الستار، المرجع السابق، ص. 27.

² - Stéphane Gsell ; **Atlas...**, P. 16. **Voir** : -Louis pisse ; **Op.cit.**, P. 472.

³ - Vincent Yves - Boutin ; **Op.cit.**, P. 47.

⁴ - Stéphane Gsell ; **Idem.** , P. 15.

⁵ - Peyssonnel et Desfontaines ; **Op.cit.**, P. 305.

اعتمادها من طرف الأتراك⁽¹⁾، وحجتها في ذلك أبواب المدينة التي عرفت قبل الفترة التركية، ظلّت محافظة على مواضعها من هذه السور إلى غاية الحقبة الفرنسية، مع العلم أنّ حدود المدينة منذ القرن 4 قبل الميلاد تمثل نفس حدود الموضع الذي شيدت عليه إلى غاية المضيق الرابط بين المدينة والكدية⁽²⁾، حيث توجد السور محلّ الدراسة، والتي تمثل الحدود العمرانية للمدينة من الناحية الغربية إلى نهاية الحكم التركي لها بمساحة إجمالية تقدّر بـ 30 هكتار⁽³⁾. انظر المخطط رقم : 34.

نظرا لأرضية المدينة التي تحيط بجوانبها الثلاثة منحدرات صخرية شديدة العمق كجدار صخري يصعب اختراقه على امتداد 3000 م، أثر ذلك بشكل واضح على عمارة السور، إذ لا يتجاوز علّوها في هذه المواضع أكثر من نصف قامة⁽⁴⁾، باستثناء جهة الكدية التي قدّر عندها ارتفاعها بـ 30 قدم (حوالي 10) حسب "هيوليت" صاحب التقرير العسكري الفرنسي المخصص لوصف دفاعات مدينة قسنطينة، والمؤرخ في مارس 1839⁽⁵⁾، بعد سنة ونصف من احتلالها، ويمكن الاعتماد عليه في نقل بعض المعلومات الخاصة بتحصينات المدينة قبل الاحتلال خاصة وأنّ بداية تعميرها من طرف هذا الأخير كان سنة 1847 م⁽⁶⁾.

¹- Vincent Yves - Boutin ; **Op.cit.**, P. 194.

²- Ernest Mercier ; **Histoire...**, P. 69.

³- Ernest Mercier ; **Constantine...**, P. 47.

⁴- Salima Taleb ; **Les villes Algériennes au Moyen Age VII^{eme} - XV^{eme} Siecle : Bone-Cherchell- Constantine- Tébessa- Tlemcen**, Mémoire de Magistère, Epau, Alger, 1986, P. 18-19. **Voir :**

- إسماعيل العربي، المدن المغربية...، ص. 192.

⁵ -Salima Taleb; **Idem.**, P. 83.

⁶- Jules Duval ; **Op.Cit.**, P. 237.

فتحت بهذه السور أربعة أبواب رئيسية ثلاثة منها بالجهة الغربية، وكانت بها بطاريات مرتفعة مسلحة بـ 40 مدفعا لحماية جوانب المدينة⁽¹⁾، وقد أشار أيضا " Vincent Yves Boutin -" على أنه كان مسلحا بـ 20 مدفعا ومهراسا⁽²⁾، ويبدو أن هذه الإحصائيات الأخيرة تمثل ما كانت عليه قدرة التسلح خلال الحكم التركي، وأنّ الرفع من إمكانيات التسلح بالمدفعية إلى الضعف كان بسبب التحضير لصدّ الحملة الفرنسية على المدينة.

أبواب مدينة قسنطينة:

ورد في كتاب "نزهة المشتاق" للجغرافي الإدريسي، أنه كان بالمدينة بابين باب ميلة في الغرب وباب القنطرة في الشرق⁽³⁾، لتفتح مع مرور الزمن أبواب أخرى بالمدينة مع محافظة البابين السابقين الذكر على مواضعهما، حيث دُعمت باب الوادي جهة الكدية بابين آخرين، ما جعل هذا الجانب من السور يتوفر على ثلاثة أبواب، وقد يرجع تعدد الأبواب بهذه الجهة من المدينة إلى الرغبة في تقليل الضغط المفروض من طرف المقلبين عليها من تجار وزوّار، خاصة وأنّ معظم الطرق المؤدية للمدينة تتصل بها من هذا الموضع كما يمكن أن يكون لذلك علاقة بالإجراءات الأمنية والدفاعية، وتتمثل في تشتيت القوة المهاجمة، كون الابواب الهدف المباشر للعدو، وبالتالي سهولة التصدي لها، بجعلها تستهدف نقاطا عديدة من السور، خاصة وأنّ الأبواب هي أضعف النقاط بالأسوار، باعتبارها الوجهة المباشرة للمهاجم، مقارنة بالدفاع عن نقطة واحدة تتجمع عندها القوات الغازية، والتي تحدّ حتى من سبل النجاة لقلة المنافذ، وقد ذكر "حسن الوزان الفاسي" أن

⁶⁻ Salima Taleb; **Op.cit.**, P. 83.

²⁻ Vincent Yves – Boutin ; **Op.cit.**, P. 194.

³⁻ إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص. 192.

أبوابها كانت مصفحة بالحديد⁽¹⁾، على غرار العديد من أبواب المدن الإسلامية مثل: أبواب مدينة المهديّة والقاهرة⁽²⁾ وبغداد⁽³⁾.

باب القنطرة:

موقعها وتاريخها:

تقع باب القنطرة بشرق المدينة جهة المنصورة، وهي الباب الوحيدة بهذا الجانب، والتي يمكن أن نصل إلى موضعها حالياً من ساحة أول ماي 1954 بواسطة نهج العربي بن مهيدي، وتعدّ من أقدم أبواب المدينة، كما أنّ موقعها ثابت ومؤكّد مقارنة بالأبواب الأخرى التي يصعب ضبط مواضعها بالتحديد، حيث تعتبر القنطرة الرومانية^(*)، التي لا تزال بعض قواعدها قائمة النقطة المرجعية الثابتة التي تصل الباب بخارج المدينة، هذا ما جعل منها أكثر الأبواب شهرة وتداولاً بين العامة حتّى بعد زوالها.

¹ - الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ص. 55-56.

² - محمد عثمان عبد الستار، المرجع السابق، ص. 128.

³ - عبد الله عبد الرحيم السوداني، «أسوار بغداد»، مجلة المورد، العدد: 04، الجمهورية العراقية، 1979، ص 46.

* جسر القنطرة: هو جسر كبير من عمل الرومان، يستعمل لعبور واد الرمال لدخول المدينة، حيث باب القنطرة، وكان حينها مزخرفاً بزخارف حيوانية وأدمية، وفي سنة 1792 م قام "صالح" باي قسنطينة بترميم الجزء العلوي منه، واستعان في ذلك بالمعماري "دون بارتو لوميوه" "Don Barto Lomeo" إلا أنّ مقتله أجّل إتمامه إلى عهد خليفته "حسين بن بوحناك"، وظلّ الجسر قائماً إلى أن هدمته مدفعية العدو الفرنسي في مارس 1857 م، وتمّ استبداله بجسر حديدي.

راجع:

- Stéphane Gsell ; **Atlas...**, P.18. -Delamare ; **Exploration...**, P. 122-123.

- Rozet et Carette ; **Op.cit.**, P.111. - Ernest Mercier ; **Histoire...**, P. 430.

- Dournon ; « **Constantine sous les Turcs** », in : **R. de Constantine**, Année 1928-1929, P. 83.

- Dr. Reuss ; **Op.cit.**, P. 45. - Vayssettes (E.) ; « **Histoire des derniers Beys de Constantine** », in : **Revue africaine**, N° 14, Année 1858, P 126. - Stéphane Gsell ; **Les monuments antiques de l' Algérie**, T. 01, Ancienne Librairie Thorine et Fils, Paris, France, 1901, P. 113-114.

يفتح الباب على حي القنطرة، وإليه تصل أربعة شوارع رئيسية تربطه بالأبواب الثلاثة الأخرى، وبمختلف جهات أحياء المدينة⁽¹⁾، أما من الناحية الخارجية فيربط المدينة بالمنصورة، وبطرق الساحل الشرقي، وقد كان مسلحا بستة مدافع⁽²⁾. أنظر المخطط رقم: 34. و الصورة رقم: 17.

باب الوادي:

موقعها وتاريخها:

تقع في الجنوب الغربي من المدينة مقابلة لباب القنطرة، وتتوسط باب الجابية وباب الجديد، وتعدّ من أقدم أبوابها إلى جانب باب القنطرة، وهي نفسها باب ميلة التي ذكرها الإدريسي في قوله: >>...وللمدينة بابان باب ميلة في الغرب، وباب القنطرة في الشرق...<<⁽³⁾، نصل من خلالها إلى المقبرة، وتعطي لنا مقارنة هذه المعلومات نظرة حول تطور النسيج العمراني للمدينة الذي يبدو أنّه ظلّ حبيس المنحدرات الصخرية، من الأطراف الثلاثة للمدينة من جهة والصور القائمة بالجهة الغربية من جهة أخرى، إذا ما أخذنا باب الوادي والمقبرة الإسلامية التي ظلّت محافظة على موقعها خارج المدينة مع مرور الزّمن⁽⁴⁾، كنقطة مرجعية ثابتة للحدود العمرانية للمدينة.

¹ - عبد القادر دحدوح، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2009-2010، ص 264.

² - Salima Taleb, **Op.cit.**, P. 84.

³ - **Idem.** , P. 18.

⁴ - Ernest Mercier, **Histoire...**, P. 70.

يفتح الباب على شارع رئيسي -نهج العربي بن مهيدي- (الشارع الوطني سابقا)، وهو الشارع المباشر الوحيد من شوارع المدينة الأربعة الذي يربط بين بابي المدينة⁽¹⁾، وتتفرع منه معظم الشوارع المؤدية إلى مختلف أنحاء المدينة، كما أنه يفتح على السوق المركزية التي نجد بها: سوق التجار، السوق الكبير وسوق الخلق، والأسواق المتخصصة⁽²⁾، مثل سوق العطارين⁽³⁾.

أما فيما يتعلق بعمارة الباب، فهو لم يعد له وجود اليوم، حيث فقد دوره منذ الفترة الاستعمارية لتعرضه للغلق إلى جانب باب الرحبة، وفتح بينهما باب حديث العهد يعرف باسم "باب فالي" وهو أحد الأبواب الثلاثة المعتمدة من طرف الاحتلال الفرنسي⁽⁴⁾، وقد اكتفى "Peyssonnel" في هذا الجانب بتقديم مقاسات للباب الذي قال أنه أوسع أبواب الجهة الغربية بعرض يقدر بـ25 قدما⁽⁵⁾. أنظر مخطط رقم: 34.

¹- Ernest Mercier, **Constantine...**, P. 52.

²- عبد القادر دحدوح، المرجع السابق، ص. 264.

³- Cherif Megnaoua ; « **Les registre du Caid el Beld de Constantine** », in : R.de Constantine 1928-1929, P. 08.

⁴- Ernest Mercier ; **Idem.** , P. 54.

⁵-Peyssonnel et Desfontaine ;**Op.cit.**, P. 305 .

باب الجابية:

موقعها وتاريخها:

أطلق عليها هذا الاسم نسبة إلى خزانات الماء التي كانت بجوارها، حيث كانت تستمد مياهها من عين بومرزوق⁽¹⁾، وكان موضعها أسفل باب الوادي، حيث تفتح على القسم السفلي من المدينة والذي يحمل اسمها⁽²⁾، وهي من الأبواب الرئيسية الثلاثة للمدينة، إلا أنها أصغر حجما منهما⁽³⁾.

تعدّ باب الجابية من أقدم أبواب المدينة، حيث كانت قائمة عندما فتح العرب المسلمون المدينة في القرن 1هـ/7م⁽⁴⁾، وتواصل استعمالها إلى غاية الفترة الاستعمارية، حيث تعدّ الباب الوحيدة التي سلمت من التغيير، وذلك نظرا لموقعها من المدينة⁽⁵⁾، وبالقرب منها كان مسجد أبو شّداد وسوقة متاع باب الجابية⁽⁶⁾، ومنها كانت تدخل القوافل التجارية التي كانت تقيم خارجها، حيث كانت تجلب من الصحراء التمور والزرايب وتنتقل في المقابل الحبوب والصوف⁽⁷⁾. أنظر مخطط رقم: 34. و الصورة رقم: 18.

¹- Stéphane Gsell ; **Atlas...**, P. 18-19.

²- Ernest Mercier, **Constantine...**, P. 47-48.

³- Louis Régis ; **Constantine voyages et séjours**, Calmann Lévy, Paris, France, 1880, P. 12.

⁴- A. Maitrot de la Mottecapron ; « **La prise de Constantine par les Arabes d'Orient en l'an 654 de Jésus – Christ** », in : **R.de Constantine** , année 1927,P. 223.

⁵- Ernest Mercier, **Idem.** , P. 54.

⁶- Cherif Megnaoua ; **Op.cit.**, P 06-07 .

⁷- Louis Régis ; **Idem.** , P. 63-67.

باب الرّحبة:

موقعها وتاريخها:

سميت بهذا الاسم نسبة إلى رحبة البلد التي كانت تفتح عليها، وهي نفسها "باب الحامة"، وبعد احتلال المدينة أصبحت تعرف بباب الجديد⁽¹⁾، كان موضعها بالجنوب الغربي أعلى باب الوادي التي تبعد عنها بـ200 خطوة وعن باب الجابية حوالي ضعف ذلك⁽²⁾.

يعود تاريخها إلى القرن 14 م، تاريخ حكم بني حفص للمدينة⁽³⁾، وهي باب صغيرة الحجم تتسع لخروج الأشخاص، حيث كان مخصصا لخروج البايات، وظلت محافظة على شكلها إلى أن وسّعت سنة 1836 م⁽⁴⁾، ورغم إدراجها من قبل الكثيرين ضمن الأبواب الرئيسية الأربعة للمدينة، إلا أنّ بايسونال "Peyssonnel" اكتفى بحصر هذه الأخيرة في ثلاثة أبواب واحدة في الشرق، وآخرين في الجهة الغربية، ويقصد بذلك باب القنطرة، وباب الوادي وباب الجابية⁽⁵⁾، ونحن نؤيد ما جاء به لكون مواصفات الباب تتناسب مع الأبواب الثانوية أو الأبواب الخاصة، وذلك لصغر حجمها واقتصار استعمالها على البايات دون غيرهم من العامة، وكانت خلال هذه الفترة تفتح على حي الطابية بالشمال الغربي أحد الأحياء الأربعة المشكلة للنسيج العمراني للمدينة⁽⁶⁾.

¹ - محمد الهاوي العروق، قسنطينة...، ص. 77.

² - لخضر درياس، المرجع السابق، ص. 181.

³ - روبر بارنشفيك، المرجع السابق، ص. 420.

⁴ - عبد القادر دحدوح، المرجع السابق، ص. 263-264.

⁵ - Peyssonnel et Desfontaines ; **Op.cit.**, P. 305.

⁶ - Ernest Mercier ; **Constantine...**, P. 48.

حصون وأبراج مدينة قسنطينة:

قصة مدينة قسنطينة:

موقعها وتاريخها:

تقع القصة بالشمال الغربي للمدينة⁽¹⁾، حيث تحتل أعلى نقطة بها على ارتفاع يقدر بحوالي 640 م⁽²⁾، هذا ما أكسبها الأولوية الدفاعية، وذلك لحصانة الواجهة الخلفية لها من جهة وإشرافها على المدينة من جهة أخرى، وهي تشغل نفس موضع الكابيتول⁽³⁾، بمساحة واسعة تفوق مساحة قصة مدينة الجزائر⁽⁴⁾. أنظر مخطط رقم: 34.

شيدت على عهد الموحدين، ورممت في عهد بني حفص مرتين متتاليتين على الأقل، أولاهما من طرف الأمير "أبي زكرياء" حوالي سنة 1285 م، ثم من طرف القائد الوالي نبيل خلال القرن 15 م⁽⁵⁾، وكان بها حينئذ مسجد جامع ودار قضاء⁽⁶⁾.

اتخذ الأتراك منها بعد دخولهم المدينة مقرا لبايات الشرق، واستقر الأمر على حاله إلى أن تولى الباي حسين الحكم الذي أنشأ قصرا يعرف بدار الباي جعله إقامة له، ولمن جاء من بعده من الحكام⁽⁷⁾، إلى أن نصب على رأس بايليك الشرق أحمد باي سنة

¹ - عبد القادر دحدوح، المرجع السابق، ص. 267.

² - Louis piesse ; **Op.cit.**, P. 313.

³ - Ch. Vars ; « **Inscriptions inedites de la province de Constantine** », in : R. de Constantine, 1893, P 239.

⁴ - علي خلاصي، القلاع والحصون...، ص. 157.

⁵ - روبر بارنشفيك، المرجع السابق، ص. 420. راجع:- الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ص.

57-56. - مارمول كريخال، المصدر السابق، ص. 11.

⁶ - Louis Piesse ; **Idem.** , P. 314.

⁷ - Vayssetes (E.) ; **Op.cit.**, P. 126.

1826 م، حيث قام بدوره بتشييد قصر آخر بقسنطينة يعرف إلى يومنا هذا باسمه⁽¹⁾، وتحوّل مقر السلطة منها أصبحت قلعة يقيم بها قائد القسبة المسؤول على شرطة المدينة⁽²⁾، وتضمّ عددا من المباني مثل المسجد وثكنات للجيش التي كان يقيم بها قسم من جند محلّة الشتاء الموجهة من دار السلطان إلى بايليك الشرق، للمشاركة في استخلاص الضرائب⁽³⁾.

نالت دفاعات القسبة خلال الحكم التركي عناية خاصة على غرار باقي مراكز السلطة بالإيالة الجزائرية، حيث كانت تحميها بطاريات مسلحة بـ21 مدفعا، آخرها التي أمر أحمد باي (1826-1837 م) بإنشائها سنة 1836 م⁽⁴⁾، وكان لها دور في تدعيم دفاعات المدينة ضدّ الحصار الفرنسي سنتي 1836 م و 1837 م⁽⁵⁾.

بعد احتلال الفرنسيين للمدينة، حوّلت القسبة إلى حي عسكري⁽⁶⁾، حيث كانت بها ثلاث ثكنات خاصة بسلاح المشاة والهندسة والمدفعية، إضافة إلى مستودع ومصنع للأسلحة⁽⁷⁾، ومستشفى عسكري بالجهة الجنوبية⁽⁸⁾، شغل نفس بناية المسجد⁽⁹⁾، ويتسع لـ 1500 سرير⁽¹⁰⁾.

كان بها أيضا سجن بجانب الواجهة الرئيسية لها المطلة على شارع سيدي عبد الله (شارع دمرمون سابقا)، وبالركن الشرقي لها مجموعة معتبرة من خزانات المياه تعود إلى

¹ -Charles Féraud; « Monographie du palais de Constantine », in: R.de Constantine, 1867, P. 8.

² - Louis piesse ; **Op.cit.**, P. 314.

³ - Vayssetes (E.), **Op.cit.**, P. 121.

⁴ - عبد القادر دحدوح، المرجع السابق، ص. 267.

⁵ - Ernest Mercier, **Histoire...**, P. 420.

⁶ - Stéphane Gsell, **Atlas...**, P. 16-18.

⁷ - Goerge Robert ; **Op.cit.**, P 139.

⁸ - Delamare ; **Op.cit.**, P. 117.

⁹ - Stéphane Gsell, **Idem.**, P. 17.

¹⁰ - Louis Piesse ; **Idem.** , P. 314.

الفترة الرومانية، تواصل استغلالها في الفترات اللاحقة، كانت تغذيها قناة تنقل الماء من سيدي مبروك أو من جبل الوحش⁽¹⁾.

برج المنصورة:

موقعه وتاريخه:

يتفق الباحثون الذين خصّوا مدينة قسنطينة بالدراسة على أنّها دون تحصينات خارجية باستثناء برج المنصورة الذي شيد بمرتفع المنصورة في فترة متقدمة من الحكم التركي لحماية المدينة من الهجمات المتكررة من الأعراب عليها⁽²⁾، بيد أنّ دوره كان معطلاً خلال الحملة الفرنسية على المدينة سنتي 1836-1837 م، حيث لم يذكر في ثنايا النصوص التاريخية ضمن دفاعات المدينة التي تعرّضت لأحداث المعركة، ونحن كباحثين نتساءل: لماذا لم يعمل حكام المدينة على تحصين المرتفعات الخارجية لها بكل من كدية عتيّ وقمة المنصورة؟.

هذه النقاط الإستراتيجية التي تعتبر ثغرات ونقاط ضعف النظام الدفاعي للمدينة، وتشكل خطراً إذا ما استعملها العدو ضدها، حتى آخر حكامها الحاج أحمد باي لم يكلف نفسه تحصين هذين الموقعين، رغم أنّه حكم في ظروف أمنية صعبة، حيث احتلت عاصمة الإيالة بعد أربعة سنوات من توليه الحكم، وشارك شخصياً في صد الحملة الفرنسية سنة 1830 م، وشهد احتلال حصن الإمبراطور وانعكاس ذلك على دفاعات مدينة الجزائر، إلّا أنّه لم يعتبر من ذلك، حيث استعملت القوات الفرنسية المرتفعين بعد سبع سنوات من ذلك في محاصرة قسنطينة باستعمال المدفعية، تمكنت على إثرها من

¹– Stéphane Gsell, **Op.cit.**, P. 18.

²– لخضر درياس، المرجع السابق، ص. 183.

اختراق أبوابها واحتلالها⁽¹⁾، وهذه النقاط نفسها التي سبق استغلالها من طرف التونسيين في محاصرتهم لقسنطينة خلال حربهم مع الإيالة الجزائرية⁽²⁾.

بعد احتلال المدينة سنة 1837 م، قام الفرنسيون بإقامة برج وثكنات عسكرية بهاتين القمتين تجنباً لأي خطر محتمل يهددهم بإعادة استعمال هذه المرتفعات ضدهم⁽³⁾.

ثكنات مدينة قسنطينة:

دار الإنكشارية متاع رحبة الجمال:

إضافة إلى القوات التي كانت تقيم بالمخيمات بالقرب من أبواب المدينة وبثكنة القصبة⁽⁴⁾، وثكنة الصبايحية، كانت هناك ثكنة أخرى تعرف بدار الإنكشارية متاع رحبة الجمال⁽⁵⁾، التي تتشكل من ثلاثة طوابق⁽⁶⁾، وظلّت قائمة، حيث استغلت بعد احتلال المدينة سنة 1837 م كثكنة للفيلق الثالث للرماة من الأهالي⁽⁷⁾، قبل أن يتم هدمها ليحل مكانها مسرح المدينة⁽⁸⁾. أنظر مخطط رقم: 34.

¹– Dournon ; **Op.cit.**, P. 111.

²– محمد مبارك الميلي، المرجع السابق، ص. 257.

³ – Dr. Reuss ; **Op.cit.**, P. 153.

⁴ – Vayssetes (E.), **Op.cit.**, P. 121.

⁵ – Louis pisse ; **Op.cit.**, P. 324.

⁶ –Ernest Mercier, **Op.cit.**, P. 420.

⁷ – Louis pisse ; **idem.**, P. 324.

⁸ –Ch. Vars; **Op.cit.**, P. 356.

دار البارود:

كان بمدينة قسنطينة مصنع للبارود تشرف عليه الحكومة، قرب القصبة يعمل به عشرون عاملا، وهو لا يقل أهمية عن دار البارود الذي كان قائما بالقرب من أسوار مدينة الجزائر بباب الوادي⁽¹⁾.

إنّ المتتبع للومضات الخاصة بالتاريخ العمراني لمدينة قسنطينة في كتب الباحثين على قلّتها، يتضح من خلالها أنّ المدينة لم تعرف تطورا معماريا هاما في الجانب الدفاعي لها خلال العهد التركي، بل ظلّت تقليدية مكثفة بحصانتها الطبيعية المعززة ببعض الدفاعات المعمارية، كبطاريات المدفعية التي تعدّ محدودة، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار المكانة السياسية والاقتصادية للمدينة كعاصمة لبايليك الشرق، وأول مورد اقتصادي للإيالة خلال الحكم التركي للجزائر، كما تعبّر عن السذاجة العسكرية في ظل التطور الحاصل في الترسانة الحربية الأوروبية بظهور سلاح المدفعية، والذي كان يشكل خطرا حقيقيا بالنسبة للطرف المحاصر، إذا ما تركت له نقاط طبوغرافية إستراتيجية دون تحصينها، فيمكن له استغلالها خاصة خارج المدينة، وهذا ما ثبت ميدانيا بإتاحة الفرصة أمام الخصم لنصب بطارياته بكدية عتي وكدية المنصورة، والتي كانت لها دور في اختراق دفاعات المدينة سنة 1837 م.

¹ - ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي... ، ص. 36.

تحصينات مدينة بجاية:

أسوار مدينة بجاية:

شيّدت مدينة بجاية من طرف "الناصر بن علناس" سنة 460 هـ / 1067 م على أنقاض المدينة الرومانية "صلداي"، وقد ساعد التعاقب الحضاري على هذا الموقع، وفرفته على مزايا تشجع تطور عمران المدينة وأمنها من الأعداء، حيث يشكل جبل "أمسيون" (جبل قورايا) الذي يرتفع بـ 660 م عن سطح البحر حماية طبيعية لها من الناحية الشمالية والشرقية⁽¹⁾، وتدعمت هذه الحماية باستدارة البحر من الجنوب والشرق والغرب، إضافة إلى توفر ساحلها على خلجان سمحت بتحقيق تطلعات الدولة الاقتصادية والعسكرية، وذلك بإقامة مراسي بها، تضمن حماية لأسطولها من العواصف البحرية، وإقامة دار صناعة استمر عطاؤها إلى غاية نهاية الحكم التركي بالجزائر، كما ركّز الناصر في اختيار موقعها على قربها من منطقتي القبائل الكبرى والصغرى⁽²⁾ وذلك تحسّبا لطلب النذير عند الحاجة.

تعزز هذا التحصين الطبيعي ببناء سور للمدينة على عهد الناصر، حيث ألغى الضرائب على الرعية، وفي ذلك رؤية سديدة لمستقبل المدينة بتشجيع الهجرة إليها وسرعة تعميرها، حيث أشرك في ذلك آلاف العمال الذين أقاموا أسوارها في أشهر قليلة⁽³⁾.

¹ - علاوة عمارة ، « التطور العمراني والتجاري لمدينة بجاية في العصر الإسلامي الوسيط »، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، العدد: 26، قسنطينة، الجزائر، 2008، ص. 235.

² - روبر بارنشفيك، المرجع السابق، ص 410.

³ - Charles Féraud ; **Histoire des villes...**, P. 148.

اتّخذ السور الحمادي للمدينة شكلا أوسعاً من السور الروماني، حيث فاق محيطه 5000 م⁽¹⁾، في حين لم يتجاوز سور المدينة القديمة 2500 م⁽²⁾، يمتد مساره من الجهتين: الشرقية خلف برج سيدي عبد القادر والغربية من السور الغربية للقصبة، ليتجه شمالاً متبعاً المنحدرات الأرضية إلى أن يختفي أسفل "جبل قورايا"⁽³⁾، حيث استغل جزء من هذا المنحدر الصخري كجزء مكمل لسور المدينة من الناحية الشمالية في نفس الخط تقريباً مع الحصن الفرنسي "Le Mercier". أنظر مخطط رقم: 35-36.

ساهمت أرضية موضع المدينة المنحدرة في خلق تباين في ارتفاع السور، حيث يتراوح ما بين 4-6 م⁽⁴⁾، أمّا سمكه هو الآخر يختلف من مكان إلى آخر، وقد ساعدت بعض بقاياه في أخذ مجموعة من المقاسات، حيث قدر في الواجهة الجنوبية للقصبة، والتي تمثل استمرار لسور الواجهة البحرية للمدينة بـ 1،40 م، في حين يقدر عند المنحدر الصخري أسفل "جبل قورايا" على يمين الطريق المؤدية إلى "حصن قورايا" بـ 2 م، يتشكل من ممشي بـ 1،50 م ويحميه ساتر عرضه 0،50 م، وقد سلمت بعض أجزائه أسفل "باب البنود" (باب الفوقة) من الهدم التي يفوق عندها سمكه 3،50 م، فيما تنوعت مواد بنائه ما بين الحجارة والدّبش والأجر.

¹ -Daumas ; **La Grande Kabylie**, Libraires de l'Université Royale de France, Paris, France, 1847, P. 13.

² -Victor Bérard ; **Op.cit.**, P 429.

³ -عبد الكريم عزوق، المرجع السابق، ص. 112.

⁴ -رشيد بورويبة، الجزائر في التاريخ...، ص. 237.

كانت تدعم هذا السور عدد من الأبراج المربعة⁽¹⁾، التي لا تزال آثار البعض منها قائمة ميدانيا مثل: البرج الذي يوجد بالواجهة البحرية في الجزء المحصور بين باب البحر و برج سيدي عبد القادر.

فتحت في هيكل السور مجموعة من الأبواب منها التي إندرست، ومنها التي لا تزال قائمة، وهي باب البحر وباب المرسى، وذكر أيضا باسم باب السادات، ليس بعيدا عن برج سيدي عبد القادر، و"باب أمسيون" بالسور الشرقية ببريجة العليا بالقرب من الطريق المؤدية إلى الفنار، و"باب البنود" وتعرف حاليا "باب الفوقة"، وباب اللوز، وباب المرقوم المعروفة كذلك "باب البر"، وكانت أعلى "قبة سيدي أمقران"، وباب دار الصناعة⁽²⁾.

وتم تداول أسماء أبواب أخرى في النصوص التاريخية، إلا أننا نجهل المواضع التي كانت تشغلها من المدينة، وتتمثل في "باب إيلان"، و"باب باطنة" و"الباب الجديد"⁽³⁾، و"باب الدباغين"، و"باب الرواح"⁽⁴⁾، ولتدعيم أسوار المدينة قام الحماديون ببناء نقاط دفاعية متقدمة في كل من أعالي الجبل وخليج سيدي يحيى⁽⁵⁾.

¹ - Peyssonnel et Desfontaines ; **Op.cit.**, P. 467.**Voire** : - Charles Féraud ; **Histoire des villes...** , P. 148.

²- Charles Féraud ; **Idem.** , P. 217. **Voire** : - Naima Abd Erahim ; **Essai de restitution de l'histoire urbaine de la ville de Bejaia**, Mémoire de Magistère, EPAU., Alger, 2002, P. 44.

³ - عمارة علاوة، المرجع السابق، ص. 236.

⁴ - عبد الكريم عزوق، المرجع السابق، ص. 156.

⁵ - عمارة علاوة، المرجع نفسه ، ص. 236.

عرفت أسوار مدينة بجاية منذ بداية القرن 16 م، عدّة تغييرات، وذلك وفقا للدول التي خضعت لسلطتها والأوضاع الأمنية السائدة آنذاك، ويظهر من خلال المخططات المختلفة للمدينة أنه تم إعادة استغلال أجزاء كبيرة من السور الأصلية للمدينة خاصة من الجهة البحرية، حيث يغلق السور المدينة كلياً⁽¹⁾ من القسبة غربا باتجاه الشرق مرورا بباب البحر إلى أن يتصل بعده ببرج حائطي مربع الشكل تعلوه شرافات برؤوس هرمية، ليوصل امتداده على نفس المسار إلى أن يتصل ببرج سيدي عبد القادر.

أما من الناحية الغربية، فينطلق من الحصن الإسباني في شمال القسبة، حيث يمثل السور الغربي لها جزء من سور المدينة، اتّبع في جانب منها نفس مسار السور الرومانية خاصة عند القسبة إلى غاية باب الفوقة⁽²⁾.

يواصل السور امتداده شمالا إلى أن يتصل بباب الفوقة التي تعدّ نقطة تحوّل السور في العهد الإسباني باتجاه الشرق، بربط هذا الجانب من السور ببرج موسى، وهذا الأخير بحي "قصر اللؤلؤة" متجها جنوبا ليتصل بالبحر، حيث حصن سيدي عبد القادر، وقد فتحت بهذا الجانب من السور باب واحدة كان موضعها "بحي الزياتين". أنظر مخطط رقم:37.

¹ - Charles Féraud ; **Histoire des villes...**, P. 148.

² - Stéphane Gsell; **Atlas...**, P. 02.

يظهر ممّا سبق تقليص المساحة التي كان تشغلها السور قبل الاحتلال الإسباني لها سنة 1510 م⁽¹⁾، حيث شغلت سور المدينة خلال هذه الفترة تقريبا نفس حدود المدينة الرومانية المحصورة ما بين "برج سيدي عبد القادر" والقصبة من الجهة البحرية، ومن غرب برج موسى إلى بريجة شرقا⁽²⁾.

يعود تقليص محيط السور خلال الفترة الإسبانية خاصة من الناحية الشمالية إلى دواعي أمنية، وذلك لتوفير الإمكانات المادية والبشرية لتغطية دفاعات المدينة، مع العلم أنّ الفكر الاستعماري يهدف بالدرجة الأولى من احتلال المدن الهامة مثل: بجاية إلى تأكيد حكمه بالمنطقة، والحرص عن قرب على مصالحه الاقتصادية، إضافة إلى اتخاذها كقاعدة عسكرية لتحقيق أهدافه التوسعية، عكس ما كانت عليه المدينة تحت السلطة الإسلامية الرسمية، التي كانت لها رؤية مستقبلية من وراء تطوير المدينة خدمة للرعية ونظام الحكم في آن واحد.

بعد فتح "صالح رايس" للمدينة سنة 1555 م، حافظت السلطة التركية على التّحصينات الإسبانية السابقة مثل: القصبة وبرج سيدي عبد القادر، وبرج موسى، وأبقت على نفس السور الإسبانية، مع تدعيمها بدفاعات جديدة مثل: "برج بوليلة" (الأحمر)، و"بطارية البوق" بالواجهة البحرية الشرقية خارج أسوار المدينة.

¹ - روبر بارنشفيك، المرجع السابق، ص. 418.

² - Eva Caillart et autres ; « Pour la sauvegarde et la mise en valeur de la médina de Bejaia », Rapport ; UNESCO, 2004, P. 14.

حافظ الفرنسيون في فترة الاحتلال على السور التركية، وقد أشار "شارل فيرو" إلى أن السور الفرنسية تمثل تقريبا نفس حدود السور التي سبقت احتلال المدينة⁽¹⁾، وقد عرفت سورها خلال هذه الفترة اتساعا نحو الشمال، حيث واصل امتداده أعلى باب الفوقة" ليتصل "بباب الواد" (باب كلوزيل)⁽²⁾، وعلى نفس المسار غير بعيد عن الباب السالفة الذكر، يغير اتجاهه شرقا مارًا بحي "سيدي التواتي" وتحديدًا بجانب خزانات المياه الرومانية، التي تواصل استعمالها من طرف المسلمين، ومن بعدهم الفرنسيين، وعلى يمين هذه الخزانات فتحت بالسور "باب قوريا"، وهي الوحيدة بهذه الواجهة، ولا تزال آثارها تخرقها الطريق الرابطة بين المدينة وقمة "جبل قوريا".

أمّا السور الشرقية فأعيد استغلال الجزء الممتد من شرق رصيف سيدي عبد القادر باتجاه الشمال إلى غاية بريحة العليا، حيث يوجد بهذا الجزء من السور باب وحيدة، تعود إلى الحكم الإسباني والتركي للمدينة، وموضعها بحي الزياتين، وتعرف بباب سيدي عبد القادر، كانت تؤدي إلى بطارية البوق وإلى شاطئ سيدي يحيى.

يواصل السور مساره شمالا بانعطاف خفيف نحو الغرب مارا بجانب المستشفى العسكري وثكنة بريحة العليا الموضع الذي كان يشغله "قصر اللؤلؤة"، حيث يوجد أعلاها منفذ يعرف "بباب المقبرة"، وكذلك "باب بريحة" تفتح على طريق تربط المدينة بعدة نقاط هامة بالجهة البحرية الشرقية لها مثل: برج سيدي عبد القادر، وسيدي يحيى، والفنار برأس البوق، والرأس الأسود ورأس كربون... الخ⁽³⁾، وقد كانت هذه الباب ليست بعيدة

¹ – Charles Féraud ; « Conquet de Bougie par les espagnols », in: *Revue africaine*, N° 71 Année 1868, P. 347-348.

² -Stéphane Gsell ; *Atlas...*, P. 03-04.

³– *Idem.*, P. 03.

عن "باب أمسيون" باتجاه الغرب، ما يدل على أنه لم يتم الاعتماد على السور الإسلامية القديمة، ولا حتى مسارها، ويؤكد ذلك تقلص المدينة باتجاه الغرب.

بعد أن يتجاوز السور باب المقبرة (باب بريجة)، ينعطف نحو الشرق في الجهة المقابلة للمقبرة الأوروبية، ليسترجع مساره السابق مرة أخرى، ويواصل امتداده صوب الجبل إلى أن يتصل بالواجهة الشمالية من السور⁽¹⁾.

دُعِم سور المدينة في الفترة الفرنسية من الناحية الغربية، التي تتميز بضعف حصانتها الطبيعية، لكونها مفتوحة على سهول واسعة، مقارنة بالجهة الشرقية ذات الطابع الجبلي، بمجموعة من الأبراج⁽²⁾، كنقاط دفاع متقدمة مشكلة حزاماً أمنياً وهمياً بداية من البحر إلى حصن قورايا على ارتفاع 660 م عن سطح البحر، ونذكر منها: برج أورياك وبرج لومارسيي Lemercier، وحصن كلوزيل، استعملت للدفاع وكقواعد انطلاق للقوات الفرنسية باتجاه الداخل⁽³⁾. أنظر مخطط رقم: 38.

¹ - Stéphane Gsell ; **Atlas...**, P. 03- 04.

² -Charles Féraud ; **Histoire des villes...**, P. 341.

³ - الجنيرال رشيد، رحلة الجنيرال رشيد إلى الجزائر سنة 1847، تقديم وتحقيق: الشيباني بن بلغيث، ط. 1، مكتبة علاء الدين، صفاقص، تونس، 2007، ص. 93.

أبواب مدينة بجاية:

تربط مدينة بجاية بخارجها عدّة أبواب، تعود إلى فترات إسلامية مختلفة، منها التي حدّد الباحثون مواضعها من السور، ومنها التي ظلّت مجهولة مجرد أسماء نتناقلها في ثنايا النصوص، ولم يسلم من أبواب المدينة الإسلامية سوى بابين تداولت الدول التي حكمت بجاية على استعمالها منذ إنشائها إلى الاحتلال الفرنسي لها، ونقصد بهما باب البحر وباب الفوقة، وقد كان للاحتلال الإسباني دور كبير في زوال أبواب المدينة على غرار الكثير من المباني التي دمرها⁽¹⁾، وقد عبّر عن ذلك التمجروتي (ق 10 / 11 م) بقوله: <<...وبجاية إلى الآن خراب هدمها النصارى (الإسبان) دمرهم الله، لم يبق بها إلّا ديار قلائل على طرف البحر...>>⁽²⁾.

أكمل الاستعمار الفرنسي مجازر سابقيه من الأسبان في حق المدينة، بهدمه ما يقدر بـ 75% من أحيائها خلال القرن 19 فقط، إضافة إلى هدم العديد من المباني الدينية كالمساجد والزوايا، وتحويل عدد منها إلى ثكنات عسكرية⁽³⁾، إضافة إلى المباني العسكرية كباب اللوز وباب المرقوم وحصن بواق.

¹ - روبار برنشفيك، المرجع السابق، ص. 414.

² - أبي الحسن علي التمجروتي، المصدر السابق، ص. 19.

³ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 5، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998، ص. 90-

سبق أن أشرنا عند تحديد مسار السور إلى تقليص محيطه من الناحية الشمالية والشرقية بداية من الفترة الإسبانية، وهي نفس السور التي اعتمد عليها الأتراك في الدفاع عن المدينة والتي كانت يدخلون إليها عبر ثلاثة أبواب رئيسية، وهي: باب البحر وباب الفوقة، إضافة إلى باب ثلاثة أعلى برج سيدي عبد القادر ببريحة السفلى، والتي لم يبق لها أثر اليوم.

بعد الاحتلال الفرنسي للمدينة سنة 1833 م، حافظوا على السور الإسبانية التركية مع توسيعها باتجاه الشمال، حيث أضافوا إلى الأبواب الثلاثة السابقة الذكر، ثلاثة أبواب أخرى(*)، وهي باب الوادي (قرب باب اللوز) بالشمال الغربي وباب قورايا بالشمال وباب المقبرة، ويعرف كذلك بباب بريحة⁽¹⁾، بالشمال الشرقي ليس بعيدا عن باب أميسون.

باب البحر:

موقعها وتاريخها:

فتحت الباب في الواجهة الجنوبية لسور المدينة، وهي محصورة بين القسبة في الجنوب الغربي وبرج سيدي عبد القادر بالجنوب الشرقي، سميت بباب البحر لأنها منفذ المدينة إلى البحر، ومنها كانت تدخل السفن إلى المرسى الداخلي لها، وعرفت عند الفرنسيين "باب السرازين"⁽²⁾.

*- ورد في بعض المراجع أنه كان بالمدينة خلال الفترة الفرنسية خمسة أبواب، راجع:

- Victor Berard ; **Op.cit.**, P. 432.

¹- Reclus, Onésime ; **Sites et Monuments, Algérie (Alger- Constantine- Oran)**, Touring-Club de France, 1902, P. 106.

²- عبد الكريم عزوق، المرجع السابق، ص. 156.

يعود تاريخ إنشاء الباب إلى المرحلة الأولى من تشييد المدينة، وتواصل استغلالها مع مرور الزمن، حيث تظهر على مختلف مخططات المدينة من الدولة الحمادية إلى الفترة الفرنسية.

الوصف المعماري للباب:

الباب من النوع المباشر، كونه موجها لدخول السفن إلى المرسى الداخلي للمدينة، يتوسط برجين بارزين إلى الخارج يقدر عرضه بـ7،80م وعمقه بـ3،40م، يعلوه عقد منكسر مشيد بالآجر، يقوم جانبيه على دعائم حجرية، ترتفع عن الأرضية الحالية بـ2،50م.

يعلو العقد السابق عقد ثان استعمل كأرضية للمشى الذي يربط بين جانبي الباب، فتحت في باطنه أربعة فتحات، استعملت كسقاطات لضرورة دفاعية. أنظر مخطط رقم: 39 و الصورة رقم: 19.

باب الفوقة:

موقعها وتاريخها:

يقع باب الفوقة في الشمال الغربي من السور الغربية، ويشغل نفس موضع باب البنود للمدينة الحمادية⁽¹⁾، وهذه التسمية كانت متداولة في بعض المدن الإسلامية مثل: باب

¹– Naima Abd Erahim; Op.cit., P. 44.

البنود بمدينة مراكش المرابطية⁽¹⁾، كما عرفت في البعض الآخر باسم باب الفتوح مثل: باب الفتوح بمدينة صبرة المنصورية بتونس⁽²⁾.

كانت الباب تحت حماية برج شوف الرياض، ونظرا لموقعها المرتفع، جعل طرقات المدينة ومينائها مكشوفاً عليها، حيث كانت أحسن الأماكن التي أحب الخليفة المنصور الحمادي الجلوس بها⁽³⁾.

وتوجد حالياً بالقرب من مقر المنظمة الوطنية للمجاهدين، ليس بعيداً عن مسجد سيدي السفير ومدرسة الهادي زروقي في الشمال الشرقي لها.

الوصف المعماري للباب:

الباب من المداخل المباشرة، تتوسط برجين مضلعين بارزين عن هيكل السور إلى الخارج بـ 1,60 م، وقد أشار "Chevalier A." إلى أنه كان على جانبيها برجين كبيرين دائرياً الشكل⁽⁴⁾، والبرجين عبارة عن كتلة بنائية واحدة، ترتفع عن ممشى الباب بمقدار قائمة إنسان، حيث اكتفى مستعملوهما بالسطح في وظيفتهما الدفاعية، وهما مشيدان بالآجر على غرار حائط الممشى، مع العلم أنّ هذه الإصلاحات تعود إلى الحقبة الاستعمارية الفرنسية، كما فتحت أعلاهما خمسة مزاول موزعة بمعدل مزغل في كل ضلع.

¹ - ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط، المغرب، 1972، ص. 260.

² - الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ص. 27.

³ - Charles Féraud ; **Histoire Des Villes...**, P. 159.

⁴ - Chevalier D'Avrieux; **Op.cit.**, P. 239.

الباب عبارة عن فتحة يعلوها عقد نصف دائري مشيد بالحجارة ارتفاعها 4 م، وعرضها 3م وعمقها 3م، تعلوها نصف قبة من الآجر، يمكن اعتبار العقد بداية لعنقها، حيث يظهر على جانبيه مثلثين ركنيين منجزين بالحجر، وفي نفس الوقت استعمالاً لتثبيت مصراعي الباب من الجانب العلوي، وقد كانت فيما مضى تغلق بباب مصفحة بالحديد⁽¹⁾.

يوجد على يمين الداخل من باب الفتحة مدخل آخر في نفس الوضعية مع هذه الأخيرة، وهو من أعمال الفرنسيين بالمدينة، نصل إلى أعلى الباب بواسطة سلم متصل ببنية المنظمة الوطنية للمجاهدين.

زوّدت الباب الفرنسية بباب منزلة رأساً، هذا ما تظهره الفتحة الموجودة في بطن العقد التي تعلوها والممتدة بشكل طولي على امتداد عرض المدخل وعرضها 20 سم، دعمت هذه الباب ببرج مربع الشكل بارز إلى الخارج، مشيد بالحجارة، يحمي سطحه حائط سائر، فتحت به خمسة مزاغل للرماية. أنظر مخطط رقم: 40 و الشكل رقم: 03 والصورة رقم: 20.

انطلاقاً من شكل الهيكل المعماري للباب، ومقاساته ومواد بنائه يبدو أنه ليس المدخل الأصلي للمدينة الإسلامية، بل شيد مكانه مدخل آخر محافظين على موضعه، ودليلنا في ذلك أن مقاساتها من حيث العرض والعلو لا تتناسب مع مقاسات أبواب المدن الإسلامية خلال نفس الفترة، خاصة وأنّ هذا المدخل رئيسي ومخصص لخروج الجيش في حملاته إلى داخل البلاد، وتجتازه المواكب الملكية⁽²⁾، ولهذا السبب يطلق عليها أيضاً اسم باب الفتوح.

¹- Charles Féraud ; Op.cit., P. 104-157.

²- روبر بارنشفيك، المرجع السابق، ص. 413.

يراعي في إنشاء مثل هذه الأبواب أن تكون مرتفعة، هذه الظاهرة التي كانت بأبواب المدن منذ فترة متقدمة من تاريخ الدولة الإسلامية، مثل مدينة بغداد التي كان الفارس يدخل منها بالعلم والرامح بالرمح الطويل من غير أن يميل الأول أو أن ينتهي الثاني⁽¹⁾، وهذا ما يتعارض ميدانيا مع مواصفات باب الفوقة المخصصة لنفس الوظيفة.

تجعلنا المعطيات السابقة، نرجّح أنّ الباب يعود إلى الفترة الإسبانية، حيث جاء مشابها لحدّ كبير لعمارة مدخل برج موسى، كما لا يختلف عن مواصفات مداخل بعض البنايات الإسبانية بمدينة وهران مثل مدخل بناية القديسة ماريي Santa Marie⁽²⁾.

أبراج وحصون مدينة بجاية:

القصبة:

موقعها وتاريخها:

شيّدت على هضبة معتدلة الارتفاع مقارنة بمعظم التحصينات المعاصرة لها، وهي تشغل الركن الجنوبي الغربي للمدينة، كانت تحدّها من الغرب دار الصناعة، وهي تمثل جانبا من سور الواجهة البحرية في نفس الوضعية مع باب البحر في الجهة الغربية منها. يعود تاريخ إنشائها إلى الموحدين، وأقيمت على النمط المعروف في مدنهم، ملاصقة للمدينة مع أجهزتها المستقلة ، تعرضت المدينة سنة 1510 م للاحتلال الإسباني، وقد

¹ - صبري فارس الهيتي، «تخطيط مدينة بغداد» مجلة المورد، العدد: 04، الجمهورية العراقية، 1979، ص. 12-11.

² - Amable Ravoisé ; **Exploration scientifique de l'Algérie 1846-1850**, Firmin Didot Frères, Paris, France, S.D, P 124.

3-روبار برنشفيك المرجع السابق ص.414.

حرص قائد الحملة "بيترو نافارو" على تحصينها، وحظيت القسبة بنصيبها من ذلك⁽³⁾ ، وتدعمت من بعده بإصلاحات جديدة من طرف "شارل الخامس" عند زيارته للمدينة سنة 1541⁽¹⁾ ، وعندما فتح الأتراك بجاية بقيادة "صالح راييس" سنة 1555 م⁽²⁾ ، كانت القسبة آخر معقل للإسبان بالمدينة بعد أربعة وعشرين يوم من الحصار، دخلها الأتراك وتركوا بها حامية من 28 رجل⁽³⁾ .

سلحت بتسعة قطع من المدفعية⁽⁵⁾، تواصل استغلالها من طرف القوات الفرنسية بعد احتلالها للمدينة سنة 1833 م، وقد ذكر الجنرال رشيد في مذكراته عند زيارته بجاية في العقد الخامس من القرن 19 م، ومن مجمل ما أقاموا بها، إضافة إلى الإسطل ودار البارود، ثكنة لسلاح الهندسة⁽⁶⁾، مخبزين لتغطية حاجيات الجند الذين كان يقدر عددهم بـ5000 جندي⁽⁷⁾.

الدراسة الوصفية لتحصينات القسبة:

تحتل قسبة بجاية على عكس قصبات المدن التاريخية الجزائرية مثل مدينة الجزائر ووهران وعنابة وقسنطينة موقعا منخفضا من المدينة، رغم ما يتوفر عليه من حصانة طبيعية المتمثلة في المنحدر الجنوبي الغربي في مواجهة البحر، إضافة إلى التّحصين المعماري لها.

¹- Charles Féraud ; **Op.cit.**, P. 237.

²- **Idem.** , P. 256.

³- Charles Féraud ; **Notes sur Bougie...** , P.298.

⁴- Charles Féraud ; **Histoire des villes...**, P. 237.

⁵- Berard Victor ; **Op.cit.**, P 434.

⁶- الجنيرال رشيد، المصدر السابق، ص. 98.

تتخذ القسبة شكلا غير منتظم نتيجة الأرضية التضاريسية المنحدرة التي شيدت عليها نلج إليها عبر مدخل يتوسط تقريبا الواجهة الشرقية لها، وهو مدخل رئيسي وأصلي بها، وقد يكون من عمل الإسبان بها، وذلك لكونه يظهر في لوحة (Verneyen) مؤرخة بسنة 1551 م قبل دخول الأتراك إلى المدينة بأربعة سنوات على عهد "صالح رايس" وكان يتقدمها جسر لعبور المنحدر الذي يتقدمها من الناحية الشرقية، والذي تمّ تسويته في الحقبة الاستعمارية الفرنسية، حيث تظهر مخططات المدينة لهذه الفترة أن الباب مقابل لنقطة تقاطع شارع البحرية مع شارع القسبة⁽¹⁾.

شكّلت واجهة الباب بالآجر بشكل فني جذاب فتحته عبارة عن عقد نصف دائري، ارتفاعها 3,50 م وعرضها 3,10 م وعمقها 4,20 م، على جانبيه عمودين دائري الشكل، يستند عليهما شكل هندسي مثلث الشكل، ثبتت كتابتان تمجّدان أعمال نفارو وشارل الخامس بالقسبة⁽²⁾، وكل هذه العناصر صمّمت بشكل نافر. أنظر الصورة رقم: 21.

تنطلق السور مباشرة من أسفل الباب باتجاه الجنوب صوب البحر بشكل منكسر، ويظهر في هذا الجزء أساسات من الحجارة الضخمة المصقولة، وهي من مخلفات الحضارة الرومانية، إضافة إلى بقايا من السور الإسلامية التي يقدر سمكها بـ 1,30 م تعلوها التجديدات الفرنسية، هذا ما يعكس من الناحية التاريخية التنوع الحضاري في استغلال هذا الموقع، يستمر امتداد السور ليتصل ببرج مربع في الزاوية الجنوبية الشرقية للقسبة، تتوج سطحه تسعة عشرة شرافة هرمية الشكل مماثلة لشرافات البرج الحائطي لسور الواجهة البحرية، والذي لا يزال قائما في المسافة المحصورة بين باب البحر غربا وبرج سيدي عبد القادر شرقا.

¹- Stéphane Gsell ; **Atlas...**, P. 03.

²- Charles Féraud ; **Histoire des villes...**, P. 266.

يمكن اتخاذ هذا البرج كبداية للواجهة الجنوبية أو البحرية للقصبة، حيث يمتد السور الذي يقدر سمكه بـ 1,40 م غربا، ويمثل ارتفاعه في هذه الجهة أخفض مستوى في أرضية القصبة، وبعد امتداد على مسافة 77 م يغير السور مساره شمالا مشكلا للواجهة الغربية للقصبة، حيث يمتاز بكثير من التعرجات متبعا لأرضية المكان التي تتسم بكثير من الانحدار التي أكسبت القصبة حصانة إضافية، وذلك بالزيادة في مستوى ارتفاع أسوارها المحصنة بمجموعة من المزاغل تعود إلى الفترة الفرنسية.

بعد امتداد سور هذه الواجهة لمسافة 148 م، نجد بابا ثانيا للقصبة، يطل حاليا على محطة السكك الحديدية، وهو مدخل مباشر مشيد بالآجر، يعلوه عقد نصف دائري ارتفاعه 4,50 م وعرضه 3 م وعمقه 1,80 م، يتقدمه من الداخل رواق طوله 3,40 م ويعلوه سقف أسطواني الشكل. أنظر مخطط رقم: 41.

يوجد على يمين الرواق سلم يؤدي إلى أعلى الباب الذي شيدت فوقه غرفة للمراقبة فتحت في واجهتها الرئيسية ثلاثة مزاغل للرماية موجهة نحو الشمال، وقد ظهر هذا الباب هو الآخر في لوحة (Vermeyen) حيث كان يربط القصبة بقصر الرفيع غرب المدينة¹ إضافة إلى كونه منفذ المدينة إلى دار الصناعة، ويمكن أن يكون نفسه الذي أشار إليه مترجم الجيش الفرنسي السيد "شارل فيرو" باسم باب السر التي كانت تفتح على دار الصناعة أسفل القصبة، هذا ما يجعلنا نعتقد أن موضع الباب أصلي بالقصبة، رغم التغييرات الجديدة التي تظهر على هيكله المعماري.

¹ - روبار برنشفيك، المرجع السابق، ص. 416.

يوصلنا السلم كذلك إلى ممشى السور الذي ينطلق من الباب ممتدا نحو الشمال بمسافة 58 م إلى أن يتصل بالبرج الشمالي الغربي للواجهة الشمالية للقصبة، ومشكلاً في نفس الوقت أحد أضلاع البرج الذي يعتبر جزءاً من سور المدينة، حيث حافظ السور على نفس مسار السور الرومانية⁽¹⁾.

تعدّ الواجهة الشمالية أكثر واجهات القصبة لفتاً للانتباه، وذلك نظراً لشدة حصانتها ونوعية الملاحق المشكلة لها، وتعرف عند الباحثين بالحصن الإسباني⁽²⁾، لكونه من عمل الإسبان، مشيد بالآجر ويتكون من مستويات، ويتخلل ركنيه برجين على شكل رأس سهم هذا النوع من الأبراج كثير الاستعمال بالعمارة الحربية الإسبانية بوهران منذ دخولهم المدينة بداية القرن 16 م.

البرج الشمالي الغربي للحصن أكبر مساحة، ويتكون من طابقين ندخل إليه بواسطة مدخل فتح في الضلع الجنوبي له، عرضه 1،10 م يؤدي إلى قبو طوله 18،70 م وعرضه 2،20 م في ركنه الشمالي الشرقي فتحتين في عمق الجدار، نطل من خلالهما على الطابق السفلي للبرج.

يوجد على يمين هذا القبو قاعة مستقلة مستطيلة الشكل يعلوها سقف أسطواني قائم على دعائم جدارية، وفي الجدار المقابل للمدخل فتحة نلج من خلالها للنفق الرابط بين القصبة وبرج موسى (الحصن الملكي) إلا أن دوره تعطل منذ العهد الإسباني⁽³⁾.

¹– Stéphane Gsell ; **Op.cit.**, P. 03-04.

²– علي خلاصي، القلاع والحصون....، ص. 133.

³– Charles Féraud ; **Op.cit.**, P. 268.

بعد هذه القاعة مباشرة على بعد 15 م نحو الشرق نجد مدخل لقبو آخر طوله 7 م وعرضه 1,30 م يرتفع عن أرضية القسبة بالجهة الشمالية بـ 2 م، وفي الجانب المقابل له على بعد بعض الأمتار إلى الجنوب هناك آثار بئر.

بعد هذا الامتداد المنكسر لجدار الواجهة الشمالية يغير اتجاهه نحو الجنوب، حيث فتح فيه مدخل يعلوه عقد نصف دائري، يؤدي إلى ممر قبوي طوله 9,80 م، وأرضيته منخفضة عن مستوى عتبة المدخل، يقودنا مباشرة إلى الطابق الأرضي للبرج الثاني للحصن، والذي يحتل الركن الشمالي الشرقي للقسبة، له شكل دائري قطره حوالي 9,60 م، تعلوه قبة نصف دائرية تقوم على جدار ارتفاعه 1,60 م، سَلَحَ بفتحة للمدفعية في الجهة المطلّة منه على باب القسبة الشرقي، عرضها من الداخل 0,70 م وعمقها 3,30 م، ومنه نستنتج السمك المعتبر لسور القسبة عند هذه الجهة.

أما الطابق الأول له، فنصل إليه عبر مدخل آخر على يمين السلم الذي يؤدي إلى سطح الحصن، عرضه 1,80 م، نلج من خلاله إلى قبو طوله 9 م، يؤدي هو الآخر مباشرة إلى الطابق الأول الذي جاء مماثلاً للطابق الأرضي من حيث الشكل والمقاسات، مع الحفاظ على وضعية فتحة المدفعية وتزويده بفتحتين للتهوية والإنارة على جانبي الممر القبوي، إضافة إلى إلحاقه بمدخل ثانوي يفتح إلى الخارج باتجاه الشمال الغربي، ونصل إلى سطح البرج بواسطة سلم، ويحميه جدار ساتر أقصى ارتفاع له 2 م، كما يوصلنا السلم السالف الذكر إلى فضاء واسع يمثل سطح الحصن، محصّن بجائط ساتر من الأجر فتحت به مجموعة من المزاغل للرماية تضمن حماية الجهة الشمالية والجنوبية للقسبة.

نصل من هذا المكان إلى سطح البرج الغربي الذي جاء أكبر مساحة مقارنة بسابقه، إضافة إلى كونه زوّد بأربعة فتحات للمدفعية من العيار الكبير عرضها من الداخل يتراوح ما بين 0،90 م، و1،20 م، ومن الخارج ما بين 2،30 م و3،20 م، فتحت في حائط سائر ارتفاعه 1،20 م يتقدمه ممشى من الآجر عرضه 0،90 م.

شيّد أسفل سطح البرج الغربي للحصن دهليز بسقف برميلي الشكل، بني بمادة الآجر، ندخل إليه من الناحية الجنوبية، وهو ممتد بشكل طولي باتجاه رأس البرج بمسافة 16 م، وعرض قدره 2،10 م، وبالقرب منه يوجد فتحتان تمتدان بعمق معتبر إلى سقف الطابق الأرضي للبرج، وهي لا تختلف عن فتحات تهوية الطوابق السفلية للطبانة من ناحية التصميم مثل: فتحات الطبانة رقم 05 بالقصبة بمدينة الجزائر، وقد تكون الغاية منها الإضاءة والتهوية. **أنظر مخطط رقم: 42.**

ينطلق سور القصبة من جديد من البرج الشمالي الشرقي الذي يمثل بداية الواجهة الشرقية للقصبة، متجها نحو الجنوب بطول يقدر بـ42 م، أين يحدث تدرج في ارتفاع السور عند النقطة المقابلة لمسجد القصبة، ومنه يواصل امتداده في نفس الاتجاه محافظا على سمكه المقدّر بـ3،60 م، ويحمي هذا الجانب من السور سائر فتحت به أربعة فتحات مدفعية شيّدت بطريقة منكسرة من الداخل إلى الخارج، وهو فريد من نوعه من حيث الشكل الذي صادفناه خلال قيامنا بالمعاينة الميدانية لكل المعالم العسكرية المعنية بالدراسة، وجاءت هذه الفتحات منخفضة عن مستوى الممشى، ووزع بجانب كل منها مزغلين للرماية، وعند نهاية هذا الجزء من السور يوجد المدخل الشرقي والحالي للقصبة. **أنظر مخطط رقم: 41.**

وقد كان للقصبة نظام دفاعي متقدم يتمثل في الخنادق التي لم يبق لها أثر منذ الاحتلال الفرنسي للمدينة، والذي كان له دور في هدم بعض أبراجها سنة 1853 م⁽¹⁾.

الملاحق المعمارية للقصبة:

تتكون القصبة إضافة إلى الحصن الإسباني من بنايات هامة موجهة لخدمة المقيمين بها من الآغا وحاميته، ومن أهمها قصر الحاجب والمسجد. أنظر مخطط رقم: 41.

قصر الحاجب:

يقع في وضعية مقابلة مباشرة عند الدخول من الباب الشرقي للقصبة، ويتكون من طابقين: نلج إلى الطابق الأرضي بواسطة مدخل في واجهته الشرقية، يؤدي إلى سقيفة على غرار ما هو معروف في تخطيط المساكن والقصور العثمانية في الجزائر، وبدورها تصلنا بالصحن المكشوف الذي يتوسط القصر. تحيط بالصحن الذي تكتنف أحد أركانه بئر أروقة من جهاتها الأربعة، تتقدم عددا من الغرف.

نصل إلى الطابق العلوي بواسطة سلم في الركن الجنوبي الغربي للصحن، حيث اتبع في إنشائه تقريبا نفس طريقة تصميم الطابق الأرضي، من حيث مقاسات الوحدات وتوزيعها، وتتمثل في مطبخ ودورة المياه وأربعة غرف.

جامع القصبة:

يوجد مسجد القصبة، والذي يعرف عند العامة باسم جامع ابن خلدون، على يمين الداخل من باب القصبة الشرقي أعلى قصر الحاجب، ويعود تاريخ إنشائه إلى الفترة الموحدية التي عرفت خلالها المدينة إنشاء أهم معالمها والمتمثلة في القصبة، وتحديدًا على عهد "عبد المؤمن بن علي" القرن 6 هـ / 12 م.

¹– Charles Féraud ; Op.cit., P. 266.

عرفت عمارته عدّة تجديدات، ومنها التي تمت في عهد مصطفى باشا 1212/1797، وأطلق عليه آنذاك اسم الجامع الكبير⁽¹⁾، وبعد الاحتلال الفرنسي للقصبة، هدمت مؤذنته بالزاوية الشمالية الغربية والميضأة التي كانت بالجهة الجنوبية، وحوّلت عمارته إلى إسطنبول للخليل ثمّ إلى تكنة ومخزن للمؤن⁽²⁾.

ندخل إلى المسجد عبر مدخل في الواجهة الجنوبية له، يفضي مباشرة إلى بيت الصلاة، الذي يتكون من ثلاثة أساكيب موازية لجدار القبلة، تفصل بينها ثلاثة بوائك كلّ بائكة تتكون من أربعة دعائم على شكل H تعلوها خمسة عقود متجاوزة ومنكسرة.

يتكون بيت الصلاة أيضا من خمسة بلاطات عمودية على جدار القبلة، تفصل بينها أربعة بوائك تعلوها عقود متجاوزة منكسرة، وجاءت بلاطة المجاز القاطع عمودية على المحراب تعلوها ثلاثة قباب ثمانية الأضلاع، في حين بقية السقف جمالوني الشكل، يتخذ نفس اتجاه البلاطات من الشرق إلى الغرب.

برج موسى:

موقعه وتاريخه:

يحتل برج موسى موقعا مرتفعا مقارنة بالبنائيات العسكرية الهامة داخل أسوار المدينة مثل: القصبة وبرج سيدي عبد القادر، هذا الخط الدفاعي الذي يمثل إلى يومنا هذا النقاط المرجعية لمسار سور المدينة خلال الفترة الإسبانية والتركية، انطلاقا من القصبة في الجنوب الغربي مروراً ببرج موسى في الشمال، وينتهي عند برج سيدي عبد القادر في الجنوب الشرقي.

¹- Charles Féraud ; **Op.cit.**, P. 266.

²-Charles Féraud ; **Notes sur Bougie...**, P. 300. – **Voir :**

-علي خلاصي، المرجع السابق، ص. 129-130.

أقيم البرج في موقع مرتفع من المدينة شمال "حي كرمان" "Karaman" هذا ما منحه ميزة الإشراف على الواجهة البحرية للمدينة، إضافة إلى حمايته من الحملات البحرية للعدو، حيث ثبت تاريخيا أنه لم يتم الاستيلاء عليه من طرف الأتراك سنة 1512 و1514م بقيادة القائد عروج، إلا بعد استهدافه برًا بنواحي جبل خليفة، بإنشاء بطارية (برج بوليلة) من طرف صالح رايس سنة 1555 م⁽¹⁾.

يقع شرق باب الفوقة وجنوب مستشفى "فرونس فانون" "Franz Fanon" اين توجد الخزانات الرومانية، حيث شغل نفس موضع قصر النجمة الذي بدأ أشغاله السلطان الناصر، ليتم إنجازه خليفته المنصور⁽²⁾، وهو من أعمال الإسبان يوم كانت المدينة تحت سلطة "لويس دوبرالطا" Luis de Peralta على عهد شارل الخامس سنة 1548 م، تحت اسم الحصن الملكي⁽³⁾.

خلال حملة "صالح رايس" على المدينة كان الحصن أول دفاعات المدينة التي تستولي عليها القوات الجزائرية، وذلك سنة 1555 م⁽⁴⁾، وشارك في هذا الإنجاز سبعة رجال من جبل خليفة، واستشهدوا إثر ذلك، أقام لهم صالح رايس ضريحا عرفانا بشجاعتهم، ومن بينهم الشهيد موسى الذي سمي البرج نسبة إليه⁽⁵⁾، وكانت تقيم به آنذاك حامية تتكون من طوباجي و15 جندي⁽⁶⁾.

¹– Charles Féraud ; **Histoire des villes...**, P. 157.

²- Charles Féraud ; **Idem.**, P. 157.

³ - Mikel de Epalza, Juan BTA. Vilar ; **Op.cit.**, P. 348-349.

⁴-Charles Féraud ; **Ibid.**, P. 258.

⁵ – عبد الكريم عزوق، المرجع السابق، ص.164.

⁶ – Chevalier D'Avrieux, **Op.cit.**, P. 238.

بعد احتلال المدينة من طرف القوات الفرنسية في سبتمبر 1833 م حوّل إلى ثكنة للجيش الفرنسي، وأطلق عليه اسم الجنرال "برال" Barral الذي قتل "ببني حيمل" ودفن بالواجهة الشمالية له من الداخل⁽¹⁾.

الوصف المعماري لبرج موسى:

اتخذ برج موسى شكلا مستطيلا، ويتكون من طابق واحد بأربعة واجهات، يتوج الواجهة الشمالية منها برجان منتظمي البناء، متناظران ومتماثلان من حيث الشكل والمقاسات التي تتراوح من الداخل ما بين 8،90 م - 11،20 م، وارتفاعها المقدر 10،80 م، تكمن قوته في سمك جدرانه التي لا تقل عن 2 م والمسلحة بعدد من قطع المدفعية حسب ما تظهره الفتحات الموزعة في مناطق مختلفة من هيكله. **أنظر مخطط رقم: 43.**

الواجهة الجنوبية هي الواجهة الرئيسية للبرج، حيث فتح المدخل في الركن الجنوبي الشرقي لها ارتفاعه 4،20 م وعرضه 2،5 م وعمقه 4،40 م، يعلوه عقد نصف دائري مشكل بمجموعة من القطع الحجرية، لا يختلف في شكله العام عن مدخل باب الفوقة بالسور الغربية للمدينة وقد ذكر "بايسونال" "Peyssonnel" أنه كان للباب جسر متحرك فوق خندق كبير⁽²⁾. **أنظر الشكل رقم: 04-05-06.**

وقد لاحظنا ارتفاع أرضية البرج عن أرضية موضع التشييد، وقد يكون السبب في ذلك اعتماد النظام الدفاعي الخارجي المتمثل في الخندق، ورفع أرضية البرج لجعل الخندق في نفس وضعية المدخل أو أقل منه، خاصة إذا كانت به المياه، إضافة إلى تسوية قاعدة التشييد.

¹ - Berard Victor; **Op.cit.**, P. 467.

² - Peyssonnel et Desfontaines ; **Op.cit.**, P. 467.

ندخل من الباب مباشرة إلى الطابق الأرضي، وهو عبارة عن قاعة واسعة، مقسم إلى ثلاث بلاطات، عرضها 5،70 م، وممتدة بشكل طولي من الجنوب إلى الشمال بمقاسات 21،80×20،40م، مسقوفة بسقوف برميلية الشكل، قائمة على أربعة دعائم مركزية ضخمة الحجم (2×2 م) فتحت بها فتحات، وقد تكون أصلية نظرا لحاجة البناية للتهوية عند استعمال المدفعية، وحسب المخطط المؤرخ سنة 1548 م، وكان موجها ضمن رسالة من طرف حاكم المدينة إلى الأمير "فليب"، يظهر أنّ البلاطة المركزية كانت أعلى من البلاطتين الجانبيتين، وعند نهايتها يوجد مصلى⁽¹⁾، هذا ما يجعلنا نقول أنّ البرج استمد تخطيطه من الكنيسة، وعند موضع المصلى يوجد قبر الجنرال "برال"، حيث وقع الاختيار على هذا المكان قصدا، نظرا لقدسيتها بالنسبة للمسيحيين، وفي هذا تشابه مع الفكر المعماري الإسلامي الذي لعبت الشريعة الإسلامية دورا كبيرا في توجيهه، ويظهر ذلك في بعض المساجد والزوايا والمدارس والأضرحة.

فتحت بجدران الطابق الأرضي للبرج مجموعة من فتحات المدفعية، ترتفع عن الأرضية بـ0،40 م، عرضها من الداخل 1،20 م، ومن الخارج 3 م، وزود البرج بقنوات للمياه، حيث يوجد لها أثر في عمق السور في الركن الجنوبي الغربي للواجهة الجنوبية، وتعمل على تغذية الخزانات أسفل الأرضية بالمياه للاستعمال عند الحاجة.

استغل البرج بعد احتلال المدينة كتكنة لقوات المدفعية الفرنسية⁽²⁾، حيث قسم الطابق الأرضي إلى قسمين لا تزال آثار القسم العلوي ظاهرة بعد أشغال التهيئة الجارية به حاليا لغرض ترميمه، وكان يستمد نوره وتهويته من النوافذ الموزعة أعلى فتحات المدفعية عند نهاية الواجهة الجنوبية والغربية.

¹ - Mikel de Epalza, Juan BTA. Vilar ; Op.cit., P. 348.

² - الجنيرال رشيد، المصدر السابق، ص. 24.

يوجد عند نهاية البلاطة الجانبية اليمنى من البرج سلم، موجه يسارا إلى أن يصل إلى سطح البرج، حيث نجد برجين على شكل جناحين واحد في الركن الشمالي الشرقي والآخر في الركن الشمالي الغربي بارزان عن سطح الحصن بـ 3,70 م، ما يجعل ارتفاعه يصل في هذه الواجهة إلى 14,50 م، يربط بين البرجين ممشى يتراوح عرضه ما بين 1 و 5 م، ويحميه جدار ساتر، فتحت به ستة فتحات مدفعية وستة وثلاثون مزغلا للرمية، كما فتح بسائر الواجهة الغربية فتحة مدفعية وأربعة مزازل للرمية، وبالواجهة الشرقية فتحة مدفعية وأربعة للرمية والمراقبة، أما الواجهة الجنوبية، فقد شيدت بها مجموعة من الغرف كانت تستغلها السلطة الفرنسية لإدارة هذه البناية، وحاليا تشغلها إدارة المتحف.

برج سيدي عبد القادر:

موقعه وتاريخه:

يعرف البرج أيضا باسم برج البحر⁽¹⁾، وذكر في مذكرات الجنرال رشيد القرن 19، باسم برج المراقبة⁽²⁾، شيد على أنقاض برج حمّادي، وموقعه جعله يحتل مكانة إستراتيجية هامة بالواجهة البحرية الشرقية للمدينة، حيث يشرف على مرسى سيدي يحيى وعلى رصيف الشحن بالناحية الغربية له⁽³⁾، كما أنّ المتتبع لمسار السور الإسباني والتركية والفرنسية يلاحظ أنه نقطة مرجعية ثابتة لبداية السور من الناحية البحرية.

يعود تاريخ استغلال موضع برج سيدي عبد القادر إلى الفترة الحمّادية، وعند احتلال بجاية من طرف الإسبان شيدوا مكانه برجا بإشراف قائد الحملة "بيدرو نافارو" تحت اسم برج البحر"، وبعد الحملة الفاشلة لشارل الخامس على مدينة الجزائر، اتجه إلى بجاية

¹ - روبر برنشفيك، المرجع السابق، ص. 415. - راجع:

-Louis Piesse ; *Itinéraire...*,p.376.

² - الجنرال رشيد، المصدر السابق، ص. 24.

³ - Naima Abd Erahim ; *Op.cit.*, P. 101.

باعتبارها قاعدة عسكرية إسبانية إلى جانب مدينة وهران بشمال البحر الأبيض المتوسط، وذلك لاسترجاع أنفاسه، ولقي البرج إثر ذلك إضافات في دفاعاته بأمر من الإمبراطور نفسه⁽¹⁾، وعند فتح الأتراك للمدينة، واصلوا الاعتماد عليه للدفاع عن بجاية خاصة من الواجهة البحرية، حيث كانت ترابط فيه حامية، تتمثل في الكاهية وستة عشر جنديا⁽²⁾، وبعد احتلال المدينة من طرف القوات الفرنسية، واصل الفرنسيون استغلاله على عهد سابقهم، إلا أنه مع نهاية القرن 19 م، وبداية القرن 20 م، فقد دوره الدفاعي وحول إلى سجن للأهالي⁽³⁾، وحاليا هو ملك للقوات الجزائرية.

الوصف المعماري لبرج سيدي عبد القادر:

اتخذ برج سيدي عبد القادر شكلا شبه مستطيل ممتدا بشكل طولي على الرصيف الشرقي لميناء المدينة، الممتد بين حصن القصبة غربا وبرج سيدي عبد القادر شرقا، تقدر مقاساته بـ 56 م طولا و 18 م عرضا، وجدرانه الشمالية في مواجهة دائمة مع أمواج البحر.

تتكون عمارة البرج من طابق تحت الأرض، عبارة عن مخازن ضيقة مسقوفة بسقف أسطوانية، يعلو هذا المستوى طابق أرضي مقسم إلى أربعة غرف تتسع لإقامة 50 رجل، أما عن تسليحه، فكان يضم 15 فتحة للمدفعية موزعة على واجهاته بالشكل الآتي: ثلاثة موجهة نحو رصيف الشحن، وثلاثة نحو الجبل وأربعة باتجاه المرسى وخمسة صوب خليج سيدي يحيى، حيث يوجد الميناء البترول حاليا⁽⁴⁾، وذكر شارل فيرو أنه عند

¹ -Reclus, Onésime, **Op.cit.**, P 105.

² -Charles Féraud ; **Histoire des villes....**, P. 298.

³ -الجنيرال رشيد، المصدر السابق، ص. 24.

⁴ - Naima Abd Erahim ; **Op.cit.**, P. 101.

الحملة الفرنسية على المدينة كان مسلّحاً بالإضافة إلى بطارية سيدي أحمد الملحقة به بعشرين مدفعاً⁽¹⁾. أنظر مخطط رقم: 44.

البرج الأحمر:

موقعه وتاريخه:

شيدّ البرج الأحمر أعلى زاوية سيدي تواتي خارج أسوار المدينة الحمّادية⁽²⁾، وهو من منجزات السلطان الناصر، سمي بالبرج الأحمر نسبة إلى التراب الأحمر المستعمل في بنائه، والذي يطغى على موضع تشييده⁽³⁾، والباحث في التاريخ الحضاري للدول الإسلامية يصادفه انعكاس المادة البنائية على مسميات المباني العسكرية، ولدينا لها أمثلة: في البرج الأحمر المريني بمدينة وهران، والقلعة الحمراء بدلهي بالهند القرن 17⁽⁴⁾، والقلعة الحمراء بالأندلس.

هدمه الإسبان عند احتلالهم للمدينة ليستعيد دوره من جديد في حملة صالح رايس على بجاية سنة 1555 م، حيث شيدّ بنفس موضع بطارية استعملها في فتح برج موسى ، وأخذ البرج منذ هذه الفترة اسم "برج بوليلة" كونه شيدّ في ليلة واحدة، ومن الممكن أن يكون تيمّنا ببرج بولية (برج الإمبراطور) الذي شيدّ من طرف حسن باشا سنة 1545 م بالجزائر المحروسة.

وذكرت الكتابات التاريخية أنّ عند دخول الفرنسيين إلى المدينة سنة 1833 م، كان البرج التركي مسلّحاً بأربعة مدافع⁽⁵⁾.

¹ - Charles Féraud ; **Op.cit.**, P. 327.

² - Charles Féraud ; **Idem.**,P. 326.

³ -Naima Abd Erahim ; **Op.cit.**, P. 104.

⁴ - أحمد رجب محمد علي، المرجع السابق، ص. 206.

⁵ - رشيد بورويبة، الطراز الموحد، ص. 246.

برج البواق:

موقعه وتاريخه:

شيّد على إحدى المرتفعات الشرقية بالواجهة البحرية للمدينة خارج أسوارها، وسمي بهذا الاسم لأنّه كانت تقيم به حامية مهمتها المراقبة والإبلاغ عن السفن القادمة باستعمال آلة البوق⁽¹⁾، أو المدفعية، ويظهر ذلك في قول Chevalier D'Arvieux: «...الجبال التي توجد على جانب الميناء شديدة الارتفاع، ويوجد على إحداها برج كبير مسلح بمدفعين وحامية صغيرة تتولى الحراسة ليلا ونهارا لمراقبة ما يحصل في البحر، وتبعث بالندير إلى المدينة بعدّة طلقات...»⁽²⁾، كما يعرف باسم بطارية "سيدي المليح" نسبة إلى الولي الصالح دفين هذا الموضع⁽³⁾، كان للبرج شكل غير منتظم طوله 40 م، وعرضه 8 م، يحميه ساتر مشيّد بالدبش⁽⁴⁾، وكان مسلحا بأربعة قطع مدفعية⁽⁵⁾.

يبدو أن تسليح البرج يختلف حسب الظروف الأمنية للمنطقة، فقد ذكر Chevalier الذي زار الجزائر في القرن 17 أنّه كان به مدفعين⁽⁶⁾، ليرتفع إلى سبعة مدافع عند الحملة الفرنسية على المدينة سنة 1833 م⁽⁷⁾، وقد تعرّض البرج في سنة 1846 م للهدم، حيث شيّد مكانه فنان لإرشاد السفن بمرسى سيدي يحيى⁽⁸⁾.

¹ - Charles Féraud ; **Notes sur Bougie...**, P. 301.

² - Chevalier D'Arvieux, **Op.cit.**, P. 240.

³ - Charles Féraud ; **Idem.**, P. 301.

⁴ - Naima Abd Erahim ; **Op.cit.**, P. 103.

⁵ - Charles Féraud ; **Histoire des villes...**, P. 327.

⁶ - Chevalier D'Arvieux, **Idem.**, P. 240.

⁷ - Charles Féraud ; **Idem.**, P. 327.

⁸ - Bérard Victor, **Op.cit.**, P. 432.- **Voir:**

-أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص. 90-91.

بطاريات مدينة بجاية:

بطارية سيدي أحمد:

موقعها وتاريخها:

تعرف ببطارية سيدي الرسام⁽¹⁾، شيدت بالجانب الشمالي لبرج سيدي عبد القادر⁽²⁾، شكلها المعماري مربع، ولها أقسام تحت أرضية تتسع لإقامة 50 رجل، كانت مسلحة بإحدى عشر مدفعا، موجهة نحو مرسى المدينة، وسيدي أبي زكرياء الزواوي، وإثنان منها موجهان نحو البر باتجاه الشمال، ويتمثل دورها في حماية الميناء وتدعيم دفاعات برج سيدي عبد القادر⁽³⁾.

بطارية سيدي حسين:

موقعها وتاريخها:

كان موضع تشييدها محصورا في المساحة الممتدة بين رصيف الشحن والقصبة، على الشاطئ الشرقي لهذه الأخيرة، وشيدت على منحدر صخري مرتفع عن سطح البحر بحوالي 12 م، عمارتها غير منتظمة، طولها 42 م، وعرضها يتراوح ما بين 8 إلى 10 م، يحميها سائر سمكه 2 م، فتحت به فتحتين للمدفعية، واحدة موجهة إلى الرصيف السابق الذكر، والأخرى إلى المرسى الكبير⁽⁴⁾.

¹- Naima Abd Erahim ; **Op.cit.**, P. 103.

² - Charles Féraud ; **Domination français...**, P. 32.

³- Naima Abd Erahim ; **Idem.**, P. 105.

⁴- **Ibid.**, P. 105.

دار الصناعة:

موقعها وتاريخها:

كان موضعها بجنوب غرب القصبة، بنفس مكان الميناء الروماني أسفل "قصر الرفيع" وأنشأت منذ تأسيس العاصمة الحمادية الناصرية، وذلك تحقيقاً لأهداف الدولة في إنشاء طرق بحرية جديدة في معاملاتها التجارية، وتشكيل أسطول بحري يحقق أهدافها في التصدي لأعدائها من جهة وتوسيع أملاكها من جهة أخرى، وقد أشار إليها الجغرافي الإدريسي بقوله <<...وبها دار صناعة لإنشاء الأساطيل والمراكب والسفن والحراي لأن الخشب في أوديتها وجبالها كثير موجود ويجلب إليها من أقاليمها الزيت البالغ الجودة والقطران، وبها معادن الحديد الصلب موجودة وممكنة...>>(1).

ظلت بجاية من أهم مراكز الدولة خلال الحكم التركي، حيث كانت المغذي الرئيسي لورشات صناعة السفن بمدينة الجزائر، وذلك لوفرة مادة الخشب التي كانت ببجاية والأقاليم المجاورة لها، حيث كانت تجمع بمينائها، وتنقل إلى الجزائر المحروسة، وقد حرصت الدولة على تنظيم ذلك تحت سلطة قانونية تعرف "بالكراسة" تحت إشراف قائد ومساعدين له، مهمة هذه المؤسسة التفاوض مع ملاك هذه الثروة لاستغلالها(2).

كما ساعدت وفرة المنطقة على موارد معدنية متنوعة ذو جودة عالية على دفع هذه الصناعة قُدماً مثل: الحديد والرصاص التي كانت تستخرج من جبال بجاية(3).

¹ - إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص. 170.

² - Charles Féraud ; **Notes sur Bougie...**, P. 298.

³ - Vincent Yves – Boutin ; **Op.cit.**, P. 86.

تحصينات مدينة جيجل:

إنّ كون مدينة جيجل أوّل نواة للوجود التركي بالجزائر وثاني قاعدة لأعمالهم الحربية بشمال إفريقيا بعد "قلعة حلق الوادي" بجزيرة جربة الحفصية بتونس، لم يشفع لها لأن تكون مدينة ذات شأن كبير خاصة بعد ضمّ عدد من المدن البحرية الجزائرية إلى أملاكهم، وفي مقدمتها مدينة الجزائر وبجاية.

كانت مدينة جيجل قبل تحريرها من طرف القائد عروج تحت سلطة الاحتلال الإسباني، حيث تمكن "أندري دوريا" من إخضاعها سنة 1512 م بعد المحاولة الأولى الفاشلة لتحرير بجاية من طرف الأخوين بربروس، وترك بها حامية تقيم بالحصن الجنوبي⁽¹⁾، وجاء هذا الإجراء تكملة للعملية التوسعية للإسبان بالمدن البحرية الجزائرية، وكوسيلة دفاعية يهدف من خلالها حماية القاعدة العسكرية الإسبانية ببجاية كون جيجل أقرب المدن إليها من الناحية الشرقية، يمكن اتخاذها كنقطة للدعم ولقطع الطريق أمام من تسوّل له نفسه استغلالها ضدّهم، حيث لا تفصلها عنها سوى 102 كلم.

تأكّدت هذه الرؤية الاستشرافية ميدانيا بعد مضي سنتين من الزمن وتحديدًا سنة 1514 م، عندما تمكن القائد عروج من تحرير جيجل بناءً على طلب سكانها، واتخذ منها قاعدة لأعماله الحربية، كانت أولها بمحاولة تحرير بجاية للمرة الثانية سنة 1514 م، وتلتها حملته الناجحة في تحرير مدينة الجزائر بعد إخضاع مدينة شرشال في طريقه إليها، وكان ذلك سنة 1516 م.

¹ - محمد درّاج، المرجع السابق، ص. 192.

أسوار مدينة جيجل:

تعود التحصينات الأولى للمدينة إلى الفترة الجنوبية⁽¹⁾، الذين احتلوا المدينة سنة 1260 م، وجعلوا منها مركزا للتبادل التجاري، إلا أنّ سكانها استطاعوا تحريرها، قبل أن يخضعها الإسبان لسلطتهم سنة 1512 م⁽²⁾، وتركوا بها حينها حامية لتأمينها.

عند دخول الأتراك إلى المدينة سنة 1514 م كانت تحيط بها أسوار، وقد كانت في النصف الثاني من القرن 16 م في حالة جيدة⁽³⁾، تدعمها مجموعة من الأبراج⁽⁴⁾ مسلحة بالمدافع⁽⁵⁾.

برج مدينة جيجل:

موقعه وتاريخه:

شيّد على صخرة عالية⁽⁶⁾، بالقرب من الشاطئ، وهو نفسه الحصن الجنوبي الذي أعاد استغلاله الإسبان والأتراك من بعدهم في حماية المدينة⁽⁷⁾، حيث كانت تقيم به حامية⁽⁸⁾، قدّر عددها سنة 1829 م بـ 29 رجلا⁽⁹⁾، وظلّ البرج قائما إلى أن هدمه الزلزال العنيف الذي ضرب المدينة في أوت من سنة 1856م⁽¹⁰⁾. أنظر الخريطة رقم: 06.

¹ - لخضر درياس، المرجع السابق، ص. 193.

² - أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة...، ص. 165-167.

³ - LanFreducci et Bosio ; **Op.cit.**, P. 523.

⁴ - لخضر درياس، المرجع نفسه، ص. 193.

⁵ - Robert Georges ; **Op.cit.**, P. 172.

⁶ - حسن الوزان الفاسي، المصدر السابق، ج. 2، ص. 51.

⁷ - لخضر درياس، المرجع نفسه، ص. 193.

⁸ - Dr. Shaw ; **Op, cit.**, p. 332.

⁹ - Albert Devoulx ; **Tachrifat...**, P. 50.

¹⁰ - Delmare ; **Op.cit.**, P. 10-11.

تحصينات مدينة القل:

برج مدينة القل:

موقعه وتاريخه:

شيّدت مدينة القل على بقايا المدينة الرومانية⁽¹⁾، وهي مدينة صغيرة⁽²⁾، إلا أن ذلك لم يمنعها من أن تكون ذات شأن بين المدن البحرية بالإيالة الجزائرية، وذلك بفضل مينائها الذي جعل منها سوقا تتم فيه المبادلات التجارية قبل دخول الأتراك إليها⁽³⁾.

ذكر "حسن الوزان الفاسي" الذي حل بالجزائر في الربع الأول من القرن 16م أنها مدينة غير مسوّرة⁽⁴⁾، يدافع عنها برج كان قائما في فترة حكومة الباي لارباي، ودليلا على هذا ما جاء في تقرير الإيطالي Lanfreducci مؤرخ بسنة 1587 بقوله: «لها برج وحيد فقط يشرف على الشاطئ»⁽⁵⁾، وهذه السنة تمثل نهاية فترة حكم الباي لاربايات وبداية حكم البشاوات⁽⁶⁾.

ظلّ البرج قائما يؤدي دوره الدفاعي إلى نهاية الحكم التركي للجزائر، حيث كان مسلحا بثمانية إلى عشرة مدافع⁽⁷⁾، وهو يمثل مقر إقامة الآغا⁽⁸⁾، على رأس حامية صغيرة⁽⁹⁾ مهمتها فرض الطاعة على سكان القل وحماية المسيحيين الذين يتعاطون التجارة ولإخماد الفتن التي قد تنشب بالمدينة⁽¹⁰⁾

¹– Rozet Et Carette, **Op.cit.**, P. 42.

²– Lanfreducci Et Bosio ; **Op.cit.**, P. 522.

³– حسن الوزان الفاسي، المصدر السابق، ج. 2، ص. 51.

⁴– نفسه، ص. 54.

⁵– Lanfreducci et Bosio ; **Idem.** , P. 522.

⁶– أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا....، ص. 32.

⁷– علي خلاصي، القلاع والحصون....، ص. 178.

⁸– Berard Victor ; **Op.cit.**, P. 443.

⁹– Quétin (E.); **Op.cit.**, P. 306.

¹⁰– علي خلاصي، المرجع نفسه، ص 178.

تحصينات مدينة عنابة:

أسوار مدينة عنابة:

مدينة بونة الحديثة بحرية، شيدت شرق المدينة القديمة على نحو ميلين⁽¹⁾، من طرف بني زيري⁽²⁾، أما تاريخ إنشاء أسوارها، فأول من ذكر أنها كانت مسورة هو الجغرافي المقدسي⁽³⁾، الذي عاصر بني زيري ببلاد المغرب مثله مثل ابن حوقل الذي شرع في رحلته سنة 331 هـ، متعرضا بالوصف لكثير من المدن الإسلامية، ومنها عدد من مدن المغرب الأوسط، إلا أنه لم يذكر أسوار مدينة بونة مطلقا، وفي المقابل أشار إلى وجود قوة عسكرية مرابطة بها رفقة حاكمها لحمايتها⁽⁴⁾.

ذكر البكري (ق 5 هـ / 11م) من بعدهما أنها سورت في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي، وورد ذلك في قوله: «سورت مدينة بونة الحديثة بعد الخمسين وأربعمئة»⁽⁵⁾.

يمكن القول بناء على النصوص السابقة أن أسوار المدينة شيدت خلال القرن 4 هـ / 10 م، وجددت في القرن 5 هـ / 11 م في الفترة الحمادية على عهد "الأمير عبد الناصر بن علاء الناس"، وذلك نتيجة الأوضاع الأمنية المضطربة التي كان يعيشها المغرب الأوسط والأدنى بفعل غزو بني هلال لهما⁽⁶⁾.

¹ - الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ص. 61.

² - الشيخ المهدي البوعبدلي، تاريخ المدن، جمع وإعداد: عبد الرحمن دويب، ج 2، ط 1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص. 213.

³ - المقدسي، المصدر السابق، ص. 226.

⁴ - أبي القسم بن حوقل النصيبي، المصدر السابق، ص. 77.

⁵ - أبو عبد الله البكري، المصدر السابق، ص. 55.

⁶ - Salima Taleb ; Op.cit., P. 106.

بعد تصفحنا لعدد من النصوص ومطالعة بعض مخططات المدينة في فترات زمنية مختلفة، اتضح لنا أنّ شكل سور المدينة بصفة عامة ظلّ ثابتاً، حيث كان له شكل مربع غير منتظم الأضلاع⁽¹⁾، يقدر محيطه بحوالي 1600م، وارتفاعه 8 م⁽²⁾، واستعملت في تشييده كباقي مباني المدينة، الحجارة المتوفرة بكثرة بالمنطقة، إضافة إلى بقايا المدينة القديمة⁽³⁾، تعلوه شرفات هرمية الشكل على غرار شرفات مدينة بجاية الحمادية، وبه أيضاً مزغل للمراقبة والرماية⁽⁴⁾. أنظر الصورة رقم: 22.

يدعم السور عدد من الأبراج الحائطية المربعة الشكل⁽⁵⁾، لا يزال نموذج لها قائماً بالركن الشمالي الشرقي للمدينة وأقصد به برج المعدومين. كما فتحت بسور المدينة أربعة أبواب⁽⁶⁾، وزعت على واجهاتها الأربعة، وهي باب البحر وباب السوق وباب المقابر، وأخيراً باب السكان⁽⁷⁾. أنظر مخطط رقم: 45.

تعرّضت أسوار المدينة في الفترة الاستعمارية إلى عملية إصلاح وتوسعة بالجهة الشمالية والغربية⁽⁸⁾، مع الحفاظ على جانب من السور الإسلامية، والممتدة من الركن الجنوبي الغربي للمدينة إلى الركن الشمالي الشرقي لها، حيث لا تزال أجزاء من السور الأصلية قائمة اليوم في القسم المحصور ما بين باب البحر إلى غاية برج المعدومين،

¹ - Charles Féraud ; « Documents pour servir a l'histoire de Bone », in : Revue Africaine, Année 1873, P. 90.

² - Salima Taleb ; **Op.cit.**, P. 194, **Voir** : - Louis piesse ; **Op.cit.**, P. 447.

³ - الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ص. 61، راجع:

- A.De Poudraguin ; « L' E dough », in : R. de Constantine, Année 1898, P 161.

⁴ - مؤلف مجهول، غزوة الطوسكانيين لبونة في سبتمبر 1607 م، تقديم وتعليق: د. سعيد دحماني، ط 1، مؤسسة الرجا للنشر، قسنطينة، الجزائر، 2013، ص. 55-56.

⁵ - Peyssonnel et Desfontaines, **Op.cit.**, P. 278.

⁶ - Lanfreducci et Bosio ; **Op.cit.**, P. 520. **Voir**: - A.de Fontaine de Resbeq ; **Op.cit.**, P. 174.

⁷ - Salima Taleb ; **Idem.**, P. 195.

⁸ - Louis piesse ; **Idem.**, P. 447.

وتتمثل أعمال التوسعة هذه حسب مخطط للمدينة مؤرخ بسنة 1888 م⁽¹⁾ في مدّ أسوار المدينة باتجاه القسبة، حيث تنطلق من باب السكان لتتصل بالواجهة الغربية للقسبة، وفي نفس الوقت مدّت سور الواجهة البحرية على حافة المنحدر الصخري إلى غاية الرصيف الشرقي للميناء الحديث، ودعمت هذه الأسوار ببطارية الخروبة مؤرخة بسنة 1878 م وموجهة نحو البحر.

تغيّر السور مسارها باتجاه الغرب، وتمتد إلى أن تتصل بالقسبة في سورها الشرقي، وفتحت في هذا الجزء باب تعرف باسم "باب الخروبة" كونها تؤدي إلى الطريق الرابطة بين المدينة وهذه المنطقة، ويربط طرفي القسبة بالمدينة، أخذت أسوار المدينة الشكل المعروف عادة في المدن المغربية، حيث كانت القسبة تقوم بأطراف المدينة بأعلى نقطة بها ومتصلة بأسوارها مثل: قسبة وهران وقسبة قسنطينة وقسبة ميلة وقسبة الجزائر، وصنعت الاستثناء قسبة بجاية التي شيدت في أخفض نقطة بين تحصينات المدينة الرئيسية كلّها بعد "برج سيدي عبد القادر".

هكذا عوّض الفرنسيون السور بالاستغناء عن السور الشمالية للمدينة، وتعويض السور الثانوية التي كانت تربط القسبة بالسور الشمالية للمدينة حتى توفر الحماية للحاكم وحاشيته حسب ما يوضحه مخطط للمدينة الإسلامية خلال الحكم التركي لها من إعداد سلاح الهندسة للجيش الفرنسي ومؤرخ بـ18 أوت 1830 م⁽²⁾، وهذا المظهر المعماري يذكرنا في العمارة العسكرية بالأبراج البرانية، التي عرفت بلاد المغرب والأندلس باسم "الخوارجة"، استخدمت في حماية الأماكن الضعيفة والإستراتيجية مثل الجسور ومصادر المياه.

¹- محمد إبراهيم جندلي، المرجع السابق، ص. 363.

²- مؤلف مجهول، غزوة...، ص. 109.

أبواب مدينة عنابة:

أجمعت معظم النصوص أنه كان للمدينة أربعة أبواب وزعت على واجهاتها الأربعة لتربطها بخارجها. أنظر مخطط رقم: 45.

باب البحر:

تعرف كذلك بباب البحرية وباب المرسى، كانت تتوسط السور الجنوبية للمدينة، وتفتح على البحر، حيث الميناء ودار الصنعة⁽¹⁾.

باب السوق:

أطلق عليها هذا الاسم نسبة إلى رحبة الزرع وسوق المواشي اللذان كانا بالقرب منها⁽²⁾، إضافة إلى باب الغرب وباب البرّ وباب قسنطينة والباب القبلي، تقع بالسور الغربية، وهي أقرب إلى البحر منها إلى البرّ (الجنوب الغربي)، ما جعل البعض يحدد موقعها جنوباً⁽³⁾، ومنها نخرج إلى تونس وعدد من مدن بايليك الشرق مثل: قسنطينة وميلة وتبسة⁽⁴⁾.

¹ - محمد بن ابراهيم جندلي، المرجع السابق، ص. 330.

² - Salima Taleb ; **Op.cit.**, P. 107.

³ - Lanfreducci et Bosio ; **Op.cit.**, P. 521.

⁴ - محمد بن ابراهيم جندلي، المرجع نفسه، ص. 330.

باب المقابر:

كان في الركن الشمالي الشرقي للمدينة بالقرب من برج المعدومين، اتخذت هذا الاسم لأنها كانت مقابلة للمقبرة بالناحية الشرقية خارج أسوار المدينة، حيث شيد المستشفى المدني الفرنسي (مستشفى الخروب) على يسار الطريق الرابط بين المدينة والخروب، كما كان المخرج الذي نصل به إلى القصبة، ومنها أخذ اسمه الثاني باب القصبة⁽¹⁾.

باب السكان:

في الفترة الاستعمارية أصبح يحمل اسم باب القنطرة، كان موضعه يتوسط تقريبا السور الشمالية للمدينة أسفل القصبة أيضا⁽²⁾.

خندق مدينة عنابة:

حسب تقرير السيد Lanfreducci مؤرخ بسنة 1587 ترجمه إلى الفرنسية بيار غرونشو Pierre Granchamp ونشره في المجلة الإفريقية، ذكر فيه أن مدينة عنابة كانت محصنة بخندق من الناحية البرية⁽³⁾، وقد صادفتنا خلال عمليات البحث مخططات للمدينة أحدها مؤرخ بسنة 1535 م تاريخ حملة "شارل الخامس" على المدينة، يظهر من خلاله أن عنابة كان لها فعلا نظام دفاعي إضافي للأسوار من الناحية البرية يتمثل في الخندق، وكانت يومها المدينة تابعة اسما للسلطة الحفصية⁽⁴⁾، ما يعني أن الخندق كان قائما قبل الوجود التركي بها، أما المخطط الثاني والمؤرخ بسنة 1607 م⁽⁵⁾، استطعنا بواسطته تتبع مسار الخندق الذي كان يمتد من الركن الشمالي الشرقي، حيث باب المقابر

¹⁻ Salima Taleb ; **Op.cit.**, P. 195.

²⁻ محمد بن ابراهيم جندلي، المرجع السابق، ص. 395.

³⁻ Lanfreducci et Bosio, **Op.cit.**, P 521.

⁴⁻ أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة...، ص. 239.

⁵⁻ محمد بن ابراهيم جندلي، المرجع نفسه، ص. 307.

مطوقا المدينة من الجهة الشمالية والغربية إلى أن يصل الى باب السوق بالركن الجنوبي الغربي لها.

حصون وأبراج مدينة عنابة:

حصن القصبة:

موقعه وتاريخه:

شيّدت القصبة بالجهة الشمالية الشرقية على أكمة ترتفع عن سطح البحر بـ105 م⁽¹⁾، وتبعد عن أسوار المدينة بمسافة 400 م⁽²⁾. يعود إنشاؤها إلى سلاطين بني حفص⁽³⁾، بأمر من السلطان "أبي زكرياء" لتدعيم دفاعات المدينة التي كانت خالية من أي تحصين من الناحية الخارجية، ولتكون مقرّ حكم يتحصن به نائبه على المدينة وحاشيته⁽⁴⁾، ولم تنته الأشغال بها إلاّ في عهد الفضل بن أبي يحيى أبي بكر، وقد خلد هذا العمل بلوح من الرخام ثبت أعلى مدخلها ونصها⁽⁵⁾.

بسم الله الرحمن الرحيم

والباقيات الصالحات

غفر الله تعالى لسيدنا محمد ومولانا المعظم محمد بن مصرور الجزيري كان الله واليا وناصرنا ومعينا له، أنفق ماله على بناء هذا الحصن المنيع والمطل على باب بونة الغزّاء، آمنة الله تعالى ممثّلا لقوله تعالى عزّ وجلّ: «وَالَّذِينَ يَنْفَقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا

¹ - Jules Duval, **Op.cit.**, P 239.

² - Péllissier (E.); **Op.cit.**, P 105.

³ - الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ص. 62.

⁴ - مارمول كرخال، المصدر السابق، ص. 08.

⁵ - علي خلاصي، القلاع والحصون...، ص. 168.

يتبعون ما أنفقوا منّا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون >>، وكان النائب في البناء العبد الفقير عمر بن محمد كان الله ناصرا، أسأله سامع الدعاء أن يستعظم أجره... وسمح بماله مرضاة الله ورسوله فإننا علمنا ببركة الله.

بعد احتلال الإسبان بقيادة الإمبراطور شارل الخامس لتونس سنة 1535م، استولوا على مدينة عنابة، وقاموا بإصلاح القصبّة التي كانت في حالة سيئة⁽¹⁾، وتركوا بها حامية من 200 رجل، وبالمدينة 600 رجل لضمان أمن حامية القلعة ووصول المؤونة إليها⁽²⁾. تمكن الأتراك من استرجاعها وضمّها إلى أملاك الإيالة الجزائرية سنة 1540م، حيث ألحقت ببابليك الشرق الذي مقره قسنطينة⁽³⁾، أقام بها حاكم المدينة رفقة حامية من ثلاث سفرات⁽⁴⁾، وحافظت القصبّة على أهميتها السياسية والعسكرية إلى أن احتلها الفرنسيون بتاريخ 27 مارس 1832م، بعد أن استشهدت حاميتها المشكلة من 130 جنديا دفاعا عنها وعن المدينة⁽⁵⁾، وقد تعرضت خلال هذه الفترة إلى عدّة تغييرات، تهيئة لها لتكون ثكنة للجيش وسجنا للمحكوم عليهم بالأعمال الشاقة⁽⁶⁾.

¹ - Salima Taleb ; **Op.cit.**, P. 1951.

² - أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة...، ص. 331.

³ - محمد بن ابراهيم جندلي، المرجع السابق، ص. 331.

⁴ - Dr. Shaw ; **Op.cit.**, P 337. **Voir** :- Lanfreducci et Bosio, **Op.cit.**, P. 521.- Peyssonnel et Desfontaines, **Op.cit.**, P 279.

⁵ - Charles Féraud ; **Documents...**, P. 84.

⁶ - L.M. Reuss ; **Op.cit.**, P. 84. **Voir**:-Georges, Robert, **Op.cit.**, P. 84.

الوصف المعماري للقصبة:

بعد تصفح عدد من النصوص التاريخية ومطالعة بعض مخططات المدينة ومقارنتها ببعضها، وبما هو موجود ميدانيا بعمارة القصبة، اتضح أنها تعرضت إلى عدّة تغيرات في الفترة الفرنسية التي أتت على معظم المرافق المعمارية المشكلة لها والموروثة عن الحقبة العثمانية على الأقل، مثل إقامة الحاكم والمسجد اللذين كانا بالجهة الجنوبية على يمين مدخل القلعة⁽¹⁾، كما شملت أعمال التجديد تحصيناتها بعد حادثة انفجار مخزن البارود في جانفي 1837 م الذي تسبب في مقتل 200 رجل وجرح 500 آخرين⁽²⁾، والتي سنتعرض لها بالتوضيح خلال عملية الوصف لأسوارها الخارجية، والعناصر المعمارية الدفاعية الملحقة بها.

حافظت القصبة على شكلها العام الذي جاء على شكل مستطيل غير منتظم الأضلاع ممتد بشكل طولي من الجنوب إلى الشمال تحيط بها أسوار متينة مائلة نحو الداخل زيادة في تدعيمها يقدر سمكها بـ 2 م، أمّا علوّها فيتباين من مكان إلى آخر، حيث بلغت أشدّها بالواجهة الشمالية والجنوبية.

تدعم السور عدد من الأبراج المربعة الشكل، التي كان عددها في الحقبة العثمانية لا يفوق خمسة أبراج حسب ما يوضحه مخطط للقصبة مؤرخ بسنة 1830م، شيدت عند الأركان ومناطق انكسار مسار السور مثل البرج رقم 2 والبرج رقم 5 بالواجهة الغربية والشرقية، وهذه الأبراج عبارة عن كتلة معمارية واحدة، وكانت مسلحة بعدد من المدفعية التي كان عددها في العهد العثماني يتراوح ما بين ثلاثة إلى خمسة مدافع على الأكثر،

¹ - محمد ابن إبراهيم جندلي، المرجع السابق، ص. 331.

² - Louis Piesse ; Op.cit., P. 448.

ويربط بين هذه الأبراج ممشى يحميه حائط ساتر، فتحت به مجموعة من المزاغل للرماية والمراقبة⁽¹⁾.

ندخل إلى القسبة عبر مدخل واحد في الركن الجنوبي الغربي لها، فتح في جزء مستور منها بفعل امتداد جانب من الواجهة الجنوبية نحو المدينة عرضها 2،20 م وعمقها 3 م وارتفاعها 3،80 م، تم استحداثه في الفترة الاستعمارية، بناءً على الكتابة المتوجة لها والتي تحمل سنة 1843 م إضافة إلى نوعية المادة البنائية المستعملة، ويظهر ذلك بوضوح عند مكان انهيار الركن الجنوبي الغربي للبرج الحائطي رقم (01) على يسار الباب، وتعتبر هذه الأخيرة من المداخل المباشرة، يشرف على حراستها عدد من الانكشارية الأكفاء، ومسلحة بأربعة قطع مدفعية صغيرة الحجم. أنظر الصورة رقم: 23.

تنطلق السور الغربية للقسبة من هذا المدخل وعلى امتداد 35 م عند البرج رقم 02 الذي تتصل به السور الفرنسية الرابطة بين المدينة والقسبة من الجهة الغربية، وجهزت بممشى يرتفع عن أرضية القسبة بمسافة تتراوح ما بين 1،80 م، و 2،70 م، وذلك نظرا للطبيعة الطبوغرافية المائلة التي شيدت عليها القسبة، يقدر عرضه بـ 1،50 م، يحميه حائط ساتر سمكه 0،55 م، وارتفاعه 1،50 م، وبه ثلاثة عشر مزغلا ترتفع عن أرضية الممشى بـ 0،90 م، وفتحاتها من نفس الشكل والمقاسات عرضها من الداخل 0،50 م، ومن الخارج 0،20 م وعمقها 0،55 م، وزعت بانتظام على حائط الممشى، بحيث تفصل بينهما مسافة 2 م.

¹ - مؤلف مجهول، غزوة...، ص. 64.

يؤدي الممشى إلى سلم من ثمانية درجات تصلنا بأعلى مدخل القسبة، يحميها جدار ساتر ارتفاعه 2م، فتحت به سبعة مزاغل للرماية، ترتفع عن السطح بـ 1م، ومقاساتها متشابهة عرضها من الداخل 0،30 م، ومن الخارج 0،10 م، وعمقها 0،70 م، وتفصل بينها مسافة متساوية تقدر بـ 1،70 م، هدم عدد منها مع انهيار الركن الجنوبي الغربي لباب القسبة، حيث يوجد البرج رقم 01، ولم يتبق منها سوى ستة فتحات نطل من خلالها على المدينة.

تواصل السور امتدادها من البرج رقم 02 باتجاه الشمال على مسافة 60 م، فتحت بجدارها الساتر أربعة وعشرون مزغلا بنفس مقاسات الجزء الأول من السور، تفصل بينها مسافة موحدة تساوي 2 م، وشيّدت بطريقة مائلة نحو الأسفل لحماية جوانب السور.

يستمر امتداد السور إلى مسافة 11،30 م، ليغير مساره بانكسار طفيف نحو الخارج باتجاه الشمال الغربي بمسافة تزيد عن 45 م، أين يوجد البرج رقم 03 في الركن الشمالي الغربي للقسبة، وتمّ استحداثه في الحقبة الاستعمارية، كونه لم يكن موجودا قبل ذلك حسب ما يبينه مخطط القسبة لسنة 1830 م، ومن المؤكد أنه يرجع إلى ما بعد سنة 1838 م حسب ما يوضحه مخطط للبناية مؤرخ بنفس السنة.

يحمي هذا البرج حائط ساتر ارتفاعه 2،30 م، وزعت عليه اثنتا عشرة مزغلا مقاساتها من الداخل 0،40 م، ومن الخارج 0،10 م وعمقها 0،80 م، وبنيت أطرها من الحجر المصقول عكس المزاغل السابقة المشيّدة بالحجارة أو الآجر.

تغيّر السور مسارها من هذا المكان باتجاه الشرق على امتداد 36,50 م، يحميها حائط سائر ارتفاعه 2,50 م، فتحت به أربعة مزاغل للمراقبة، ثم ينحرف باتجاه الشمال على مسافة 6,60 م ليسترجع مساره السابق باتجاه الشرق على طول 14,90 م ليتصل بالبرج رقم 04 في الركن الشمالي الشرقي للقصبة.

اتخذ هذا البرج شكلا مضلعا وزعت على جدرانه سبعة مزاغل وثلاثة فتحات للمدفعية مقاساتها من الداخل 0,55 م، ومن الخارج 1,10 م، وعمقها 0,90 م، وهذا البرج هو الآخر من عمل القوات الفرنسية على غرار البرج رقم 03 وتتصل بهذه الواجهة من الداخل مجموعة من البنايات كانت عبارة عن مصانع ومساكن للإقامة، حولت في الفترة الفرنسية إلى سجن وثكنات للجيش حسب ما جاء في مخطط 1830 و1838⁽¹⁾.

تتجه السور من البرج الشمالي الشرقي نحو الجنوب بامتداد 30 م، فتحت بجدارها السائر الذي يبلغ ارتفاعه 2,30 م، وسمكه 0,70 م مجموعة من الفتحات لا تزال منها خمسة قائمة عرضها من الداخل 0,40 م، ومن الخارج 0,10 م، وتفصل بينها مسافة 1,40 م، ونجد عند نهاية الحائط السائر البرج رقم 05 له شكل مستطيل عرضه 8,80 م، وبارز إلى الخارج بـ 8,20 م، وهو من الأبراج الأصلية في القصبة إلى جانب البرج رقم 01 و02، يقدر ارتفاع السور عنده بـ 9 م، يحمي البرج سائر ارتفاعه 1,50 م، وسمكه 1,30 م به خمسة فتحات مدفعية أصلية، ثلاثة منها موجهة نحو الشرق وواحدة باتجاه الجنوب، والأخيرة صوب الشمال، آثار الطمس ظاهرة على هذه الفتحات نتيجة التجديدات وعوامل التلف المختلفة، أما مقاساتها فتقدر من الداخل بـ 0,90 م ومن الخارج بـ 1,40 م، وعمقها 1,30 م.

¹ - مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص. 110-112.

يستمر مسار السور جنوبا بمسافة 79 م، حيث نجد البرج رقم 06، يحمي هذا الجزء من السور سائر ارتفاعه 2،20 م وسمكه 0،70 م، زود بعدد كبير من المزاغل، وهي مماثلة للمزاغل التي تحمي الجزء الفاصل من السور بين البرج رقم 04 والبرج رقم 05 وتفصل بينهما مسافة منتظمة تقدر بـ1،40م، فيبعد البرج رقم 06 عن سابقه بمسافة 103 م، وهو من الأبراج الأصلية بالقلعة، بارز إلى الخارج، يبلغ ارتفاع السور عنده بـ7،50 م، وكان مجهزا بستة مزاغل للرماية وبأربعة فتحات للمدفعية عرضها من الداخل 1 م، ومن الخارج 1،70 م وعمقها 1 م.

تواصل السور مسارها في نفس الاتجاه على امتداد 50 م، حيث نجد البرج رقم 07 مضلع الشكل في الركن الجنوبي الشرقي للقصبة، وزعت على هذا الجزء من السور مجموعة من مزاغل الرماية وفتحات المدفعية، ونظرا لتعرض القصبة لإعادة الاستغلال في الفترة الاستعمارية، وبعد الاستقلال تعرضت ملامح هذه الواجهة إلى الطمس على غرار أغلب المعالم بها، وقد تمكنا من إحصاء خمسة فتحات مدفعية تفصل بينها مسافة 3،50 م ومقاساتها مطابقة لفتحات المدفعية بالبرج رقم 06، ولاحظنا أن سمك سائر الأبراج أكبر من حائط الممشى بهذه الواجهة، وذلك لضرورة دفاعية كون هذه الأبراج مسلحة بالمدفعية، وهي بحاجة إلى المتانة اللازمة لامتصاص اهتزازات المدفعية عند القذف إضافة إلى صمودها أمام العدو باعتبارها من الأماكن الأكثر استهدافا بين التحصينات المعمارية إلى جانب الأبواب.

تغير السور مسارها من البرج الأخير باتجاه الشرق على امتداد طوله 50 م، حيث نجد برج رقم 08 مشابه لسابقه، ومنه تغير السور اتجاهها مرة أخرى نحو الشمال الغربي إلى أن تتصل بالبرج رقم 09 على بعد 16,70 م عن سابقه، وبه فتحتين للمدفعية عرضها من الداخل 1 م، ومن الخارج 1,50 م وعمق كل منهما 0,60 م.

أبراج الواجهة الجنوبية للقصبة غير أصلية، تم استحداثها ضمن التّجديدات التي لحقت بعمارتها في الحقبة الاستعمارية⁽¹⁾.

تنطلق السور مجددا محافظة على نفس الاتجاه إلى أن تتصل بالمدخل، زودت بممشى عرضه 1,20 م يحميه حائط سائر سمكه 0,80 م، وبه سبعة مزاغل موجهة نحو الباب مقاساتها 0,30 م من الداخل و0,10 م من الخارج، وكما كان بهذا الجزء سبعة فتحات للمدفعية عرضها من الداخل 0,80 م ومن الخارج 1,20 م، تفصل بينهما مسافة 4 م، تمّ غلقها باستثناء فتحة واحدة بالركن الشرقي للباب. **أنظر مخطط رقم: 46-47-48-49-50.**

رغم التّجديدات التي طرأت على القصبة بداية من الفترة الاستعمارية، إلّا أنّنا تمكنا من تحديد بعض مواد البناء الأصلية المستعملة في ذلك كالتابية والحجارة بنوعها المصقولة والدبش إضافة إلى مادة الآجر.

وظفت هذه المواد في تشكيل سور القصبة وعناصرها المعمارية بالاعتماد على تقنيات بناء متنوعة مثل تقنية الطابية التي تظهر في الجزء المحصور من السور بين البرج رقم 09 والمدخل، وتمت كسوتها بالحجارة من الخارج والآجر من الداخل، نفّذت هذه الكسوة بتقنية البناء المنتظم.

كما استعملت في عملية البناء تقنيات أخرى مثل تقنية البناء المنتظم في حائط الممشى بالواجهة الغربية، إضافة إلى تقنية البناء بالتناوب بين مداميك الآجر والدبش.

¹ – Georges Robert; **Op.cit.**, P. 182- 184.

الحصن الجنوبي (البلاّج):

موقعه وتاريخه:

كان موضع بنائه برأس الخليج الممتد بالقرب من رباط وجامع أبي مروان الشريف البوني على ارتفاع يزيد عن 50 م، عند مدخل الميناء من الناحية الشرقية، وكان يتصل بسور المدينة بسور على شكل ممر يبلغ طوله حوالي 07 م⁽¹⁾. أنظر الخريطة رقم: 07 والمخطط رقم: 45.

يعرف أيضا باسم برج البلاّج (اللقلق)^(*)، شيّده الجنويون سنة 1540 م، وذلك لحماية مصالحهم الاقتصادية بتأمين صائدي المرجان بهذه المنطقة⁽²⁾، واصل الأتراك بعد دخول المدينة استغلال البرج، كونه يشغل موقعا استراتيجيا هاما عند مدخل الميناء الذي يعدّ المكان الأنسب لرسو السفن⁽³⁾، وبالتالي توفير الحماية للميناء، والدفاع عن المدينة من الناحية البحرية، أما شكله المعماري، شبيه بالمشتمن، ينتهي بمتراس⁽⁴⁾، كان مسلحا بعدد من المدافع يتراوح عددها ما بين 12 و20 مدفعا⁽⁵⁾.

¹ - مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص. 61.

* - كان البرج يعرف عند البعض بالحصن الجنوبي، نسبة إلى الجنويين الذين شيدوه، وعند البعض الآخر ببرج البلاّج نسبة إلى المتراس الذي ينتهي به البرج وله شكل منقار اللقلق، ويرى آخرون منهم سبب التسمية في ارتفاعه أو لبناء هذا الطير عشه عليه. راجع: - علي خلاصي، المرجع السابق، ص. 166.

² - Peyssonnel et Desfontaines, Op.cit., P. 278-279.

³ - Lanfreducci et Bosio ; Op.cit., P. 251.

⁴ - علي خلاصي، المرجع نفسه، ص. 165.

⁵ - Vincent -yves - boutin; Op.cit., P 209.

تمّ هدم أجزاء كبيرة منه في النصف الثاني من القرن 19 م، وعوّض ببطارية لحماية الميناء⁽¹⁾، وفي النصف الثاني من القرن 20 م، اختفت باقي معالمه نتيجة الحركة العمرانية التي عرفتتها المدينة⁽²⁾.

حصن الخروبة:

موقعه وتاريخه:

ذكر بايسونال Peyssonnel أن مدينة عنابة تتكون من حصنين: الحصن الجنوبي وحصن آخر شيد في نفس تاريخ بناء الحصن السابق سنة 1540 م، ودورهما حماية المدينة من الناحية الشرقية⁽³⁾.

قد يكون هذا البرج نفسه برج الخروبة، حيث ذكر دولمار Delamare أن هناك حصنا جنوبا يبعد عن المدينة بـ 09 كلم بالجهة الشمالية الشرقية وبـ 02 كلم عن فنار رأس الحرس من الناحية الجنوبية⁽⁴⁾. أنظر الخريطة رقم: 07.

¹- Louis piesse ; **Op.cit.**, P. 447.

²- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص. 61.

³- Peyssonnel et Desfontaines, **Op.cit.**, P. 278.

⁴- DeLamare, ; **Op.cit.**, P. 181- 182.

أعاد الأتراك استغلال البرج على عهد عبدي باشا (1724-1732) سنة 1142هـ / 1729م بناءً على نص الكتابة المنقذة على لوحة رخامية مربعة الشكل (30×30سم)، التي جاء فيها:

تم بناؤنا البديع الباهي

عند إذن بانيه لوجه الله به

عبدي باشا بن محمد أمرا

فصار حصنا لنا كما ترى

تاريخ سنة (1142هـ / 1729 م)⁽¹⁾.

أغلب الظن أنه البرج الذي خصّه "د.شو" بالذكر خلال قيامه بجولته بالإيالة الجزائرية سنة 1732 م، حيث أشار إلى أنه من عمل الجزائريين لتحصين هذا المكان بعد أن كان الجنويون يستعملونه في نصب الكمائن للأهالي⁽²⁾، خاصة أن موضعه يحتل موقعا استراتيجيا عند مدخل خليج، ما يمنح سفن العدو بالرسو فيه، حيث تكون في مأمن من العواصف البحرية، وبعيدة عن مرمى مدفعية المدينة، في ظل انعدام تحصينات خارجية لها، باستثناء القصبية التي لا تشكل خطرا على المكان لقربها من المدينة، وما يؤكد ذلك اعتماد القوات على هذا الشاطئ للرسو لعدة أسابيع في حملتها على عنابة في مارس 1832 م⁽³⁾.

¹ - Adrien Berbrugger, « **Epigraphie numidique** », in : Revue Africaine, N 64, Année 1867, P. 394.

² - Dr.Shaw ; **Op.cit.**, P. 337.

³ - محمد بن إبراهيم جندلي، المرجع السابق، ص. 363.

استغل الفرنسيون البرج بعد احتلالهم المدينة وأدخلوا عليه عدّة إصلاحات حسب ما تظهره المادة البنائية المستعملة، مع الحفاظ على نفس الموضع والنمط القديم المعروف في العمارة العسكرية مثل: الخندق والمدخل المنزلق رأسا والسقاطات، تمّ ذلك في النصف الثاني من القرن 19م، حسب الكتابة التي تعلو المدخل وتحمل تاريخ 1861م.

اتخذ الحصن بعد الاستقلال إقامة لعدد من العائلات على غرار القصبية وبرج القصريين، واستقرت به إلى غاية 2013م، تاريخ استرجاعه من طرف الجهات الوصية الممثلة في الديوان الوطني لتسيير واستغلال الممتلكات الثقافية المحمية.

الوصف المعماري لحصن الخروبة:

شيّد الحصن على أرضية صخرية على شكل مستطيل بأركان دائرية الشكل يقدر ارتفاع جدرانها بـ 10 م وسمكها بـ 1،30 م، وهو مكون من طابقين، وزعت على واجهاته الأربعة مجموعة من مزاغل الرماية وفتحات المدفعية، يطوق سطحه حائط سائر تتخلله أربعة سقطات، وزعت بالتساوي على كل من الواجهتين الشمالية والجنوبية. **أنظر الصورة رقم: 24.**

نلج إلى الحصن بواسطة مدخل نصل إليه بعد عبور طريق محفورة في الصخر تؤدي مباشرة إلى الجسر، الذي يعلو الخندق عرضه 3،30 م يحيط بالحصن من جهاته الثلاث، أما الجهة البحرية (الغربية)، فاتخذ البحر خندقا لها لقرب الحصن منه، يؤدي الجسر مباشرة إلى المدخل الذي يتوجه عقد دائري مشكل بالحجارة، وارتفاعه 3م، تعلوه فتحة استعملت كسقاطة للدفاع عنه، وعلى جانبيه غرفتين للحراسة.

بعد عبور السقيفة التي تتقدم الباب طولها 20،2 م وعرضها 2م، نصل إلى الطابق الأول من الحصن حيث يوجد مدخل بالركن الشمالي الغربي لغرفة المراقبة على يمين المدخل الرئيسي تفتح على سلم نصل من خلاله إلى الطابق الأرضي المكون من قاعات ممتدة بشكل طولي، لم نتمكن من أخذ الرفع المعماري له، لأنه تم سد المنافذ الفاصلة بين وحداته المعمارية، وحاليا به ورشة لأحد الحرفيين، الذي أكد لنا وجود صهريج للمياه بهذا الطابق، ويمكن أن نصل إليه أيضا من الناحية البحرية، حيث يوجد مدخل آخر يمكن اعتباره مدخلا ثانويا للحصن.

أما الطابق الأول فيتشكل من ثلاث قاعات ممتدة بشكل طولي من الغرب إلى الشرق، يعلوها سقف نصف أسطواني الشكل طولها 12 م، وعرضها 3،80 م، وارتفاعها 3،60 م فتح بكل جانب منها ثلاث فتحات، ترتفع عن أرضيتها بـ1،10 م، منها فتحتين للمراقبة عرضها من الداخل 0،45 م، ومن الخارج 0،80 م، وعمقها 1،30 م، وتعلو الفتحتين، فتحة كبيرة الحجم ترتفع عن الأرضية بـ1،90 م استعملت للإضاءة.

نصل إلى سطح الحصن بواسطة سلم يؤدي إليه مدخل آخر من نفس غرفة المراقبة السابقة، ويمكن الوصول إليه أيضا عبر مدخل آخر بغرفة الحراسة الثانية للحصن.

يحمي السطح جدار ساتر ارتفاعه 2،60 م، وسمكه 0،80 م، فتحت به مجموعة من المزاغل ترتفع عن السطح بـ1 م عرضها من الداخل 0،15 م، ومن الخارج 0،40 م، إضافة إلى ثلاثة فتحات للمدفعية، اثنتين بالواجهة الغربية والثالثة تتوسط ساتر الواجهة الشمالية أعلى المدخل.

جهّز سطح البرج بثمانية سقّاطات لحماية جوانب الأسوار، وزعت بالتساوي على الواجهات الأربعة للبرج، وهي عبارة عن غرف مستطيلة الشكل، بارزة عن أسوار البرج إلى الخارج، طولها 1،20 م وعرضها 1 م، وارتفاعها بنفس ارتفاع الجدار الساتر، فتحت بأضلاعها الثلاثة، ثلاثة مزاغل ترتفع عن أرضيتها الصخرية بـ1 م، وهي من نفس مقاسات مزاغل الجدار الساتر.

برج القصرين:

موقعه وتاريخه:

يوجد برج القصرين بنهج الإخوة جعتوت، شيدّ بأعلى المنحدر الصخري المطل على الواجهة البحرية بالركن الشمالي الشرقي لمدينة عنابة، بالقرب من باب المقابر أسفل مستشفى ابن سينا. أنظر الخريطة رقم: 07. أنظر مخطط رقم: 45.

يعرف كذلك باسم برج المعذبين أو المدومين لأنه اتخذ كسجن للمحكوم عليهم بالإعدام خلال الحرب العالمية الثانية⁽¹⁾، ويطلق على البرج أيضا اسم ثكنة المقابر⁽²⁾، وذلك لقربه من أحد أبواب المدينة الأربعة المعروفة باسم باب المقابر والتي كانت تفتح على المقبرة الإسلامية.

ليس لدينا تاريخ محدد لبناء البرج إلا أنّ طبيعة عمارته، كونه من الأبراج الحائطية المجوفة البدن، هذا النمط الذي شاع استعماله من طرف الدول الثلاثة المستقلة عن دولة الموحدين ببلاد المغرب الإسلامي مثل: أبراج مدينة بجاية الحفصية وأبراج مدينة هنين الزيانية والمنصورة المرينية، بغض النظر عن مادة البناء التي اختلفت بين الحجارة

¹ -فهيمة رزقي، « الاستحكامات العسكرية بمدينة عنابة، حصن المعذبين، أنموذجاً »، دراسات تراثية، ج. 2، العدد: 04، مخبر البناء الحضاري، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2014، ص. 439.

² - مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص. 57.

والطابية تجعلنا نرجح أنه من التحصينات الأصلية للمدينة التي تسبق دخول الأتراك إليها دون أن ننفي استمرار استغلال البرج مع تحسين دفاعاته خاصة بظهور المدفعية واستعمالها الواسع الذي تزامن مع حكم الأتراك للجزائر مع بداية القرن 16 م.

جدّده الأتراك بعد دخولهم المدينة على يد آغا الأوقاف أبو الحسن، وأشرف على هذا العمل المهندس محمد بن عرعار وكان ذلك سنة 983هـ / 1575 م، حسب ما ورد في الكتابة التأسيسية التي كانت تعلو مدخل البرج وجاء فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صلّ وسلم على سيّدنا محمد وعلى آله وأصحابه، توجد هنا مدينة بونة للسلم وللسرور، وعلى بابها يسطع نورها الباهر، وعلى جبينها تطالعك حروفها بأنها مدينة أصيلة وحضارية نقول للقادمين إليها:

أدخلوها بسلام آمنين.

النصر لكم يا قراصنتنا الأبطال، أسياد البحر الأبيض المتوسط من يدخل من أبواب بونة كتب له النصر والسعادة، بني حصن القصرين في سنة 983 هـ من طرف آغا الأوقاف أبو الحسن نصر الله هذا الباب وهذا القصر من تصميم وتنفيذ المهندس محمد بن عرعار⁽¹⁾.

¹ - فهيمة رزقي، المرجع السابق، ص. 440.

تعرّض البرج في سنة 1083هـ / 1672م إلى إصلاحات جديدة حسب ما يظهر نص
كتابة تذكارية أخرى كانت تعلو باب البرج المقابلة للقسبة، نفذت عن طريق الحفر البارز
على لوحة رخامية مقاساتها (1,03×0,60م)⁽¹⁾، ونصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

اللّهم صلّ وسلم على سيّدنا محمد وعلى آله كما لا نهاية لكمالك وعدد كماله.

قد علا بونة هنا وسرور

وعلى بابها من الحسن نور كتب اليمين

في جبينها سطرًا بلد طيبة ورب غفور

بورك المصر على مرّ السنين بعد الدين

ونصر المؤمنين كتب السعد على أبوابها

أدخلوها بسلام آمنين جدد سنة 1083هـ

على يد ناظر الحبس والي آغه صنعة المعلم محمد بن عرعار.

¹ - فهيمة رزقي، المرجع السابق، ص. 442.

الوصف المعماري لبرج القصرين:

نظرا لكون البرج ملكية خاصة لإحدى العائلات العنابية التي لا تزال تستغل الطابق العلوي منه كإقامة لها، هذه الظاهرة الاجتماعية التي شملت العديد من المعالم الأثرية بالجزائر، رغم سعي الجهات الوصية ردّ الاعتبار لها مقابل إيجاد مخرج ملائم يحفظ كرامة وحق المواطن الجزائري في السكن، هذا ما شكّل عائقا أمامنا في عدم قدرتنا على إنجاز دراسة ميدانية وافية لهذا المعلم.

برج القصرين من الأبراج الحائطية له شكل مربع، ويتكون من طابقين، الطابق العلوي منه بارز عن أسوار المدينة، تعلوه شرافات هرمية الشكل لا تزال ثلاثة منها قائمة بالواجهة الشمالية. أنظر الصورة رقم: 22.

للبرج مدخلين، الأول بالواجهة الغربية والثاني بالواجهة البحرية له، كما زوّد الطابق العلوي منه من الناحية الشرقية بفتحات مدفعية، فتحت في نفس مستوى سور المدينة، لم يبق منها إلا أربعة فتحات، وهي من مخلفات الفترة العثمانية.

تنوعت مادة البناء بعمارة البرج بين الحجارة المصقولة والدبش والآجر، حيث استعملت الحجارة المصقولة خاصة في الأركان لغرض تدعيم وتقوية البناء عن طريق استعمال طريقة القمط.

أما مادة الدبش فوظف في أماكن مختلفة من هيكل البناية، إما وحدها باستعمال تقنية البناء بالدبش أو بالمزج مع مادة الآجر تحت ما يعرف بتقنية البناء بالتناوب.

دار الصناعة بمدينة عنابة:

موقعها وتاريخها:

إن الدارس لمخططات عنابة في الفترة العثمانية، يلاحظ أن موقع الميناء يحتل الجهة الجنوبية من المدينة على يسار الرأس البحري الذي شيدّ عليه برج البلاج من الناحية الشرقية، وبهذا المرسى كان موضع دار الصناعة الذي نصل إليها من المدينة عبر باب المرسى أو باب البحر المخصّص عادة لدخول مستعملي الميناء من التجار والبحارة وموظفي دار الصناعة. أنظر الخريطة رقم: 07. و المخطط رقم: 45.

يعود تاريخ إنشاء دار السفن بمدينة عنابة إلى الفترة الفاطمية، حيث استغلت في صناعة السفن وإصلاحها، وقاعدة لرسو الأساطيل الحربية والتجارية، واعتمد عليها الموحدون من بعدهم في تجهيز أسطولهم ضدّ النصارى ببلاد الأندلس، على غرار دور صناعة أخرى بالمغرب الأوسط مثل: دار الصناعة بمدينة هنين ومدينة وهران، حيث وصلت نسبة استيعابها رفقة مرسى الخزر إلى 200 سفينة⁽¹⁾، وقد ساعد على إنشاء دار الصناعة وتواصل نشاطها، وفرة المادة الأولية بالمنطقة من الخشب والمعادن⁽²⁾، ويظهر ذلك في قول ابن حوقل: «... وبها معادن حديد كثيرة، ويحمل منه إلى الأقطار الغزيرة الكثير...»⁽³⁾، وإلى ذلك أشار الإدريسي من بعده في قوله: «... وكان فيها (بونة) كثير من الخشب موجود جيّد الصفة... وبها معادن حديد جيّد...»⁽⁴⁾.

¹ - علي عشي، المرجع السابق، ص. 517.

² - Moulay Belhamissi ; Op.cit., P. 65.

³ - أبو القاسم ابن حوقل النصيبي، المصدر السابق، ص. 77.

⁴ - الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ص. 117.

واصل الأتراك بعد ضمّهم المدينة إلى الإيالة الجزائرية الاعتماد على دار الصناعة، وقد ذكر "Lanfreducci" ذلك صراحة في وصفه للمدينة سنة 1587م بقوله: «> للمدينة باب تفتح على الشاطئ حيث توجد دار الصناعة، ويمكن أن نسميها باب البحر»⁽¹⁾.

إلا أنّنا نجهل مصير هذه الدار أواخر الحكم التركي للجزائر خاصة مع تراجع هذا النشاط الصناعي بالمدن الجزائرية لسبب أو آخر، وقد وصل إلينا نص من القرن 18 م، لصاحبه الدكتور شو يصف فيه ميناء عنابة دون أن يخص دار الصناعة بالذكر في قوله: «> كان أسفل الأسوار جنوب المدينة ميناء صغير، أصبح خلال القرن 18 م معطلا ومطمورا، وقد تمّ إهمال الخليج رغم ذلك كان له دور في تصدير بعض المنتجات مثل: الحبوب، الصوف، الجلد والشمع...»⁽²⁾.

¹– Lanfreducci Et Bosio ; **Op.cit.**, P. 521.

²– Dr. Shaw ; **Op.cit.**, P. 338.

تحصينات مدينة القالة:

أسوار مدينة القالة:

شيّدت القالة على شبه جزيرة، حيث تشغل مساحة إجمالية تقدّر بثلاثة هكتارات⁽¹⁾، وهي محصنة من جهاتها الثلاثة بالبحر⁽²⁾، وتحميها من الناحية البرية سور ممتدة من الشرق إلى الغرب، ارتفاعها 2 م وسمكها 0,50 م، فتحت بها باب تعرف بباب البر⁽³⁾.

تحصينات مدينة تبسة:

أسوار مدينة تبسة:

موقعها وتاريخها:

شيّدت مدينة تبسة في موقع استراتيجي يتحكم في عدد من طرق المواصلات المؤدية إلى الساحل والداخل⁽⁴⁾، وقد أهلها هذا الموقع لتكون مدينة عسكرية بامتياز منذ العهد الروماني، حيث كانت جزءا من الخط الدفاعي الليمس⁽⁵⁾، وقاعدة عسكرية لأعمالهم التوسعية⁽⁶⁾.

أعاد البيزنطيون بناء تبسة في نفس موضع المدينة الرومانية التي هدمها الوندال وشيّدوا أسوارها من جديد من طرف القائد "صولومون" Solomon سنة 539م⁽⁷⁾.

¹ - Berard Victor ; **Op.cit.**, P. 443.

² - Vincent Yves - Boutin; **Op.cit.**, P. 125.

³ - Berard Victor ; **Idem.**, P. 387-388.

⁴ - Charles Féraud ; « **Notes sur Tébessa** », in : Revue africaine, 1874, 443-444. **Voir:** -L.De Bosredon ; « **Promenade Archéologique Dans les Environs de Tébessa** », in : R.de Constantine, 1878, P. 1- 3.

- M.C. Maitrot ; « **Theveste étude militaire d'une cité romano- byzantine 70 à 705** », in : R.de Constantine, 1878, P. 53- 60.

⁵ - علي خلاصي، المرجع السابق، ص. 183.

⁶ - Charles Féraud ; **Notes sur ...**, P. 441.

⁷ - M.C.Maitrot ; **Idem.**, P. 136-139.

بعد فتح المسلمين لها، واصلوا استغلال سورها البيزنطية على غرار سور ميلة، وقد تعرّض بعضها للخراب على يد أبي يزيد مخلد بن كيداد في حروبه مع الفاطميين خلال القرن 4هـ/10م⁽¹⁾.

استقر المسلمون بمدينة تبسة وحافظوا على نمط تحصينها القديم إلى نهاية الحكم التركي لها بعد احتلال الفرنسيين لمدينة قسنطينة عاصمة بايليك الشرق سنة 1837 م، وقد كان دخول الأتراك إليها تأكيدا لتبعية المنطقة للإيالة الجزائرية منذ الربع الثالث من القرن 16 م⁽²⁾.

الوصف المعماري لسور مدينة تبسة:

اتخذت مدينة تبسة شكلا مستطيلا، تحيط بها سور بزنطية منتظمة المسار، شيدت باستعمال الحجارة الرملية المصقولة، جلبت من بقايا المدينة الرومانية⁽³⁾، يقدر طولها بحوالي 1200م، ويتراوح ارتفاعها ما بين 9 إلى 10م، أما سمكها فمقاسه 2م، تدعمها أربعة عشر برجا مربعة الشكل، أربعة منها تحتل أركان المدينة والأبراج المتبقية موزعة بانتظام على واجهاته بمعدل ثلاثة أبراج بكل من الواجهة الغربية والجنوبية، واثنان فقط بالواجهة الشمالية.

شيدت الأبراج بشكل بارز عن السور بحوالي 6،50 م، أما ارتفاعها فيصل إلى 16م، وهي تتكون من ثلاثة طوابق يتسع كل منها لإيواء عشرة جنود، ويصل بين أبراج

¹ - أبو عبيد الله البكري، المصدر السابق، ص. 145.

² - Charles Féraud ; **Notes sur ...**, P. 441.

³ - **Idem.**, P. 437.

السور ممشى يحميه جدار ساتر، نصل إليه عبر ثلاثة سلاالم موزعة على أبواب المدينة.⁽¹⁾

للمدينة ثلاثة أبواب رئيسية: باب صولومون P. Solomon وباب كاركلا وباب عين الشلة، فتحت بكل من الضلع الشمالية والجنوبية والشرقية للسور⁽²⁾. أنظر مخطط رقم: 51.

أبواب مدينة تبسة:

باب صولومون:

فتحت بالركن الجنوبي الشرقي للمدينة، وهي أقدم الأبواب، لذلك تعرف عند البعض بالباب القديمة⁽³⁾، نسبة إلى القائد البيزنطي "صولومون" الذي له الفضل في إعادة بناء المدينة.

الباب عبارة عن ممر معقود عرضه 2،80 م وارتفاعه 3،40 م وعمقه 0،65 م، على جانبيها مدخلين عرضهما 1 م نلج من خلالهما إلى الطابق الأرضي لبرجي المراقبة على جانبيها⁽⁴⁾.

¹- M.C. Maitrot ; **Op.cit.**, P. 136-139.

²- Rachid Bouruiba ; **Op.cit.**,P. 09.

³- Charles Féraud ; **Op.cit.**. P. 441.

⁴- M.C. Maitrot ; **Idem.**, P. 139.

باب كاركلا:

توجد بالركن الشمالي الشرقي للمدينة على يمين القصبة، بالقرب من ضريح سيدي بوسعيد، سميت نسبة إلى الإمبراطور الروماني "أوريليوس أنطونيوس" ابن الملك سبتيم سيفار المدعو كاركلا الذي حكم ما بين (211-217 م)⁽¹⁾.

باب عين الشلّة (الشتة):

تعرف أيضا بباب المسرح، وسميت بباب عين الشلّة نسبة إلى عين من العيون الثلاثة التي كانت تسقي المدينة⁽²⁾، وموقعها يتوسط الواجهة الجنوبية بجانب الثكنة الفرنسية التي تشغل الركن الجنوبي الغربي من المدينة⁽³⁾، يتوجها عقد يقدر عرضها بـ3،30 م وارتفاعها 2،20 م⁽⁴⁾.

حصون وأبراج مدينة تبسة:

القصبة:

شيّدت القصبة التركية بداخل المدينة البيزنطية بالركن الشمالي الغربي لها⁽⁵⁾، بعد دخول الأتراك إلى المدينة سنة 1560 م⁽⁶⁾، وقد ورد في دفتر التشرifications أنه كانت بها سنة 1813 م حامية مشكلة من صفتين⁽⁷⁾، وبعد الاحتلال الفرنسي للمدينة حوّلو

¹ - علي خلاصي، المرجع السابق، ص. 183.

² - M.C. Maitrot ; **Op.cit.**, P. 102-107.

³ - Rachid Bourouiba ; **Op.cit.**, P. 09.

⁴ - M.C. Maitrot ; **Idem.**, P. 139.

⁵ - Rachid Bourouiba ; **Idem.**, P. 09.

⁶ - Charles Féraud ; **Notes sur...** , P. 441

⁷ - Albert Devoulx ; **Op.cit.** P. 47.

القصبة إلى كنيسة⁽¹⁾، وشيّدوا حصنا لهم في الجهة المقابلة بالركن الجنوبي الغربي متخذين باجزاء من سور المدينة الأم سورا له⁽²⁾. أنظر مخطط رقم: 51.

تحصينات مدينة ميلّة:

أسوار مدينة ميلّة:

تعدّ مدينة ميلّة القديمة من المدن الجزائرية القليلة التي حافظت على حدودها الأصلية داخل أسوارها المحيطة بها، على الرغم من التغيّر الحاصل في نسيجها العمراني مع مرور الزمن، هذا ما جعل من المدينة مزيجا عمرانيا، يمثّل حقبا زمنية مختلفة بداية من الفترة القديمة والإسلامية الوسيطة والحديثة إلى نهاية الحقبة العثمانية، وحتى المعاصرة التي تمثّل الفترة الاستعمارية، وما بعدها إلى يومنا هذا.

شيّدت أسوار المدينة في العهد البيزنطي من طرف الإمبراطور "جوستيان" في القرن السادس للميلاد (540 م)⁽³⁾، وبعد فتح المسلمين لها واصلوا استغلال أسوارها في التحصن خلفها، ففي القرن 4 هـ / 10 م، قاد الأمير الزيري المنصور حملة على ميلّة، ولما دخلها أمر بهدم أسوارها، وبقيت خرابا إلى أن عمّرت بعد ذلك خلال القرن 5 هـ / 11 م وذكر البكري أنّها كانت مسوّرة بسور من حجر على عهده في قوله: >> وعليها (ميلّة) سور صخر اليوم وحولها ربض وبها جامع وأسواق وحمامات والمياه تترد حولها يسكنها العرب والجند والمولدون <<⁽⁴⁾.

¹- M.C. Maitrot ; **Op.cit.**, P. 48.

²- Rachid Bourouiba ; **Op.cit.**, P. 09.

³- Stéphane Gsell ; << Notes sur quelques forteresses antiques >>, in :R. Constantine, 1898, P. 295.

⁴- أبو عبيد الله البكري، المصدر السابق، ص. 64.

استمر استغلال أسوار المدينة من طرف الدول المتعاقبة على حكمها إلى نهاية الحكم التركي بإدخال إصلاحات عليها مع الحفاظ على نفس مسارها الأصلي، وأهم ملاحظتها المعمارية مثل: الأبواب والأبراج، وهذا ما وقفنا عليه خلال المعاينة الميدانية، إضافة إلى تعرّض المصادر التي عاصرت هذه الفترة للمدينة بالوصف دون ذكر جديد عن تحصيناتها مثل: "مارمول كرخال" الذي ذكرها في قوله: >> مدينة عتيقة... تحيط بها أسوار عالية مبنية على النمط القديم... ومدينة ميلة اليوم بيد الأتراك الذين أصبحوا سادة البلاد >>(1).

الوصف المعماري لسور مدينة ميلة:

شيّدت مدينة ميلة على أرضية معتدلة الانحدار، تحيط بها سور غير منتظمة، مشكلة طوقا طوله 1200 م، شيّد هيكلها والعناصر الملحقة بها بالحجارة المجلوبة من محجرة جبل مارشو جنوب المدينة(2)، سمكها في الأسفل 2,50 م، وفي الأعلى 2,10 م، حيث يوجد الممشى الذي يقدر عرضه بـ 1 م وارتفاعه يختلف من مكان لآخر، ومعظم أجزائها العلوية تعرضت للهدم.

تتخلل السور أربعة عشر برجاً باحتساب البرجين الجانبيين لباب البلد بالجهة الشمالية للمدينة، وهي مستطيلة الشكل بارزة عن بدن السور إلى الخارج، يتراوح طول واجهتها من 7 إلى 9 م(3)، وزعت على السور بمسافات منتظمة، بحيث نجدها على جوانب الأبواب، وفي الأركان أين يحدث انكسار في مسار السور، إضافة إلى الأجزاء الشديدة الامتداد، وذلك لغرض التدعيم المعماري والتغطية الدفاعية لجوانبها والزوايا الخفية منها.

¹ - مارمول كرخال، المصدر السابق، ص 14.

² - Delamare ; **Op.cit.**, P. 107- 110.

³ - Rachid Bouruiba ; **Op.cit.**, P. 36.

كما فتحت بالسور أبواب ثلاثة موزعة على أماكن مختلفة ، حظيت إثنين منها بالذكر في كتاب المسالك والممالك للبكري في قوله: «> ولمدينة ميلة باب شرقي يعرف بباب الروس وعلى مقربة منه جامعها وهو ملاصق لدار الإمارة، وباب جوفي يعرف بباب السفلي...»⁽¹⁾. أما الباب الثالثة فموضعها بالجنوب الشرقي⁽²⁾. انظر المخطط رقم 52.

لا تزال سور ميلة قائمة محافظة على شكلها وأهم العناصر الدفاعية الملحقة بها، ما ساعدنا على تتبع مسارها، رغم العراقيل التي اعترضت سبيلنا منها: اتصال السكنات بها من الناحية الداخلية في معظم أجزائها، وذلك نتيجة التوسع العمراني الحاصل داخل أسوار المدينة، على حساب الفضاءات الشاغرة على الأطراف، والتي كانت في الأصل عبارة عن مناطق فاصلة بين السور والأحياء السكنية، تسمح بتنقل الجيش وسرعة الإمداد عند الحاجة، إلا أن زيادة السكان وتوسع السكنات باتجاه السور جعلها تتصل بها كجدار خلفي لها، وإن كانت هذه الظاهرة مخالفة للمعايير الدفاعية ومرفوضة في تخطيط عمران المدن الإسلامية، لما قد يشكل ذلك من خطر على أمنها وأمن رعيته، إلا أنه لم يمنع من انتشار هذه الظاهرة بعدد من المدن الإسلامية الجزائرية مثل: مدينة هنين، حيث كشفت الحفريات التي أقيمت بالناحية الشرقية منها بالقرب من الوادي، على توسع النسيج العمراني للمدينة إلى أن أشرف على الاتصال بأسوارها.

¹ - أبو عبيد الله البكري، المصدر السابق، ص. 64.

² - Stéphane Gsell ; Notes sur..., P. 296.

يبدأ مسار السور من باب الروس، متجها جنوبا على مسافة 100 م، مشكلا الواجهة الغربية للقصبة وزعت عليها مجموعة من المزاغل لتغيّر السور اتجاهها من نهاية الواجهة السابقة، حيث يوجد برج الركن الجنوبي الغربي للقصبة، نحو الشرق على مسافة 65 م، أين يتصل بالبرج الثاني للقصبة في الركن الجنوبي الشرقي لها، ومن هذا الأخير تتجه السور شمالا بامتداد 50 م خلف مسجد "سيدي غانم"، ومن هذه النقطة تغيّر السور مسلكها نحو الشرق بطول يفوق 170 م، وهذا الجزء من السور تقريبا كلّه منهار، يتخلله برجين الأول في منتصفه والثاني عند نهايته، ومن هذا البرج تواصل السور مسارها بشيء من الانعطاف نحو الشمال إلى أن تتصل بالبرج الخامس، وهو يمثل نهاية السور الجنوبية للمدينة، ومكان تحوّل مسار السور باتجاه الشمال. نجد خلف هذا البرج مباشرة باب الحديد، ومنها تمتد السور شمالا إلا أنه تعدّر علينا أخذ الرفع المعماري لها لوجود عوائق نباتية حالت دون ذلك، وتتخللها ثلاثة أبراج وزعت على مسافات منتظمة، آخرها البرج رقم 08 الذي يحتل الركن الشمالي الشرقي من سور المدينة ويشرف على أفرانها بالجهة الشمالية.

يعتبر البرج السابق الذكر بداية للسور الشمالية الممتدة نحو الغرب بشكل موازي للطريق المؤدية إلى حي "سيدي الصغير" على بعد 60 م من البرج رقم 08 نجد باب البلد على جانبيها برجين بارزين إلى الخارج على نمط الأبراج الحائطية.

انطلاقا من باب البلد، تواصل السور مسارها في نفس الاتجاه إلى أن تتصل بالبرج رقم 11 الذي تهدم في نهاية السور الشمالية خلف زنقة الحمام، حيث تغيّر السور مسارها من هذه النقطة باتجاه الجنوب إلى أن تنعطف غربا عند الموضع الذي يقع خلف فندق "فرجون" على يمين شارع الحدادين، وتمتد إلى أن تتصل بباب الروس عند نهاية السور الغربية التي تدعمها ثلاثة أبراج حائطية. انظر الصورة رقم: 25.

أبواب مدينة ميله:

باب البلد:

تعرف عند الأهالي أيضا بباب الرحبة وهي التي ذكرها البكري باسم الباب السفلي، تقع بالصور الشمالية للمدينة على بعد 15 م غرب العين الرومانية، يقدر عرضها 3،5 م وعمقها 2،70 م وارتفاعها 2،70 م، يعلوها عقد نصف دائري يزين مفتاحه قرص الشمس على جانبيه برجين مستطيلا الشكل بارزان إلى الخارج بـ 5،60 م وطول واجهتهما 7،50 م⁽¹⁾، وهما أحسن حالا من الأبراج الأخرى من ناحية الحفظ، حيث لا تزال آثار إعادة الاستغلال ظاهرة على عمارتهما مثل: السقف المسنم المشكل بالقرميد النصف الأسطواني، ومادة الآجر المستعملة في ترميم بعض أجزائهما.

تفتح هذه الباب على الجهة الشمالية، حيث أفران القرميد خارج أسوار المدينة، وتتصل بالداخل بعدد من الشوارع، مثل: شارع زنقة الحمام على يمين الباب، وشارع زنقة الدباغين على يسارها وشارع الحدادين (شارع الزوادة) الذي يعدّ أقصر طريق يربط بين باب البلد وباب الروس (باب الجامع). أنظر الصورة رقم: 26.

¹ - Stéphane Gsell; **Op.cit.**, P. 296.

باب الروس:

تسمّى أيضا بباب الجامع، توجد بالجهة الغربية من المدينة عند موضع التقاء السور الغربية والسور الجنوبية بالقرب من القصبة، حيث تبعد عن مسجد سيدي غانم بالقصبة بـ 20 م، وهي نفسها الباب التي قال البكري عنها أنها بمقربة من جامع المدينة الملاصق لدار الإمارة⁽¹⁾، لم يبق لها أثر اليوم كونها هدمت في الفترة الاستعمارية من طرف الجيش الفرنسي لتسهيل دخول الآلات العسكرية إلى القصبة⁽²⁾. أنظر الصورة رقم: 27.

باب الحديد:

بعد مطالعتنا لبعض الدراسات حول تحصينات مدينة ميله⁽³⁾، اتضح لنا أنه تم الخلط بين باب الحديد وباب الروس، هذه الأخيرة التي حدّدت المصادر الجغرافية موقعها بالقرب من المسجد الجامع (سيدي غانم) وقصر الحاكم (القصبة)⁽⁴⁾. أنظر الصورة رقم: 28.

تمّ الكشف عن الباب بالجهة الجنوبية الشرقية للمدينة، وهي عبارة عن فتحة مسدودة عرضها 3،80 م وعمقها 3،20 م، ويزيد علوها عن 2 م، وهي تشغل موضعا مقابلا لضريح ثلث أسود (السادة الثلاثة)، وتفتح على الشارع الذي يحمل اسم الضريح، ويربطها بمركز المدينة حيث الزاوية الرحمانية والمدرسة الابتدائية "عليوات محمد".

¹ - أبو عبيد الله البكري، المصدر السابق، ص. 64، راجع:

-DR. Reboud et A.Goyt ; « Excursions archéologiques dans les environs de Milah et de Constantine », in : R. de Constantine 1879/1880, P35.

² - Stéphane Gsell; **Op.cit.**, P. 296.

³ - **Idem.**, P 296, **Voir** : - Delamare ; **Op.cit.**, P. 112.

⁴ - DR.Reboud et A.Goyt ; **Idem.**, P. 351.

حصون مدينة ميله:

قصة مدينة ميله:

موقعها وتاريخها:

توجد بالجنوب الغربي للمدينة بالقرب من باب الروس (باب الجامع)، ويؤكد البكري ذلك بقوله: «ولمدينة ميله باب شرقي يعرف بباب الروس، وعلى مقربة منه جامعها وهو ملاصق لدار الإمارة...»⁽¹⁾. أنظر مخطط رقم: 52.

إن أقدم تاريخ ذكرت فيه دار الإمارة يعود إلى القرن 5 هـ/10 م على عهد البكري، واستمر اعتماد نفس الموضع فيما بعد كمقر حكم بالمدينة، حيث أصبحت تعرف بالقصبة، هذه التسمية التي استمرت إلى نهاية الحكم التركي لها، حيث كانت مقر إقامة قائد المدينة وحاميتها⁽²⁾، ومن بعدها حوّلت إلى ثكنة للرماة من طرف قوات الاحتلال الفرنسي بعد الاستيلاء على المدينة سنة 1837 م⁽³⁾.

اتخذ المسلمون أحد أركان المدينة عند أعلى نقطة بها، لتكون مقر حكم لهم، رغم أنها قليلة الانحدار إذا ما قارناها ببعض مدن المغرب الأوسط مثل مدينة جزائر بني مزغنة وبجاية وقسنطينة، وهذا الإجراء راجع لعدة اعتبارات على رأسها العامل الأمني فموضعها هذا جعلها في أطراف المدينة، وفي أعلى نقطة مقارنة بالأجزاء الأخرى منها ما أكسبها أولوية الإشراف، وجعلها أكثر مناعة وهذه من صفات القلاع.

¹ - أبو عبيد الله البكري، المصدر السابق، ص. 64.

² - DR. Reboud et A.Goyt ; **Op.cit.**, P. 35.

³ - Stéphane Gsell; **Op.cit.**, P. 296.

- شكل مسار السور الذي يساعد على تحصينها بأقل جهد، حيث يتخذ شكل قوس بدايته عند "باب الروس" ونهايته خلف مسجد سيدي غانم، يكفي وصل الطرفين عند الجهة الشمالية لتكتمل تحصيناتها وعزلها عن المدينة الأم حيث الرعية.
 - قربها من إحدى الأبواب الرئيسية للمدينة (باب الروس)، ما يسمح بتحريك الجيش والحاكم بسهولة بعيدا عن أعين الناس، والمخاطر التي قد تلحق به إذا ما سلك شوارعها.
 - كما أنّ قرب موضعها من المسجد الجامع من المحاسن التي شجعت على إقامتها بهذا المكان، وإن كانت هذه الظاهرة المعمارية من خصائصها المدن الإسلامية الأولى مثل: البصرة والكوفة والقيروان، هذا ما يجعلنا نرجح إمكانية استعمال هذا الموضع من المدينة كدار إمارة بالنيابة منذ الفترة الأولى للفتح على عهد أبي المهاجر دينار⁽¹⁾.
- أما عمارة القسبة فقد تعرّضت للطمس في الفترة الاستعمارية، ولم تسلم منها سوى تحصيناتها الخارجية المتمثلة في إعادة استغلال السور الخارجية الأصلية للمدينة، والتي أدخل عليها الاحتلال الفرنسي بعد سنة 1837 م عدّة إصلاحات، تظهر معالمها جلية في الواجهة الغربية والجنوبية لها.

تحصينات مدينة بسكرة:

أسوار مدينة بسكرة:

شيّدت مدينة بسكرة على الضفة اليمنى لواد القنطرة⁽²⁾، وهي من أهم المدن الصحراوية التابعة للإيالة الجزائرية، وذلك لكثرة خيراتها والموقع الهام الذي تحتله كمنطقة

¹ - عبد الحق معزوز، «مدينة ميلة الإسلامية بين النصوص التاريخية والآثار المادية»، دراسات تراثية، العدد:

02، مخبر البناء الحضاري، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2008، ص 200.

² - Quétin (E.); **Op.cit.**, P. 312.

عبور بين التل والصحراء⁽¹⁾، وقد خضعت للسلطة التركية على عهد "حسن بن خير الدين باشا"⁽²⁾.

تتشكل مدينة بسكرة من خمسة أحياء والقصبة⁽³⁾ تحميها سور من طوب⁽⁴⁾، فتحت بها خمسة أبواب: باب الدرب، باب الفخّة، باب الفتح، باب الخويخة، وباب المسيد (المسجد)⁽⁵⁾.

يدعم هذه السور نظام دفاعي متقدم، عبارة عن خندق، حيث جاء في دفتر التشرifications (1823 م) أنّه كان بالمدينة خندق يتقدم باب الدربة وباب الخويخة⁽⁶⁾، وقد اعتمدت هذه التحصينات في حماية المدينة منذ فترة متقدمة من الحكم الإسلامي لها، وتحديدًا منذ عهد الدولة الأغلبية⁽⁷⁾.

لا نستبعد أن يكون الخندق من النوع المغمور بالماء على غرار خندق المدينة الإسلامية في الفترة الوسيطة⁽⁸⁾، وذلك لقربها من مصدر المياه المتمثل في وادي القنطرة، ونستشف ذلك من وصف البكري للمدينة في الفترة الحمادية بقوله: >>... وهي مدينة مسورة عليها خندق وبها جامع ومساجد كثيرة...، وحول بسكرة أرباض خارجة عن الخندق المذكور...، ولها من الأبواب باب المقبرة وباب الحمام وباب ثالث، وداخل المدينة جنان يدخل إليها الماء من النهر...>>⁽⁹⁾.

¹ - أبو القاسم الزياني، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برّا وبحرا، تحقيق وتعليق: عبد الكريم الفيلاي، دار المعرفة، الرباط، المغرب، 1991، ص. 149.

² - مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج. 02، ص. 168.

³ - Rozet et Carette, **Op.cit.**, P. 145.

⁴ - Dr. Shaw ; **Op. cit.**, p. 389.

⁵ - Albert Devaulx; **Tachrifat...**, P. 107.

⁶ - **Idem.**, P. 111-114.

⁷ - صالح بن قربة وآخرون، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص. 243.

⁸ - Djelloul Neji; **Op.cit.**, P. 219.

⁹ - أبو عبد الله البكري، المصدر السابق، ص. 52.

حصون وأبراج مدينة بسكرة:

القصبة:

موقعها وتاريخها:

تحتل القصبة موقعا مرتفعا من المدينة، واستمر استغلالها كمقر للحكم من طرف الأتراك والفرنسيين من بعدهم⁽¹⁾، وكانت تضم مجموعة من المرافق المعمارية نذكر منها المسجد ومدرسة الآغا والسجن، ومخزن البارود⁽²⁾، كما أنها كانت مسلحة بالمدفعية، حيث ذكر "روزي" "Rozet" أنه عند احتلالها من قبل القوات الفرنسية سنة 1844 م عثروا بها على قطعة مدفعية مؤرخة بسنة 1549 م⁽³⁾.

برج بسكرة:

موقعه وتاريخه:

احتل البرج موقعا هاما ببنائه عند منبع الواد (واد القنطرة)، الذي تتزود به المدينة بالماء⁽⁴⁾.

أما عن تاريخ البرج، فليس لدينا تاريخ محدد عن إنشائه، فقد اكتفى الرحالة الإنجليزي "الدكتور شاو" "Dr.Shaw" بالإشارة إلى أنه من عمل أحد بايات قسنطينة، وأنه مسلح بستة مدافع صغيرة⁽⁵⁾.

¹- Rozet et Carette, **Op.cit.**, P. 145.

²- Albert Devaulx; **Tachrifat...**, P. 145.

³- Rozet et Carette, **Idem.**, P. 145.

⁴- أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية 1661-1663، تحقيق وتقديم: سعد الفاضلي وسليمان القرشي، مج. 02، ط. 01، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، 2006، ص. 540.

⁵- Dr. Shaw ; **Op, cit.**, p 394. **Voir:** - Vincent Yves - Boutin ; **Op.Cit**, P 195. - Alfred Nettement; **Op.cit.**, P 591.

تحصينات الطريق السلطانية بايليك الشرق:

برج بني منصور:

موقعه وتاريخه:

شيّد بالضفة اليمنى لوادي السّاحل على ارتفاع 407م عن سطح البحر⁽¹⁾، ورغم أنه لم يصادفنا شيء عن عمارته خلال إعداد بحثنا، إلّا أنّه من المباني الحربية التي واصلت أداء وظيفتها الدفاعية خلال الحقبة الاستعمارية، حيث كانت تقيم به القوات الفرنسية التي لم تسلم من مقاومة سكان منطقة القبائل الذين حاصروها سنة 1871م لمدة شهرين، ليفك عنها الحصار بعد أن وصلهم الدعم⁽²⁾.

برج زمورة:

موقعه وتاريخه:

كان موضعه بين جبل زمورة ووادي شرتيوة⁽³⁾، هو الآخر شيّده حسن بن خير الدين باشا خلال فترة حكمه الثانية (1557-1567) سنة 1559م، بعد أن فرغ من بناء برج مجانة⁽⁴⁾، حيث كانت تقيم به حامية من 100 رجل للمساهمة في التصدي لثورات بني عباس وتأمين طرق المواصلات مع بجاية⁽⁵⁾ وليكون محطة استراحة المحلات الموجهة إلى بايليك الشرق لجمع الضرائب⁽⁶⁾.

¹- Robert Georges ; **Op.cit.**, P. 106.

²- Louis Piesse; **Itinéraire ...**,P. 146-147.

³- Robert Georges ; **Idem.** , P. 106.

⁴- Charles Feraud ; **Histoire de villes...**, P. 192.

⁵- Adrien Berbrugger, **Les époques militaires...**, P. 130

⁶- علي خلاصي، القلاع والحصون...، ص. 182.

برج بوعريريج:

موقعه وتاريخه:

شيّد على صخرة مرتفعة ووعدة على أنقاض آثار رومانية ⁽¹⁾، وقد أكسبه موقعه الأولوية الدفاعية، وذلك لارتفاعه ومنح المدافعين القدرة على استهداف العدو من كلّ الجهات بشكل دائري، وهذا أمر مستحب ويوصى به في اختيار مواضع إنشاء العمارات الدفاعية.

يعدّ البرج من أعمال حسن بن خير الدين باشا سنة 1559م، ومهمته مراقبة الطريق السلطانية الرابطة بين بايليك الشرق ومقر دار السلطان، والمساهمة في تحصيل الضرائب ⁽²⁾. تعرضت عمارته خلال الحكم التركي للحرق مرتين من طرف "المقراني" أمير بني عباس، ما جعل الأتراك يستغنون عنه ⁽³⁾، وبعد سنة 1841م، اتخذت منه القوات الفرنسية مقرّاً لها، حيث تركت به حامية من 300 رجلاً لإعادة بناء أسواره، وفي سنتي 1842-1843م عرفت عمارته عدّة أعمال توسعة بإنشاء بنايات جديدة نذكر منها المستشفى والمخازن وإقامات للضباط ⁽⁴⁾. أنظر الخريطة رقم: 08.

¹– Charles Feraud ; **Histoire de villes...**, P. 179.

²– علي خلاصي، المرجع السابق، ص. 182.

³– Charles Feraud ; **Idem.**, P. 179.

⁴– Louis Piesse; **Op.cit.**, P. 148.

الوصف المعماري لبرج بوعريرج:

تحيط بالبرج العثماني سور غير منتظمة، يقدر علوها في أقصى ارتفاع لها بالواجهة الشمالية بحوالي 06م، ويتراوح سمكها ما بين 0,60 م و1,15 م.

تدعم أسواره أربعة أبراج حائطية، ثلاثة منها مضلعة الشكل، يوجد أولها على يسار مدخله، له شكل مستطيل بمساحة تقدر 24 م²، ويتكون من طابقين، السفلي له بابين بكل من الضلع الغربي والجنوبي، والطابق العلوي له نصل إليه بمدخل مستقل يرتفع عن الأرض بـ1,70 م، عرضه 1 م وارتفاعه 2,50 م. **انظر المخطط رقم: 53.**

يحتل البرجين الآخرين الواجهة الشمالية للبرج، أحدهما على يمين مدخل البرج، والبرج الثاني بالركن الشمالي الغربي شكله متعدد الأضلاع، يتراوح طولها ما بين 4,80 م إلى 5,20 م، يتكون هذا البرج من طابقين، ندخل إلى الطابق السفلي له عبر مدخل في واجهته الجنوبية، وهو في وضعية منخفضة عن أرضية الحصن العثماني بحوالي 1,60 م، ونظرا لقلّة ارتفاعه وانعدام فتحات التهوية به، نرجّح أنّه استغل كمخزن. **انظر الصورة رقم: 29.**

نصل إلى الطابق العلوي له بواسطة مدخل آخر يرتفع عن الأرض بـ1,10 م، وهو عبارة عن مساحة مكشوفة مطوقة بعدد من الجدران فتحت بها ستة مزاغل موزعة بشكل يضمن التغطية لجانب من الجهة الشمالية والغربية.

أما البرج الحائطي الرابع، يوجد في الواجهة الغربية التي تمتاز سورها بكثرة تعرجاتها مقارنة بأسوار الواجهات الأخرى. **انظر الصورة رقم : 30.**

يقع هذا البرج بالركن الجنوبي الغربي على بعد 28 م، عن البرج السابق، ويختلف عن غيره بشكله الدائري، فتحت بجدرانه تسعة مزاغل للمراقبة والرماية، وزعت على

مستويين ثلاثة بالأسفل وستة بالأعلى، يعلوها إفريز من الآجر، أما سقفه فشكله مخروطي مشكل بالقرميد النصف الأسطواني.

تغيّر السور مسارها من هذه النقطة نحو الشرق إلى أن تتصل بالبرج الأول على يسار المدخل مشكلة الواجهة الجنوبية للبرج أعلى السجن.

نلج إلى البرج عبر مدخل وحيد مستحدث بواجهته الشرقية عرضه 2 م وارتفاعه 3,50 م، يؤدي بنا إلى ساحة البرج، حيث توجد بناية واسعة تشغل مساحة 166م²، وتتكون من طابقين بهما عدد من القاعات اتخذت كمتحف لعرض التراث الثقافي المادي للولاية.

شيّدت بجوار البرج العثماني عدّة بنايات خلال الحقبة الاستعمارية، تحميها سور تحيط بالربوة إحاطة السور بالمعصم، يتراوح ارتفاعها ما بين 3,50 م و6,70 م وسمكها ما بين 0,55 م و1,15م، نذكر من هذه البنايات السجن التي تتقدّم الواجهة الجنوبية، ويتشكل من ستّة أقبية تعلوها سقف برميلية الشكل.

برج مجانة:

موقعه وتاريخه:

شيّده "حسن بن خير الدين باشا" سنة 1559 م، وذلك لامتناع سكان المنطقة عن أداء الضرائب ولتحقيق ذلك تركت به حامية من 200 رجل⁽¹⁾.

¹– Adrien Berbrugger, **Les époques ...**, P. 93.

اتخذ البرج شكلا مستطيلا محاطا بسور⁽¹⁾، استعملت في بنائه الحجارة والطابية⁽²⁾، وتدعم أركانه الأربعة أبراج مربعة الشكل، ويضم مجموعة من الغرف تتقدمها أروقة مسقوفة تطل على الصحن الذي توجد به نافورة، عبر بوائك من الأعمدة والعقود، وظل قائما إلى أن هدمه الجنيرال الفرنسي "سوسي" Saussier في أفريل من سنة 1871 م⁽³⁾.

برج المسيلة:

موقعه وتاريخه:

شيده "صالح رايس" (1552-1556 م)، وقد تعرض على عهد "حسن بن خير الدين باشا" خلال فترة حكمه الثانية (1557-1567) إلى هجوم أمير بني عباس الذي استولى على مدافعه الثلاثة ونقلها إلى عاصمته بالقلعة⁽⁴⁾.

كانت تقيم به حامية من ثلاثة صفرات⁽⁵⁾، تضم 60 رجلا⁽⁶⁾، ولم يبق به في القرن 18 سوى فصيلة صغيرة من الصبايحية⁽⁷⁾.

¹- Robert Georges ; **Op.cit.**, P. 102.

²- Adrien Berbrugger; **Idem.**, P. 93.

³- Robert Georges ; **Idem.**, P. 102.

⁴- مارمول كاريخال، المصدر السابق، ج. 02، ص. 381.

⁵- Alfred Nettement; **Op.cit.**, P. 591.

⁶- Vincent Yves - Boutin; **Op.cit.**, P. 95.

⁷- Dr. Shaw ; **Op.cit.**, p. 387.

برج نقاوس:

موقعه وتاريخه:

عرفت مدينة نقاوس بحصانتها منذ الفترة القديمة على غرار عدد من المدن الواقعة شمال الأوراس، وحافظت على نظامها الدفاعي في الفترة الإسلامية بداية من القرن 4هـ/10م⁽¹⁾ إلى غاية القرن 16 م وإلى ذلك أشار حسن الوزان بقوله: >>... مدينة بناها الرومان...، تحيط بها أسوار متينة عتيقة...<<⁽²⁾.

عمل الاتراك منذ دخولها على تحصينها، وقد ذكر الدكتور شو "Dr.Shaw" أنه بها على عهده حامية من صفرة واحدة من المشاة⁽³⁾، تضم 20 رجلا⁽⁴⁾، ولها سور من تراب مسلح بعدد من المدافع⁽⁵⁾، قدّرها "بوتان" سنة 1808م بثلاثة مدافع⁽⁶⁾، لإجبار سكان المدينة على أداء واجباتهم المالية اتجاه السلطة الحاكمة⁽⁷⁾.

¹- Rachid Bourouiba ; **Op.cit.**, P. 06-17.

²- حسن الوزان الفاسي، المصدر السابق، ج. 2، ص. 53.

³- Dr. Shaw ; **Op, cit.**, P. 389.

⁴- Vincent – Yves - Boutin; **Op.cit.**, P. 195.

⁵- DR. Shaw; **Idem.**, p. 389.

⁶- Alfred Nettement; **Op.cit.**, P. 591.

⁷- مارمول كاريخال، المصدر السابق، ج. 02، ص. 384.

الفصل السادس

تحصينات بايليك الغرب

تحصينات بايليك التّيطري

تحصينات بايليك الغرب:

تحصينات قلعة بني راشد:

شيدت القلعة على أرضية منحدر⁽¹⁾ جمعت بين الحصانة الطبيعية والمعمارية، وإلى ذلك أشار "مارمول" بقوله: «بنيت القلعة على سطح تل بين جبلين عالين تحيط بها أسوار ذات أبراج على هيئة القلاع الحصينة»⁽²⁾، وقد منحها موقعها حماية كبيرة يصعب النيل منها، كيف لا وقد كسبت إعجاب "خير الدين باشا" الذي أطلق عليها اسم "قلعة القلاع"⁽³⁾.

حرص الأتراك منذ أن وطأت أقدامهم مدينة الجزائر على ضمّ القلعة إلى أملاكهم نظرا لما كانت لها من أهمية إستراتيجية بالجهة الغربية من البلاد الجزائرية، وذلك للسيطرة على المعبر الفاصل بين منطقة مستغانم في الشمال ومعسكر جنوبا، دون إغفال دورها الاقتصادي كأهم مركز صناعي للنسيج والزراحي بالإيالة، إضافة إلى دورها في التضييق على القواعد الإسبانية بالسواحل الغربية من الداخل تدعيما للقاعدة البحرية بمستغانم، ولتأمينها زوّدت بحامية دائمة من قوات الجيش النظامي⁽⁴⁾.

¹ - الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ج. 2، ص. 26.

² - مارمول كاريخال، المصدر السابق، ج. 02، ص. 324.

³ - خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص. 93.

⁴ - Vincent Yves – Boutin ; **Op.cit.**, P. 128.

أسوار قلعة بني راشد:

إنّ طبوغرافية المدينة التي تتميز بالانحدار الشديد الذي تخترقه مجموعة من الأودية، فرضت على معمرى القلعة إنشاء أربعة أحياء في مستويات متباينة ومنفصلة عن بعضها البعض طبيعياً ومعمارياً بفعل تحصين كل حي بسور خاصة به.

لاحظنا خلال المعاينة الميدانية أن النظام الدفاعي للقلعة يختلف على التّحصينات التي ألفناها في المدن العثمانية، ونقصد بذلك بساطة أسوارها كونها لا تختلف كثيراً عن جدران المنازل سواء من ناحية الارتفاع أو السمك، وحتى المادة البنائية، إضافة إلى قلّة الملاحق المعمارية الخاصة بالأسوار مثل: الممشى والمزاغل والأبراج التي يصعب تحديد أماكنها من السور، التي أشير إليها في الدراسات السابقة على قلّتها تبقى مجرد معلومات مبنية على الافتراض، باستثناء آثار برج واحد "بحي السوخ"، أما الأبواب فلم يبق منها إلّا الاسم مثل "باب البلاد" الذي حفظته لنا الذاكرة الحية لأبناء المدينة، إلّا أنّ هذا لم يمنعها من اكتساب بعض الميزات التّحصينية التي عرفت في المدن الإسلامية، مثل استغلال الحدود الخارجية للمنازل كسور لها خاصة عند المنحدرات الطبيعية التي وظفت هي الأخرى كنظام دفاعي إضافي لها.

بناءً على ما سبق ذكره نحاول تتبع مسار سور كل حي على حدة مع تحديد موضع المعالم الأثرية بكل حي.

الوصف المعماري لأسوار قلعة بني راشد:

حي دار الشيخ:

يقع هذا الحي بالجهة الشمالية للقلعة، حيث تتوزع المرافق العمومية للبلدية حالياً، تنطلق سور الحي من المسلك المؤدي إلى "مغارة البير" متجهة شمالاً في مسار مستقيم أسفل المنحدر الصخري الذي شيد عليه ضريح و"مسجد سيدي إبراهيم التازي"(*) المعروف "بالمسجد العتيق"، حيث تتصل السور بأسفل المنحدر في النقطة المقابلة لمئذنة المسجد، ومنه تنطلق مرة أخرى في نفس الاتجاه في وضعية موازية للطريق الولائي رقم 12 الرابط بين القلعة ومعسكر، لتغير مسارها غرباً، حيث الشارع المؤدي إلى "دار سيدي الشيخ" (منزل السيد معزة بوعلام حالياً)، والذي يصلنا مباشرة بحي رأس القلعة بالجهة الجنوبية الشرقية.

نظراً لانهايار أجزاء من السور في هذه المنطقة بفعل عوامل مختلفة، وعدم العثور على أي أثر يدل على وجود أبواب لهذا الحي عند تتبعنا لمسار السور في أماكن مختلفة اسباب تجعلنا نفترض أن باب سور حي دار الشيخ كان بهذه المنطقة، والذي يمكن اعتباره الباب الشمالي للقلعة ككل، حيث تتقدمها سوق المدينة التي لا تزال مقصد التجار إلى يومنا هذا.

* هو أبو سالم إبراهيم بن محمد بن علي اللنتي التازي نزيل وهران عالم صوفي رحل إلى المشرق فأخذ العلم بمكة وتونس وتلمسان واستقروا بوهران، وتعلم على يد "الشيخ محمد الهواري" أخذ عنه جماعة من العلماء مثل: التنسي والسنوسي وزروق والقصادي، وله قصائد في مدح النبي (ص)، توفي سنة 866هـ/1462م، وهو دفين بقلعة بني راشد بغليزان. **راجع:** - أبو راس محمد بن الناصر العسكري، **الحل الهندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية**، تحقيق: سليمة بنعمر، ط1، دار هنين للطباعة والنشر، الجزائر، 2002، ص. 205.

تواصل السور مسارها غربا بعد عبورها كلاً من موضع المدرسة الابتدائية "أبو ذر الغفاري" ومركز البريد والمواصلات" لتغير اتجاهها جنوباً في النقطة المقابلة لجسر حديث بالطريق الرابط بين الطريق الولائي رقم 12 والمدينة الجديدة للقلعة، سالكة موضع "مسجد المالحة الأثري" الذي اندرس نهائياً خلال السبعينات من القرن الماضي، وتواصل امتدادها في نفس المسار إلى غاية النقطة المقابلة لـ"ضريح سيدي مصباح" بـ"حي الكركوري"، حيث تغير اتجاهها شرقاً على امتداد "شعبة سيدي مصباح"، حيث تتصل برصيف المسلك المؤدي إلى الجسر الأصلي الوحيد الواصل بين "حي دار الشيخ" و"حي رأس القلعة" بالقرب من العين المقابلة "لمغارة البير" التي يعلوها "ضريح بنت الباي"، وقد كانت هذه المغارة محطة هامة في النظام الأمني للمدينة كونها كانت ملجأ للاحتماء من قبل السكان عند أوقات الخطر، وهذا النظام كان شائع الاستعمال عند المسلمين منذ العهد العباسي. أنظر المخطط رقم: 54 و الصورة رقم: 31.

حي رأس القلعة:

يقع هذا الحي في أعلى نقطة من القلعة، بالجهة الجنوبية "شعبة البير" و"حي دار الشيخ" من الناحية الشمالية و"حي السوخ" جنوباً، و"حي الكركوري" غرباً، وتتمركز به عدة منشآت معمارية هامة كونه كان محل إقامة الباي وحاشيته.

يبدأ مسار السور بهذا الحي من جسر "غار البير" ممتداً بشكل أفقي نحو الغرب على طول المنحدر الغربي الفاصل بين "حي رأس القلعة" في الشرق و"حي الكركوري" في الغرب، إلى أن يغير اتجاهه قبل الجنوب، وبالتحديد عند النقطة المقابلة "لعين باعموش" بالضفة الغربية لواد الكركوري مشكلاً المسلك المؤدي إلى "حي السوخ" الذي يقال أنه كان به باب، إضافة إلى وجود آثار برج، يعدّ النقطة المرجعية لمواصلة السور

لمسارها على طول قمة المنحدر الفاصل بين الحيين، كما استغلت السور في هذا المكان لتحصين الحيين معا لاشتراكهما فيه. انظر الصورة رقم: 32.

تواصل السور مسارها شرقا مع بعض الانكسارات بفعل طبوغرافية المنطقة إلى أن تغير مسارها بالشمال الشرقي بالقرب من ضريح "سيدي دحمان" في أعلى الحي إلى أن تتصل "بشعبة البير" عند مسكن "عائلة العليج"، حيث تغير اتجاهها غربا على طول الضفة الغربية لهذه الشعبة لتتصل بالجسر السابق الذكر مشكلة طوقا أمنيا حول الحي.

يتشكل الحي من مجموعة هامة من المعالم التاريخية التي تتوزع خاصة على طول "زنقة حابودو" "les Haboudou" ونذكر منها: "دار الباي" ومسجده "ضريح سيدي دحمان" ومسكن الخروبي". أنظر المخطط رقم: 54.

حي السوخ* :

يقع هذا الحي جنوب "حي رأس القلعة" وهو أقل انخفاضاً منه، يحدّه من الشرق المنحدر الصخري أسفل الطريق الولائي رقم 12، ومن الجنوب "وادي الكروكوري" ومن الغرب المنحدر الذي يحتضن المسلك الواصل بينه وبين "حي الكروكوري"، وجاء هذا الحي ملاصقا لحي رأس القلعة، هذا ما جعله يشترك معه في بعض المظاهر التحصينية مثل: الباب الذي يربط بينهما والسور الجنوبية لـ "حي رأس القلعة".

*سمي بحي السوخ لأنه تعرض للانزلاق جزاء الهزات الأرضية التي ضربت المنطقة.

تتطلق سور الحي من موضع الباب السالف الذكر لتغيّر اتجاهها نحو الغرب عند النقطة المقابلة لـ"ضريح سيدي بلخير"، إلى أن تتصل بموضع باب البلاد الذي يصل بين "حي السوخ" و"حي الكركوري".

تجدد السور مسارها انطلاقاً من "باب البلاد" متجهة نحو الجنوب مارة بالقرب من "عين الشيخ" و"المسجد التركي" الذي يعرف محلياً بجامع الكرمة المرمم حديثاً من قبل أبناء الحي، هذا ما أفقده صورته الأصلية.

يستمر امتداد السور جنوباً حتى تغيّر مسارها شرقاً عند مسكن "عائلة سعادة" عابرة بجانب "ضريح سيدي عبد القادر" إلى أن تصل إلى "مسكن كريو" Karraiou في الركن الجنوبي الشرقي للحي، حيث تغيّر مسارها شمالاً شرق "شارع الحارة" إلى أن تتصل بأسفل المنحدر الصخري عند "ضريح سيدي أمحمد"، ومن أسفل المنحدر تتجه السور شمالاً إلى أن تتصل بالسور الجنوبية لحي "رأس القلعة" بالقرب من "ضريح سيدي دحمان". أنظر المخطط رقم: 54.

حي الكركوري:

يقع هذا الحي غرب القلعة، كما تعتبر أطرافه أخفض نقطة بالمدينة ككل، يحده من الشمال الطريق الرابط بين الطريق الولائي رقم 12 ومدينة القلعة الجديدة، ومن الشرق "حي رأس القلعة" ومن الشمال "شعبة سيدي مصباح" ومن الجنوب "وادي الكركوري".

يشارك الحي مع حي رأس القلعة في سورها الغربية، حيث تتجه شمالاً متوجة "شعبة سيدي مصباح" من الجهة الشمالية قاطعة الموقع الذي يشغله كل من ضريحي "سيدي مصباح" و"سيدي أحمد التركي" الذي تصله بالحي "زنقة كشيري"، والتي تطل عليها مجموعة من المعالم الأثرية، والمتمثلة في السجن العسكري، ومسكن التازية (عائلة معزة

محي الدين)، وفي الواجهة المقابلة له من الزقاق توجد ثكنة لا تزال مزاغل المراقبة واضحة بالواجهة الرئيسية لها، وتعرف بمسكن "أولاد المجيد"، وعند الانكسار الأول للشارع هناك حمام تركي (مسكن ميلود الحاج ولد عدة)، ومن "ضريح سيدي أحمد التركي" تواصل السور مسارها شمالا إلى غاية الطريق المؤدية إلى المدينة الجديدة، حيث تغير مسارها غربا بمحاذاة الطريق، وعند منتصف هذه الواجهة كانت هناك رحي، ويستمر مسارها إلى أن يتغير جنوبا عند الجسر الفرنسي العابر لـ"واد الكركوري" مارا بالقرب من "ضريح سيدي عبد القادر"(*) المقابل لـ"عين قادوس حسن" بالضفة الثانية للوادي.

تواصل السور امتدادها على ضفة الوادي إلى أن تتعطف نحو الشرق، حيث "حي رأس القلعة" لتتكسر مرة أخرى متجهة شمالا، ثم تسترجع مسارها السابق إلى أن تتصل بسور "حي رأس القلعة". أنظر المخطط رقم: 54. والصورة رقم : 33-34.

* تمتاز منطقة الغرب الجزائري عامة وولاية غليزان خاصة بكثرة الأضرحة بها، حيث لم تخل قلعة بني راشد من الأضرحة المنتشرة بجوانب الأسوار، وهذا لوجود اعتقاد يفيد أن الأولياء المدفونين بهذه الأضرحة هم من يتولون حماية المدينة، وهذا الاعتقاد كان راسخا أيضا عند أهل تلمسان، حيث نجد أن عددا من أبوابها تقع بالقرب من أضرحة الصالحين، واستمدت مسمياتها منها مثل: "باب سيدي بومدين" و"باب سيدي أحمد الداودي" و"باب الزاوية" و"باب سيدي الحلوى" و"باب سيدي بوجمعة"، وذلك اعتقادا من أهلها أن الأولياء الصالحين هم من يحمون أبوابها. راجع: - وليم وجورج مارسلي، المرجع السابق، ص. 463-464.

تحصينات مدينة مستغانم:

أسوار مدينة مستغانم:

اهتم الأتراك بالجانب الدفاعي للمدينة منذ تحريرهم لها سنة 1517 م، فقد قام "خير الدين باشا" بتحصينها وتوسعة أسوارها⁽¹⁾، وذلك لحمايتها من الخطر الإسباني، حيث وقفت سدًا منيعًا أمام محاولات "الكونت الكودات" لاسترجاعها⁽²⁾، ولتكون قاعدة لعملياتهم العسكرية باتجاه وهران والمرسى الكبير آخر معاقل الإسبان بالبلاد الجزائرية⁽³⁾.

بعد الاحتلال الإسباني الثاني لمدينة وهران سنة 1732 م، نقل "الباي بوشلاغم" عاصمة بايليك الغرب مؤقتًا إلى مستغانم (1732 م - 1734 م)، وقام خلال هذه الفترة بترميم وتحسين تحصيناتها⁽⁴⁾، وقد ذكر "الدكتور شو" الذي تزامنت رحلته بالجزائر مع هذه الفترة أن مستغانم: «تحيط بها سور تضم مساحة واسعة، جزء كبير منها فارغ من البناء»⁽⁵⁾، وتتجلى من خلال ذلك رؤية مستقبلية لنمو المدينة التي تحتاج إلى مساحة إضافية داخل أسوارها، تتوسع على حسابها، خاصة مع الازدهار الكبير الذي عرفته منذ القرن 16⁽⁶⁾، ما أهلها لأن تكون من أهم مدن بايليك الغرب خلال القرن 18 م⁽⁷⁾.

¹-Berard Victor; **Op.cit.**, P. 544.

²- مرمول كبرخال، المصدر السابق، ج. 2، ص. 332-337.

³-Henri- Léon Fey; **Op.cit.**, P. 89.

⁴-**Idem.**, P. 156.

⁵- DR. Shaw; **Op, cit.**, p. 236-237.

⁶- Louis Piesse; **Itinéraire, ...**, P. 74.

⁷- DR. Shaw; **Idem.**, p. 236.

الوصف المعماري لأسوار مدينة مستغانم:

شيدت مدينة مستغانم على جانب وادي عين الصفراء على بعد 1 كلم، وعلى ارتفاع 85 م عن سطح البحر⁽¹⁾، ويظهر من خلال مخطط للمدينة نشره "أ. رفوازي" A. "Ravoisie"⁽²⁾، أنها تتشكل من المدينة الأم، وربضها المطمور، يفصل بينهما وادي عين الصفراء، ولكل منهما سور تحميه على شكل مدينة معسكر. أنظر المخطط رقم: 55-56.

أقيمت المدينة بالضفة الغربية للوادي، على أرضية صخرية مائلة، ممتدة بشكل طولي من الشمال إلى الجنوب، ما أثار في نسيجها المعماري الذي أخذ شكل مدرج⁽³⁾، وتحيط بها سور غير منتظمة، نتيجة طبيعة تضاريسها التي زادت من حصانتها، مثل المنحدرات الصخرية بالجهة الشمالية والغربية، إضافة إلى مجرى وادي عين الصفراء بالجهة الشرقية ويظهر المخطط أيضا أنه لم يكن للمدينة منافذ باستثناء باب واحدة تعرف "باب الجراد"⁽⁴⁾.

كما يدعم أسوار المدينة نظام دفاعي إضافي يتمثل في الخندق الذي استعمل منذ عهد حسن بن خير الدين باشا⁽⁵⁾.

¹-Rozet et Carette ; **Op.cit.**, P. 87. **Voir** : - Louis Piesse; **Op.cit.**, P. 280.

²- Amable Ravoisie ; **Op.cit.**, P. 103-105.

³- DR. Shaw; **Op, cit.**, p. 236.

⁴- Quétin (E.); **Op.cit.**, P. 261-262.

⁵- Henri- Léon Fey ; **Op.cit.**, P. 90-91.

أبواب مدينة مستغانم:

باب الجراد:

يحتل موضعا قريبا من برج الجراد، على بعد حوالي 60 م منه، عند تقاطع "شارع بن سليمان شارف" مع "شارع كبارجي منصور"، واسم الباب مرتبط بحادثة تاريخية مفادها أنه في أحد الأيام هاجم الجراد بساتين الأهالي القاطنين بالقرب من وادي عين الصفراء وألحق خسائر كبيرة بمحاصيلهم، وللتخلص منه توسلوا لأحد زهاد المدينة ليدعو لهم برحيل هذا الجراد، فطلب منهم بأن يحضروا له أكبر جرادة من بين السرب الذي اجتاح حقولهم، ولما أحضروها له قام بقراءة آيات من القرآن عليها ثم أطلق سراحها، وبعد أيام لاحظوا سرب الجراد يلحق بهذه الجرادة الكبيرة، وتبركا به أطلق على الباب الذي يذكر أنه كان بالقرب من زوايته "باب الجراد"⁽¹⁾.

باب الجراد المنفذ الوحيد إلى المدينة العثمانية، وهذا الإجراء دفاعي بالمقام الأول، موجه لمراقبة القادمين إليها، إضافة إلى أفضلية الدفاع عنها مقارنة بالمدن التي تمتاز بتعدد أبوابها، وهذه الظاهرة المعمارية قائمة منذ الفترة القديمة، وسبق أن أشرنا إلى ذلك في مدينة قسنطينة خلال العهد البزنطي.

¹ - بوعبد الله بلجوزي، آثار وعمران حواضر بايليك الغرب في العهد العثماني، أطروحة دكتوراه العلوم في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2012-2013، ص 342.

ربض المطمر بمدينة مستغانم:

سمي نسبة إلى المطامير التي حفرها الأتراك به لتخزين الحبوب⁽¹⁾، شيد بالصفة الشرقية للوادي، وهو ممتد بشكل طولي من الغرب، حيث مجرى الوادي باتجاه الشرق نحو برج الترك الذي شيد أعلاه في وضعية مستقلة عنه. أنظر المخطط رقم: 55.

نظرا لكون هذا الحي كان بمثابة قلعة تضم المؤسسات العسكرية الرئيسية، أحيط بسور غير منتظمة بسبب انحدار أرضيته خاصة الجهة العلوية منه، وندخل إليه عبر مدخل واحد بالجهة الشمالية، تصله بالمدينة والمناطق المجاورة، وتعتبر أيضا منفذا على الطريق المؤدية إلى الوادي، حيث طاحونات المدينة⁽²⁾، التي كانت قائمة على الأقل منذ القرن 5 هـ/11م⁽³⁾.

بعد احتلال المدينة سنة 1833 م من طرف القوات الفرنسية تحت قيادة "الجنيرال ديميشال" اتخذت من المطمر إقامة لها، وحوّلت الكثير من بناياته إلى مرافق عسكرية، ومن ضمنها "ضريح الباي بوشلاغم" وأقامت به مستشفى يتسع لـ 1000 سرير⁽⁴⁾، وفي سنة 1841 م ضمت سلطات الاحتلال المدينة الأم وربضها تحت سور واحدة، وفتحت بها خمسة أبواب:

¹– Louis Piesse ; **Op.cit.**, P. 280.

²-Berard Victor; **Op.cit.**, P. 546.

³– أبو عبيد الله البكري، المصدر السابق، ص. 69.

⁴– Berard Victor, **Idem.**, P. 547.

"باب الشلف" في الشمال، و"باب مجاهر" * في الشرق و"باب معسكر" في الجنوب و"باب أرزيو" و"البحرية" في الغرب⁽¹⁾. انظر المخطط رقم: 56.

حصون وأبراج مدينة مستغانم:

برج الأمحال:

موقعه وتاريخه:

يقع هذا البرج أعلى "حي الطبانة" بالجهة الشرقية" المطلة على وادي عين الصفراء، أما تسميته لها علاقة بعدة احتمالات، فهناك من ينسبه إلى طائر اللقلق الذي يعرف محليا بالمحال⁽²⁾، أو نسبة إلى قبيلة الأمحال التي هي فرع من القبيلة العربية الأم "سويد" التي كانت تسكن نواحي الشلف ومستغانم تحت قيادة "أحميدة العبد"⁽³⁾ لتصبح خلال الحكم التركي للإيالة الجزائرية ضمن قبائل المخزن تحت قيادة آغا الدوائر، ومن عناصرها المكلفة بحماية الباي⁽⁴⁾. أنظر المخطط رقم: 55.

* نسبة إلى قبائل مجاهر التي تسكن المناطق المجاورة للمدينة، ويدخل الأتراك إلى المدينة أصبحت تشكل القوات التركية تحت لواء قبائل المخزن، ومنذ 1808 م، تحولت إلى رايات متصلة بالباي، وكانت تدخل عبر هذا الباب للتسوق بالمدينة وبيع منتوجاتها بها. راجع:

- Rinn (L.); Op.cit., P.13.

- بو عبد الله بلجوزي، المرجع السابق، ص. 341.

¹- Louis Piesse; Op.cit., P 281.

²- Idem., P. 156.

³- أحمد بن عبد الرحمن الشقراني الراشدي، القول الأوسط...، ص. 67، راجع: - هاينريش فون مالتيسان، المصدر السابق، ج. 01، ص. 252.

⁴- Rinn (L.); Idem., P.07.

كما يمكن أن تكون لهذه التسمية علاقة بالنظام العسكري المعروف بالمحلة، والتي من مهامها تحصيل الضرائب، والقيام بحملات عسكرية تأديبية ضد المناطق الممتنعة⁽¹⁾.

تجمع الدراسات على أن تاريخ إنشائه يعود إلى الفترة المرابطية، على يد "الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين" سنة 475هـ / 1082 م⁽²⁾.

أعاد الأتراك استغلاله منذ سنة 1732 م على عهد بوشلاغم⁽³⁾، فقد ذكر "الرحالة الإنجليزي د. شو" الذي عاصر هذه الفترة: «أنه هناك إلى جانب البرج الذي يحتل الجهة الشمالية الغربية (برج الجراد)، برج آخر أكثر انتظاما تقيم به حامية تركية»⁽⁴⁾.

بعد احتلال المدينة من طرف القوات الفرنسية، حوّلت عمارته إلى سجن⁽⁵⁾، وهي نفس الوظيفة التي يشغلها حاليا كسجن مدني خاص بالنساء، ونظرا للاستغلال المتواصل لعمارة البرج لوظائف أمنية إلى يومنا هذا، تعذر علينا الحصول على وصف مفصل عن عمارته، شأنه شأن العديد من البنايات الدفاعية بالجزائر التي لا تزال تشغلها القوات الجزائرية، إلا أن استمرار استغلاله كان له أثر إيجابي في الحفاظ على عمارته، ويكفي أن نشير إلى أن واجهته الرئيسية بالجهة الشرقية، حيث مدخله المطل على "شارع عبد اللاوي عابد" على جانبيه برجين مضعلي الشكل، شيّدا باستعمال الحجارة المصقولة، و اتخذ سطحهما كمسطبة لعدد من قطع المدفعية.

¹ - ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص. 36. راجع: - علي خلاصي، القلاع والحصون...، ص. 192.

² - Djelloul Neji; Op, cit., P. 216.

³ - مسلم بن عبد القادر الوهراني، ذخائر المغرب العربي، تاريخ بايات وهران المتأخر، تحقيق: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص. 19، راجع: - الآغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص. 276.

⁴ - DR. Shaw ; Op, cit., p. 237.

⁵ - Louis Piesse; Op.cit., P. 280.

برج باب الجراد:

موقعه وتاريخه:

يقع هذا البرج أعلى المنحدر الصخري الغربي، بجانب أسوار المدينة، وفي مكان ليس بعيدا عن باب الجراد التي استمد منها اسمه على غرار بعض البنايات الحربية بالمدن الجزائرية مثل: برج باب عزون وبرج باب الواد بمدينة الجزائر.

أما عن تاريخ البرج، ففي ظلّ غياب تاريخ محدد حول بنائه، يرى "الدكتور بلجوزي بو عبد الله" أنه يدخل ضمن الأعمال المعمارية التي قام بها "خير الدين باشا" لتحصين المدينة،⁽¹⁾ وتكملة للبحث نرجح أن تاريخه يرجع الى ما قبل هذه الفترة، لأن المدينة كانت بها مجموعة من الحصون قبل دخول الإسبان إليها، وقد جاء ذلك بوضوح في أحد بنود خضوع المدينة للاحتلال الإسباني في ماي 1511 م،⁽²⁾ ويؤكد ذلك "الدكتور شو" في وصفه لعمارة البرج بقوله: «هناك حصن عربي قديم، يظهر أنه شيد قبل اختراع الأسلحة النارية بالزاوية الشمالية الغربية التي تشرف على البحر»⁽³⁾، وهذه كلها مؤشرات تؤكد على أن تاريخ البرج يعود إلى ما قبل دخول الأتراك إلى المدينة سنة 1517م. انظر المخطط رقم 55 والصورة رقم 35.

¹ - بو عبد الله بلجوزي، المرجع السابق، ص. 352.

² - Elie de la Primaudie ; **Documents inédits...**, P. 74.

³ - Dr. Shaw; **Op, cit.**, p. 237.

أعاد الأتراك استغلال البرج ضمن تحصينات المدينة، حيث ظل قائما في نظامها الدفاعي إلى سنة 1833 م، تاريخ احتلال القوات الفرنسية للمدينة ⁽¹⁾، حيث واصلت استعماله إلى أن تعرض للهدم سنة 1848 م، في إطار أشغال التوسعة التي قام بها الاحتلال الفرنسي بالمدينة ⁽²⁾.

كان برج باب الجراد يشغل مساحة واسعة ⁽³⁾ استعملت في تشييده الحجارة المصقولة ⁽⁴⁾ لا تزال تظهر في البرج الدائري الشكل الذي سلم من الهدم. انظر الصورة رقم: 35.

برج الترك:

موقعه وتاريخه:

شيد خارج أسوار المدينة بأعلى نقطة منها، في مكان مشرف مباشرة على "حي المطمور"، وفي وضعية مستقلة عنه، وقد أهله موقعه ليكون أهم تحصينات المدينة، ويظهر ذلك في قول "DR. SHAW" «مدينة مستغانم تشرف عليها المرتفعات وقوتها الرئيسية تتمثل في قلعة شيدت في إحدى المرتفعات، تتحكم في المدينة والمناطق المجاورة» ⁽⁵⁾.
أنظر المخطط رقم: 55.

¹ - بوعبد الله بلجوزي، دراسة لنماذج من العمارة العثمانية في مدينة مستغانم، رسالة لنيل هادة ماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2005-2006، ص. 113.

² - بوعبد الله بلجوزي، آثار عمران...، ص. 353.

³ - بوعبد الله بلجوزي، دراسة لنماذج...، ص. 113.

⁴ - DR. Shaw ; Op, cit., p. 237.

⁵ - Idem., P. 237.

رغم أن هناك مصادر عاصرت الحكم التركي للجزائر، أرجعت تاريخ بناء البرج إلى الباي بوشلاغم في فترة اتخاذه مستغانم عاصمة لبايليك الغرب (1732-1734 م)⁽¹⁾. إلا أنه صادفنا نص لمارمول كاربخال" (ق: 16م) يذكر فيه: «... وفي الطرف الأعلى من المدينة، حيث توجد ربوة مشرفة، يقوم حصن جهة الجنوب»⁽²⁾، ما يجعلنا نرجح أن البرج شيّد خلال القرن 16 م على عهد "خير الدين باشا"، كونه ذكر في أحداث هجوم حاكم وهران "الكونت الكودات" على المدينة سنة 1558 م، وإلى ذلك أشار القسّ الإسباني مارمول بقوله: «ولما وصلت جميع الكتائب وعسكرت أمام المدينة، أمر القائد بأن يقام حاجز من أغصان أشجار التين والعنب المجاورة اتقاء لهجمات فرسان العدو، وأثناء تلك الليلة قام الجند بحفر خندق محيط بمحاليهم ونصبوا آليتين للمدافع لضرب الحصن من جهته الجنوبية، وفي الغد وجهت سبع ضربات أو ثمان إلى ركنين من أركان سور الحصن، ولم يكن لها تأثير كبير لأن آلات القذف أعلى ممّا ينبغي، بحيث كانت تمر فوق السور وتسقط في البحر»⁽³⁾.

¹ - أبي راس الناصري، المصدر السابق، ص. 516. راجع: - أبو مسلم الوهراني، المصدر السابق، ص. 19.
- أحمد الشقراني الراشدي، المصدر السابق، ص. 71. - الأغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ج. 01، ص 276.

² - مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج. 2، ص. 350.

³ - نفسه، ص. 334.

الوصف المعماري لبرج الترك:

اتخذت عمارة البرج شكلا مستطيلا مدعما في ركنيه الشمالي الشرقي والجنوبي الغربي ببرجين حائطين مضلعي الشكل، هذا النمط المعماري كان شائعا خلال الحكم العثماني خاصة بمدن البحر الأبيض المتوسط، وكمثال له نذكر الأبراج الركنية بالحصن المركزي بغار الملح" بالجمهورية التونسية⁽¹⁾.

تكتنف واجهاته مجموعة من المزاغل تحتضنها جدرانها السميكة والمقدّر عرضها بـ 2م مع تسجيل تباين في ارتفاعها، وذلك نتيجة الاختلاف في ارتفاع حائط الممشى من واجهة إلى أخرى. انظر الصورة رقم: 21- 22.

ندخل إلى البرج عبر مدخل رئيسي في الواجهة الشمالية عرضه 1,60 م وارتفاعه 2,30 م، يؤدي مباشرة إلى سقيفة بدارها الشرقي خزانتي جداريتين، يتقدمها رواق يحيط بالصحن الذي تتوسطه بئر ويطوقه عدد كبير من القاعات موزعة على الجوانب الأربعة له، وتتصل به بواسطة مجموعة من النوافذ والأبواب المتماثلة من حيث الشكل والمقاسات.

نستهلّها بقاعة على يمين السلم الذي يصلنا بسطح البرج طولها 6,80 وعرضها 2,40 م في الركن الشمالي الغربي لها كوة على شكل خلوة عرضها 0,90 م، وعمقها 1,70 م وارتفاعها 1,80 م.

¹-Ahmed Saadaoui ; **les Andalous**, EDISUD, Tunis, S.D., P. 121.

يوجد على يمين هذه القاعة، قاعة أخرى نلج إليها عبر مدخل رئيسي يفتح مباشرة على غرفة مقاساتها 2.80×5.50م، بجدارها الجنوبي ثلاث شمسيات ترتفع عن الأرضية ب 2.30م وذلك لإضاءتها لانعدام النوافذ بها، وقد حوّلت إلى دورة مياه حالياً، وفي الجدار الشرقي لها مدخل ثانوي يربطها بغرفة أخرى مقاساتها 7,60 م × 2,80 م، استغلت كمخزن لحفظ المجموعات المتحفية المتنوعة.

تتصل بهذه الأخيرة قاعة مخصصة لتاريخ الحصن ندخل إليها عن طريق مدخل عرضه 1,25 م وارتفاعه 2,30 م وعمقه 1 م، تمتد هذه الغرفة بمسافة 7,70 م طولاً و2,80م عرضاً ويعلوها سقف نصف برميلي يرتفع عن الأرضية بما يزيد عن 3,50 م، وهو الارتفاع المعتمد في جميع قاعات البرج، كما تتخلل جدرانها ثلاثة كوات.

يحدّ الصحن من الجهة الجنوبية ثلاث قاعات، أوسعها الشرقية بمقاسات 9 م × 2,80 م، يتخلل جدارها الشمالي على يمين المدخل كوة تظهر مادة تشكيلها الآجر بوضوح، أما سقفها المقبّي، استعملت مادة القصب كمرحلة من مراحل إنجازه التي تسبق عملية الصقل، والتي تركت مكشوفة عن قصد أثناء عملية الترميم.

يوجد في الركن الجنوبي الشرقي للغرفة ممر ارتفاعه 1 م وعرضه 1 م يؤدي إلى البرج الحائطي بالركن الجنوبي الشرقي للحصن، الذي يتركب من ستة أضلاع يعلوها سقف نصف برميلي محمول على قوس نصف دائري، ضلعه الأول مدخل مزدوج الأبواب، وهو مدخل ثانوي للحصن يصل خارجه بداخله، عرضه 1 م وعمقه 2 م، وهو مقبّي بقبو نصف برميلي يرتفع عن الأرضية بـ 2,30 م، كما فتحت بأضلاعه المتبقية تسعة مزاغل خمسة في الأسفل، ترتفع عن أرضية البرج بـ 1,20 م، عرضها من الداخل 1,30 م و 0,30 م من الخارج وارتفاعها 0,90 م وعمقها 0,80 م، وقد اعتمد في إنجاز

هذا النوع مبدأ التناظر، أما المزاغل المتبقية، جعلت في مستوى أعلى من الأولى، حيث ترتفع عنها بـ 0,90 م، عرضها من الداخل 1,10 م، ومن الخارج 0,30 م وعمقها 2 م.

بعد التعرض إلى القاعة والبرج السالف الذكر بالوصف، نعرّج إلى القاعة المركزية بالواجهة الجنوبية للصحن، وهي ملحقة بإدارة المتحف، مقاساتها 6,40 م وعرضها 2,80 م تطل على الصحن بنافاذة على يمين المدخل.

تتصل بهذه القاعة من الجهة الغربية، وبنفس الجهة بالنسبة للصحن قاعة ثالثة عبارة عن مكتبة طولها 8,90 م وعرضها 2,80 م، فتح في أعلى جدارها الغربي مزغل عرضه 0,80 م وارتفاعه 1,10 م وعمقه 2 م.

الجهة الغربية للصحن هي الأخرى تتكون من قاعتين الأولى منها عبارة عن ثلاث غرف، واحدة مركزية يؤدي إليها مباشرة المدخل الوحيد والرئيسي للقاعة، وعلى جانبيها غرفتين تتصلان بها بواسطة بابين وعدد من النوافذ، كما أنها تحتوي على عدد من الكوات، وبكل جدار من جدرانها الغربية مزغل واحد يرتفع عن الأرضية بـ 3م، وهذه القاعة مخصصة حالياً لعلم الآثار. انظر المخطط رقم: 57.

تتصل بها من الناحية الشمالية قاعة مخصصة للأنتوغرافيا، وهي تشبه قاعة علم الآثار، من حيث تخطيطها وتوزيع العناصر المعمارية بها، مع اختلاف طفيف في عدد النوافذ والكوات ومقاسات مدخلا الغرفتين الجانبيتين.

يوجد بالجهة الشمالية للصحن قاعة مقاساتها 9,30 م × 3م، وزعت على جدرانها الشمالي والغربي ثلاث مزاغل ترتفع عن الأرضية بـ 1,90 م، عرضها 0,90 م وارتفاعها 0,80 م وعمقها 2 م، وفي الركن الشمالي الغربي للقاعة مدخل يؤدي إلى البرج الحائطي بالركن الشمالي الغربي للصحن، والذي تتخفض أرضيته عن مستوى أرضية القاعة

بـ0,60 م، وهو مماثل للبرج الذي سبق ذكره بالركن الجنوبي الشرقي، إلا أنه تم تقسيمه إلى ثلاث وحدات صغيرة مستغلة حالياً من طرف إدارة المتحف.

كما هناك على يمين القاعة السابقة قاعة ضيقة طولها 3 م، وعرضها 1,30 م، وهي مكتب للأمن، بجدارها الشرقي نافذة نطل من خلالها على السقيفة التي يتقدمها المدخل الرئيسي للصحن. أنظر المخطط رقم: 57.

نصل إلى السطح بواسطة سلم، حيث يقابلنا عدد من المزاغل، فتحت بحائط الممشى الذي يقدر سمكه بـ0,90 م ، إلا أن ارتفاعه يختلف من جهة إلى أخرى، حيث قدر في الجهة الشمالية والغربية بـ1 م، وفي الواجهة الشرقية والجنوبية بـ2,70 م.

كما فتحت بهذا الساتر إحدى عشر فتحة للمدفعية، موزعة على الواجهات الأربعة للبرج، أربعة بكل من الواجهة الشمالية والغربية، وإثنتان بالواجهة الجنوبية وفتحة واحدة بالواجهة الشرقية. أنظر المخطط رقم: 58.

تحصينات مدينة معسكر:

شيّدت مدينة معسكر من طرف "الباي بوشلاغم" على أنقاض المدينة الرومانية⁽¹⁾، وإليها حوّل عاصمة بايليك الغرب بعد أن كانت بمدينة مازونة ليتخذ منها قاعدة لأعماله ضدّ الإسبان بمدينة وهران وحلفائهم من القبائل المجاورة.

¹– Louis Piesse; **Op.cit.**, P. 262.

بعد أن تمكن "الباي بوشلاغم" من فتح وهران سنة 1708 م، جعل منها عاصمة للمقاطعة الغربية من الإيالة، واستمر ذلك إلى سنة 1732 م تاريخ خضوعها للمرة الثانية للإسبان، وعلى إثرها نقل عاصمته مؤقتا إلى مستغانم⁽¹⁾، وبها وفته المنية⁽²⁾، لينقل "ابنه يوسف" مقر سلطته مرة أخرى إلى العاصمة القديمة معسكر، وكان ذلك سنة 1735 م، واستقرت بها السلطة السياسية للبابلييك من جديد إلى سنة 1792 م تاريخ فتح وهران واتخاذها نهائيا قاعدة لبابلييك الغرب⁽³⁾.

حافظت المدينة على مكانتها السياسية والعسكرية بعد احتلال الفرنسيين للجزائر سنة 1830 م، حيث اتخذ منها الأمير عبد القادر عاصمة لدولته⁽⁴⁾، وفي نفس الوقت مركزا عسكريا يدعم الخط الدفاعي الثاني الممتد من تلمسان غربا إلى المدية شرقا، ومصنعا حربيا يزود الجيش الجزائري بما يحتاج إليه من البنادق والذخيرة⁽⁵⁾.

أسوار مدينة معسكر:

كانت مدينة معسكر إلى أواخر الحكم التركي لها تتشكل من المدينة الأم وعدد من الأرباض⁽⁶⁾ المحيطة بها، والتي تشغل مجتمعة مساحة أوسع منها⁽⁷⁾. أنظر المخطط رقم: 59. و الصورة رقم: 36.

¹ - الآغا بن عودة المزابي، المصدر السابق، ج. 1، ص. 276.

² - مسلم بن عبد القادر الوهراني، المصدر السابق، ص. 19.

³ - Ernest Mercier ; **Histoire...**, P. 375- 435.

⁴ - محمد بن عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ج. 01، ص. 104.

⁵ - رشيد بورويبة، القلاع والحصون...، ص. 87-100.

⁶ - الآغا بن عودة المزابي، المصدر نفسه، ص. 256. راجع:

- DR. Shaw ; **Op. cit.**, p. 250. - Rozet et Carette ; **Op.cit.**, P. 125 .

⁷ - Berard Victor ; **Op.cit.**, P. 534.

شيدت المدينة بالضفة اليسرى لـ"وادي سيدي تودمان"، حيث كانت تضم المؤسسات العسكرية⁽¹⁾، وقد أشار "بوتان" في بداية القرن 19 م إلى أنها محصنة بسور مسلحة بأربعة مدافع⁽²⁾، وأضاف "روزي" أنه كان لها ثلاثة أبواب، إثنان منها رئيسيان، والباب الثالثة -باب النجدة - أصغر حجما منهما يفتح على الواد⁽³⁾.

بعد الاطلاع على مخطط المدينة من إعداد "القائد ماي ترو" Capitaine Maitrot⁽⁴⁾ ومقارنته بنص للأغا بن عودة المزاري" الذي كان دقيقا في تحديد مواضع أحياء المدينة التي تحمل بعض الأبواب أسماءها⁽⁵⁾، تمكنا من تحديدها، وهي كالتالي:

أبواب مدينة معسكر:

الباب الشرقي:

موقعها وتاريخها:

فتحت بالشمل الشرقي للمدينة، ليس بعيدا عن القصبة، ومنها نصل إلى "حومة الباب الشرقي"، والتي تحمل نفس اسمها، وقد حلت محلها في الفترة الاستعمارية "باب تيهرت". أنظر المخطط رقم: 59.

¹- Berard Victor; **Op.cit.**, P. 534.

²- Alfred Nettement; **Op.cit.** , p. 590.

³- Rozet et Carette ; **Op.cit.**, P. 125 .

⁴- بوعبد الله بلجوزي، «التحصينات الدفاعية في مدينة معسكر في العهد العثماني» << دراسة تراثية، ج 02، العدد: 05، مخبر البناء الحضاري، جامعة الجزائر 02، الجزائر، 2014، ص 374.

⁵- الأغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ج 1، ص. 356.

باب علي:

موقعها وتاريخها:

هي الباب الرئيسية الثانية للمدينة، كان موضعها بالجانب الشمالي الغربي للمدينة بالقرب من القصبة، وبها كانت تعلق جماجم المحكوم عليهم بالإعدام⁽¹⁾، على غرار "باب عزون" و"باب جديد" بمدينة الجزائر و"باب الجزائر" بمدينة البليدة و"باب الأرجوحة" بتلمسان، وقد حافظت في الفترة الاستعمارية على موضعها واسمها. أنظر المخطط رقم: 59.

باب النجدة:

موقعها وتاريخها:

هي ثالث أبواب المدينة، وقد سكنت المصادر المعاصرة للفترة العثمانية عن ذكر اسمها، ومن بينهم "الآغا بن عودة المزاري" الذي اكتفى بذكر البابين الرئيسيين دون تحديد موقعهما، في حين اقتصر وصف "روزي" على ذكر نوعها وموقعها وحجمها، وبعد البحث والمقارنة بين المعطيات المتوفرة اتضح أنها هي نفسها "باب سيد علي محمد" التي كانت بالجهة الجنوبية الغربية في وضعية مفتوحة على الوادي، ومنها يمكن الوصول أيضا إلى "حومة سيد علي محمد"، و"حومة عين البيضاء" اللتان توجدان بالجهة القبلية للمدينة، وقد حافظت الباب في الفترة الاستعمارية على اسمها وموقعها. أنظر المخطط رقم: 59.

¹ - عَدّة بن داهة، معسكر عبر التاريخ، ط. 01، دار الخلدونية، الجزائر، 2005، ص. 38.

أرباض مدينة معسكر:

شيدت أرباض المدينة مستقلة عن أسوارها دون أي تحصينات تذكر باستثناء "ربض عرقوب اسماعيل" نسبة إلى آغا "الباي إبراهيم الملياني"، "إسماعيل بن البشير البحتاوي"، الذي يعتبر أول من قام بالبناء به (1).

أقيم الربض في وضعية مقابلة للمدينة، حيث يشغل مساحة واسعة، تحيط به سور من الطابية ومدعمة بعدد من الأبراج (2)، وتربطه بالمدينة قناطر كان للباي "محمد الكبير" دور في إنشائها ضمن الأعمال المعمارية التي قام بها بالمدينة ما بين 1779 م و 1781 م (3). أنظر المخطط رقم: 59.

يتميز "حي عرقوب إسماعيل" بالاتساع، حيث يقدر طول السور المحيطة به حوالي 1200 م، ويتصل بخارجه بأربعة أبواب أحدها بالجهة الغربية، تدافع ببطارية مسلحة بقطعتين من المدفعية (4).

قام الاحتلال الفرنسي بضم المدينة وأرباضها باستثناء "حي باب علي" (5) المحصور بين "وادي تودمان" و"مجرى سيدي بوشكرين"، داخل سور واحدة يقدر طولها بـ 3 كلم، وفتحت بها ستة أبواب وهي: باب علي، باب مستغانم، باب تيهرت، باب سيدي علي محمد، باب الجنوب (المحطة)، وباب وهران (6). أنظر المخطط رقم: 60.

¹ - الآغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ج. 1، ص. 286.

² - Berard Victor ; **Op.cit.**, P. 534.

³ -Gorgus (A.) ; **Notice sur le Bey...**, in : *Revue Africaine*, N° 05/ 1857, P. 410.

⁴ - عدة بن داهة، المرجع السابق، ص. 38.

⁵ - Louis Piesse; **Itinéraire**,P. 263.

⁶ - Berard Victor ; **Idem.** , P. 535.

حصون وأبراج مدينة معسكر:

القصبة:

موقعها وتاريخها:

شيّدت القصبة في احد اطراف المدينة بالجهة الشمالية منها، حيث لم تختلف في اختيار موضع إنشائها على ما هو معروف عن عمارة القلاع السلطانية في المدن الجزائرية المعنية بالدراسة، والتي شيّدت أغلبها في جوانب المدينة، وبأعلى نقطة بها، مثل قصبة مدينة الجزائر، قصبة وهران وقصبة قسنطينة ومليانة والمدية...الخ، وقد كانت السور الخارجية للقصبة تمثل جزءا من سور المدينة، وتمتد عمارتها نحو الداخل، حيث تفصلها عن العامة سور عازلة مبنية بالطابية، وكانت تضم داخلها عددا من المساجد وسوقا، وقصرا حيث يقيم الباي، إضافة إلى ثكنة للقوات النظامية "للأمير عبد القادر"⁽¹⁾. أنظر المخطط رقم: 59.

برج معسكر:

موقعه وتاريخه:

شيّد من طرف الباي "أبو إسحاق إبراهيم الملياني" سنة 1176هـ/1762 م ⁽²⁾، وهذا ما يوضحه نص الكتابة التأسيسية التي جاء فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم/ أما بعد أمر بتشيد هذا الفندق المبارك الظريف الجامع لعسكر الجزائر المنتصر سيدنا أمير المؤمنين المجاهد في سبيل رب العالمين ناصر الدنيا والدين لرب العالمين مولانا إبراهيم

¹ - Rozet et Carette ; Op.cit., P. 125.

² - مسلم بن عبد القادر الوهراني، المصدر السابق، ص. 21.

بأي الإيالة الغربية وتلمسان خلد الله ملكه وأعزه ونصره أمين، وكان الفراغ منه أول شهر الله العظيم رمضان ست وسبعين ومائة وألف عرّفنا الله خيريه وكفانا ضيره وشره أمين يا رب العالمين وصانع هذا التاريخ محمد بن الحسين بن صرماشق (1).

قد يكون البرج نفسه الذي ذكر "الدكتور شو" أنه كان يقيم به الأتراك لإجبار السكان على الطاعة وأداء واجباتهم اتجاه السلطة (2)، وإن صدق توقعنا، فيعني أن تاريخ البرج يعود إلى ما قبل 1762 م، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار زيارة الرحالة الإنجليزي للجزائر، والتي كانت بداية الربع الثاني من القرن 18 م.

ظلّ البرج قائما في النظام الدفاعي للمدينة، بعد نقل عاصمة البايليك إلى وهران، فقد أشار "بوتان" سنة 1808 م إلى أنه كان مسلحا بحوالي عشرة مدافع (3).

تحصينات مدينة تلمسان:

أسوار مدينة تلمسان:

شيدت مدينة تلمسان على أرضية منحدر (4) تتشكل من مظاهر تضاريسية وعرة زادت من حصانتها، حيث امتد عمرانها بشكل طولي من الغرب إلى الشرق، تحميها المنحدرات الصخرية الشمالية التي تمتد بالقرب من "باب القرمدين" وتزداد ارتفاعا كلما اتجهنا شرقا إلى أن تنتهي بنواحي "باب العقبة" بالجهة الشرقية، حيث مجرى "وادي متشكّنة" الذي يشكل خندقا طبيعيا للمدينة من الناحية الجنوبية والجنوبية الشرقية خاصة القسم السفلي منها، حيث يحمي كل الواجهة الجنوبية للمدينة القديمة "أغادير"، وتبقى

¹ - الأغا بن عودة المزابي، المصدر السابق، ج. 01، ص. 285.

² - Dr. Shaw ; **Op, cit.**, p. 250.

³ - Alfred Nettement; **Op.cit.**, p. 590.

⁴ - Rozet et Carette, **Op.cit.**, P. 127.

نقطة الضعف في موقع المدينة تكمن في الجهة الجنوبية، التي تتميز أرضيتها بالاعتدال، وبعدها المرتفعات الجبلية التي تشرف عليها، ما جعل هذه الجهة منفذا مناسباً للعدو إليها⁽¹⁾، ونرجح أن تكون من العوامل التي تقطن إليها المرينيون واستغلوها في اختيار موضع إنشاء "معسكر المنصورة" لمحاصرة تلمسان.

تتشكل مدينة تلمسان من مدينتين المدينة القديمة "أغادير" التي تشغل الجهة الشرقية، مبنية في نفس موضع المدينة العسكرية الرومانية "بوماريا"⁽²⁾، التي استعملت بقاياها في تشييد المدينة الإسلامية⁽³⁾، ويعود تأسيسها إلى الأدارسة في منتصف القرن 2هـ / 8 م⁽⁴⁾، وكانت حينها محصنة بسور يحميها سور آخر سائر من الحجارة⁽⁵⁾.

ظلت المدينة متحصنة بأسوارها إلى سنة 473هـ / 1080 م تاريخ إستيلاء المرابطين عليها على عهد "الأمير يوسف بن تاسفين"⁽⁶⁾ الذي أقام "مدينة تاجرارت" وحصنها إلى جانب أغادير تحت سور واحدة⁽⁷⁾، وتحتل المدينة الحديثة مساحة واسعة بالجهة الغربية في وضعية مرتفعة يفصلها عن المدينة القديمة منحدر صخري⁽⁸⁾، إضافة إلى سور عازل⁽⁹⁾.

¹- Rozet et Carette, **Op.cit.**, P. 127.

²- شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ج. 2، ص. 201.

³- Paul Baurd ; **A travers l'Algérie**, Paris, France, 1880, P 347.

⁴- Charles Brosselard ; «**Les inscriptions arabes de Tlemcen**», in: *Revue Africaine*, N 14/ 1858, P 81.

⁵- إسماعيل العربي، المدن المغربية...، ص. 133.

⁶- رشيد بورويبة وآخرون، الجزائر في التاريخ...، ج. 3، ص. 296.

⁷- Rachid Bourouiba ; **Op.cit.**, P. 99.

⁸- Bergés (L.); **Op.cit.**, P. 151.

⁹- وليم وجورج مارسلي، المرجع السابق، ص. 132.

تعرّضت تحصينات المدينة على عهد "الأمير علي بن تاسفين" إلى التدعيم، وذلك خلال دفاعه عن أملاكه بالمغرب الأوسط ضدّ الموحدين بقيادة "عبد المؤمن بن علي" الذي حاصرها واستولى عليها سنة 540 هـ⁽¹⁾.

أهمل الموحدون حينها أسوار المدينة⁽²⁾، واستمرت على هذه الحال إلى النصف الثاني من القرن 6هـ/12م، تاريخ إصلاحها من جديد، فقد ذكر "يحيى ابن خلدون" أن هذه الأعمال تمت على يد "موسى بن يوسف العسكري بن عبد المؤمن بن علي" وأكملها "أبو حفص بن عبد المؤمن" من بعده، وذلك خوفا من خطر "بنو غانية"⁽³⁾.

بعد أن سقطت الدولة الموحدية، وانتقلت أملاكها بالمغرب الأوسط إلى بني زيان وعاصمتها تلمسان، اهتم سلاطينها بتعزيز تحصيناتها نظرا للخطر الذي كان يحدق بها، خاصة من طرف "بني مرين" الذين خاض ضدهم يوغمراسن أول سلاطين بني زيان 72 معركة لوحده⁽⁴⁾، وعليه أوصى أبناءه من بعده بالحرص على تحصينها وتقوية أسوارها، إذا ما أرادوا الصمود أمام تهديدات أعدائهم⁽⁵⁾، وتجسّد ذلك ميدانيا بتحسين نظامها الدفاعي، وفي مقدمتها الأسوار التي بلغ عددها سبعة أسوار⁽⁶⁾.

كانت لهذه الأسوار من القوة والمتانة ما أهلّها لترد العدو المريني خائبا في أكثر من مرّة، فقد أغار عليها السلطان "يوسف بن يعقوب المريني" خمس مرات حالت أسوار المدينة دون نجاحه في احتلالها، وضرب في المرة الخامسة حصارا شديدا عليها دام

¹ - ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص. 187.

² - Rachid Bourouiba ; Op.cit., P. 89.

³ - أبو زكريا يحيى ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق وتقديم وتعليق: عبد الحميد حاجيات، ج1، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 1980، ص. 91.

⁴ - شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ج. 2، ص. 202.

⁵ - رشيد بورويبة وآخرون، المرجع السابق، ص. 370.

⁶ - وليم و جورج مارسلي، المرجع السابق، ص. 131.

ثمانى سنين شيدّ خلالها مدينة المنصورة، إلّا أنّ مقتله من طرف أحد خدمه آل دون تحقيق هدفه، فرفع الحصار عنها، وكان ذلك سنة 706هـ/1307م⁽¹⁾.

كما أنّ حملة "أبو الحسن المريني" ضدّ تلمسان سنة 735هـ/1335م، دليل آخر على قوة نظامها الدفاعي، بحيث عجز على اختراق أسوارها، إلّا بمضي سنتين من الحصار، وتحديدًا سنة 737هـ/1337م⁽²⁾، بعد أن كشف القناة التي تزوّد المدينة بالماء وقطعها عنها⁽³⁾.

يبدو بناء على ماسبق ذكره أن أسوار المدينة كانت تشكل هاجسا معنويا لدى سلاطين "بني مرين"، ودليلنا في ذلك إقدام "السلطان أبو عنان" من بعد والده على هدمها، لكي لا تمتنع على قومه ولا تكون دار ملك لعدوه⁽⁴⁾.

استعادت المدينة عافيتها بعد ذلك، ويتجلى ذلك في وصف "حسن الوزان" للمدينة خلال زيارته لها، أظهر إعجابه بعمرائها بما في ذلك أسوارها سنة 921هـ/1516م، وهو في طريقه لأداء فريضة الحج بقوله: «... وأسوارها في غاية الارتفاع والقوة...»⁽⁵⁾.

بعد إخضاع المدينة من طرف الأتراك اعتمدوا على نفس أسوارها وسلّحوها بالمدفعية، فقد ذكر "الjasوس بوتان" أنها كانت مسلحة بـ20 قطعة مدفعية بداية القرن 19 م⁽⁶⁾، وباحتلالها من طرف الفرنسيين، قام سلاح الهندسة بتعويض معظم أسوارها بأسوار جديدة

¹ - محمد بن عبد الله التتسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، تحقيق وتعليق: محمود آغا بوعباد، موفم للنشر، الجزائر، 2011، ص 130-134.

² - نفسه، ص 145-146.

³ - رشيد بورويبة وآخرون، المرجع السابق، ص. 370.

⁴ - محمد مقديش، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق: علي الزاوي ومحمد محفوظ، مج، 01، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988، ص. 530.

⁵ - حسن الوزان الفاسي، المصدر السابق، ج. 2، ص. 20.

⁶ - Alfred Nettement; Op.cit., p. 590.

مشيّد بالحجارة، وكان ذلك سنة 1842 م⁽¹⁾، حيث بلغ طولها حينها حوالي 4 كلم بمساحة إجمالية تقدّر بـ70 هكتارا، وفتحت بها خمسة أبواب: باب فاس وباب المحاجر في الغرب، والباب الجنوبي وباب سيدي بومدين في الشرق وباب وهران⁽²⁾.

الوصف المعماري لسور مدينة تلمسان:

حسب مخطط لمدينة تلمسان الإسلامية⁽³⁾ يظهر أن المدينة تشغل مساحة واسعة، تحيط بها سور غير منتظمة، وذلك لطبيعة تضاريسها، حيث يتبع مسارها المنحدرات الصخرية التي تمتد تقريبا على طول الواجهة الشمالية للمدينة إلى نواحي وادي متشكّنة خلف باب العقبة، حيث يدعم مجرى الوادي السور الشرقية للمدينة. أنظر المخطط رقم: 61.

يبدأ مسار السور من "باب القرمديين" في الركن الشمالي الغربي للمدينة، يمتد شرقا أعلى المنحدرات الصخرية الشمالية إلى أن يتصل "بباب سيدي الحلوي"، ومنه يواصل مساره على نفس الامتداد تقريبا إلى أن يتصل "باب العقبة" بالسور الشرقية للمدينة.

يتجه السور من "باب العقبة" نحو الجنوب إلى أن يشرف على الوادي، حيث يغيّر مساره غربا متبعا مجراه إلى أن يصل خلف "بيت الريش" حيث موضع باب الجياد⁽⁴⁾، ليغير مساره غربا إلى أن يتصل بالباب الجنوبي، ومنه يمتد على نفس المسافة تقريبا ليصل إلى الركن الجنوبي الغربي للمدينة.

¹ - Louis Piesse; *Itinéraire, ...*, P. 223.

² - Berard Victor ; *Op.cit.*, P. 564.

³ - وليم و جورج مارسي، المرجع السابق، ص. 132.

⁴ - نفسه، ص. 160.

إنّ هذا الجزء من سور مدينة تلمسان، والذي يمتد من نواحي "بيت الريش" إلى الركن الجنوبي الغربي للمدينة يمثل السور الجنوبية لمدينة تاجرارت المرابطية، وقد لاحظنا من خلال المخطط أن مسار السور في هذا الجانب يبتعد عن مجرى الوادي ما فرض اتخاذ تدابير دفاعية من ضمنها إقامة "برج القشقاش" وهو برج براني⁽¹⁾ على جانب الوادي تربطه بالمدينة طريق مغطاة⁽²⁾، دوره منع العدو من استغلال مجرى الوادي كمتراس يتحصن به، كما قام الزيانيون بتدعيم هذا الجانب من المدينة الذي يمتاز باعتدال أرضيته، وقلة الموانع الطبيعية التي تحول بين المدينة والعدو، إذا ما باغتها من هذه الجهة بإقامة سور ساتر أمام السور الرئيسي، يتقدمه بدوره خندق يمتد غربا إلى غاية الركن الجنوبي الغربي للمدينة⁽³⁾ وهذه الأعمال الدفاعية من عمل السلطان أبو حمو موسى الأول (1308-1318 م)، الذي اتخذ خلال حكمه عدّة تدابير احتياطية لمواجهة العدو المريني، إذا ما داهمها مرّة أخرى⁽⁴⁾.

يتجه السور من هذا المكان نحو الشمال ليتصل بخامس أبواب المدينة الذي يعرف "بباب كشوط" بنواحي الصهريج الكبير، ومن موقع الباب يستمر امتداده في نفس الاتجاه نحو الأسفل ليتصل "بباب القرمدين" حيث ينتهي سور المدينة.

¹ - رشيد بورويبة وآخرون، المرجع السابق، ص. 270.

² - عبد القادر شريف، «التحصينات العسكرية في المغرب الإسلامي»، دراسة تراثية، ج. 2، العدد: 5، مخبر البناء الحضاري، جامعة الجزائر-2، الجزائر، 2014، ص. 270.

³ - وليم وجورج مارسلي، المرجع السابق، ص. 153.

⁴ - محمد بن عبد الله التتسي، المصدر السابق، ص. 134-135.

كانت أسوار المدينة متينة وعالية⁽¹⁾ مدعمة بأبراج⁽²⁾ حائطية مربعة الشكل⁽³⁾، مزودة بممشى يحميه جدار ساتر، تعلوه شرفات⁽⁴⁾ معظمها هرمية الشكل⁽⁵⁾، ويبدو أن هذا النوع من الشرفات كان شائع الاستعمال خلال هذه الفترة، حيث وقفنا على ذلك ميدانيا بكل من مدينتي عنابة وبجاية، من أملاك بني حفص بالمغرب الأوسط والمعاصرتين لمدينة تلمسان الزيانية.

استعملت مواد مختلفة في بناء أسوار المدينة مثل: الدبش والآجر⁽⁶⁾، إضافة إلى الطابية⁽⁷⁾، هذه المادة التي شاع استعمالها في المغرب الإسلامي عامة والعمارة العسكرية خاصة منذ القرن 5-6هـ / 11-12م⁽⁸⁾.

غلب توظيف مادة الطابية على مواد البناء الأخرى بعمارة أسوار المدينة، بحيث استعملوا في تشكيلها الطين والرمل والجير وبقايا متعددة المصادر⁽⁹⁾ مثل الحصى⁽¹⁰⁾، وتتم هذه التقنية بسكب خليط البناء في قالب خشبي ارتفاعه حوالي 75 سم، يتشكل كل وجه من وجهيه من خمسة قطع خشبية ممتدة بشكل طولي، ويتم رفع القالب إلى مستوى أعلى عند جفاف المستوى السفلي، بحيث يحمل ويثبت بأوتاد خشبية وتكرر الطريقة إلى أن يتم البناء.

¹ - الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ج. 2، ص. 20.

² - مارمول كرخال، المصدر السابق، ج. 2، ص. 299.

³ - رشيد بورويبة وآخرون، الجزائر في التاريخ...، ص. 370.

⁴ - Charles Brosselard ; Op.cit., P. 83.

⁵ - وليم وجورج مارسلي، المرجع السابق، ص. 139.

⁶ - عبد القادر شريف، المرجع السابق، ص. 269.

⁷ - Bergés (L.) ; Op.cit., P. 168.

⁸ - أحمد يوسف الحسن ودونالد هيل، التقنية في الحضارة الإسلامية، ترجمة: صالح خالد ساري، مكتبة الفلاح، د.ت، ص. 128.

⁹ - وليم وجورج مارسلي، المرجع نفسه، ص. 71-72.

¹⁰ - Dr. Shaw ; Op, cit., P. 242.

بعد المعاينة الميدانية لأسوار عدد من المدن والبنائات بكل من أسوار "تلمسان" و"المنصورة" و"هنين" و"بقصر أبي الحسن بالعبّاد"، لاحظنا تشابها في تقنية البناء، رغم اختلاف النظام السياسي للدولتين الزيانية والمرينية، ويظهر ذلك بوضوح في الارتفاع الموحد لقالب التشكيل، وفي استعمال الحجارة كفاصل بين التراب المدكوك والأوتاد الخشبية الحاملة والمثبتة لقالب البناء لتسهيل عملية نزع هذه الأوتاد عند الانتقال إلى الأجزاء العليا من السور، ويكمن الاختلاف فقط في سمك الأسوار، وذلك لاختلاف طبيعة المبنى: عسكري، مدني...الخ.

أبواب مدينة تلمسان:

كانت تلمسان تتصل بخارجها على العهد الزياني بخمسة أبواب رئيسية⁽¹⁾، وهي نفسها التي واصل الأتراك اعتمادها عند إخضاعهم المدينة في القرن 16 م، فقد ذكر "حسن الوزان" الذي كان له شرف الإقامة في ضيافة سلطان تلمسان لشهور عدّة بداية القرن 16م، الذي صادف خضوع عدد من المدن الجزائرية للإسبان أن للمدينة: «خمس أبواب واسعة تغلق بمصاريع مصفحة بالحديد»⁽²⁾، مدعمة بأبراج جانبية بارزة عن واجهة الأسوار⁽³⁾ وبها حجيرات يقيم فيها الحرس والموظفين والمكّاسين⁽⁴⁾. أنظر المخطط رقم: 61.

1 - أبو زكريا يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج. 1، ص. 90.

2 - حسن الوزان الفاسي، المصدر السابق، ج. 2، ص. 20.

3 - رشيد بورويبة وآخرون، المرجع السابق، ص. 371.

4 - حسن الوزان الفاسي، المصدر نفسه، ص. 20.

باب العقبة:

تقع بالسور الشرقية للمدينة، وتعرف أيضا "بباب أغادير"⁽¹⁾، لأنها الباب الوحيدة من الأبواب الرئيسية الخمسة التي تؤدي إلى المدينة القديمة أغادير، وفي الحقبة الاستعمارية أصبحت تسمى بباب "سيدي الداودي" الذي كان بجوارها⁽²⁾.

تعتبر الباب من أقدم مداخل المدينة، وحافظت على وظيفتها إلى فترة الاحتلال الفرنسي، وهي من المداخل المباشرة⁽³⁾، يتوجها عقد على شكل حدوة الفرس⁽⁴⁾، على جانبيها برجين للمراقبة⁽⁵⁾.

استعملت حجارة المدينة الرومانية "بوماريا"⁽⁶⁾ في بناء أساسات الباب، ومادة الطابية في تشكيل جدرانها وكسيت واجهتها من الداخل والخارج بمادة الآجر⁽⁷⁾، في حين استخدمت الحجارة في بناء البرجين الجانبيين لها⁽⁸⁾.

¹- Bergés (L.) ; **Op.cit.**, P. 167.

²- Rachid Bourouiba ; **Op.cit.**, P. 89.

³- ولیم وجورج مارسى، المرجع السابق، ص. 142-143.

⁴- Rachid Bourouiba ; **Idem.**, P. 89.

⁵ ولیم وجورج مارسى، المرجع نفسه، ص. 142-143.

⁶- Rachid Bourouiba ; **Ibid.**, P. 89.

⁷- Bergés (L.) ; **Idem.**, P. 167.

⁸- Rachid Bourouiba ; **Ibid.**, P. 89.

باب الجياد:

توجد بالسور الجنوبية للمدينة بنواحي "بيت الريش"، حيث تتلاقى العباد مع وادي متشكانة⁽¹⁾ لحماية القنطرة التي تعبر الوادي وتحمل نفس اسم الباب⁽²⁾.

باب كشوط:

جاءت في المصادر المعاصرة للفترة الزيانية باسم "باب كشوط"⁽³⁾، ليطلق عليها فيما بعد مسميات أخرى مثل: "باب الأرجوحة" في الفترة التركية لأنه كانت تتم عندها عمليات تنفيذ أحكام الإعدام⁽⁴⁾، لتصبح بداية من الفترة الاستعمارية تعرف "بباب فاس" و"باب سيدي بوجمعة" نسبة إلى ضريح الولي الصالح الذي شيد على الطريق المؤدية من تلمسان باتجاه المنصورة⁽⁵⁾.

تقع الباب بالسور الغربية للمدينة، وقد تعرضت خلال الحكم التركي إلى التحسين بطبانة، تقيم بها حامية دائمة من الأتراك⁽⁶⁾، وخلال الحقبة الاستعمارية قام الفرنسيون بتجديد عمارتها⁽⁷⁾ ودعمت بباب حديثة تسمى "باب المحاجر"⁽⁸⁾.

¹ - رشيد بورويبة وآخرون، المرجع السابق، ص. 371.

² - محمد ابن مرزوق التلمساني، المصدر السابق، ص. 418.

³ - أبو زكريا يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج. 1، ص. 90. راجع: - مؤلف مجهول، زهر البستان ...، ص 358-359.

⁴ - وليم وجورج مارسلي، المرجع السابق، ص. 163.

⁵ - Charles Brosselard ; **Op.cit.**, in: *Revue Africaine*, N 22/ 1860, P. 256.

⁶ - وليم وجورج مارسلي، المرجع نفسه، ص. 163.

⁷ - Louis Piesse; **Op.cit.**, P. 224.

⁸ - Berard Victor ; **Op.cit.**, P. 563- 564.

باب القرمدين:

موقعها وتاريخها:

تعرف كذلك بباب القرمادي⁽¹⁾، وقد أرجع "الأخوان مارسى" ذلك إلى وجود مصانع للفخار بهذا الموقع⁽²⁾، وهذا الرأي منطقي لا يتعارض مع شروط وقواعد العمران الإسلامي التي تدعو إلى إقامة هذا النوع من المنشآت الصناعية خارج أسوار المدن، على غرار صناعة الدباغة لما لها من أضرار على الرعية بفعل انبعاث الدخان والروائح الكريهة، إضافة إلى طبيعة هذه النشاطات الصناعية التي تحتاج إلى تقريبها من المادة الأولية الصناعية والطاوية مثل الحطب، حيث تكثر أسواقه بأرباض المدينة، إضافة إلى حاجتها إلى مساحات واسعة للنشر والتخزين، ولدينا أمثلة كثيرة لها بالمدن الإسلامية يكفي أن نذكر منها: أفران مدينة ميلة خارج "باب البلد"، وأفران مدينة الجزائر خارج "باب الوادي".

الوصف المعماري لباب القرمدين:

أما عمارة الباب، عبارة عن مجموعة من التحصينات المتمثلة في برجين دائري الشكل يتقدمهما باب فتحته ضيقة، وعلى جانبيها برجين مربعي الشكل⁽³⁾، وكانت هذه الباب مخصصة لخروج الجيش الزياني للتجمع بالسهل الذي يتقدمها، ويسمى "بالمينا" قبل تحركه إلى ميدان المعركة، ما يجعلنا نرجح أن تكون نفسها "باب البنود" التي جاءت في

¹- Charles Brosselard ; **Op.cit.**, P.166- 167.

²- وليم وجورج مارسى، المرجع السابق، ص. 163.

³- رشيد بورويبة وآخرون، المرجع السابق، ص. 361.

"كتاب البغية"⁽¹⁾ لأن هذه التسمية تطلق على الأبواب التي تخرج منها الجيوش مثل: "باب البنود" (الفوقة) بأسوار مدينة بجاية الحمادية. أنظر المخطط رقم: 62.

بعد الزيارة الميدانية للباب، لاحظنا أنها منخفضة وفتحتها ضيقة، وهذا يتعارض مع وظيفتها السالفة الذكر، ومناف لما جاء عن عمارة أبواب المدينة من سعة وحصانة⁽²⁾، ما يجعلنا نقول أن الباب غير أصلي خاصة إذا علمنا أن أبواب المدينة مستحدثة في الفترة الاستعمارية باستثناء "باب سيدي الحلوى" و"باب الجياد"⁽³⁾. أنظر الصورة رقم: 37.

استعملت في بناء الباب مادة الدبش والطابية، في حين البرجين الدائريين اللذين يتقدمانها من الداخل، شيدت أرضيتها بالآجر، وبدنهما بالطابية على شكل كتلة واحدة إلى السطح، حيث يدافع من خلاله الحرس، وقد لاحظنا أن قطره يتناقض كلما اتجهنا إلى الأعلى زيادة في تدعيمه.

باب سيدي الحلوى:

تقع بالصور الشمالية للمدينة، وهي ثاني أبواب المدينة بالصور الشمالية لها بعد "باب القرمديين"، كانت تعرف بهذه التسمية على الأقل منذ الفترة الزيانية⁽⁴⁾، وذلك لقرب موضعها من ضريح "سيدي الحلوى"⁽⁵⁾، وفي نفس الفترة كانت تعرف أيضا "بباب علي"⁽⁶⁾، وبعدها في الحقبة الاستعمارية أصبح يطلق عليها اسم "باب زيري" نسبة إلى مسجد صغير يوجد بالقرب منها⁽⁷⁾.

¹ - أبو زكريا يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج. 1، ص. 209.

² - حسن الوزان الفاسي، المصدر السابق، ج. 2، ص. 20.

³ - Louis Piesse; Op.cit., P. 224.

⁴ - أبو زكريا يحيى ابن خلدون، المصدر نفسه، ص. 90.

⁵ - ولیم وجورج مارسى، المرجع السابق، ص. 136.

⁶ - أبو زكريا يحيى ابن خلدون، المصدر نفسه، ص. 128.

⁷ - Charles Brosselard ; Op.cit., P.166- 167.

حصون وأبراج مدينة تلمسان:

إن طابع مدينة تلمسان الدفاعي الذي فرضته مكانتها السياسية كعاصمة للدولة الزيانية، واستجابة أيضا للأوضاع الأمنية المضطربة التي كانت تعيشها طيلة ثلاثة قرون، جعل الأتراك يكتفون بإعادة استغلال تحصيناتها القديمة، وتدعيم البعض منها بأعمال ثانوية، حيث اتخذوا من "المشور" مقرا لسلطتهم السياسية بالمدينة وثكنة للحامية التركية التي تحميها، ودعموا أبواب المدينة بطبانات تقيم بها حامية دائمة⁽¹⁾، إضافة إلى بعض ثكنات الإنكشارية التي كانت مجاورة لـ "باب القرمدين" بالجهة الشمالية الغربية⁽²⁾، وأقاموا أيضا حامية بأغادير تتكون من أربعة حراس (رهط)، رغم أن هذه المدينة قد هدمت أسوارها وفقدت مكانتها التي كانت عليها في وقت قريب من فترة الحكم التركي لها⁽³⁾، كما كان بمرتفعاتها حصنين كل واحد منهما مسلح بـ 20 مدفعا، ويتسعان لحامية من 100 إلى 150 رجل⁽⁴⁾.

¹ - Charles Brosselard ; **Op.cit.**, P. 105.

² - ولیم وجورج مارسلي، المرجع السابق، ص. 162.

³ - Bergés (L.); **Op.cit.**, P. 153.

⁴ - Alfred Nettement; **Op.cit.**, p. 590.

قصر المشور:

موقعه وتاريخه:

يعرف عند البعض بالقصر الملكي⁽¹⁾، أو قصر الملك⁽²⁾، ولدى البعض الآخر بالقصبة⁽³⁾، وسمي بالمشور نسبة إلى قسم من القلعة السلطانية، حيث كانت تعقد به مجالس الملوك والسلاطين للتشاور حول قضايا الدولة المختلفة، وقد كانت هذه الظاهرة منتشرة أيضا بقصور الخلافة بالمغرب الأقصى⁽⁴⁾، وبقصر الحمراء بالأندلس⁽⁵⁾.

شيدت قلعة المشور بالجهة الجنوبية من المدينة⁽⁶⁾ على أرضية مرتفعة مقارنة بالمناطق المجاورة لها⁽⁷⁾، من طرف السلطان "يغمراسن بن زيان" بنفس الموضع الذي نصب به "الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين" خيمته عند محاصرته لمدينة أغادير سنة 462هـ / 1067م.⁽⁸⁾

¹ - حسن الوزان الفاسي، المصدر السابق، ج. 2، ص. 20.

² - مارمول كاريخال، المصدر السابق، ج. 2، ص. 299. راجع:

- Rozet et Carette, **Op.cit.**, P. 129.

³ - محمد ابن مرزوق التلمساني، المصدر السابق، ص. 402. راجع:

- إسماعيل العربي، المدن المغربية...، ص. 137.

⁴ - الكلونيل اسكوت، مذكرات الكلونيل أسكوت، ترجمة وتعليق: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 66.

⁵ - أرنست كونل، الفن الإسلامي، ترجمة: أحمد موسى، دار صادر، بيروت، لبنان، 1966، ص. 126.

⁶ - حسن الوزان الفاسي، المصدر نفسه، ص. 20.

⁷ - Bergés (L.); **Op.cit.**, P. 361.

⁸ - Louis Piesse; **Itinéraire**, ..., P. 231.

اتخذ منه "السلطان الزياني يغمراسن" مقرا لإقامته بعد أن كان بالقصر القديم بالقرب من المسجد الكبير⁽¹⁾، كون المئذنة التي شيدها وألحقها بعمارة المسجد تشرف على القصر، ويمكن أن تكشف من بداخله ما يشكل خطرا عليه⁽²⁾، وهذه الظاهرة كانت قائمة منذ فترة متقدمة من تاريخ الحكم الإسلامي، تشهد عليها حادثة هدم إحدى المآذن الأربعة للمسجد النبوي بأمر من "سليمان بن عبد الملك بن مروان" عند أدائه لفريضة الحج لأنها كانت تشرف على مقر إقامته⁽³⁾. أنظر المخطط رقم: 61.

واصل سلاطين بنو زيان اعتماد المشور مقرا رسميا لإقامتهم⁽⁴⁾، يساعدهم في إدارة شؤونهم مجموعة من الشخصيات تضم ضباط وموظفين سامين وهم: المزوار نائب الملك ومستشاره، كبير الكتاب، وأمين بيت المال، وصاحب النفقات، وقائد الباب المكلف بحراسة القصر والملك عندما يستقبل الرعية، إضافة إلى وظائف أخرى أقل أهمية، يشغلها قائد الاصطبلات وقائد السيافين، والحاجب الأعظم⁽⁵⁾.

حافظت القلعة على مكانتها السياسية والعسكرية بالمدينة بعد دخول الأتراك إليها، حيث اتخذ منها حاكم المدينة مقرا لسلطته تحت إمرته حامية من خمسة صفرات تضم 76 رجلا⁽⁶⁾، إضافة إلى عدد كبير من الجنود الاحتياطيين من الأتراك والكراغلة لحماية المدينة⁽⁷⁾.

¹- Charles Brosselard ; **Op.cit.**, P. 89.

²- وليم وجورج مارسلي، المرجع السابق، ص. 176.

³- علي سعيد سيف، مآذن...، ص. 463-467.

⁴- رشيد بورويبة وآخرون، المرجع السابق، ص. 463-467.

⁵- الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ج. 2، ص. 22. راجع:

- الحافظ التتسي التلمساني، نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ملوك الدولة الزيانية الجزائرية، تقديم وتحقيق وتعليق: بوطالب محي الدين، منشورات دحلب، دت، ص. 20-21.

⁶- Albert Devoux ; **Tachrifat...**, P. 50.

⁷- Rinn (L.); **Op.cit.**, in: Revue Africaine, N 22, P. 09.

شهد المشور خلال هذا العهد هدم الكثير من مبانيه الداخلية⁽¹⁾ على غرار العديد من عمائر المدينة، حيث لم يسلم منها سوى السدس، وذلك كردّة فعل من طرف "الباي حسن" على تمرد سكان المدينة ضدّه سنة 1670⁽²⁾، مع الإبقاء على نظامه الدفاعي المعماري⁽³⁾.

بعد إمضاء معاهدة التافنة في ماي 1837 م، جعل منها "الأمير عبد القادر" مقرا لمقاطعة تلمسان تحت سلطة خليفته "محمد البوحميدي الولهاصي"⁽⁴⁾، ولما توفي عين مكانه "الحاج محمد بن أحمد التهامي"⁽⁵⁾ واتخذها حصنا عسكريا يمثل بداية الخط الدفاعي الثاني من الناحية الغربية⁽⁶⁾، وبها كانت تصنع المدافع تحت إشراف الخبير الإسباني "دون خوسي"⁽⁷⁾ والإيطالي "البنقو"⁽⁸⁾.

¹ - وليم وجورج مارسلي، المرجع السابق، ص. 155.

² - Dr. Shaw ; **Op, cit.**, P. 243.

³ - الكلونيل اسكوت، المصدر السابق، ص. 66.

⁴ - محمد بن عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ج1، ص. 205.

⁵ - إسماعيل العربي، حكومة الأمير...، ص. 222.

⁶ - رشيد بورويبة، القلاع والحصون...، ص. 96-97.

⁷ - الكلونيل اسكوت، المصدر نفسه، ص. 66-67.

⁸ - رشيد بورويبة، المرجع نفسه، ص. 96-97.

بقيت تحت سلطة الأمير إلى أن احتلها الفرنسيون نهائيا في جانفي 1842⁽¹⁾، قاموا بتهيأتها بهدم ما تبقى بها من المباني المدرسة، وشيدوا مكانها بنايات للجيش⁽²⁾، تتمثل في المستشفى العسكري وثكنة ل سلاح المشاة والهندسة والمدفعية، إضافة إلى مقر الإدارة العسكرية ومخزن الذخيرة والبارود والسجن⁽³⁾.

الوصف المعماري لتحصينات المشور:

شيّدت قلعة المشور على أرضية معتدلة، ممتدة بشكل طولي متخذة شكلا مستطيلا، تحميها سور عالية⁽⁴⁾، يتراوح ارتفاعها من أسفل السور إلى نهاية الحائط الساتر ما بين 12 إلى 15 م⁽⁵⁾، ويصل سمكها إلى نحو 3 م بالناحية الشمالية المواجهة للمدينة، أما طولها يبلغ 1480 م، تضم داخلها مساحة واسعة تقدر بحوالي 128800 م²⁽⁶⁾.

اتخذت السور شكلا غير منتظما خاصة بالواجهة الغربية والشمالية، هذه الأخيرة التي تكثر بها التعرجات، وذلك للزيادة في متانة أسوارها خاصة مع قلة الأبراج الحائطية بها، إضافة إلى فضل هذه التعرجات في مراقبة جوانب الأسوار.

تعرضت أسوار القلعة إلى التجديد المستمر منذ الفترة الزيانية التي عرفت خلالها عدّة إصلاحات نتيجة الظروف الأمنية الخارجية والداخلية المضطربة التي كانت تحق بالدولة، فقد تسببت الثورة الشعبية ضدّ السلطان أبي العباس أحمد إلى رفع أسوارها، واستمرت هذه الأعمال إلى الحقبة الاستعمارية حين قام الفرنسيون بترميمها وتدعيمها

¹– Quétin (E.); **Op.cit.**, P.266.

²– وليم وجورج مارسلي، المرجع السابق، ص. 159.

³– Berard Victor ; **Op.cit.**, P. 564. **Voir**: - Robert Georges ; **Op.cit.**, P. 268.

⁴– Dédie (L.); **Histoire d'Oran**, Imprimerie Jeanne D'Aro, Oran, Algérie, 1927, P. 26.

⁵– Berard Victor ; **Idem.** , P. 564.

⁶–Louis Piesse; **Itinéraire ...**, P. 232.

بفتحات للرماية وأبراج للمراقبة⁽¹⁾ نذكر منها المراقب الثلاثة القائمة بالواجهة الشمالية، التي لها شكل دائري، يقدر قطرها بـ 1م وارتفاعها بـ 2,10م، فتحت بجدرانها أربعة مزاغل للرماية، عرضها من الداخل 0,25م ومن الخارج 0,07م، وترتفع عن أرضية البرج بـ 0.70م. انظر الصورة رقم: 38.

إن هذا التجديد المستمر في عمارة الأسوار أفقدها طابعها الإسلامي، وصعب من تحديد عناصرها المعمارية الأصلية من غيرها، إلا أن ذلك لا يمنع الإشارة إلى بعضها بعد المعاينة الميدانية للبنية ومقارنتها بما جاء عنها في بعض الدراسات.

أبواب القلعة:

ندخل إلى المشور عبر بابين، لا تزالان تحافظان على موضعهما الأصلي إلى يومنا هذا، رغم بعض أعمال التغيير التي لحقت بعمارتها خلال فترة الاحتلال الفرنسي للمدينة.

باب المشور:

موقعها وتاريخها:

ذكرت أيضا باسم باب أغادير⁽²⁾ لأنها كانت منفذ القصر إلى مدينة أغادير التي أصبحت خلال الحكم التركي والاحتلال الفرنسي مجرد ربض مهجور⁽³⁾.

¹ - ولیم وجورج مارسي، المرجع السابق، ص. 43-149.

² - Bergés (L.) ; **Op.cit.**, P. 358.

³ - Rozet et Carette ; **Op.cit.**, P. 129.

تقع بالواجهة الغربية للقصر بالجانب الشمالي الغربي من السور، حيث تؤدي إلى مركز المدينة⁽¹⁾، وبها كان يقيم قائد الحرس الملكي على الدوام⁽²⁾. أنظر المخطط رقم: 61.

الوصف المعماري لباب المشور:

الباب من المداخل المباشرة، إلا أن عرضها متباين، حيث يقدر في الواجهة الخارجية بـ 3,70م، وفي الناحية المقابلة بـ 4,40 م، أما عمقها فيصل إلى حوالي 14 م، على جانبيها غرفتين للمراقبة تطلان عليها بعدد من فتحات الرماية.

يتوج الباب برج مراقبة، نصل إليه عبر سلم بالجانب الأيمن لها، استحدث من طرف المهندسين العسكريين سنة 1843م⁽³⁾. أنظر المخطط رقم: 63. والصورة رقم: 39.

باب التوتية:

موقعها وتاريخها:

يقال أنها باب سري للقصر، وأطلقت عليها هذه التسمية نسبة إلى شجرة التوت التي كانت تظلّها⁽⁴⁾، وفي فترة الاحتلال أصبحت تعرف بباب الجنوب حسب ما جاء في عدد من مخططات المدينة لنفس الفترة، وعبرها كان الحاكم وحاشيته يخرجون إلى البادية اتجاه الجبل⁽⁵⁾.

تحتل الباب الجانب الأيمن من السور الجنوبية للقلعة التي تعتبر امتدادا لسور المدينة، على بعد حوالي 50 م عن الركن الجنوبي الغربي لها، حيث تطل مباشرة على الطريق المؤدية إلى المنصورة بالناحية الغربية. أنظر المخطط رقم: 61.

¹ - حسن الوزان الفاسي، المصدر السابق، ج. 2، ص. 20.

² - مارمول كاريخال، المصدر السابق، ج. 2، ص. 299.

³ - وليم وجورج مارسلي، المرجع السابق، ص. 159.

⁴ - نفسه، ص. 163.

⁵ - الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر نفسه، ص. 20.

الوصف المعماري لباب التوتية:

رغم التجديدات التي طرأت عليها إلا أنها لا تزال تحافظ على بعض معالمها المعمارية، هي الأخرى من المداخل المباشرة، يتوجها عقد نصف دائري، عرضها 2,50 م وارتفاعها 3,50 م على جانبيها برجين مستطيلا الشكل، البرج على يمين الباب مقاساته 8,30 م× 10 م، يحميه حائط سائر ارتفاعه 2,50 م، فتحت بضلعيه فتحتين للمدفعية وثمانية مزاغل للرماية.

أما البرج الذي على يسارها، هو الآخر يحميه حائط سائر، به خمسة مزاغل إثنان منها بالضلع الجنوبي وثلاثة بالضلع الشرقي له، وبناءا على موضع البرجين، يبين أن فتحة الباب الأصلية كانت أوسع مقارنة بالباب الحالية. أنظر المخطط رقم: 64. والصورة رقم: 40.

الأبراج الحائطية لقلعة المشور:

تدعم السور عدد من الأبراج ذات كتلة معمارية واحدة استعمل سطحها كمنصات للمدفعية، ومعظمها مستحدثة باستثناء البرجين الدائري الشكل بالواجهة الشمالية⁽¹⁾ يقل قطرها كلما اتجهنا إلى الأعلى، حيث يقدر قطر البرج الغربي بـ 4,20 م، في حين البرج الشرقي بـ 2,70 م، يربط بينهما حائط سائر طوله 8 م وسمكه 0,80 م وعلى جانبيهما ثلاثة فتحات للمدفعية عرضها من الداخل 2,30 م ومن الخارج 2,60 م. والصورة رقم: 41.

كانت الأسوار تتشكل أيضا من عناصر معمارية أخرى مثل: السلالم المنحدرة التي لا يزال نموذجا لها قائما بالسور الشمالية، حيث تؤدي مباشرة إلى منصات المدفعية، إضافة إلى السلالم المدرجة التي يستعملها الجند للوصول إلى الممشى الذي يحميه جدار

¹ - Louis Piesse; Op.cit., P. 232.

ساتر كانت تتوجه شرافات هرمية الشكل، شبيهة بالشرافات التي كانت تتوج السور الرئيسية للمدينة. كما كانت سور القلعة تدعمها في جانبها الشرقي خندق⁽¹⁾.

سرداب قلعة المشور:

موقعه وتاريخه:

يوجد بالجهة الشرقية للقلعة، غير بعيد عن سورها الشرقية التي لا تزال بعض آثارها قائمة على جانب ساحة ثانوية "حامد بن ديمراد". أنظر المخطط رقم: 61.

تم الكشف عنه عند تهيئة المكان لإنجاز قاعة رياضية، وهو حاليا أسفل مضمار القفز الطويل، حيث كان يستعمل من طرف سلاطين بني زيان للتنقل إلى المسجد الكبير لأداء صلاتهم به قبل إنشاء مسجد المشور على عهد "أبي حمو موسى الثاني"، ونرجح أن يكون من عمل "السلطان يغمراسن" الذي واصل أداء صلاته بالمسجد الكبير، الذي كان يتصل بالقصر القديم بطريق خاص قبل نقل مقر حكمه إلى قصر المشور⁽²⁾.

¹ - لخضر درياس، المرجع السابق، ص. 176.

² - رشيد بورويبة وآخرون، الجزائر في التاريخ...، ج 3، ص. 362-363.

بنايات قلعة المشور:

كانت قلعة المشور تضم بداخلها حدائق وبنايات كثيرة ومن ضمنها:

قصر السلطان:

موقعه وتاريخه:

كشفت الحفريات التي أقيمت بالمشور في ثمانينات القرن الماضي، أن موقع القصر كان بالجهة الشمالية، وقد جاء اختيار موقعه مدروسا بجعله بالقرب من السور الشمالية، وهي أكثر تحصينا من خلال سمكها أو العناصر المعمارية المشكلة لها مقارنة بالأسوار الأخرى للقلعة، وفي ذلك أيضا إبعاد لإقامة السلطان عن السور الجنوبية التي تعتبر جزءا من السور الرئيسية للمدينة تجنباً لأي مكروه، وقد كانت عمارة القصر عند احتلال الفرنسيين لها في وضعية حفظ سيئة، فقاموا بهدمه سنة 1842 م⁽¹⁾، وأقاموا مكانه ثكنة كبيرة تتسع لـ 500 جندي من سلاح الخيالة⁽²⁾. أنظر المخطط رقم: 61.

أعيد بناء القصر سنة 2011م وفق البقايا المعمارية التي كشفت عليها الحفريات الأثرية، ليستغل حالياً كمتحف الفلكلور.

مسجد المشور:

موقعه وتاريخه:

شيد بجانب السور الغربية للقلعة على يمين الداخل من باب المشور، وهو من عمل "السلطان أبو حمو موسى الثاني"، وفي الفترة التركية حوّل إلى مسجد للجند المقيمين بالقلعة⁽³⁾، وبعد احتلالها من قبل الفرنسيين سنة 1842 م استغل كمستشفى عسكري⁽⁴⁾. أنظر المخطط رقم: 61.

¹ - وليم وجورج مارسلي، المرجع السابق، ص. 159.

² - Bergés (L.); **Op.cit.**, P. 359.

³ - Charles Brosselard ; **Op.cit.**,p. 247.

⁴ - Bergés (L.); **Idem.**, P. 358-359.

الوصف المعماري لمسجد المشور:

اتخذ المسجد شكلا مستطيلا طوله 22 م، وعرضه 13,85 م، وارتفاع جدرانه 6,40 م، ندخل إليه عبر مدخل عرضه 2 م بضلعه الشرقي في الجزء المحصور بين المئذنة وجدار القبلة، نلج عبر المدخل إلى بيت الصلاة الذي يتشكل من ثلاثة أساكيب وثلاثة بلاطات عمودية على جدار القبلة، أوسعها البلاطة المركزية بـ4,30 م.

للمسجد صحن مكشوف مستطيل الشكل طوله 5,10 م وعرضه 4,80 م، تطوقه مجنبتان ومؤخرة، وبلطت أرضيته بفسيفساء خزفية عبارة عن تجميعات لقطع خزفية تمثل أشكالاً هندسية مختلفة (خطوط، معينات، نجوم)، لا تزال أجزاء أصلية منها قائمة بالجانب الغربي للصحن، الذي جهز بفسقية تستعمل للوضوء.

تتشكل عمارة المسجد من عناصر معمارية مختلفة، في مقدمتها المحراب المضلع الشكل الذي يتوسط جدار القبلة وعلى جانبيه مدخلين يؤديان إلى المقصورة التي تتقدمه، زخرفت واجهته بعناصر زخرفية نباتية وهندسية (أوراق نخيلية، طبق نجمي)، نفذت على الجص بتقنية الحفر البارز.

ألحقت بعمارة المسجد مئذنة مربعة الكشل طول كل ضلع من أضلاعها 4,90 م، استعملت في بنائها مادة الآجر بتقنية البناء المنتظم. أنظر الصورة رقم: 42.

كما تضم عمارة المسجد عناصر معمارية داعمة للسقف الجمالوني، عبارة عن دعائم ضخمة مختلفة الأشكال مربعة، وعلى شكل حرف T، وصليبية، هذه الأخيرة التي استعملت بشكل واسع بالعمائر الإسلامية، حيث نجد لها مثالا في مشهد طباطبا بمصر على العهد الإخشيدي⁽¹⁾.

¹ - فريد شافعي، العمارة العربية...، مج 1، ص. 514.

استعملت تقنيات بناء مختلفة في تشكيل أسوار قلعة المشور، مثل تقنية الطابية التي غلبت على الواجهة الجنوبية، إضافة إلى تقنية البناء بالدبش، حيث تفصل بينها مداميك مائلة أو أفقية من الآجر وتتكرر بهذه الطريقة إلى أعلى السور.

استخدمت تقنية السنبلة بالسور الشمالية من القلعة على ارتفاع معتبر يقدر بحوالي 2 م، وبنفس الواجهة لاحظنا المزج بين أكثر من تقنية بناء أو ما يعرف بتقنية البناء بالتناوب بين تقنية السنبلة وتقنية البناء بالدبش، تفصل بينها مداميك مائلة من الآجر.

وقفنا أيضا على تقنية بناء أخرى تعرف بتقنية القمط، وتتمثل في التشابك الموجود بين الجدران في أركان البناء، أو عند الزوايا الحادة الناتجة عن تعرجات الأسوار، وذلك زيادة في متانتها، وتمت باستخدام الحجارة المصقولة، حيث غلب استعمالها بالسور الشمالية.

تحصينات مدينة وهران:

أسوار مدينة وهران:

يتصف موقع بناء مدينة المرسى الكبير بضيقه، وصعوبة تضاريسه، وقلة مياهه، وهذه عوامل شكّلت عائقا أمام حركة العمران به، وأثرت سلبا على المبادلات التجارية البرية مع الداخل، رغم ما تميز به ميناء المدينة من أهمية لاتساعه وحمايته للسفن الراسية به⁽¹⁾.

أدت العوامل السابقة إلى إنشاء مدينة وهران بالسفح الشرقي لجبل "هيدور" (جبل مرجاجو)⁽²⁾، لما يتميز به موقعها من شروط طبيعية مشجعة لحركة العمران على المدى البعيد، يتقدمها اتساع الموقع وانفتاحه على الجهة الشرقية والجنوبية الشرقية، ما أدى إلى نمو المدينة على حساب هذه المساحة شرق "واد رأس العين" خلال الفترة الزيانية

¹-René Lespés ; Oran, étude de géographie ..., P. 52.

²- الآغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ج1، ص. 59.

والإسبانية والتركية والفرنسية، واستمرت أعمال التعمير بهذا المجال إلى يومنا هذا، وسهّل موقعها أيضا لقلة العوارض الطبيعية به، الاتصال بالمدن الداخلية عبر المسالك البرية، حيث كانت تتخذ من وهران سوقا للبيع والشراء، وذلك بفضل مينائها الطبيعي (المرسى الصغير) الذي يحميه "رأس لامون" من الجهة الغربية⁽¹⁾.

كما يتوفر موقعها على شروط أخرى محفّزة لتطور عمرانها، كشرط الماء ومصدره "واد الرحي"، الذي شجع النشاط الزراعي واستخدم كطاقة حركية لتشغيل الرحي، التي كانت بالقسم السفلي منه بنواحي "باب عمارة".

أما من ناحية التحصين، فقد استفادت من التحصين الطبيعي، ومن مظاهره المنحدرات الجبلية من الناحية الغربية، إضافة إلى مجرى الوادي الذي يعتبر خندقا طبيعيا يحميها من الناحية الشرقية⁽²⁾.

دعّم المسلمون هذه التحصينات الطبيعية بأعمال معمارية نذكر منها الأسوار التي يعود تاريخ تشييدها إلى مراحل متقدمة من بناء المدينة، فقد ذكر ابن حوقل (ق: 4/10م) المعاصر لحكم بني زيري لها أنه كانت حينها مسورة⁽³⁾، ويدعم ذلك الجغرافي المقدسي بقوله: «وهران بحرية مسورة»⁽⁴⁾.

¹ - René Lespés ; **Op.cit.** , P. 52.

² - DJelloul Neji; **Op.cit.**, P. 216-217.

³ - ابن حوقل النصيبي، المصدر السابق، ص. 79.

⁴ - المقدسي، المصدر السابق، ص. 299.

ظلت وهران محتمية خلف أسوارها في المراحل التي تلت هذه الفترة، إلى أن هدمها "عبد المؤمن بن علي" بعد أن استولى عليها سنة 539هـ/1145م⁽¹⁾، إلا أن الموحدين أعادوا بنائها من جديد، وإلى ذلك أشار الإدريسي (ق 6هـ / 12م) بقوله: «وهران على مقربة من ضفة البحر الملح وعليها سور من تراب متقن»⁽²⁾.

بعد سقوط الدولة الموحدية انتقلت أملاكها بالمغرب الأوسط إلى "بني زيان" ومن ضمنها مدينة وهران التي عرفت خلال الأنفاس الأخيرة لهذه الدولة نشاطا تجاريا كبيرا، وحركة معمارية معتبرة، تحميها أسوار مشيدة بالطابية ومدعمة بأبراج حائطية⁽³⁾، ومسلحة بالمدفعية، حيث وجد بها الإسبان تاريخ احتلالها سنة 1509 م ما يزيد عن ستين مدفعا من الحجم الكبير⁽⁴⁾.

حافظ الإسبان بصفة عامة بعد احتلالهم المدينة على نفس مسار سور المدينة الإسلامية، ونظرا لضعف عمارتها قاموا بترميمها، وإعادة بنائها من جديد في بعض الأماكن منها⁽⁵⁾، وتم ذلك على عهد "المركيز غوماريز" "Marquis de Gaumares" وابنه "لويس" "Louis de Cordava" وفي سنة 1534م، عرفت عمارتها أعمالا هامة على يد "الكونت الكوديت" "Le Comte Alcaudet"⁽⁶⁾.

تعرضت تحصينات المدينة خلال الفتح الأول لها من طرف الأتراك (1708-1732) إلى الإهمال بما في ذلك عمارة الأسوار التي استعملت كسوتها الخارجية من

¹-Rachid Bourouiba, **Op.cit.**, P. 95.

²- إسماعيل العربي، المدن المغربية....، ص. 141.

³-René Lespés ; **Oran, ville et port ...**, P. 305.

⁴- Rozet et Carette, **Op.cit.**, P. 93.

⁵- René Lespés ; **Idem.**, P. 306.

⁶-De Epalza Mikel, Vilar Jean Bta ; **Op.cit.**, P. 119- 120.

الحجارة المصقولة وتراب الزلاقات في بناء عمائر "الباي بوشلاغم" والمباني العامة⁽¹⁾، ما انعكس سلبا على النظام الدفاعي للمدينة كتواضع قدرتها التسلحية⁽²⁾، وقد عجلت هذه الظروف من مهمة الاسبان في إخضاع المدينة سنة 1732م، ويظهر ذلك في نص للشقراني يقول فيه: «أخذت في المرة الثانية بلا كبير ملحمة بل بقتال قليل»⁽³⁾، ويدعم قوله ما جاء في "كتاب الحلل السندسية" لأبي راس الناصري" بقوله: «فانهزم الناس بعد حرب قليل»⁽⁴⁾.

شهدت المدينة بعد الاحتلال الإسباني الثاني لها، إقبالا سكانيا كبيرا، استدعى توسيع المجال العمراني لها، فاقترحت السلطات الاسبانية سنة 1734م توسعة الأسوار، إلا أن بالمقارنة بين مخطط مشروع التوسعة المؤرخ بسنة 1734م، ومخطط آخر يمثل نهاية وجود الاحتلال الاسباني بوهران مؤرخ بسنة 1791 م، تبين أن هذا المشروع لم يتم ميدانيا، بل اكتفى الاسبان بإنشاء أرباض خارج أسوار المدينة، محافظين بذلك على السور القديمة لها⁽⁵⁾.

¹ - René Lespés ; **Oran, étude...**, P. 73. **Voir:** , René Lespés ; **Oran, ville**, P.308.

² -Don Jose Vallejo ; **Contribution ...** , P. 334.

³ - أحمد الشقراني الراشدي، المصدر السابق، ص. 71.

⁴ - أبو راس محمد بن ناصر المعسكري، المصدر السابق ، ص. 516.

⁵ - De Epalza Mikel, Vilar Jean Bta ; **Op.cit.**, P. 216-221.

عرفت الأسوار خلال هذه الفترة (1732-1791) بعض أعمال الإصلاح والتهيئة، نذكر منها بناء سور عازلة من الناحية الشمالية، تفصل بين المدينة و"ربض البحرية"(*)⁽¹⁾، وأقاموا الحاجز الذي يتقدم المدينة أعلى المنحدر بالضفة الشرقية لـ"وادي راس العين"، ويتكون من عدد من الحصون، تمتد من الشمال حيث "البرج الأحمر" إلى "برج فارديناند" جنوباً، دوره حماية المدينة من الخطر الذي يأتيها من الشرق والجنوب الشرقي، وتعزلها عن الاتصال المباشر "بربض خنق النطاح"، وعرفت هذه الفترة أيضاً مدّ السور الجنوبية للمدينة التي تشكل الواجهة الخارجية للقنصة وربطها بالحاجز الشرقي عند "حصن القديس أندري"⁽²⁾.

أصاب وهران في سنة 1790 م زلزال، نتج عنه تضرر تحصينات المدينة بصفة عامة، ومن بينها الأسوار التي حرص الإسبان على إصلاحها لصدّ الحصار الذي فرضه "محمد الكبير" على المدينة سنة 1791م، وقد قام بعد تحريرها بإعادة تعميرها، حيث استقدم إليها الناس وأقطعهم الأراضي، فنتج عن هذه السياسة الرشيدة حركة عمرانية واسعة داخل أسوار المدينة وخارجها، وإلى ذلك أشار "الآغا بن عودة المزاري" بقوله: <<ولقد عظمت مساحتها...، حتى صارت لا تحمي في الطول والعرض فأحاط بها سورها الجديد...>>، وفي قوله: <<وما خرج عن سورها من البنيان فلا يضبطه لسان>>⁽³⁾.

* ربض واسع بنفس مساحة المدينة الأم تقريبا، شيد شمال هذه الأخيرة في الموضع المحصور بينها وبين البحر، بالضفة الغربية لـ"وادي راس العين"، ويعد من أرباض المدينة الإسلامية، وكان يسكنه الأندلسيون، وباحتلال المدينة من طرف الإسبان سنة 1509 م، قاموا بإبعادهم منه ووسعوه بإنشاء بنايات جديدة به سنة 1563 م، وقد تعرض لعمليات تعمير أخرى بعد احتلالهم الثاني لوهران سنة 1732 م. راجع:

- De Epalza Mikel, Vilar Jean Bta ; **Op, cit.**, P. 223.- Henri Léon Fey ; **Op.cit.**, P. 107-108.

- René Lespés ; **Oran, Etude...**, P. 84.

¹- **Idem.**, P. 72.

²- De Epalza Mikel, Vilar Jean Bta ; **Idem.**, P. 223.

³- الآغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ج 01، ص. 63.

بعد احتلال الفرنسيين ل وهران سنة 1831م، قاموا بترميم أسوارها، وفي سنة 1866 م هدموها، وحصنوا المدينة القديمة رفقة المدينة الجديدة⁽¹⁾، التي تشكلت بحي "خنق النطاح" بداية من سنة 1832م⁽²⁾، وتم هذا العمل بعد هدم السور الشرقية للمدينة الأم التي تمتد بجانب الضفة الغربية لـ"وادي راس العين" إضافة إلى إزالة جزء من الحاجز الشرقي الممتد من "البرج الأحمر" إلى "حصن القديس أندري"⁽³⁾ الذي يربط المدينة "بربض خنق النطاح" عبر "باب السوق" و"باب الجيارة"، وفتحوا بالسور الجديدة ستة أبواب، تتمثل في "باب لامون" و"باب سانتون" و"باب تلمسان" و"باب معسكر" و"باب مستغانم" و"باب أرزيو" الذي يعرف أيضا بباب خنق النطاح⁽⁴⁾. أنظر المخطط رقم: 66.

الوصف المعماري لأسوار مدينة وهران:

إن تتبع مسار أسوار مدينة وهران بالميدان ليس بالأمر الهين، خاصة الأجزاء المطلة منها على الوادي بالناحية الشرقية، وذلك لما لحق بالنسيج العمراني للمدينة الإسلامية من أعمال توسعة خلال الاحتلال الفرنسي لها، ما أفقدها أصالتها، وأصبحت محاسنها محصورة في بعض معالمها القائمة مثل: المساجد وقصر الباي محمد الكبير، وفي ثنايا النصوص التاريخية، وقد نقل إلينا الأستاذ: "أحمد توفيق المدني" في كتابه «محمد بن عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791م» مقتطفا من خطاب "دولار وشفكولد" يصف فيه ما لحق بمدينة وهران من دمار، يعكس حقيقة ما ذكرناه سالفا في قوله: «كانت هذه المدينة زاهية بديعة البناء، وكانت بها المنازل الغنية، والقصور البهية، فكل هذا تهدم

¹– René Lespès ; **Oran, Etude...**, P. 121.

² – Marial (W.); «**La Mosquée de Sidi Mohammed- El- Kébir à Oran**», in : **B.S.G.A.O**, T. 13/ 1893. P. 154.

³– Demaght (L.); «**Monument commémoratif de la prise D'Oran par les espagnols**», in : **B.S.G.A.O**, T. 13/ 1893. P. 179.

⁴– Louis Piesse; **Op.cit.**, P. 176.

هنالك إلاّ الأطلال الخربة، فالفرنسيون قاموا هنالك بأعمال تحطيم تفوق ما عمله الزلزال الذي خرج على إثره الإسبانيون من وهران»⁽¹⁾.

أمام هذه الظروف حاولنا إعادة تتبع مسار أسوار المدينة وتركيباتها المعمارية، معتمدين في ذلك على ما توفر من المادة العلمية من نصوص ومخططات وتدعيمها بالشواهد المادية القليلة القائمة بالميدان.

اتخذت سور المدينة شكلا غير منتظم متأثرة في ذلك بأرضية المدينة المنحدرة⁽²⁾، كلما اتجهنا من الشمال إلى الجنوب، أو من الشرق إلى الغرب، وقد انعكس ذلك بصفة عامة على عمارة المدينة التي جاءت بشكل متدرج⁽³⁾.

يظهر من خلال مخطط للمدينة في الفترة الاسبانية مؤرخ بسنة 1772 م⁽⁴⁾، أنّ أسوارها كانت مدعمة بمجموعة من الأبراج موزعة بانتظام، فمن الناحية الشرقية المطلة على "واد راس العين" في المسافة المحصورة بين الركن الجنوبي الشرقي، حيث "باب تلمسان" إلى الركن الشمالي الشرقي، تدعمها أربعة حصون، وهي "حصن القديس فرونسوا" "Saint François" و"حصن القديس دومنيك" "Saint Dominique" و"حصن قاعدة الحمامات، وعلى بعد 359 م عن هذا الأخير يوجد "حصن القديس روك" "Saint- Roque" ويمثل نهاية الواجهة الشرقية، وتشغل "باب كانستال" موضعا من المسافة الفاصلة بينهما.

¹ - أحمد توفيق المدني، محمد بن عثمان باشا...، ص. 17-18.

² - Henri Léon Fey ; **Op.cit.**, P. 168.

³ -A. Defontaine de Resbecq ; **Op.cit.**, P. 176.

⁴ -Radja Halima Ferhat Bendaoud ; **étude de l'architecture militaire**, mémoire de magister, épau., Alger, 1999-2000, P. 88-94.

يمثل "حصن القديس روك" نقطة تحول السور باتجاه الغرب، وعلى بعد 325 م عنه، كان هناك "حصن الرياح السبعة" موجه باتجاه "حي البحرية" وخلفه باتجاه الجبل نجد "باب سانتون".

تغير السور مسارها من "باب سانتون" باتجاه الجنوب، وبعد أن تمر بالقناة الملكية تتصل بالقصبة في ركنها الشمالي الغربي، حيث يوجد "حصن المدفعية" Bastion de "Los Artilleros".

تواصل السور امتدادها جنوبا لتتصل بـ "حصن القديسة إيزابيل" "San Isabel"، وخلفها بـ "حصن Compana" الذي يحتل الركن الجنوبي الغربي من القصبة، ومنه تحول السور مسارها شرقا، مرورا بـ "حصن القديس تياغو" "Bastion Santiago" وحصن "El Rosario" لتتصل بعدها بـ "باب تلمسان" في أحد جوانب القصبة بالقرب من "وادي راس العين"، كما تم مد السور من هذه النقطة باتجاه راس العين، لتتصل بالحاجز الشرقي عند "حصن القديس أندري" ⁽¹⁾. أنظر المخطط رقم: 65.

بعد المعاينة الميدانية لاحظنا أجزاء كبيرة من السور لا تزال آثارها قائمة بالسور الغربية الفاصلة بين المدينة و"حي البحرية"، وبالسور الجنوبية والشرقية الممتدة من "باب سانتون" إلى "باب تلمسان"، حيث يمثل الجزء الممتد منها بداية من "حصن المدفعية" Bastion de Los Artilleurs إلى "باب تلمسان" السور الخارجية للقصبة.

إن الاستعمال الواسع لسلح المدفعية في هذه الفترة، فرض على الاسبان تحصين المدينة بسورين، أحدهما أمامي، وتعرف بـ "السور الواقى" لتكون ساترا للسور الرئيسية ضد مدفعية العدو ⁽²⁾، كما أثر هذا النوع من السلاح في عمارة الأسوار، حيث فقدت

¹– De Epalza Mikel, Vilar Jean Bta ; Op, cit., P. 223.

²– Idem., P. 119-120.

ارتفاعها مقابل الزيادة في سمكها لتصبح أكثر متانة ومقاومة، كما توفر مجالا واسعا لتحرك المدافعين بين النقاط الدفاعية أعلى السور عند استعمال الممشى، إضافة إلى ملائمة هذا التخطيط لنشاط المدفعية والقدرة على تشغيل المدافع.

ترتب عن خفض ارتفاع الأسوار والزيادة في سمكها مشكلا دفاعيا، يتمثل في تقليص مجال الرؤية وعدم القدرة على مراقبة جوانب السور لسمك شرفاتها وسواتر المدفعية، ولتدارك ذلك دعمت بخنادق لتكون حاجزا أمام أنفاق الهجوم من جهة ولدفع العدو عن جوانب الأسوار وجعله في مرمى المدافعين من جهة أخرى⁽¹⁾.

استعملت في بناء أسوار المدينة الحجارة التي كان مصدرها "محجرة سان أندري"⁽²⁾ المعروفة أيضا باسم "محجرة أستروف" Carriere de Astrofe التي كانت بالقرب من المستشفى المدني الفرنسي، ونظرا للتلوث الناتج عنها، عوضها الإسبان "بمحجرة رأس العين" التي واصل الفرنسيون استغلالها في إنشاء تحصينات المدينة خلال القرن 19 م⁽³⁾ كما كانت تجلب بعض مواد البناء من إسبانيا مثل: الجير الذي يستعمل في تشكيل الملاط⁽⁴⁾.

¹- De Epalza Mikel ; Vilar Jean Bta ; **Op.cit.**, P. 115.

²-Don Jose Vallejo; **Op, cit.**, P. 339.

³- Henri Léon Fey ; **Op.cit.**, P. 196.

⁴- Don Jose Vallejo ; **Idem.**, P. 339.

حصنت الأسوار بنظام دفاعي متقدم يتمثل في الخنادق التي حفرت في بعض جوانب المدينة⁽¹⁾، الهدف منها منع العدو من الوصول إلى أسوارها واختراقها، إضافة إلى منع جنود الحامية الإسبانية الفرار منها، كما استعملت في تجميع مياه الأمطار الموجهة للري⁽²⁾.

يدعم السور الشرقية للمدينة "وادي رأس العين" مشكلا خندقا طبيعيا⁽³⁾ يتم عبوره عبر جسرين أحدهما يعرف "بجسر تلمسان" لأنه معبر هذه الناحية إلى المدينة عبر "باب تلمسان" في الركن الجنوبي الشرقي، والآخر "جسر كانستال" عند نهاية هذا الجانب من السور في الشمال الشرقي عند "باب كانستال"، وعلى هذه النقطة يشرف "البرج الأحمر". أنظر الخريطة رقم: 09 والمخطط رقم: 66.

أبواب مدينة وهران:

ذكر الأغا بن عودة المزاري أن لمدينة وهران تسعة أبواب متفرقة بحسب النواحي والمدن والقرى والضواحي⁽⁴⁾ ثلاثة منها متصلة بأسوار المدينة الأم وهي: "باب كانستال" و"باب تلمسان" بالشرق و"باب سانتون" بالشمال الغربي⁽⁵⁾.

¹ - مارمول كاريخال، المصدر السابق، ج2، ص. 329.

² - De Epalza Mikel, Vilar Jean Bta ; **Op, cit.**, P. 118-119.

³ - DR. Shaw ; **Op, cit.**, p. 228.

⁴ - الأغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ج01، ص. 63.

⁵ - Radja Halima Ferhat Bendaoud ; **Op, cit.**, P. 102.

الأبواب الرئيسية لمدينة وهران:

باب كانيستال:

موقعها وتاريخها:

سميت كذلك لأنها تؤدي إلى المنطقة التي تسكنها "قبيلة كريشتل"⁽¹⁾ التي تتحدر من القبيلة الأم زناتة وهي حليفة الإسبان(*)، كانت تنقل إليهم الأخبار⁽²⁾ وتمدهم بما يحتاجونه من الخضر والفواكه⁽³⁾.

تعرف الباب بمسميات أخرى مثل: باب البحر، لقربها من البحر⁽⁴⁾ ويطلق عليها اسم باب الجزائر⁽⁵⁾ وباب الشرق⁽⁶⁾، وفي فترة الاحتلال الفرنسي أصبحت تعرف بباب سوق الخيل⁽⁷⁾.

تعتبر هذه الباب من أكثر أبواب المدينة شهرة⁽⁸⁾، شيدت بنفس موضع مدخل المدينة الإسلامية التي كان يدخل منها القرويون لبيع منتوجاتهم بالسوق الممتدة على طول الشارع المؤدي إلى المسجد الكبير⁽⁹⁾.

¹ الآغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ج 01، ص. 63.

* إضافة إلى "قبيلة كريشتل" كان لـ"قبيلة بني عامر" دور كبير في تموين الإسبان بما يحتاجون إليه من التبن والحشيش والخطب والسمن واللبن والعسل والضأن والمعز والبقرة والخيل والبغال والحمير. **راجع:**

–Marcel Bodin ; « Notice historique sur les arabes soumis aux espagnols pendant leur occupation d'Oran », in: *Revue Africaine*, N 319/ 1924, P. 143.

²– Marcel Bodin ; **Idem.**, P. 102.

³– Don Jose Vallejo ; **Op, cit.**, P. 346.

⁴– DR. Shaw ; **Op, cit.**, P. 229.

⁵– René lespés ; **Oran, étude...**, P. 310-334.

⁶– Dédie (L.); **Op.cit.**, P. 74.

⁷– **Idem.**, P. 14.

⁸– Henri Léon Fey ; **Op.cit.**, P. 167.

⁹– Dédie (L.); **Ibid.**, P. 74- 89.

تقع الباب بالسور الشرقية، وتحديدًا "بساحة كليبار" La Place Klebar على يمين "محول الطرقات مدريد" "Rampe Madride"، وهي تطل على "شارع المجاهد سعادة عبد القادر" على يسار المندوبة البلدية سيدي الهواري، وتعدّ مدخلا لـ "شارع بلحميدي عبد القادر". أنظر المخطط رقم: 66.

كانت الباب فيما مضى تربط المدينة بالبرج الأحمر⁽¹⁾، وتضمن الوصول إلى الطريق المؤدية إلى قبيلة كريشتل ومدينة مستغانم والجزائر العاصمة⁽²⁾.

الوصف المعماري لباب كانيستال:

باب كانيستال من المداخل المباشرة، عرضها 3,10 م وارتفاعها 4,50 م، إلا أن عمقها يتراوح ما بين 6,60 م و7,30 م، هذا ما جعل عقد الفتحة الداخلية للباب ضيقة عند منبته الأيسر مقارنة بالجهة اليمنى منه.

يعلو المدخل عقد، تتوجه لوحة تحمل سنة 1747 م تمثل تاريخ تدعيم الباب⁽³⁾، وقد منعنا البناءات الحديثة المتصلة بها من تحديد أهم عناصرها المعمارية، إلا أن "الدكتور شو" الذي زار وهران خلال فترة حكم الباي بوشلاغم لها، أشار إلى وجود برج أعلاها يمكن تسليحه عند الحاجة⁽⁴⁾ ويدعمها خندق يتم عبوره باستعمال جسر متحرك⁽⁵⁾، وتشرف على حراستها حامية تتشكل من ضابط و20 رجلا⁽⁶⁾. أنظر المخطط رقم: 67، الصورة رقم: 43.

¹ - بشير مقييس ، مدينة وهران دراسة في جغرافية العمران، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 92.

² - De Epalza Mikel, Vilar Jean Bta ; **Op.cit.**, P. 120.

³ - Radja Halima Ferhat Bendaoud ; **Op.cit.**, P. 103.

⁴ - DR. Shaw ; **Op.cit.**, p. 229.

⁵ - De Epalza Mikel, Vilar Jean Bta ; **Idem.**, P. 215.

⁶ - Radja Halima Ferhat Bendaoud ; **Idem.**, P. 103.

باب تلمسان:

موقعها وتاريخها:

تعرف الباب بعدة تسميات، وهي باب تلمسان التي اشتهرت بها منذ الحقبة الفرنسية⁽¹⁾ كونها تفتح على الطريق المؤدية إلى تلمسان⁽²⁾، وباب البليل⁽³⁾، وباب الواد لأنها تفتح على وادي الرحي (راس العين)⁽⁴⁾.

تقع الباب بالسور الشرقية للمدينة⁽⁵⁾، في أحد أركان القصبة⁽⁶⁾، شيدت على عهد الحاكم الإسباني "الماركيز أردال" "Le Marquis Ardales" سنة 1605 م، حسب ما توضحه الكتابة التذكارية أعلى الباب، وكانت حينها تشرف على حراستها حامية تضم ضابطا و 28 رجلا⁽⁷⁾، وهي موجهة لخروج الجيش عند القيام بحملاته العسكرية باتجاه داخل البلاد⁽⁸⁾. أنظر المخطط رقم: 66.

الوصف المعماري لباب تلمسان:

هي الأخرى من المداخل المباشرة، عبارة عن فتحة في عمق سور الواجهة الجنوبية للقلعة يتوجها عقد نصف دائري مشكل من قطع من الحجارة الكلسية، لا تختلف في شكلها وتقنية بنائها عن عقود مداخل المباني الحربية الإسبانية ببجاية بكل من "باب الفوقة" و "باب برج موسى".

¹ - يحيى بوعزيز، وهران...، ص. 141.

² - بشير مقييس، المرجع السابق، ص. 95.

³ - الآغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ج2، ص. 92.

⁴ - يحيى بوعزيز، المرجع نفسه، ص. 141.

⁵ - René Lespés ; **Oran, étude...**, P. 310.

⁶ - De Epalza Mikel, Vilar Jean Bta ; **Op, cit.**, P. 214.

⁷ - Radja Halima Ferhat Bendaoud ; **Op.cit.**, P. 103- 104.

⁸ - De Epalza Mikel, Vilar Jean Bta ; **Idem.** , P. 214.

يقدر ارتفاع الباب بـ3,20 م وعرضها 2,70 م وعمقها 6 م، يعلو الفتحة الداخلية لها عقد نصف دائري من الحجارة الرملية، وهي أكثر ارتفاعا من الفتحة الخارجية.

يؤدي الباب إلى رواق مكشوف طوله 14 م وعرضه 4,50 م، ليتحول بعد ذلك إلى درب مسقوف بسقف برميلي الشكل ارتفاعه 3,50 وعرضه 2,30 م وطوله 10 م. أنظر المخطط رقم: 68.

تزين أعلى الواجهة الأمامية والخلفية للدرب زخرفة ترمز إلى المملكة الإسبانية، عناصرها الزخرفية متنوعة ما بين النباتية والحيوانية وشارات الملك مثل النسر والأسد وتاج الملك.

نفذت هذه الزخرفة على الحجر الكلسي بطريقة الحفر العائر، ونظرا لطبيعة أرضية الزخرفة الهشة فقدت الزخرفة الكثير من معالمها الأصلية خاصة بالواجهة الداخلية المطلة على القسبة، وذلك بفعل الأمطار. أنظر الصورة رقم: 44.

باب سانتون:

موقعها وتاريخها:

أطلق عليها هذا الاسم لأنها تفتح على الطريق المؤدية إلى الجبل الذي يحمل نفس الاسم⁽¹⁾، وتسمى أيضا "باب مايوركة"، و"باب المرسى"⁽²⁾.

شيدت الباب بالشمال الغربي للمدينة سنة 1754 م⁽³⁾ من طرف الحاكم "لويس فليب داركوس" Louis Philippe d'Aracos⁽⁴⁾، وهي منفذ المدينة إلى البحر والمرسى الكبير⁽⁵⁾، وتظهر خريطة للمدينة مؤرخة بسنة 1831م، أن الباب كانت تفتح أيضا على الطريق السالكة باتجاه الجبل وبرج حسن بن زهوة⁽⁶⁾. انظر المخطط رقم : 66.

الوصف المعماري لباب سانتون:

باب سانتون من المداخل المباشرة، وهيكلها ضخم مقارنة بالمداخل الأخرى للمدينة، شيدت عمارتها بالحجارة الكلسية والرملية المصقولة.

عرض فتحة الباب 2,70 م وعمقها 7,70 م، وارتفاعها 3,20 م على جانبيها غرفتين للحراسة، يحتل ركنيهما برجين خماسيا الأضلاع، يقدر محيط كل منهما بـ 7 م، ويرتفعان على سطح الباب، حيث ممشى السور بـ 4,60 م، وشكل البرجين من الداخل دائري، وهما يتركبان من طابقين نصل إلى المستوى السفلي منهما من بابي غرفتي الحراسة في عمق الباب الرئيسي، وإلى المستوى العلوي لهما بابين عند السطح ارتفاع كل منهما 2 م وعرضهما 0,80 م، وينتهي كل من البرجين بقبة مضلعة الشكل، وكان في الماضي يدعم الباب خندق يتم عبوره بجسر متحرك⁽⁷⁾. انظر المخطط رقم: 69. و الصورة رقم: 45.

¹– Gorgus (A.); **Op.cit.**, in: *Revue Africaine*, N 07/ 1957, P. 44.

²– De Epalza Mikel, Vilar Jean Bta ; **Op.cit.**, P. 120.

³– Radja Halima Ferhat Bendaoud **Op.cit.**, P. 102.

⁴– Louis Piesse; **Op.Cit.**, P. 176.

⁵– De Epalza Mikel, Vilar Jean Bta ; **Idem.**, P. 120.

⁶– الأغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ج. 2، ص. 92.

⁷– De Epalza Mikel, Vilar Jean Bta ; **Ibid.**, P. 120.

الأبواب الثانوية لمدينة وهران:

باب عمارة:

موقعها وتاريخها:

كان موقعها غرب البرج الأحمر قرب مجرى واد الرحي⁽¹⁾، أعلى رحي المدينة، استعمله قاطنو ربض البحرية لدخول المدينة⁽²⁾.

باب القصبة:

موقعها وتاريخها:

احتلت موزعا أعلى "باب سانتون" (باب المرسى الكبير)⁽³⁾ ولم يبق لها أثر⁽⁴⁾.

باب البحرية:

موقعها وتاريخها:

تقع على ساحل البحر غرب الميناء ما بين "برج لامون" و"حي البحرية"⁽⁵⁾، وردت في الدراسات التاريخية بعدة أسماء نذكر منها، "باب لامون"⁽⁶⁾، أو "باب حصن لامون"⁽⁷⁾ و"باب الميناء"⁽⁸⁾، هي الأخرى لم يبق لها أثر حاليا.⁽⁹⁾

¹ - يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص. 63.

² - De Epalza Mikel, Vilar Jean Bta ; **Op. cit.**, P. 120.

³ - Louis Piesse; **Op.cit.**, P. 176.

⁴ - الآغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ج. 2، ص. 63.

⁵ - يحيى بوعزيز، المرجع نفسه، ص. 138.

⁶ - Dédie (L.), **Op.cit.**, P. 09.

⁷ - Louis Piesse; **Idem.**, P. 176.

⁸ - يحيى بوعزيز، المرجع نفسه، ص. 138.

⁹ - الآغا بن عودة المزاري، المصدر نفسه، ص. 62.

باب السوق:

موقعها وتاريخها:

أطلق عليها الفرنسيون اسم باب نابليون⁽¹⁾، ويظهر من خلال خريطة 1831 م أن موضعها كان بالسور الرابطة بين "البرج الأحمر" و"برج القديس أندري" في وضعية مطلّة على "وادي عين الروينة" بالجهة الشرقية⁽²⁾.

هي من عمل الإسبان سنة 1740 م⁽³⁾ وعبرها يمكن الوصول إلى "ربض خنق النطاح" (*)، وإلى كانيستال وأرزيو⁽⁴⁾ وتلمسان⁽⁵⁾. أنظر المخطط رقم: 66.

¹– Louis Piesse; **Itinéraire ...**, P. 176.

²– الآغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ج. 2، ص. 92.

³– Louis Piesse; **Idem.**, P. 176.

* كان يحتل موقعا شرق الحاجز الشرقي، وهو من الأحياء القديمة للمدينة، تشكل نتيجة الحركة العمرانية التي شهدتها المدينة الإسلامية بسبب هجرة الأندلسيين إليها بعد سقوط غرناطة سنة 1492 م، وبعد تحرير وهران سنة 1792 م، أقام به الباي محمد الكبير مسجده، وفي الحقبة الفرنسية شغلته المدينة الجديدة التي بدأت الأشغال بها بداية من سنة 1832 م، راجع:

- Bergés (L.); **Op.cit.**, P. 14. - René Lespès ; **Oran, étude...**, P. 59.

⁴– يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص. 140.

⁵– الآغا بن عودة المزاري، المصدر نفسه، ص. 92.

باب الجيارة:

موقعها وتاريخها:

عرفت في الفترة الاستعمارية "بباب سان أندري" و"باب المحاجر"⁽¹⁾، تقع جنوب "باب السوق" وشمال "برج سان أندري" (برج الصباحية)، غرب مصب "واد عين الروينة"، بالقرب من مسجد البرانية"⁽²⁾، شيدها الإسبان⁽³⁾ وعبرها يمكن الخروج إلى ربض خنق النطاح" وإلى كانيستال ومعسكر ومستغانم⁽⁴⁾. أنظر المخطط رقم: 66.

أبراج وحصون مدينة وهران:

أعاد الإسبان استغلال بعض المباني العسكرية التي كانت معتمدة في النظام الدفاعي للمدينة خلال الحقبة الزيانية بعد أن أدخلوا عليها بعض التعديلات المعمارية والدفاعية مثل البرج الأحمر والقصبة، إضافة إلى إنشاء عدد من الأبراج في المرحلة الأولى من احتلالها (1509-1708) وعلى رأسها "برج المرجاجو" و"برج القديس غريغوري" (برج بن زهوة) و"برج لامون" و"برج القديس فرديناند"، وهي تحتل مواضع هامة، وتؤدي دورا دفاعيا متكاملًا، ما جعل احتلال أحد منها يخلق خلا في دورها التحصيني⁽⁵⁾.

¹– René Lespés ; **Oran, étude....**, P. 145.

²– يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص. 140.

³– Louis Piesse; **Op.cit.**, P. 176.

⁴– الآغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ج. 2، ص. 92.

⁵– Don Jose Vallejo ; **Op, cit.**, P. 332.

بعد استيلاء الإسبان على وهران للمرة الثانية (1732-1791) قاموا بإنشاء مباني دفاعية على نطاق واسع، خاصة بالضفة الشرقية لـ"وادي راس العين"، حيث شيدوا "حصن القديس أندري" و"حصن القديس فرديناند"، وبهذا تشكل حاجز أمني يمتد بشكل طولي من الشمال إلى الجنوب، ويضم "البرج الأحمر" و"برج القديس أندري" (برج الصباحية) و"برج القديس فليب" (برج بني زروال) و"برج القديس فارديناند" (برج بونيقية). أنظر المخطط رقم: 66.

ترتبط بين هذه الحصون أسوار وأنفاق تضمن تدعيم بعضها البعض عند الحاجة، ويدعمها نظام دفاعي يتقدمها من الناحية الشرقية، يمتد بنفس امتداد الحزام الأمني السابق، ويتشكل من الشمال إلى الجنوب من "برج القديسة تيراز" و"برج القديس ميغال" و"برج القديس كارلوس" و"برج القديس لويس"، وتصلها هي الأخرى بالحصون الرئيسية المشكلة للحاجز الدفاعي عدد من الأنفاق⁽¹⁾. أنظر المخطط رقم: 70.

إن إنشاء الحصون المشكلة للحاجز الأمني السابق الذكر، الهدف منها حماية مصادر المياه التي تزود المدينة بحاجياتها من هذه المادة الحيوية مثل: "برج القديس فرديناند" و"برج القديس فليب"، إضافة إلى "برج القديس لويس" الذي شيد جنوب شرق المدينة لحماية إحدى عيونها المعروفة باسم "عين أغريبة" Arriba⁽²⁾، وهذه الإستراتيجية كانت متبعة في العديد من المدن الإسلامية، ولدينا أمثلة كثيرة عن حماية قنوات الماء التي تغذي المدن المغربية في الفترة الوسيطة نذكر منها: المهدية ومراكش وتلمسان⁽³⁾.

يهدف الإسبان أيضا من وراء هذه الحصون تأمين المنطقة الشرقية والجنوبية الشرقية، وقطع الطريق أمام الجزائريين في استغلالها ضدّ المدينة، مثل ما حدث في حملة "حسن

¹ - الأغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ج. 2، ص. 234.

² - De Epalza Mikel, Vilar Jean Bta ; **Op, cit.**, P. 214.

³ - Djelloul Neji; **Op.cit.**, P. 220-121.

باشا" سنة 1556م، وبقيت قائمة في المخطط العسكري للجزائريين خلال حملاتهم على المدينة إلى تاريخ تحرير وهران الأخير، حيث تذكر النصوص التاريخية أن "الباي محمد الكبير" استغل موقعا متقدما عن "حصن القديس أندري" و"حصن القديس فليب" في نصب مدفعيته ضدّ الحامية الإسبانية بوهران⁽¹⁾، والسبب في ذلك راجع إلى استهداف مصادر المياه لتضييق الحصار على العدو الإسباني، إضافة إلى الاستفادة من الضفة الشرقية لوادي الرحي التي أقيم بها هذا الحاجز الأمني، كونها تتميز بارتفاعها وإشرافها على المدينة، يسهل من خلالها مهاجمة هذه الأخيرة، كما ساعدت طبيعة هذا الموقع المفتوح على الناحية الشرقية الذي لا تشكل تضاريسه عائقا أمام تنقل الجيش الجزائري، مقارنة بالمنطقة الغربية والجنوبية الغربية شديدة التحصين طبيعيا بجبل المرجاجو الذي يمتد بشكل منحدر إلى شاطئ البحر، يدعمه خط دفاعي معماري وهمي ينطلق من "برج المرجاجو" جنوبا إلى "برج لامون" (برج اليهودي) شمالا.

إضافة إلى دور الحاجز في حماية المدينة ومصادر الماء، كانت الغاية منه مراقبة وتأمين الغذاء بحماية الحقول المجاورة للمدينة من تخريب الأهالي⁽²⁾، وحماية القبائل الحليفة التي تلجأ إليه عند الحاجة⁽³⁾، ومخيمات الجيش التي تقام خلفه في المجال المحصور

¹– Henri- Léon Fey ; **Op.cit.**, P. 151.

²– **Idem.**, P. 191.

³– Marcel Bodin ; **Op.cit.**, P. 201.

بينه وبين "وادي راس العين" (1) دون أن يغفل دوره في مراقبة أرباض المدينة* (2).

بعد فتح وهران الأخير، أمر الباي محمد الكبير بهدم حصونها البرية، وإلى ذلك أشار "الآغا بن عودة المزاري" بقوله: «أمر بهدم التحصينات البرية مثل: برج مرجاج وبرج راس العين الكبير والصغير وبرج الويز (لويس) وبرج فراند وبرج كارلوص وأشباههم من الأبراج الموالية للبر، والسبب في ذلك أن الباي بوشلاغم عند فتحه لوهران تركها بلا هدم، ولما رجع النصاري كان أول ضرر حصل للمسلمين من تلك الأبراج» (3)، وفي المقابل أشار بالإبقاء على التحصينات التي كانت قيد الاستعمال بالمدينة خلال الفتح الأول لها ما بين (1708-1732م) (4)، ما يجعلنا نقول أن الأتراك أعادوا استغلال بعض تحصينات المدينة، ومن ضمنها الأسوار والقصبة والتحصينات البحرية مثل: "برج لامون" وبعض الحصون المشكلة للحاجز الدفاعي شرق "وادي راس العين" مثل: "الحصن الجديد".

¹ - De Epalza Mikel, Vilar Jean Bta ; **Op.cit.**, P. 223.

* كان للمدينة إضافة إلى ربض البحرية و"ربض خنق النطاح" ربض ثالث يعرف "بإيفري"، شيد خارج الأسوار بالمرتفعات الجنوبية للمدينة، حيث كان يحتل موقعا في المجال الطبوغرافي المحصور بين "وادي الرحي" شرقا و"جبل المرجاجو" غربا، في نفس الموضع الذي اتخذته "محمد الكبير" معسكرا له في حملته على المدينة سنة 1791 م، وإليه يرجع الفضل في تشييده، راجع:

- Gorgus(A.), **Op.cit.**, P. 46. - Henri- Léon Fey ; **Op.cit.**, P. 151.

² - أحمد الشقراني الراشدي، المصدر السابق، ص. 4-65.

³ - الآغا بن عودة، المزاري، المصدر السابق، ج. 1، ص. 293.

⁴ - Ernest Mercier ; **Histoire de l Afrique ...**, T.O3, P. 435.

قصب ة مدين ة وهران :

موقعها وتاريخها :

تعرف أيضا بالقصر القديم⁽¹⁾، وبالقصبة القديمة تمييزا لها عن البرج الأحمر الذي يسميه الأهالي بالقصبة الجديدة، بعد أن نقل إليه البا ي "محمد الكبير" مقر الحكم سنة 1792⁽²⁾.

شيدت القصبة غرب "وادي راس العين"⁽³⁾ في موضع مرتفع ومشرف على المدينة من الناحية الجنوبية⁽⁴⁾، إلا أن طبيعة موقعها ونوعية نظامها الدفاعي لم يجعلها في منأى عن الخطر لوجود مرتفعات تشرف عليها من الناحية الجنوبية، يمكن للعدو استعمالها ضدها. أنظر المخطط رقم: 66.

يعود تاريخ بنائها إلى أواخر عهد الدولة الرستمية⁽⁵⁾، واستمر استغلالها من طرف المسلمين إلى أن احتلها الإسبان بداية القرن 16 م، وقاموا بإصلاحها وتوسيعها⁽⁶⁾ باستعمال الحجارة المجلوبة من "محجرة سان أندري" ما أكسبها أكثر قوة ومتانة⁽⁷⁾.

بعد فتح وهران الأول سنة 1708 م، تم تسليمها إلى الأتراك من طرف الحاكم العام مقابل توفير الأمان لحاميتها، واتخذ منها البا ي بوشلاغم مقرا لسلطة بايليك الغرب⁽⁸⁾، وله يعود الفضل في إنشاء البنايات التي تحتل الجهة الشمالية منها⁽⁹⁾.

¹- Henri- Léon Fey ; **Op.cit.**, P. 172-174.

²- Bergés (L.) ; **Op.cit.**, P. 10.

³- يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص 144.

⁴-Don Jose Vallejo ; **Op.cit.**, P. 333.

⁵ - يحيى بوعزيز، المرجع نفسه، ص. 144.

⁶- Rene Lespés ; **Oran, étude...** , P. 97. **Voir** : - Don Jose Vallejo ; **Idem.**, P. 333.

⁷-Rene Lespés ; **Oran ville...** , P. 308.

⁸- Henri- Léon Fey ; **Idem.**, P. 134-140.

⁹- Radja Halima Ben Daoud ; **Op.cit.**, P. 327.

بعد أن أخضع الإسبان مدينة وهران سنة 1732 م، نقلوا إليها مقر الحكم⁽¹⁾، وأقاموا بها عدّة أعمال معمارية، حيث أنشأ بها "القائد فاليجو" الأكاديمية العسكرية للرياضيات سنة 1737 م⁽²⁾، يشرف عليها المهندس "Don Antoine" إلى غاية 1748 م، وتخرج منها عدّة طلبة موجهين لخدمة سلاح المدفعية والهندسة⁽³⁾ وقد استفادت خلال هذه الفترة (1790-1732) من عمليات تحصين هامة خاصة بالقسم الجنوبي منها⁽⁴⁾.

ضرب مدينة وهران زلزال في أوت 1790 م، ألحق أضرارا بشرية ومادية بليغة بها، حيث تسببت في مقتل 1100 رجلا، وهدمت أسوارها وقصر الحاكم والخزينة ومكاتب الإدارة والكنيسة وثكانات الجيش التي توفي بها 745 رجلا من مجموع المقيمين بها، والمقدر بـ765 رجلا⁽⁵⁾.

بعد الفتح الأخير لوهران قام الباي "محمد الكبير" بترميمها، وتواصلت هذه الإصلاحات على يد الفرنسيين حين استولوا عليها، وقاموا في الفترة الممتدة من 1833م إلى 1835 م بإعادة بنائها ورممت بها ثكانات تتسع لـ500 رجل، خصصت لسلاح المشاة والهندسة، وأعادوا بناء إقامة الضباط واتخذوا بها سجنا⁽⁶⁾ شغل نفس موضع مخازن الحبوب الإسبانية⁽⁷⁾.

¹- Don Jose Vallejo ; **Op.cit.**, P. 327.

²-Ernest Mercier ; **Histoire...** , T.O3, P. 375.

³- Don Jose Vallejo ; **Idem.**, P. 327.

⁴- Radja Halima Ben Daoud ; **Op.Cit**, P 96.

⁵- Henri- Léon Fey ; **Op.cit.**, P. 235.

⁶- Rene lespés ; **Oran, étude...** , P. 97-145.

⁷- Henri- Léon Fey ; **Idem.**, P. 172-174.

الوصف المعماري لقصبة مدينة وهران:

اتخذت القصبة شكلا غير منتظم، شاعلة مساحة واسعة، ممتدة بشكل طولي من الغرب إلى الشرق، حيث مجرى "واد راس العين"، ونظرا لطبيعة أرضيتها المنحدرة، تشكلت من قسمين متباينين في الارتفاع، القسم العلوي يمثل مقر الحكم في العهود المختلفة (إسلامية، إسبانية، تركية)، وقسم سفلي به عمائر متنوعة⁽¹⁾، نذكر منها ثكنات سلاح المدفعية وفيلق قرطبة ومخازن الأسلحة والبارود والإسطبلات، حوّل الباي بوشلاغم جانبا منه إلى حمام⁽²⁾، ومسكن لنسائه⁽³⁾، وتشغله حاليا مجموعة من العائلات الجزائرية على غرار العديد من المعالم الأثرية بتراب الجمهورية.

كانت أسوار القصبة تدعمها أبراج، شيد عدد هام منها خلال القرن 18 م، وهي موزعة بجوانبها الخارجية التي تشترك في عمارتها مع أسوار المدينة الأم.

ينطلق مسار السور من الركن الشمالي الغربي لها، أعلى القناة الملكية التي تخترق أرضية المدينة لصرف المياه القذرة، ومياه الأمطار المتدفقة من المرتفعات، ويوجد في هذا الركن أول أبراجها الحائطية، ويعرف بـ"برج المدفعية" Bastion des Artilleurs "، ثم نجد خلفه على بعد مسافة قصيرة باتجاه الجنوب "برج القديسة إيزابيل" - Sainte Isabelle"، كان مسلحا بخمسة مدافع وله أهمية كبيرة تتمثل في مراقبة القادمين من ناحية الوادي وحماية مدخل القناة السابقة الذكر.

¹ - يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص. 145.

² - Henri- Léon Fey ; Op.cit., P. 172-174.

³ - يحيى بوعزيز، المرجع نفسه، ص. 145.

يلي هذا البرج "برج كومبانا" Bastion de Compana الذي يحتل موقعا هاما بالركن الجنوبي الغربي للقصبة، كان به سجن ومسلح بستة مدافع، مهمته مراقبة الأودية ومرتفعات "ربض إفري"، إضافة إلى حماية مطامير الحبوب الواسعة التي تتسع لتخزين 7741 م³ من الحبوب.

تغير السور مسارها من الركن الجنوبي الغربي نحو "واد راس العين" مشكلة الواجهة الجنوبية للقصبة، حيث يتوسطها "برج القديس تياغو" Bastion de Saint tiago (Saint Jacques) الذي يمكن تسليحه بعشرة مدافع، دوره مراقبة الوادي أسفل هذه الواجهة.

تواصل السور امتدادها جنوبا إلى أن تتصل "ببرج روزار" Bastion du Rosaire في الركن الجنوبي الشرقي بالقرب من الوادي، حيث توجد "باب تلمسان"، وكان مسلحا بمدفعين وتحرسه ليلا حامية صغيرة مشكلة من رقيب على رأس ثمانية جنود.

يمثل البرج الأخير نهاية السور الجنوبية، ومنه تغير مسارها شمالا مشكلة السور الشرقية، وهي أقل امتدادا من الواجهات الثلاثة الأخرى، ومن هذا المكان تتجه السور غربا بمجموعة من التعرجات إلى أن تتصل ببرج المدفعجية مشكلة السور العازلة بين القصبة والمدينة⁽¹⁾. أنظر المخطط رقم: 71.

¹ – Radja Halima Ben Daoud ; Op.cit., P. 96-99.

البرج الأحمر (القصر الجديد):

موقعه وتاريخه:

أقدم أسمائه تعود إلى العهد المريني، وهي البرج الأحمر و برج الماء، التسمية التي استمدتها من موضع إنشائه القريب والمشرف على البحر⁽¹⁾، وقد كانت هذه التسمية منتشرة خلال هذه الفترة ببلاد المغرب الإسلامي مثل برج الماء بسبتة بالمغرب الأقصى⁽²⁾.

كان يعرف أيضا عند السكان "ببرج الأمحال"⁽³⁾، ويعني "برج اللقلق"، هذا الطائر الذي كان يمتاز بقداسته عند سكان المدينة⁽⁴⁾، ويسميه الإسبان ببرج رأس القصر⁽⁵⁾، وبالقصر الكبير⁽⁶⁾، وفي فترة الاحتلال الفرنسي أصبح يسمى بالبرج الجديد⁽⁷⁾.

شيّد البرج بالضفة الشرقية لوادي الرحي، على هضبة عالية تشرف على البحر شمالا⁽⁸⁾، وعلى المدينة⁽⁹⁾ غربا، وقد ساعده موقعه على تغطية المدينة من الناحية البحرية والشرقية ومراقبة هضبة خنق النطاح⁽¹⁰⁾. أنظر الخريطة رقم: 09، و المخطط رقم: 66.

¹– Bergés (L.), **Op.cit.**, P. 10.

²– محمد ابن مرزوق التلمساني، المصدر السابق، 398.

³– الآغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ج. 1، ص. 62. راجع:

-Henri- Léon Fey ; **Op.cit.**, P. 235.

⁴-A. De Fontaine de Resbecq ; **Op.cit.**, P. 178.

⁵- Gorgus (A.), **Op.Cit**, P. 39.

⁶– مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج. 2، ص. 342.

⁷– Rene Lespés ; **Oran, étude...**, P 97-145.

⁸– الآغا بن عودة المزاري، المصدر نفسه، ص. 62.

⁹– Henri- Léon Fey ; **Idem.** , P. 62-63.

¹⁰– Rene Lespés ; **Idem.**, P. 305–306.

يعود بناؤه إلى المرينيين على عهد السلطان أبي الحسن سنة 748هـ / 1347 م⁽¹⁾ وتواصل اعتماده من طرف الزيانيين في نظامهم الدفاعي بالمدينة، وكان آخر استعمال له خلال محاولتهم التصدي للحملة الإسبانية سنة 1509 م⁽²⁾.

اتخذ منه الإسبان بعد احتلالهم المدينة مقرا لسلطتهم بها قبل نقلها إلى القصبة⁽³⁾، ولكونه كان أمنع حصون المدينة حينها، ففي حملة "الباي بوشلاغم" على المدينة سنة 1708 م، كان آخر حصن يستسلم للقوات الجزائرية وأسر به يومها 540 رجلا⁽⁴⁾.

تعرض البرج خلال الاحتلال الإسباني الثاني للمدينة إلى أعمال توسعة⁽⁵⁾ هامة مثل التي قام بها "القائد فاليجو" Don Jose Vallejo ما بين 1740 - 1741 م، والإنجازات التي تمت به سنة 1760 م على يد "الدون جون مارتين زرمينو" Don Juan Martin Zermينو⁽⁶⁾.

بعد تحرير وهران الأخير سنة 1792 م، نقل إليه "الباي محمد الكبير" مقر الحكم، نظرا للخراب الذي أصاب القصبة بفعل زلزال أوت 1790 م⁽⁷⁾، حيث شيد به إقامته، وتم ذلك سنة 1207هـ / 1792-1793م⁽⁸⁾.

¹ - محمد ابن ميمون، التحفة المرضية ...، ص. 238. راجع: - أبو راس محمد بن الناصر العسكري، المصدر السابق، ص. 250.

² - Henri- Léon Fey ; **Op.cit.**, P. 72.

³ - Rene Lespés ; **Oran, étude...** , P. 71.

⁴ - Henri- Léon Fey ; **Idem.**, P. 135.

⁵ - محمد ابن ميمون، المصدر نفسه، 238.

⁶ - Henri- Léon Fey ; **Ibid.**, P. 270.

⁷ - Rene Lespés ; **Idem.**, P. 97.

⁸ - الآغا بن عودة المزابي، المصدر السابق، ج. 1، ص. 293.

في فترة الاحتلال الفرنسي، تمت تهيئة وتحويل مرافق البرج لتكون ثكنة للجند تتسع لـ 600 رجل ومستشفى من 200 سرير⁽¹⁾، ومقر القائد العام وقادة معظم الأقسام العسكرية⁽²⁾.

الوصف المعماري للبرج الأحمر:

عرفت عمارة البرج، قبل أن يتخذ شكله النهائي عدّة عمليات توسعة عبر عدّة مراحل خلال الحكم الإسباني للمدينة⁽³⁾، حيث اتخذ شكلا غير منتظم، وذلك لطبيعة أرضيته الطبوغرافية وشدة امتداد أسواره، إضافة إلى استعمال الأبراج المثلثة الشكل، هذا الشكل الذي فرضه استعمال سلاح المدفعية، ما خلق عدّة انكسارات حادة بيدن السور، دعمت أحيانا بأبراج مراقبة علوية تسمح بمراقبة جوانبها والأماكن الخفية منها. **أنظر المخطط رقم: 72. انظر الصورة رقم: 46.**

وقفنا ميدانيا على ارتفاع هيكل السور الذي يقدر أدنى ارتفاع له بـ 9 م بالواجهة البحرية، في حين سجل أعلى ارتفاع له بالواجهة الشرقية بـ 18 م، أما سمكه فقد جاء هو الآخر متباينا، بلغ ذروته بالسور الشرقية، حيث لا يقل عن 2 م، لأن هذه الواجهة مكشوفة أمام الخطر الذي يأتيها من الجهة الشرقية مقارنة بالواجهات الأخرى له، ولنفس السبب ركّز الإسبان على تسليحها بأكثر عدد من قطع المدفعية، ويظهر ذلك بوضوح في مخطط للبرج مؤرخ بسنة 1791 م⁽⁴⁾، كما قاموا بتدعيم هذه الجهة بنظام دفاعي متقدم، يتمثل في "برج سان تيراز" و"برج سان ميغال"⁽⁵⁾. **أنظر المخطط رقم: 66.**

¹- Rene Lespes ; **Oran, étude...** , P. 145.

²- Louis Piesse; **Itineraire**, ... ,P. 177.

³- Radja Halima Ben Daoud ; **Op.cit.**, P. 126-127.

⁴- De Epalza Mikel, Vilar Jean Bta ; **Op.cit.**, P. 301.

⁵- الآغا بن عودة المزابي، المصدر السابق، ج. 1، ص. 293.

نلج إلى البرج عبر مدخل يحتل الجزء المحصور بين البرج المريني وثكنة الجيش، وهو من المداخل المباشرة، ينتهي في الأعلى بعقد نصف دائري، تتوجه كتابتين إحداها بالإسبانية، خُذ فيها الإسبان الأعمال التي لحقت به خلال حكم "الملك شارل الثالث" والكتابة الثانية أعلاها، خُذ بها "الباي محمد الكبير" إنجازَه بفتح وهران سنة 1207هـ/ 1792م⁽¹⁾.

يقدر ارتفاع الباب 4,40 م وعرضه 3,50 م، يفتح على رواق طوله 17 م وسقفه مشكل من ثلاث قباب مضلعة الشكل، وعلى جانبيه رواقين يفصل بينهما والرواق المركزي بأكنتين من دعائم صليبية تحمل عقودا نصف دائرية، ويوجد على جانبي المدخل غرفتين للحراسة مزودتان بأربعة فتحات للمراقبة، إثنان باتجاه الداخل، والمتبقيتان نحو الخارج، حيث يدعم الباب خندق لا تزال آثاره واضحة. أنظر المخطط رقم: 73. و الصورة رقم: 47.

شيدت أسوار البرج بشكل مائل نحو الداخل قصد الزيادة في متانتها، باستعمال تقنيات بناء مختلفة، وذلك لتعرض المعلم لعدة تجديدات بداية من القرن 14 م تاريخ إنشائه إلى غاية نهاية الحكم التركي بالجزائر، دون أن تغفل الفترة الاستعمارية التي لقيت خلالها عمارته حظها من التغيير.

شهدنا استعمال تقنية الطابية في البرج الجديد بحكم كثرة اعتماد المسلمين لهذه التقنية البنائية المتمثلة في التراب المدكوك الممزوج بالبقايا الصناعية لبعض الأواني ومواد البناء مثل: الفخار والقرميد والخزف... الخ، واستمر استعمال هذه التقنية خلال الحكم التركي حيث تظهر في عمارة البرج المريني، وفي سائر الواجهة الشرقية بجوار قصر الباي.

¹ علي بوتشيشة، المنشآت المعمارية للباي محمد الكبير بمدينة وهران (1779-1799)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2008-2009، ص. 87-88.

لاحظنا تقنيات أخرى، ترجع إلى الإسبان الذين اعتمدوا فيها على الحجارة المصقولة على غرار معظم مبانيهم الحربية، استعملت ككسوة خارجية للدبش، خاصة في الأجزاء المنحدرة لتحسين وتسوية أرضية البرج، معتمدين في ذلك على تقنية البناء المنتظم، كما استعملوا نفس التقنية، ولكن ببناء جدارين واحد خارجي والآخر داخلي، وملء الفراغ المحصور بينهما بالدبش، وهذا لتوفير المادة البنائية من الحجارة المصقولة لصعوبة تحضيرها، ولإكساب الأسوار القوة والمتانة.

المباني الملحقة بالبرج الأحمر لمدينة وهران:

البرج المريني:

يحتل الزاوية الشمالية الغربية من الحصن⁽¹⁾، ويعتبر النواة المعمارية الأولى به، يتشكل من ثلاثة أبراج ركنية دائرية الشكل⁽²⁾، كان سطحها مسلحا بالمدفعية. أنظر المخطط رقم: 72. والصورة رقم: 48.

الثكنة الاسبانية:

شيدت على يمين مدخل الحصن من طرف "الدون جون مارتين زرمينو" Juan- Martin Zermينو سنة 1760⁽³⁾، وبعد فتح وهران الأخير اتخذ منها "الباي محمد الكبير" اسطبلًا لخيوله⁽⁴⁾.

¹--Radja Halima Ben Daoud ; **Op.cit.**, P. 130.

²- Rene lespés ; **Op.cit.**, P. 305-306.

³-Henri- Léon Fey ; **Op.cit.**, P. 190.

⁴- علي بوتشيشة، المرجع السابق، ص. 123.

تتشكل من عشرة قاعات متماثلة من حيث الشكل والمقاسات، نلج إلى كل منها بمدخل مستقل عرضه 1,50 م وعمقه 1,20 م، يؤدي إلى قاعة شديدة الاستطالة طولها 17,50 م وعرضها 5,20 م، يعلوها سقف نصف أسطواني يرتفع عن الأرضية بحوالي 5,20 م.

يتقدم هذه القاعات رواق مرصوف بالآجر ممتد بشكل طولي يطل على ساحة مكشوفة بالجهة الشرقية ببائكة تتكون من عشرة عقود نصف دائرية الشكل محمولة على إحدى عشرة دعامة. . أنظر المخطط رقم: 74، والصورة رقم 49.

أنفاق الاتصال:

لفت انتباهنا خلال العمل الميداني عددا من أنفاق الاتصال التي تربط الحصن بالبنائات الدفاعية الرئيسية المشكلة للحزام الأمني للمدينة أعلى الضفة الشرقية لـ"وادي الرحي" مثل "برج القديس أندري" (برج الصباحية) و"برج القديس فليب" (برج بني زروال) أو البرجين اللذين يتقدمانه من الناحية الشرقية وهما "برج القديسة تيراز" و"برج القديس ميغال". . أنظر المخطط رقم: 72. والصورة: رقم: 50.

وزعت منافذ هذه الأنفاق بمواضع مختلفة من الحصن، خاصة بمركزه، فمنها التي تؤدي إلى بنايات قائمة بذاتها مثل: منفذ النفق بالبناية الحصينة شمال النادي الجهوي للجيش و"بقصر الباي محمد الكبير"، وهناك نفقين آخرين يفضيان إلى فضاء مكشوف، يقع الأول شمال البناية السالفة الذكر والآخر يحتل مركز البرج باتجاه الشرق صوب النادي العسكري.

يقدر ارتفاع هذه الأنفاق عند مدخلها بـ1,70 م وعرضها بـ2,70 م، شكّلت جدرانها وسقفها بالحجارة المصقولة، وجهزت بسلالم في الأجزاء المنحدرة منها.

كما توجد منافذ ثلاثة أنفاق أخرى أسفل المنحدر الصخري الذي يشرف عليه البرج المريني، وتفتح على "شارع المجاهد عبد الرحمن محمد" جهة "واد راس العين" (واد الرحي)، حيث كان الجسر الذي يؤدي إلى باب كانيستال، وهي موزعة بانتظام، تفصل بينها مسافة 6 م، ويقدر ارتفاعها بـ2,50 وعرضها بـ1,50 م.

خزانات الماء :

تقع يمين مدخل "قصر الباي محمد الكبير"، وهي خزانات واسعة من عمل الإسبان لسد حاجيات الحامية المقيمة بالحصن، والتي تتشكل من 400 رجل، ويمكن أن يرتفع عددها إلى 600 رجل في حالة الحرب⁽¹⁾، وبعد تحرير وهران استغلها الباي لنفس الغرض بعد أن قام بترميمها⁽²⁾.

¹– Don Jose Vallejo ; **Op, cit.**, P. 342.

²– علي بوتشيشة، المرجع السابق، ص. 123.

قصر الباي محمد الكبير*:

موقعه وتاريخه:

شيّد في الطرف الجنوبي من الحصن، من قبل "الباي محمد الكبير" (1779-1799م) سنة 1207هـ / 1792م ليكون إقامة له ولبايات وهران من بعده.

الوصف المعماري لقصر الباي محمد الكبير:

يشغل القصر مساحة واسعة تقدّر بـ 4000 م²، جعلته يضم عدة أقسام، وهي الديوان ودار الإقامة والمبنى المفضل ودار الضيافة والحمام، إضافة إلى الحديقتين اللتين تصلان بين الأقسام المذكورة.

الديوان:

يقع بالناحية الشرقية من القصر، وهو من أهم أقسامه على الإطلاق باعتباره قاعة استقبال ومقر الحكم، يتقدم قاعة الديوان رواق ممتد بشكل طولي محمول على بائكتين مشكلتين من عدد من العقود المتجاورة المنكسرة، تستند على أعمدة رخامية أسطوانية البدن.

اتخذت قاعة الديوان شكلا مستطيلا بمساحة تقدّر بحوالي 115م² تتوسطها بائكة لحمل السقف، تتشكل من ستة أعمدة مزدوجة من الرخام تعلوها خمسة عقود متجاورة منكسرة.

* لمزيد من التفاصيل عن عمارة القصر. راجع: - علي بوتشيشة، العمارة الدينية والمدنية بمدينة وهران خلال العهد العثماني، أطروحة لنيل دكتوراه العلوم في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2015-2016، ص. 142-163. - بو عبد الله بلجوزي، آثار عمران...، ص. 249-262.

تكسو جدران القاعة بلاطات خزفية، عبارة عن تجميعات من أربع مربعات من أنواع مختلفة، فيما زخرفت أعلى جدرانها بزخارف جدارية متنوعة، كما أن سقفها هو الآخر تزينه رسومات منفذة على أرضية جصية.

المبنى المفضل:

تحتل هذه البناية الجهة الجنوبية من القصر، في وضعية مستقلة عن باقي أقسامه، ويتكون من ردهة وغرفة وشرفة، تشغل مساحة إجمالية تقدر ب 46 م².

نصل إليه عبر سلم من سبع درجات، واجهته مزدانة ببائكة تضم عمودين رخامين يتوجهما تاجين كورنثيين الطراز، تعلوهما ثلاثة عقود نصف دائرية.

إقامة الباي:

تقع في الجهة الغربية من القصر قبالة الديوان، تفصل بينهما الحديقة الكبرى، وتشغل أكبر فضاء بين أجنحة القصر بمساحة تقدر ب 870 م². تتكون هذه البناية من طابقين، نلج إليها عبر مدخل مباشر يتوسط الواجهة الشرقية لها، يؤدي إلى صحن مكشوف مستطيل الشكل، تتوسطه نافورة من الرخام الأبيض، وتحيط به عدد من الغرف تتقدمها أروقة تطل على الصحن عبر بوائك من الأعمدة الكلسية الأسطوانية البدن، تحمل عقوداً نصف دائرية.

دار الضيافة:

يحتل هذا المبنى موقعا يسار المدخل الرئيسي للقصر، وهو مسكن إضافي يلحق بعمارة القصور والدور الكبيرة يخصص لإقامة كبار الزوار والضيوف مثل: قصر البايات بقصبة مدينة الجزائر.

يتكون من رواق محمول على بائكة، تتشكل من عمودين تستند عليهما ثلاثة عقود متجاوزة منكسرة، وعبره نصل إلى غرف المبنى، إحداها تعلوها قبة ثمانية الأضلاع.

الحمام:

يوجد في الجهة الشمالية الغربية أعلى ثكنة الجيش، يتشكل من أربعة غرف تشغل مساحة 380م².

لم يخرج تخطيط الحمام عما هو مألوف في عمارة الحمامات الإسلامية، حيث جاءت عمارته ممتدة بشكل طولي من الجنوب إلى الشمال، ما ساعد على تسلسل غرفه، وبالتالي التدرج في درجة حرارتها ما يضمن الحفاظ على صحة المستحمين.

تعتبر الغرفة الباردة أكبر قاعات الحمام الثلاثة بمساحة تفوق 24م، تليها الغرفة الدافئة التي تنخفض أرضيتها عن الغرفة السابقة ب0،40م، وتتميز عنها بسمك جدرانها، حيث يقدر سمك الجدار الفاصل بينهما ب1،40م، وهي من خصائص عمارة الحمامات، وذلك للحفاظ على درجة حرارتها إضافة إلى دورها في حمل ثقل القبة الثمانية الأضلاع التي تعلوها.

أما الغرفة الحارة، فشكلها مربع تفوق مساحتها 8م، ويبلغ ارتفاع جدرانها إلى عنق القبة الثمانية الأضلاع 2.63م والغاية من استعمال القباب في عمارة الحمام، جعل سقفها مرتفعة، وبالتالي خلق مساحة إضافية تسمح بتلطيف الهواء وتجديده، نظرا لارتفاع درجة الحرارة والرطوبة، ما ينتج عنه تجنب اختناق المستحمين، دون الحاجة إلى فتحات تهوية تفقد الحمام حرارته، ويعرض الوافدين عليه إلى التيارات الهوائية ما يشكل خطرا على صحة أبدانهم.

برج المرجاجو:

موقعه وتاريخه:

عرف عند السكان بهذه التسمية، وقد اختلفت الآراء حولها، فقد ذكر "الآغا بن عودة المازري" أنها جاءت نسبة إلى رجل زناتي، أو إلى الإسباني الذي أشرف على بنائه، أو إلى الشيخ الحمياني الذي ساعد الإسبان على بنائه، حيث أمر رجاله بنقل الماء إلى البنائين في قمة الجبل⁽¹⁾، وتطلق عليه أيضا تسميات أخرى، مثل "برج الجبل"⁽²⁾، و"برج سانتاكروز"⁽³⁾، وقد شيد بقمة جبل هيدور*⁽⁴⁾ على ارتفاع 372 م على مستوى البحر⁽⁵⁾.

¹ - الآغا بن عودة المازري، المصدر السابق، ج. 2، ص. 60.

² - Albert Devoulx ; **Tachrifat...**, P. 16. **voir** :

- محمد ابن ميمون، المصدر السابق، ص. 216.

³ - Gorgus (A.); **Op.cit.**, P. 45.

* هو نفسه جبل المرجاجو، ويعرف أيضا بـ"جبل سانتاكروز" نسبة إلى البرج الذي شيده أعلاه، ونرجح أن يكون نفسه الذي ذكره صاحب كتاب «البغية» باسم "جبل حيدرة"، ولاارتفاعه كان يستعمل كنقطة مرجعية لتوجيه الملاحين. **راجع:** - أبو زكرياء يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص. 209.

- Gorgus (A.); **Idem.**, P. 44. - Dr. Shaw ; **Op.cit.**, P. 228.

⁴ - Henri- Léon Fey ; **Op.cit.**, P. 115.

⁵ -Radja Halima Ben Daoud ; **Op.cit.**, P. 111.

يتميز هذا الحصن بمناعته، وذلك لصعوبة وضيق المسالك المؤدية إليه⁽¹⁾، إضافة إلى ارتفاع موضعه الذي ساعده على الإشراف على المدينة والمرسى الكبير⁽²⁾، ومراقبة الخطر الذي يحدق بوهران من البر والبحر لمسافات بعيدة⁽³⁾، حيث يضمن حماية سواحلها ومواصلاتها باتجاه الغرب مع المرسى، ويغطي كل البحرية ويحمي "حصن بن زهوة" من الخلف⁽⁴⁾.

كما جعله موضعه المرتفع مكشوفاً على حصون المدينة، وساعده في التواصل معها بواسطة الإشارة عند الضرورة⁽⁵⁾، وله أيضاً ميزة دفاعية هامة تتمثل في قدرته الدفاعية بشكل دائري، وهي من الشروط المستحبة في اختيار مواقع إنشاء البنايات الحربية.

رغم المحاسن التي توفر عليها موقعه، إلا أن له نقطة ضعف تتمثل في ترك إحدى القمم المشرفة عليه "بجبل المائدة" بحوالي 45 م دون أي تحصين يذكر⁽⁶⁾، استغلها الجزائريون ضد الإسبان خلال حملاتهم لتحرير المدينة، أولها حملة إبراهيم باشا (1656-1659)⁽⁷⁾، وحملة الباي بوشلاغم⁽⁸⁾، تمكن على إثرها من الاستيلاء على البرج، وأسر من بداخله من الرجال والنساء⁽⁹⁾.

¹ - الآغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ج. 2، ص. 58-59.

² -- Gorgus (A.); **Op.cit.**, P. 45.

³ - Rene Lespés ; **Op.cit.**, P. 33.

⁴ - Don José Valléjo ; **Op.cit.**, P. 336.

⁵ - Henri- Léon Fey ; **Op.cit.**, P. 196.

⁶ - **Idem.**, P. 131.

⁷ - الآغا بن عودة المزاري، المصدر نفسه، ص. 227.

⁸ - Henri- Léon Fey ; **Ibid.**, P. 131.

⁹ - Albert Devoulx ; **Tachrifat...** P. 16.

يعدّ البرج من التّحصينات الإسبانية الأولى للمدينة، تم بناؤه سنة 1567م⁽¹⁾، وظلّ البرج ممتنعا يدافع عنها إلى سنة 1708 م تاريخ فتح وهران الأول، وإن كنّا لا نملك نصا يؤكد مواصلة استغلال الأتراك للبرج في الفترة الممتدة ما بين 1708-1732م، إلا أنّ يوم الاستيلاء عليه تركوا به حامية لتأمينه⁽²⁾.

تعرضت عمارة البرج خلال الحملة الإسبانية على وهران سنة 1732 م إلى الهدم جزئيا بأمر من "الباي بوشلاغم" تجنباً لاستعماله من طرف الإسبان⁽³⁾، وهذا الإجراء ليس جديدا في تاريخ الحروب عند المسلمين، فقد سبق للوزير الفاطمي "شاور" أن أحرق "مدينة الفسفاط" خوفا من وقوعها في يد أعدائه⁽⁴⁾، واستمر هذا الفكر الحربي إلى الفترة الحديثة، حيث عرف عن "الأمير عبد القادر الجزائري" إقدامه على هدم وحرق مدنه وقلاع، مثل ما حدث في "قلعة طازة الصحراء" لمنع الاحتلال الفرنسي من الاستيلاء عليها واتخاذها قواعدا عسكرية ضدّ بني جلده من الجزائريين⁽⁵⁾.

بعد الاحتلال الإسباني الثاني للمدينة، قاموا بهدم ما تبقى منه سنة 1735 م، وأعادوا بناءه من جديد وفرغوا من ذلك سنة 1738 م⁽⁶⁾، وفي الفتح الأخير لوهران أمر باي الغرب محمد الكبير بهدمه⁽⁷⁾، وبقي على حاله إلى أن قام الفرنسيون ببعث دوره الدفاعي من جديد بعد أن أنهوا أشغال ترميمه سنة 1860 م⁽⁸⁾.

¹ - الآغا بن عودة المزابي، المصدر السابق، ج. 1، ص. 60.

² - Henri- Léon Fey ; **Op.cit.**, P. 131.

³ - **Idem.**, P. 131.

⁴ - خالد عزب، **فقه العمران**، الدار اللبنانية، القاهرة، مصر، 2013، ص. 25.

⁵ - الكلونيل أسكوت، **المصدر السابق**، ص. 102.

⁶ - Henri- Léon Fey ; **Ibid.**, P. 196.

⁷ - Louis Piesse; **Itinéraire** P. 180.

⁸ - Gorgus (A.); **Op.cit.**, P. 251.

شيدت أسوار البرج بطريقة غير منتظمة⁽¹⁾، تضم داخلها ثكانات واسعة لإقامة الجند⁽²⁾، ومخازن للغذاء والذخيرة والأسلحة⁽³⁾، وبه أيضا خزانات لحفظ المياه الصالحة للشرب احترازا من عمليات الحصار حيث توفر حاجيات جنده لمدة سنة كاملة ، اضافة إلى توفره على مرافق أخرى مثل: المطعم والكنيسة⁽⁴⁾، أما قدرة تسليحه، فقد بلغت 30 مدفعا⁽⁵⁾، ويتسع لضم حامية من 200 رجل⁽⁶⁾. أنظر الخريطة رقم: 09، و المخطط رقم: 66-75، والصورة رقم: 51.

برج القديس غريغاري:

موقعه وتاريخه:

كان يعرف عند الجزائريين "بحصن بن زهوة" نسبة إلى "اليهودي زاوي بن كيسة"⁽⁷⁾، ويطلق عليه أيضا اسم "برج الطبانة"⁽⁸⁾.

شيد غرب مدينة وهران⁽⁹⁾ بالمنحدر الجبلي في المسافة الفاصلة بين "برج لامون" و"برج المرجاجو"، يتم الوصول إليه عبر "باب سانتون"⁽¹⁰⁾، ويتمثل دوره في حماية

¹- Don José Valléjo ; **Op, cit.**, P. 336.

²- Radja Halima Ben Daoud ; **Op.cit.**, P. 114.

³- Don José Valléjo ; **Idem.**, P. 336.

⁴- Radja Halima Ben Daoud ; **Idem.**, P. 114.

⁵- Gorgus (A.); **Op.Cit**, P 38-39.

⁶- Don José Valléjo; **Ibid.**, P. 336.

⁷- محمد بن ميمون، المصدر السابق، ص. 221-224.

⁸- Bergés (L.); **Op.cit.**, P. 09.

⁹- Gorgus (A.); **Idem.**, P. 39.

¹⁰- الأغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ج. 2، ص. 92.

الطريق الرابطة بين المدينة والمرسى الكبير⁽¹⁾، وتأمين هذه الأخيرة والمرسى الصغير بوهران⁽²⁾.

يعتبر البرج من التّحصينات الأولى للمدينة ، أقامه "القائد الإسباني بيدرو دو بديلا" Don Pedro de Padilla على عهد الملك "فليب الثاني سنة 1589 م⁽³⁾، في نفس موضع البرج الإسلامي الذي كان قائما بالمكان قبل احتلال المدينة سنة 1509م⁽⁴⁾. أنظر الخريطة رقم: 09، و المخطط رقم: 66.

كانت عمارته متواضعة من حيث الحجم، لكن تحصيناتها قوية، حيث تطلب الإستيلاء عليه من قبل الأتراك سنة 1708 م محاصرته مدّة 37 يوم، واستعمال ثلاثة أنفاق ألغام لاخترق أسواره⁽⁵⁾ وتركوا به يومها حامية لتأمينه⁽⁶⁾.

تعرضت عمارته بعد الاحتلال الإسباني الثاني للمدينة سنة 1732 م إلى عملية ترميم، حيث كان حينها مسلحا بثلاثة مدافع برونزية وإحدى عشرة مدفع حديد وإثنان هاونات⁽⁷⁾، لترتفع قدرة تسليحه أواخر القرن 18 م إلى 30 مدفعا⁽⁸⁾، وكانت به أيضا خزانات للمياه لخدمة الحامية المقيمة به والمقدرة بـ200 رجل⁽⁹⁾.

¹– Henri- Léon Fey ; **Op.cit.**, P. 109.

²– Rene Lespés ; **Oran, Etude...** , P. 306.

³– Henri- Léon Fey ; **Idem.**, P. 109.

⁴– Dédie (L.); **Op.cit.**, P. 09.

⁵–Ernest Mercier ; **Histoire de L’Afrique...**, T. 03, P. 334.

⁶– Henri- Léon Fey ; **Ibid.**, P. 131.

⁷– Don Jose Vallejo ; **Op.cit.**, P. 334.

⁸– Gorgus (A.); **Op.cit.**, P. 39.

⁹– Don Jose Vallejo ; **Idem.**, P. 334.

تضررت عمارة الحصن مرة أخرى نهاية الاحتلال الإسباني للمدينة جزاء الزلزال الذي أصابها في أوت 1790⁽¹⁾، ما تطلب إعادة إصلاحه من طرف الاحتلال الفرنسي، ليستغل كسجن عسكري⁽²⁾.

برج لامون:

موقعه وتاريخه:

يعني بالإسبانية القرد⁽³⁾، وكان مشهورا بين الجزائريين باسم برج اليهودي⁽⁴⁾، وتتفق الدراسات التاريخية أن هذه التسمية جاءت نسبة إلى "التاجر اليهودي بن زواوة" الذي أعان الإسبان على دخول مدينة وهران سنة 1509 م⁽⁵⁾، في حين يرى "الشقراني" أن كل الحصون الرئيسية للمدينة من عمل الإسبان باستثناء هذا البرج الذي شيده أحد اليهود، وإليه ينسب عمله⁽⁶⁾. أنظر الخريطة رقم: 09، و المخطط رقم: 66، والصورة رقم: 52

هو من التحصينات الأولى للمدينة، شيد بالشمال الغربي أسفل "برج حسن بن زهوة"⁽⁷⁾ برأس الرصيف الذي يحمي الميناء من الناحية الغربية، حيث شغل موضع مخازن التاجر اليهودي الذي ينسب إليه البرج⁽⁸⁾، وهو من عمل "الماركيز غوماريز" Le Marquis de Gomares لحماية هذه النقطة البحرية التي يمكن للعدو استعمالها للرسو⁽⁹⁾، ولشل الهجمات المباغته من البحر⁽¹⁰⁾.

¹- Henri- Léon Fey ; **Op.cit.**, P. 242.

²- Georges Robert ; **Op.cit.**, P. 250.

³- Bergés (L.); **Op.cit.**, P. 9-10.

⁴- Albert Devoulx ; **Tachrifat...** , P. 16.

⁵- Henri- Léon Fey ; **Idem.**, P. 69.

⁶- أحمد الشقراني الراشدي، المصدر السابق، ص. 65.

⁷- Gorgus (A.); **Op.cit.**, P. 39.

⁸- Bergés (L.); **Idem.**, P. 74.

⁹- Rene Lespés ; **Oran, Etude...** , P. 161.

¹⁰- Henri- Léon Fey ; **Ibid.**, P. 161.

أما عمارته عبارة عن قبو طوله 7,70 م وعرضه 4,28م⁽¹⁾، سطحه مسلح بأربعة مدافع⁽²⁾، وتحرسه حامية تضم 15 رجلا، وتتجدد كل يوم⁽³⁾، وظلت بنيته قائمة إلى أن هدمت خلال الحقبة الاستعمارية الفرنسية، بفعل أعمال توسيع الميناء⁽⁴⁾.

برج القديس أندري:

موقعه وتاريخه:

يعرف بالبرج الجديد⁽⁵⁾، وأيضا باسم "برج الصبايحية"⁽⁶⁾، لأنه استعمل كتكنة لإيواء صبايحية "الباي محمد الكبير"⁽⁷⁾.

كان يحتل أعلى المنحدر شرق واد الرحي في وضعية مشرفة على المدينة⁽⁸⁾، وهو ثاني حصون الحزام الأمني الشرقي من الناحية الشمالية بعد "البرج الأحمر"، إذ يشغل موضعا في المسافة الفاصلة بين هذا الأخير و"برج القديس فليب"⁽⁹⁾، وقد ساعده موقعه على حماية كل الجهة الشرقية للوادي المحصورة بين البرجين السابقين الذكر⁽¹⁰⁾.

¹- Henri- Léon Fey ; **Op.cit.**, P. 161

²- Gorgus (A.); **Op.cit.**, P. 39.

³- Henri- Léon Fey ; **Idem.**, P. 161.

⁴- أحمد الشقراني الراشدي، المصدر السابق، ص. 63.

⁵- نفسه، ص. 64-65.

⁶- الأغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ج1، ص. 295.

⁷ - Radja Halima Ben Daoud ; **Op.cit.**, P. 136.

⁸- Don Jose Vallejo ; **Op, cit.**, P. 340.

⁹- Rene Lespés ; **Oran, étude...** P. 72.

¹⁰- De Epalza Mikel, Vilar Jean Bta ; **Op, cit.**, P. 286.

شيّد في المرحلة الثانية من الاحتلال الإسباني للمدينة من طرف "الحاكم العام لوهران الماركيز كانزانو" "Le Marquis de Cansano" سنة 1692 م⁽¹⁾، وتعرّض في 04 ماي 1769 م إلى الهدم، جرّاء انفجار مخزن البارود الذي كان به 1712 قنطار، بسبب صاعقة برق⁽²⁾، ونتج عن هذه الحادثة مقتل حاميته المكونة من ثلاث سرايات⁽³⁾. أنظر الخريطة رقم: 09، و المخطط رقم: 66.

نظرا لكون البرج قطعة رئيسية في النظام الدفاعي للمدينة، تقدم حاكم وهران الكونت بولينوس "Le Comte de Bolinos" بعد أن قيّم حجم الخسائر التي لحقت بعمارته، برسالتين إلى "الدون جون غريغوري مونيان" "Don Juan Gregoire" بتاريخ 9 أوت 1769 م و 07 ماي 1770 م، يطلب فيهما إعادة بناء الحصن، وتعرّض للتدعيم سنة 1772-1773 م⁽⁴⁾.

ذكر "الآغا بن عودة المزاري" أنّ "الباي محمد الكبير"، استعمل حجارة البرج في بناء الجامع الأعظم المشهور باسم "جامع الباشا"⁽⁵⁾ الذي تم بناءه سنة 1796 م، ونرجّح أنه يقصد بذلك البقايا المترتبة عن زلزال أوت 1790 م، لأنّ البرج استغل خلال فترة حكمه للمدينة (1792-1799 م)، تكتة لجنده من الصبايحية.

¹- Don Jose Vallejo ; **Op. cit.**, P. 340.

²- De Epalza Mikel, Vilar Jean Bta ; **Op. cit.**, P. 286-287.

³- Henri- Léon Fey ; **Op.cit.**, P.194.

⁴- De Epalza Mikel, Vilar Jean Bta ; **Idem.**, P. 287-289.

⁵- الآغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ج. 1، ص. 295.

اتخذ البرج شكلا غير منتظم⁽¹⁾، وذلك لتعدد رؤوسه⁽²⁾، وقد ساعده هذا التخطيط على الدفاع بشكل دائري (360°)⁽³⁾.

تضم عمارته عناصر معمارية دفاعية متنوعة من ضمنها الأنفاق والخندق ومدخله المجهّز بالجسر المتحرك والأبراج المثلثة الشكل والشرافات⁽⁴⁾، وبه أيضا خزانات للمياه ومخازن للذخيرة وإقامات للجند أحسن تهيئة من مرافق الحصون الأخرى⁽⁵⁾، إضافة إلى الأفران والكنيسة⁽⁶⁾ هذه التركيبة المعمارية جعلت منه أنموذجا للعمارة العسكرية الإسبانية بمدينة وهران خلال القرن 18م⁽⁷⁾. انظر المخطط رقم: 76.

كما كان البرج يمثل نقطة التقاء أنفاق الحصون الشرقية، ومنه تتصل بالمدينة⁽⁸⁾ وكان مسلحا بـ25 مدفعا وتقيم به حامية من 400 رجل⁽⁹⁾.

¹– Don Jose Vallejo , **Op.cit.**, P. 340.

²– Radja Halima Ben Daoud ; **Op.cit.**, P. 136.

³– علي خلاصي، القلاع والحصون....، ص. 229.

⁴– Radja Halima Ben Daoud ; **Idem.**, P. 136.

⁵– Don Jose Vallejo , **Idem.**, P. 340.

⁶– علي خلاصي، المرجع نفسه، ص. 230.

⁷– Radja Halima Ben Daoud ; **Ibid.**, P. 136.

⁸– الأغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ج. 1، ص. 234.

⁹– Henri- Léon Fey ; **Op.cit.**, P194.

برج القديس فليب:

موقعه وتاريخه:

يعرف عند الإسبان "ببرج القديسين"⁽¹⁾، وعند الأهالي ببرج الحمرة⁽²⁾، و"برج العين"⁽³⁾، إضافة إلى "برج بني زروال"⁽⁴⁾، نسبة إلى أبناء هذه القبيلة الذين أظهروا شجاعة كبيرة للإستيلاء على البرج خلال حملة "الباي محمد الكبير" الأخيرة على وهران ودفعوا نظير ذلك أكثر من 100 جريح، وعدد كبير من الشهداء⁽⁵⁾.

شيد على حافة المنحدر الشرقي لـ"وادي راس العين" بالقرب من العين التي تسقي المدينة⁽⁶⁾، على بعد حوالي 800 م عن هذه الأخيرة⁽⁷⁾، وهو ثالث الحصون المشكلة للحاجز الدفاعي الشرقي بعد "البرج الأحمر" و"برج القديس أندري"، حيث شيد جنوب هذا الأخير⁽⁸⁾، في المسافة الفاصلة بينه وبين "برج القديس فارديناند" (برج بوبنيقة). أنظر الخريطة رقم: 09، و أنظر المخطط رقم: 66.

¹ - أحمد الشقراني الراشدي، المصدر السابق، ص. 64.

² - Radja Halima Ben Daoud ; **Op.cit.**, P. 141.

³ - Gorgus (A.); **Op.cit.**, P. 40.

⁴ - Don Jose Vallejo ; **Op, cit.**, P. 337.

⁵ - Gorgus (A.); **Idim.**, P 44.

⁶ - مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج. 02، ص. 338.

⁷ - Radja Halima Ben Daoud ; **Idem.**, P. 142.

⁸ - Henri- Léon Fey ; **Op.cit.**, P. 95. **Voir:** - Gorgus (A.); **Ibid.**, P. 40.

شغل البرج هذا الموقع لحماية المنابع التي تغذي المدينة بالماء⁽¹⁾، ولتأمين مطامير الحبوب التي كان يحفظ العرب بها غلاتهم⁽²⁾ ولتوفير التغطية الدفاعية "للبرج الأحمر" و"برج القديس أندري" ولمنحدرات المحجرة⁽³⁾، إلا أن من عيوبه أنه كان يمثل إلى غاية 1732م رأس الحصون الشرقية، ما جعله هدفا مباشرا ودائما للهجمات العسكرية الجزائرية مثل: حملة "حسن باشا" في القرن 16 م وحملة "الباي بوشلاغم" و"الباي محمد الكبير" خلال القرن 18م، ما ألقى على الإسبان تدعيمه من الناحية الجنوبية "ببرج القديس فرديناند" و"برج القديس كارلوس"⁽⁴⁾.

يعود تاريخ بناء البرج إلى بداية احتلال الإسبان للمدينة سنة 1509 م⁽⁵⁾، وقد تعرضت عمارته من حينها إلى عمليات تجديد، فبعد الاحتلال الثاني للمدينة، قام الإسبان بتدعيم دفاعاته، وذلك لهشاشة بنائه وتواضع عمارته، وتم ذلك تحت إشراف "المهندس أنطوان مونتيانو" "Don Antoine Moutiago"⁽⁶⁾.

كانت عمارته تضم مرافق مختلفة نذكر منها: خزانات واسعة للماء، ومخزن المؤونة وآخر للبارود والذخيرة، كما كان حينها مسلحا بـ16 مدفعا من البرونز و12 مدفعا من الحديد و3 هاونات⁽⁷⁾.

¹- Henri- Léon Fey ; **Op.cit.**, P. 95.

²- Dr. Shaw **Op.cit.**, p. 228.

³- Radja Halima Ben Daoud ; **Op.cit.**, P. 142.

⁴- Don Jose Vallejo , **Op.cit.**, P. 338-339.

⁵- أحمد الشقراني الراشدي، المصدر السابق، ص. 64.

⁶- Don Jose Vallejo , **Idem.**, P. 337.

⁷- **Ibid.**, P. 337-339.

برج القديس فارديناند:

موقعه وتاريخه:

يعرف عند الأهالي باسم "برج الونيسي" نسبة إلى اسم أحد رؤساء المدينة⁽¹⁾، وباسم "برج بونيقّة" أو "برج راس العين"⁽²⁾.

شيّد "القائد فاليجو" سنة 1734م⁽³⁾ لتوفير الحماية لـ "برج القديس فليب" ومنبع عيون الوادي⁽⁴⁾ التي يستسقي منها أهل المدينة⁽⁵⁾، أمّا بنايته فهي صغيرة الحجم⁽⁶⁾، لها شكل مربع محصنة بخندق وساتر، وتتسع لإيواء 100 رجل⁽⁷⁾ ومسلحة بستة مدافع⁽⁸⁾، ويتصل بحصون الحاجز والنظام الدفاعي الذي يتقدمه بشبكة من الأنفاق⁽⁹⁾. أنظر الخريطة رقم: 09، و أنظر المخطط رقم: 66.

رابط جبل المائدة:

عبارة عن مجموعة من المغاور بـ "جبل المائدة" أنزل بها الباي محمد الكبير الطلبة والعلماء، لمشاركة الجيش الجزائري في تحرير وهران من الإسبان سنة 1791 م⁽¹⁰⁾، ولتسهيل مهمة المرابطين به، حرص الباي على تأمين حاجياتهم بإنشاء ثلاث طواحين "بمسرعين" خاصة بهم، وشجع الناس على الهجرة إلى هذا الموضع، ووفر المناخ

¹- محمد ابن ميمون، المصدر السابق، ص 212.

²- Rene Lespés ; **Oran, étude...** , P. 72. **Voir:-** Bergés(L.); **Op.cit.**, P. 13.

³- Don Jose Vallejo , **Op.cit.**, P. 338.

⁴- Rene Lespés ; **Idem.**, P. 306.

⁵- محمد ابن ميمون، المصدر نفسه، ص. 212.

⁶- Gorgus (A.); **Op.cit.**, P. 40.

⁷- Don Jose Vallejo , **Idem.**, P. 338.

⁸- **Ibid.**, P 338.

⁹- الآغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ج 01، ص 234.

¹⁰- يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص. 165.

المناسب لتعميره باتخاذ عدد من الإجراءات السديدة كإعفاء ساكنيها من الضرائب دون غيرها من مدن الإيالة⁽¹⁾.

طبانات مدينة وهران:

موقعها وتاريخها:

إن ظهور سلاح المدفعية، فرض على الأتراك استعمال هذا النوع من العماثر الدفاعية بصورة واسعة في حماية المدن الجزائرية على شكل بنايات مستقلة بالموانئ والخلجان البحرية أو مصبات الأودية أو ملحقة بدفاعات معمارية أخرى مثل: الحصون والأسوار.

كان لمدينة وهران كغيرها من المدن البحرية للإيالة، نصيب من هذه البنايات، نذكر منها طبانة "بغة" التي شيدت بالجانب الغربي لمصب "واد رأس العين" أسفل حي البحرية⁽²⁾.

استعمل الأتراك طبانة أخرى تعرف بـ"طبانة بوعلام"، أقيمت خلال حكم "الباي بوشلاغم" (1708-1732م)، وهي نفسها التي جدها القائد الإسباني Real-Corona، وكانت مسلحة بستة مدافع، وقاذفين، وواصل الفرنسيون استغلالها تحت اسم "بطارية المول" La Batterie de la mole⁽³⁾، كما كانت بها طبانة ثالثة تسمى بـ"الطبانة الحمراء" مسلحة بعشرين مدفعا⁽⁴⁾.

¹ - أحمد ابن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص. 20-21.

² - الآغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ج. 2، ص. 92.

³ - Henri- Léon Fey ; **Op.cit.**, P. 194.

⁴ - Vincent Yves - Boutin ; **Op.cit.**, P. 209.

أنفاق مدينة وهران:

لقد كشفت الإستراتيجية الحربية المتبعة من طرف الجزائريين في محاولاتهم فتح مدينة وهران على وجود خلل في نظامها الدفاعي، وذلك بفضل استعمال خنادق وأنفاق الحصار، وهي من حيل الحروب الغرض منها نقر أسوار الحصون وعزلها عن بعضها البعض، ما يترتب عنه قطع الإمدادات عنها، واستولى عليها الجزائريون تبعا سنة 1708م.

إن الظروف السابقة الذكر جعلت الإسبان بعد احتلالهم لوهران سنة 1732 م، يربطون حصونها فيما بينها بشبكة من الأنفاق، تدعمت سنة 1775 م بأنفاق أخرى تصلها بالمدينة الأم⁽¹⁾.

استعمل الإسبان نوعين من الأنفاق، النوع الأول يتمثل في أنفاق الاتصال، وهي بدورها تنقسم الى نوعين: أنفاق لتنتقل الجند وأخرى لتنتقل البغال⁽²⁾.

أما النوع الثاني يتمثل في أنفاق دورها دفاعي: الهدف منها منع تجاوز العدو لأسوار التحصينات، إذا ما لجأ إلى استعمال أنفاق الألغام لنقرها، وهي عبارة عن أنفاق ثانوية غير نافذة، تتفرع من الأنفاق الرئيسية، مشكلة متاهة، وقد يكون السبب في اعتماد هذا الشكل من الأنفاق التمويه أو تقادي الازدحام، وحتى التهوية وذلك بكسب مساحة إضافية، ويظهر ما سبق تقديمه بوضوح في مخطط لأنفاق "حصن القديس كارلوس Saint Carlos"⁽³⁾. انظر المخطط رقم: 77

¹- De Epalza Mikel , Vilar Jean Bta ; **Op.cit.**, P. 233.

²- Don Jose Vallejo ; **Op.cit.**, P. 344.

³- De Epalza Mikel , Vilar Jean Bta ; **Idem.**, P. 278-279.

قلعة المرسى الكبير:

موقعها وتاريخها:

شيّدت بالجهة الغربية لمدينة وهران خلف جبل المرجاجو⁽¹⁾ على شبه جزيرة صخرية ضيقة تمتد داخل البحر بحوالي 800 م، ويتراوح عرضها ما بين 60 م عند الجهة البحرية و250 م عند الجهة البرية⁽²⁾، مشكلة حاجزا طبيعيا يحمي المرسى من الرياح الشمالية والشمالية الشرقية⁽³⁾. أنظر الخريطة رقم: 10.

يعود تاريخ بنائها إلى سنة 748هـ / 1347 م، على يد "السلطان المريني أبو الحسن" في نفس زمن إنشاء البرج الأحمر⁽⁴⁾ لحماية المرسى الكبير⁽⁵⁾، وقد تعرضت للاحتلال البرتغالي في مناسبتين، أولها سنة 1415م إلى سنة 1437م، والثانية سنة 1471 م، وبعد ستة سنوات من إخضاعها تمكّن الزيانيون من تحريرها من جديد سنة 1477 م⁽⁶⁾، وبقيت القلعة تحت إمرتهم إلى سنة 1505 م تاريخ الاستيلاء عليها من طرف الإسبان بقيادة "الماركيز كومريز" Le Marquis Gaumarez⁽⁷⁾ وأسكنوا بها يهود مدينة وهران ردّا لهم الصنيع الذي أسدوه لهم بمساعدتهم في احتلالها⁽⁸⁾، وبعد أن مكثوا بها 65 سنة،

¹- Gorgus (A.); **Op.cit.**, P. 40.

²- Henri- Léon Fey ; **Op.cit.**, P 210.

³- Dr. Shaw ; **Op.cit.**, P. 224.

⁴- محمد بن ميمون، المصدر السابق، ص. 94. راجع:

- أبو راس محمد بن الناصر العسكري، المصدر السابق، ص. 208.

- الآغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ج. 1، ص. 233-234.

⁵- مارمول كاريخال، المصدر السابق، ج. 2، ص. 327.

⁶- Louis Piesse; **Itinéraire**, P. 195.

⁷- Henri- Léon Fey ; **Idem.** , P. 122.

⁸- أبو راس محمد بن الناصر العسكري، المصدر نفسه، ص. 208.

حوّلهم وأسكنوا بها الإسبان الذين كانوا يقيمون في المجال الممتد بينها وبين مدينة وهران⁽¹⁾.

حاول الجزائريون ممثلين بالسلطة التركية تحريرها، وكان لهم ذلك سنة 1708 م تاريخ فتح وهران من طرف خليفة "الداي بقداش" الوزير "أوزن حسن" رفقة باي الغرب "مصطفى بوشلاغم"، ولم تتمكن القوات الجزائرية دخولها إلا بعد إحداث أضرار بتحصيناتها باستعمال أنفاق الألغام، وكان بها يومها حامية من 3000 رجل⁽²⁾.

بعد مضي أربع وعشرين سنة عن سلطة الأتراك عليها، أعاد الإسبان إخضاعها من جديد بقيادة الكونت "Le Comte Moutémar" خلال حملتهم الأخيرة على وهران سنة 1732 م، وكان يومها "الآغا بن دبيزة" حاكما عليها⁽³⁾.

استمرت القلعة تحت سلطتهم إلى غاية 1791 م، تاريخ تحرير الأتراك لوهران وإنهاء الوجود الإسباني بها، وقد عرفت عمارتها خلال هذه الفترة عدّة إصلاحات، ومن ضمنها ترميم أسوارها الغربية⁽⁴⁾، وفي أواخر 1830 م احتلها الفرنسيون بقيادة النقيب "Le Blanc" قائد سفينة التتتين⁽⁵⁾، وألقوا بها عدّة إصلاحات⁽⁶⁾، واتخذوا منها سجنا لهم⁽⁷⁾.

¹– Gorgus (A.); **Op.cit.**, P. 41.

²– Albert Devoulx ; **Tachrifat...**, P. 17.

³– Louis Piesse; **Op.cit.** , P. 195.

⁴– Henri- Léon Fey ; **Op.cit.**, P. 292.

⁵– Louis Piesse; **Idem.**, P. 195.

⁶– Bergés (L.); **Op.cit.**, P. 06. **Voir** : - Georges Robert, **Op.cit.**, P. 254.

⁷– Reclus Onésime ; **Op.cit.**, P. 174.

الوصف المعماري لقلعة المرسى الكبير:

أمام استحالة المعاينة الميدانية للمعلم، عدنا إلى عدد من المخططات التي عرضها Epalza¹ في كتابه الموسوم بعنوان «مخططات وخرائط إسبانية للجزائر ما بين القرن 16 و 18 م»، ساعدت على تشكل فكرة بسيطة لدينا عن عمارة هذه القلعة العظيمة، وبعض ملاحظاتها المعمارية، والتي خلصنا إليها بعد مقارنة المخططات ببعضها، واستغلال المعطيات الكتابية المتاحة⁽¹⁾.

اتخذت القلعة شكلها العام منذ النصف الثاني من القرن 16 م، حيث تمتد عمارتها بشكل طولي متأثرة بالأرضية المشيدة عليها، التي تضيق تدريجيا كلما اتجهنا نحو البحر، ويظهر بوضوح في هذا الجانب منها تأثير مسار أسوارها المنكسرة بالشكل التضاريسي لأرضيتها، كما تبين أيضا حرص المعماريين على استغلال المساحة المتوفرة، ما جعل الأسوار تتخذ هذا الشكل المتعرج دون إغفال دور هذا التصميم من الناحية الدفاعية كونه يقوي بدن السور، ويسهل مهمة المدافعين في مراقبة جوانبها، إضافة إلى التقليل من استعمال الأبراج الحائطية.

تتشكل القلعة من مستويين، الجهة الأمامية البحرية لها منخفضة بفعل الانحدار الموجود بموضع التشييد كلما اتجهنا من منفذها من البر إلى البحر، وشيدت بها أسوار دورها حماية الواجهة البحرية لها من مدفعية العدو.

أما المستوى العلوي منها، له شكل مستطيل طوله 550 قدم، وعرضه 367 قدم، وسمك أسواره يقارب 40 قدم، تتخلل أركانه أربعة أبراج، وهي "برج القديس سان تياغو" Santiago الذي يعد أكبر الأبراج وأكثرها تسليحا بالمدفعية و"برج القديس فليب" San

¹- De Epalza Mikel, Vilar Jean Bta ; **Op.cit.**, P. 196-211.

"Fillipe" و"برج القديس جون" "San Juan" و"برج القديسة" "Santa Cruz" وهي أبراج مثلثة الشكل، شبيهة برؤوس السهام، ومشكلة من طابقين، يقدر ارتفاع كل مستوى منهما بـ 13,5 قدم، ونصل من المستوى السفلي للبرج إلى المستوى العلوي، ومنه إلى السطح عبر سلّمين طولهما حوالي 16 قدما.

استخدمت سطوح الأبراج كمنصات للمدفعية، حيث سلّح برجا الواجهة البرية بما لا يقلّ عن 13 مدفعا، كما وزعت المدفعية أيضا بكل من القاعدة السفلية، وبالقرب من الخنادق وبالأبراج المشيّدة وسط الحصون الركنية للقلعة.

نلج إلى القلعة بواسطة مدخلين رئيسيين، يوجد الأول بجانب "حصن سان تياغو" مقابل للميناء، ويعرف الثاني "بباب كالفاريو" "Porte de Calvario" بجانب "حصن القديس جون".

تضم عمارة القلعة مجموعة من المباني، نذكر منها: إقامة الحاكم والمهندسين وقائد الميناء، وثكنات الجيش وقادته والكنيسة الملكية⁽¹⁾، وبها أيضا عدد من المخازن وخزانات لحفظ الماء⁽²⁾، تضمن التموين بهذه المادة الحيوية عند الحصار⁽³⁾، وكانت قدرة تسليحها تفوق 100 مدفع، وتتسع لإيواء حامية تضم 1300 مدافع عند الحاجة⁽⁴⁾. **أنظر المخطط رقم: 78.**

¹- Henri- Léon Fey ; **Op.cit.**, P. 213.

²- Dédie (L.); **Op.cit.**, P. 06.

³- De Epalza Mikel, Vilar Jean Bta ; **Op.cit.**, P. 196-213.

⁴- Henri- Léon Fey ; **Idem.**, P. 213.

طبانة مرسى أرزيو:

موقعها وتاريخها:

شيّدت هذه الطبانة لحماية مرسى أرزيو الذي يحتل موقعا من الساحل البحري المحصور بين مدينة مستغانم ووهران، ورغم تواضع هذا الميناء مقارنة بمرسى وهران والمرسى الكبير، إلا أنه كان محطة بحرية هامة بالساحل الغربي للإيالة الجزائرية، وتتجلى هذه الأهمية في الاعتماد عليه كنقطة للإنزال إلى جانب ميناء مستغانم في حملات الجيش الجزائري على العدو الإسباني بمدينة وهران.

كانت عمليات الإنزال تتم بمرسى أرزيو وتأتي القوات برا إلى وهران وذلك لإستحالة استهدافها من البحر، لقوة البحرية الإسبانية المدافعة على المدينة وقلعة المرسى الكبير التي تدعمها من الناحية الغربية، وتمنع سفن الأسطول الجزائري الاقتراب والإنزال بسواحل هذه المنطقة⁽¹⁾، وفي هذا الصدد ذكر "أبو راس الناصري" أن خلال حملة "أوزن حسن" على المدينة سنة 1708 م، نزلت القوات الجزائرية بمرسى أرزيو لأنه لا يمكنها النزول بمرسى وهران لامتلائها بمدد النصارى⁽²⁾.

نظرا لأهمية هذا المرسى عمل الأتراك على تأمينه بحامية من الجند⁽³⁾، تشرف على طبانة مسلحة بـ 18 مدفعا من العيار الكبير⁽⁴⁾.

¹ - أحمد الشقراني الراشدي، المصدر السابق، ص 70 - 71.

² - أبو راس محمد بن الناصر المعسكري، المصدر السابق، ص. 512.

³ - Moulay Belhamissi, **Op.cit.**, T. 02, P 21.

⁴ - Vincent Yves- Boutin ; **Op.cit.**, P. 208-209.

برج سيق وبرج أغبالو:

موقعه وتاريخه:

ذكرت المصادر التاريخية أن الباى محمد الكبير فى حملته الأخيرة على وهران تلقى الإمداد بالبارود من "برج سيق" و"برج أغبال"، ويقع هذا الأخير بمدينة أغبال بين تسلة ووهران، وأهلها أغنياء بأراضيهم ومواشيهم، وكانوا فى حذر دائم من الحامية الإسبانية بمدينة وهران التى لا تبعد عنهم سوى بأربعة فراسخ⁽¹⁾.

أما عمارته فقد نقل إلينا القائد الفرنسى "ديدي" "L. Didier" وصفا لها، ومصدره فى ذلك تقرير عسكري للنقيب الاسباني "غونزالو" "C.Gonzalo" جاء فيه: <<... يشغل البرج مساحة 50 خطوة محاطة بسور مشيدة باللبن، يقدر ارتفاعها بقامتي رجل وتعلوها شرفات...، ويعتبر موقع تشييده أخصب مناطق المملكة الزيانية، حيث عثر به الإسبان على مطامير كثيرة للحبوب من القمح والشعير...>>⁽²⁾.

¹ - مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج. 2، ص. 326.

² - Dédie (L.); Op.cit., P. 156-157.

تحصينات بايليك التيطري:

تحصينات مدينة المدية:

شيدت مدينة المدية على أنقاض المدينة الرومانية التي أعاد الزيرون استغلال بقاياها في تشييد المدينة الإسلامية، وتمّ ذلك على يد "بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي⁽¹⁾ لتصبح إحدى أهم قلاع بني زيري بالمغرب الأوسط⁽²⁾.
استمرت المدينة في أداء دورها العسكري، حيث اتخذ منها الزيانيون قاعدة لأعمالهم الحربية⁽³⁾، قبل أن تنتقل إلى سلطة الأتراك الذين جعلوا منها عاصمة لبايليك التيطري⁽⁴⁾.

حافظت المدينة على مكانتها السياسية والعسكرية بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر، حيث اتخذ منها "الأمير عبد القادر" مقرا للمقاطعة الرابعة، ولّى عليها أخاه "مصطفى بن محي الدين"، ولكن لم يعمّر على رأسها طويلا ليعين "محمد البركاني" خلفا له⁽⁵⁾، وكانت في نفس الوقت حصنا منيعا في نهاية الخط الدفاعي الثاني من الناحية الشرقية⁽⁶⁾،

تعرّضت المدينة بعد احتلالها من طرف الفرنسيين سنة 1840 م إلى عمليات توسعة⁽⁷⁾، وذلك لضرورة دفاعية⁽¹⁾، ما أفقدها طابعها المعماري الإسلامي، وفي المقابل

¹– Louis Piesse; **Op.cit.**, P. 104.

²– الشيخ المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص. 28.

³– مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج. 02، ص. 372.

⁴–L. Reuss ; **Op.cit.**, P. 155.

⁵– إسماعيل العربي، حكومة الأمير...، ص. 222.

⁶– رشيد بورويبة، القلاع والحصون ...، ص. 87.

⁷– Robert Georges; **Op.cit.**, P. 155.

حافظت على مكانتها العسكرية باتخاذها مركزا للقيادة الجهوية العسكرية الرابعة⁽²⁾.

أسوار مدينة المدية:

كانت السور تحيط بالمدينة بكاملها، استعملت في بنائها مادة الحجارة⁽³⁾، التي لا نستبعد أن تكون من بقايا المدينة الرومانية، إضافة إلى مادة الطابية، ومسلحة بالمدفعية⁽⁴⁾. فتحت بها خمسة أبواب باب الجزائر، باب الناظور، باب مليانة، باب سيدي الصحرابي وباب الجنان⁽⁵⁾، وكانت تتصف بالاتساع، لكنها غير مرتفعة، تتوجها قباب دائرية الشكل ومغطاة بالقرميد النصف الأسطواني⁽⁶⁾.

حصون وأبراج مدينة المدية:

قصة مدينة المدية:

موقعها وتاريخها:

كان مقر حكم الباي بالقصة، التي تحتل مكانا حصينا بأعلى المدينة، وفيها قال الرحالة الألماني ج. أو هابنسترايت عندما زارها في الربع الثاني من القرن 18 م: <<والمدينة هي مدينة بها حصن بني على نتوء صخري ليسهل الدفاع عنها ضد القبائل

¹-Louis Piesse; **Idem.**, P. 105.

²- Robert Georges; **Op.cit.**, P. 155.

³- ودان بوغفالة، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمدينتي المدية ومليانة في العهد العثماني، ط. 01، مكتبة الرشاد، الجزائر، 2009، ص. 136-137.

⁴-Dr. Shaw; **Op.cit.**, P. 308.

⁵- Louis Piesse; **Op.cit.**, P 105.

⁶- ودان بوغفالة، المرجع نفسه، ص. 138.

العربية»⁽¹⁾، وكانت تحرسها حامية من صفرة واحدة تضم 19 رجلاً⁽²⁾، حوّلت في الحقبة الاستعمارية إلى مستشفى وثكنة للجيش، ومقراً إدارياً لسلح الهندسة وإلى مستودع، وحوّلت مسجدها إلى نقطة مراقبة باستغلال علو مؤذنته في ذلك⁽³⁾. كما كانت بالمدينة إضافة إلى التحصينات السابقة مجموعة من البنايات العسكرية، كثكنة الانكشارية الشبيهة بثكنات مدينة الجزائر، وبها أيضاً حصون كثيرة نذكر منها الحصن الذي كان بالقرب من المحطة النهائية لقناة المياه لحمايتها من أي اعتداء قد يستهدفها، لكونها القناة الرئيسية الوحيدة التي تزود المدينة بالماء وكان مسلحاً بأربعة مدافع من البرونز، والحصن الآخر كان أعلى باب الجنوب، ومزود بمدفعين طويلين من البرونز من عيار ثمانية⁽⁴⁾.

أبراج الطرق السلطانية لبابليك البيطري:

برج حمزة (البويرة):

موقعه وتاريخه:

تطلق عليه هذه التسمية نسبة إلى مدينة حمزة من مدن الدولة الحسنية إخوة الأدارسة بالمغرب الأوسط التي كانت تمتد من تلمسان غرباً إلى نواحي بجاية شرقاً⁽⁵⁾، أسست على يد حمزة بن الحسن بن سليمان بن الحسين بن علي بن الحسن بن

¹ - جون أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص. 65.

² - Albert Devaulx, *Tachrifat...*, P. 51.

³ - Louis Piesse; *Op.cit.*, p. 105.

⁴ - ودان بوغفالة، المرجع السابق، ص. 165.

⁵ - اسماعيل العربي، دولة الأدارسة ملوك تلمسان وفاس وقرطبة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983، ص. 145.

علي بن أبي طالب رضي الله عنهم⁽¹⁾، وقد ذكر في دفتر التّشريفات باسم برج حمزة القديم⁽²⁾، ويعرف عند البعض ببرج البويرة⁽³⁾.

شيد بقيادة حمزة في الشمال الشرقي من بايليك التيطري⁽⁴⁾، على بعد سبعة مراحل عن برج سور الغزلان⁽⁵⁾. أنظر الخريطة رقم: 11.

يعود تاريخ إنشائه إلى النصف الثاني من القرن 16 م، ودعم في عهد حسين باشا (1627-1633 م) سنة 1628 م بفرقة من كراغلة الزواتنة بعد ثورتهم الفاشلة بمدينة الجزائر⁽⁶⁾، أقيم بهذا المكان من الطريق السلطانية ليكون نقطة مراقبة لقبائل جرجرة وعشائر عريب وبني سليمان، ولتحقيق ذلك أوكلت مهمة حراسته إلى حامية مشكّلة من 50 رجلا⁽⁷⁾، وجّهز بعدد من المدفعية يتراوح عددها ما بين 6 إلى 8 مدافع⁽⁸⁾.

واصل البرج أداء دوره الدفاعي بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر، حيث اتخذ منه الأمير عبد القادر الجزائري مقرا لمقاطعة الجبال تحت قيادة " أحمد بن سالم الدبيسي" (9).

¹- أبو عبد الله البكري، المصدر السابق، ص 65. راجع:

- عبد الله التتسي، تاريخ بني زيان، ملوك تلمسان، تحقيق وتعليق : محمود آغا بوعباد، الجزائر، 2011، ص. 288.

²- Albert Devaulx, **Tachrifat...**, P. 47.

³- Adrien Berbrugger; "**Notes sur l'emplacement de divers ruines romaines**", in : R. de Constantine, 1893, p. 108.

⁴- Aucapitaine et Henri Fedemann; «**Notes sur l'histoire et l'administration du Beylik de Titteri**», in: R. Africaine, N 64 / 1867, p. 301.

⁵-Adrien Berbrugger; **Idem.**, P. 111-112.

⁶-علي خلاصي، القلاع والحصون....، ص. 181.

⁷-جون أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص 69.

⁸- Vincent Yves - Boutin ; **Op.cit.**, p 194. **Voir:** -Alfred Nettement; **Op. cit.**,P. 590.

⁹-محمد بن عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ج. 01، ص. 200.

الوصف المعماري لبرج حمزة:

اتخذ برج حمزة شكل نجمة ثمانية الرؤوس، وذلك انطلاقا من شكل مربع مدّت من منتصف أضلاعه أربعة رؤوس بارزة، يقدر ارتفاعه بحوالي 06م، وسمكه في الأسفل بـ02م، وعند حائط الممشى بـ 0,80 م. أنظر المخطط رقم: 79. والصورة رقم. 53 للبرج أربعة واجهات وزعت فيها 70 مزغلا للرماية بمعدل 18 مزغلا في كل واجهة باستثناء الواجهة الغربية التي فتحت فيها 16 مزغلا، وذلك لأن مدخل البرج حال دون إنشائها كما زودت واجهات البرج بـ 08 فتحات خاصة بالمدفعية وزعت بمعدل فتحتين بكل رأس من الرؤوس المركزية للواجهات الأربعة.

نلج إلى البرج عبر باب بالواجهة الغربية للبنية ارتفاعه 03,40م وعرضه 02,80 م، ويؤدي مباشرة إلى فضاء مكشوف وزعت بجوانبه منشآت موجهة لأداء وظائف مختلفة تم الكشف عنها بعد عملية التهيئة التي أقيمت بالبنية تحضيراً لعملية الترميم التي تمت سنة 2012 م.

كشفت هذه العملية على وحدات هامة تطوق صحن البرج تتمثل في مخزن البارود والسلاح بالركن الجنوبي الغربي على يمين المدخل مسقوفة بأقبية نصف برميلية منهارة، وبجانبها سلم، وهو الوحيد بهذه العمارة الدفاعية ينتهي عند ممشى الواجهة الجنوبية، إضافة إلى مرافق أخرى، وهي الاسطبل والمطبخ والمخزن والموقد بالركن الجنوبي الشرقي وعدد من غرف إقامة الجيش بالركنين الشمالي الشرقي والغربي للبرج، ولقد بقيت مساحات من التبليط الاصلي الذي تمّ إما بالبلاطات المربعة أو بالأجر.

استحدثت بالفترة الاستعمارية عدد من المرافق بالجهة الشرقية من الصحن، حيث لا تزال آثار أساساتها قائمة وقد كشفت عملية التهيئة أيضا على نظام تخزين مياه

الأمطار الذي لا يزال قيد الاستعمال إلى يومنا هذا في سقي المساحات الخضراء المحيطة بالبرج، والمتمثل في شبكة من القنوات الأرضية التي تغذي صهريج أرضي بالركن الشمالي الغربي للبرج، له فوهتين ومسقوف بقبو نصف برميلي، وذلك بعد المرور على نظام التصفية، وهو عبارة عن ثلاث خزانات صغيرة تنتقل فيها المياه بالتدرج ، هذا ما يساعد على رشح المواد الصلبة قبل أن تصل المياه إلى صهريج التخزين، وهذه التقنية ليست جديدة في نظام الري الإسلامي حيث عرفت في عمارة المواجه التي شاع انتشارها عند المسلمين بداية من القرن 2هـ/8م عند الأغالبة بإفريقية.

نصل إلى الممشى مباشرة من الصحن عبر السلم السالف الذكر، وأربعة ممرات موصولة مباشرة بالرؤوس المركزية للبرج، حيث تنصب المدفعية، شيدت بشكل مائل وهي واسعة طولها 7,80 م وعرضها 3.80م، ما يسمح بنقل المدافع إلى أماكنها بسهولة، ولقد كانت في الفترة الاستعمارية على شكل سلالم مدرجة، إلا أن بعد عملية الترميم استرجعت شكلها الأصلي.

يطوق الممشى كل جوانب الصحن والمقدّر ارتفاعه عن أرضية الصحن ب 3,50 م، وعرضه 1,20 م، رصفت أرضيته بالآجر باستعمال تقنية السنبلة. يرتفع حائط الممشى الذي يقدر سمكه ب 0,80م عن الممشى ب 2,20 م، فتحت به عدد من المزاغل مشيدة بالآجر تقدر مقاساتها ب 0,70 م من الداخل و 0,15 م من الخارج وعمقها 0,80 م وزعت بانتظام، حيث تفصل بينها مسافة تتراوح ما بين 1,80 م و 2 م ، وقد سجلنا تباينا طفيفا في ارتفاعها ما بين الداخل الذي يقدر ب 0,65 م ومن الخارج 0,80 م، هذا ما أكسبها شكلا مائلا نحو الأسفل إلى الخارج بفارق 0,15 م ما يساعد على حماية جوانب السور من الأعداء.

أما فتحات المدفعية، مبنية بالحجارة الرملية، تقدّر مقاساتها من الداخل ب 0,50 م و 1,20 م من الخارج، ويتراوح ارتفاعها ما بين 1,30 م إلى 1,40 م مابين الداخل والخارج، وقد حوّل عدد منها في الفترة الاستعمارية الفرنسية إلى فتحات مراقبة.

برج بوغني:

موقعه وتاريخه:

يقع على ارتفاع 232 م على الضفة اليسرى لوادي القصب⁽¹⁾، وهو مقر ثاني قيادة بمنطقة القبائل بعد قيادة سباو⁽²⁾، حيث كانت تقيم به حامية من 100 رجل، لتتراجع إلى 62 رجلا سنة 1830 م⁽³⁾ موجهة لمراقبة القسم الغربي من جرجرة⁽⁴⁾. أنظر الخريطة رقم: 12.

أمر بتشييده "الباي محمد الذباح"⁽⁵⁾ سنة 1723 م⁽⁶⁾، لتعويض البرج الذي كان أسفله (برج بوغني القديم) لما لحق بعمارته من أضرار⁽⁷⁾.

تعرّضت عمارته للهدم مرتين⁽⁸⁾، أولهما سنة 1756 م وأعيد ترميمه⁽⁹⁾، والثانية كانت سنة 1823 م، حيث قام يحيى آغا بإصلاحه⁽¹⁰⁾.

¹– Louis Piesse; **Op.cit.**, P. 152.

²– Tarik Bellahsene; **Op.cit.**, P. 88.

³– Adrien Berbrugger, **Les époques militaires...**, p. 130

⁴– Rinn (L.); **Op.cit.**, P. 144.

⁵– Nicolas Bibesco ; **Op.cit.**, P. 129.

⁶– Rinn (L.); **Idem.**, .P. 144.

⁷– Louis Piesse; **Idem.**, P. 152.

⁸– Nicolas Bibesco ; **Idem.**, P. 129.

⁹– Tarik Bellahsene; **Idem.**, P. 88.

¹⁰– Rinn (L.); **Ibid.**, P. 144.

كما سجل الأتراك حضورهم العسكري بنقاط أخرى من منطقة القبائل الكبرى، حيث كانت لهم حامية ببرج ذراع الميزان⁽¹⁾، وأخرى بقشتولة تضم 62 رجلا⁽²⁾.

الوصف المعماري لبرج بوغني:

شيد برج بوغني بقمة ربوة جنوب غرب المدينة، متخذا شكلا منتظما، هذا ما أكسب مخططه شكل صليب، تحدد معالمه جدران من الحجارة، تظهر بوضوح في الأركان وبعض الأساسات، أما سمكه فيقل بالتدريج كلما اتجهنا إلى الأعلى، حيث يقدر في الأسفل 1,30 م وفي الأعلى 1,10 م، وب 0,90 م عند نهايته. رغم أنه في حالة خفض سيئة، إلا أن الآثار المتبقية منه قدّمت لنا صورة عن عمارته، وبعض ملاحقه الدفاعية، ويظهر ذلك في الأجزاء القائمة من الواجهة الشمالية والغربية.

يتكون البرج من أربعة واجهات، ولم يتبق منها إلا ما أشرنا إليه سالفا، ويبدو من خلالها أن عمارته قائمة على التناظر، بمساحة إجمالية تفوق 2164 م².

خطت عمارة البرج على شكل مربع تتوسط كل ضلع من أضلاعه عمارة بارزة، تقدر مساحة كلّ منها بـ 100 م²، وهي عبارة عن أبراج حائطية مربعة ذات كتلة واحدة، استعمل سطحها كمنصات للمدفعية.

فتحت بجدرانها عدّة فتحات موزعة بانتظام تفصل بينها مسافة 1,90 م، ولا تزال البعض منها قائمة، يقدر عرضها من الداخل 0,80 م ومن الخارج بـ 1,40 م، وعمقها 1,10 م، كما زوّدت الأجزاء القائمة من البرج بعدد كبير من المزاول، وهي عبارة عن فتحات مراقبة

¹- Tarik Bellahsene; **Op.cit.**, P. 85- 561.

²- Albert Devaulx, **Tachrifat...**, P. 50.

بسيطة الشكل موزعة على مستويين سفلية وعلوية، العلوية منها تفصل بينها مسافة 1,10 م والبعض منها موزعة بالسواتر الفاصلة بين فتحات المدافع بالواجهة الغربية للبرج.

باستثناء ما تم ذكره، لم يتبق من الواجهات الأخرى من البرج إلا بعض الأساسات، وذلك بفعل العوامل المختلفة خاصة العامل البشري الذي شيد على حسابه عدة مباني في كل من الصحن وبالواجهة الجنوبية.

انطلاقا من الأجزاء المتبقية من البرج، يمكن أن نرجح أن موضع المدخل كان إما بالواجهة الشرقية أو الجنوبية، ونترك ذلك لما ستسفر عليه البحوث الأثرية بناءا على عمليات التنقيب والترميم المستقبلية التي نأمل أن تعيد الاعتبار لهذا المعلم الأثري الهام. أنظر المخطط رقم: 80.

برج سور الغزلان:

موقعه وتاريخه:

عرف أيضا باسم برج الغزلان⁽¹⁾ وذلك لكثرة هذا النوع من الحيوانات بهذه المنطقة، حيث ذكر العالم الألماني "ج. أو. هابنسترايت" في رحلته أنه عندما حلّ بمدينة سور الغزلان استقبله قائد البرج وأهدى له غزالة⁽²⁾، وهناك من ينسبه إلى اسم شخصية عربية⁽³⁾، أو إلى المزاغل التي فتحت بأسواره⁽⁴⁾.

كما ذكره "الدكتور شو" ومعاصره "ج. أو. هابنسترايت" باسم برج حمزة⁽⁵⁾، وإن كان بعض الباحثين مثل A. Berbrugger يعتبرون ذلك خطأ، إلا أننا نؤيد ما ذهبوا إليه،

¹ - Adrien Berbrugger ; <<Auzia>> ; in : Revue Africaine, N 63, 1867, P. 249.

² - جون أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص 68.

³ - Louis Piesse; *Itinéraire...*, P. 134.

⁴ - Pellissier (E); *Op.cit.*, T.01, P. 355.

⁵ - DR. Shaw ; *Op.cit.*, p. 318. Voir :

- جون أو. هابنسترايت، المصدر نفسه، ص. 68.

ودلينا في ذلك ما جاء في دفتر التشريعات الذي صدر على عهد آخر دايات الجزائر، حيث ذكر برج البويرة باسم برج حمزة القديم، وذلك تمييزا له عن برج حمزة الثاني الذي يقصد به برج سور الغزلان⁽¹⁾.

شيد البرج أسفل جبل ديرة من الناحية الشمالية⁽²⁾ في نفس موضع المدينة الرومانية "أوزايا"⁽³⁾ التي شغلت مكانها في الفترة الاستعمارية مدينة "أومال" "Aumal" واتخذوا منها مركزا عسكريا للتصدي لمقاومة الاهالي من منطقة القبائل⁽⁴⁾.

خلال إعدادنا بحثنا لاحظنا اختلافا في آراء الباحثين حول تاريخ إنشائه، فهناك من ينسبه إلى "حسن بن خير الدين باشا"⁽⁵⁾، وبعضهم إلى "شعبان آغا" (1592-1595م)⁽⁶⁾، والبعض الآخر يعدّه من عمل خليفته "مصطفى باشا" في جويلية 1595 م خلال فترة حكمه الأولى التي لم يلبث بها سوى أربعة أشهر⁽⁷⁾.

من العوامل المساعدة على إنشاء البرج بهذه المنطقة مسالمة القبائل المجاورة لها، وبالتالي تجنب خطر القبائل الثائرة بجرجرة وبني عباس التي تهدد المحلة التي تخرج من مدينة الجزائر باتجاه بايليك الشرق عبر الببيان⁽⁸⁾، إضافة إلى المساهمة في توفير الحماية لسوق سور الغزلان، ويعرف أيضا باسم "سوق أولاد إدريس" الذي تتجار فيه

¹- Albert Devoulx ; **Tachrifat...** , P. 47.

²- Louis Piesse; **Op.cit.** ,P. 134.

³- Adrien Berbrugger ; **Auzia..**, P. 249. **Voir** : -. Pellissier (E); **Op.cit.**, T.01, P. 355.

⁴- Adrien Berbrugger ; **Notes sur l'emplacement...**, P. 108-116.

⁵ - جون أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص. 68.

⁶ - أحمد توفيق المدني، محمد بن عثمان باشا...، ص. 33.

⁷- Abd Elhaddi Manssour ; **Op.cit.**, P. 68. **Voir** :

- مبارك محمد الميلي، المرجع السابق، ج. 3، ص. 140.

⁸- مبارك محمد الميلي، نفسه، ص. 140. راجع: -جون أو. هابنسترايت، المصدر نفسه، ص. 71.

قبائل أوطان ديرة، إلى جانب اتخاذ محطة للاستراحة ومخزنا للحبوب التي تم
تحصيلها على شكل عشور⁽¹⁾.

عند دخول الفرنسيين إلى المدينة سنة 1846 م كانت عمارته قائمة بمركز المدينة
الفرنسية في الجهة المقابلة للحديقة العمومية، إلا أن أسواره قد أصابها كثير من
الخراب⁽²⁾، وظل قائما إلى غاية النصف الثاني من القرن 19 م لتحل محله مدرسة
الذكور⁽³⁾. أنظر المخطط رقم: 81.

اتخذ البرج شكلا مربعا بمساحة إجمالية تقدر بحوالي 4900 م² ⁽⁴⁾، تقيم به
حامية تتألف من سفرتين⁽⁵⁾، وستين احتياطيا، ومسلح بعدد من المدافع⁽⁶⁾.

برج السواري:

موقعه وتاريخه:

ذكر الدكتور شو "Dr. Shaw" أنه شيد على مدخل الصحراء على بعد أربعة
مراحل جنوب غرب "عين بوسيف"، وعلى بعد عشرة مراحل جنوب المدينة⁽⁷⁾، وهو
برج صغير مسلح بمدفعين، وتدافع عنه حامية من 40 رجلا⁽⁸⁾، أقيم بهذا الموقع
للتصدي لهجمات الرّجل⁽⁹⁾.

¹ -Louis Piesse; **Itinéraire, ...**, P. 135.

² -**Idem.**, P. 135.

³ - Robert (A.); «**Auzia place fort**», in: R. de Constantine, 1901, P. 135.

⁴ - Louis Piesse; **Ibid.**, P. 135.

⁵ -Aucaptiaine et Henri Federmann ; **Op.cit.**, P. 300.

⁶ - لخضر درياس، المرجع السابق، ص. 195.

⁷ - DR. Shaw; **Op, cit.**, p. 316.

⁸ - Aucaptiaine et Henri Federmann ; **Idem.**, P. 300.

⁹ -لخضر درياس، المرجع نفسه، ص. 195.

فقد البرج أهميته الدفاعية بعد وفاة "الباي الوزناجي" أواخر القرن 18م، حيث لم يسلم منه خلال القرن 19 م سوى القليل من أسواره، أما مدفعيته، نقلها "الباي جعفر" إلى "عين المشرف" "بأولاد علّان"، حيث انفجرت عند استعمالها⁽¹⁾.

¹– Aucaptiaine et Henri Federmann ; **Op.cit.**, P. 300.

الخاتمة

خاتمة:

بعد أن أثّرنا في هذه الدراسة فكرة الأوضاع الأمنية بالبلاد الجزائرية خلال الحكم التركي لها، خلصنا إلى أن لها علاقة مباشرة بالمنحنى التصاعدي الذي عرفته الجزائر من حيث منشآتها الدفاعية و نوعية ترسانتها الحربية، وتحتل مدينة الجزائر عاصمة الإيالة الريادة في ذلك، تليها عواصم البايليك وعدد من مدنها الهامة خاصة البحرية منها مثل مدينة عنابة وبجاية وشرشال ومستغانم.

كان للحملات الخارجية على البلاد الجزائرية دورا في كشف نقاط الضعف في النظام الدفاعي لها، خاصة بمدينة الجزائر التي كانت هدفا لأغلب العمليات العسكرية الأجنبية، نتج عنها تدارك نقاط الضعف بتحسينها وتطوير نظامها الدفاعي المعماري وتعزيز قدرتها التسليحية، و تتمثل أغلب هذه النقاط المحصنة في الأماكن الطبيعية المشرفة والمناسبة للإنزال والرسو مثل المراسي والخلجان البحرية ومصبات الأودية.

حرصت السلطة التركية على التواجد العسكري المكثف ببايلك الغرب وتقوية النظام الدفاعي لمدنه، وتغيير عواصمه باستمرار، وذلك نظرا للظرف الأمني الخاص الذي كانت تعيشه هذه المقاطعة بوجود الاحتلال الإسباني بكل من وهران والمرسى الكبير من بداية القرن 16م إلى أواخر القرن 18م.

سجلنا إرتفاع مستوى التحصين بمنطقة القبائل التي اشتهرت بعدائها المنقطع النظير للأتراك والذي امتد إلى نهاية حكمهم للجزائر، ولاحظنا أيضا انتشار البنايات الحربية بالطرق السلطانية خاصة الطريق الرابطة بين مقر الإيالة وبايليك الشرق، وذلك لوجود قبائل عاصية ترفض خضوعها وأداء واجباتها المالية اتجاه السلطة الرسمية بالبلاد، وبالتالي تستغل هذه الأخيرة الحاميات المقيمة بها لتدعيم المحلات العسكرية الموجهة لتأديب القبائل الثائرة وللمشاركة في استخلاص الضرائب، إضافة إلى تأمين طرق

المواصلات لها ولعابري السبيل من الرعية، وإتخاذها كمحطات للراحة ومراقبة المناطق التابعة لها وتأكيد الحكم عليها.

الحرص على ترك حاميات ببعض المدن لتأكيد السلطة على المناطق الملحقة بها والمحافظة على مصالحها بها مثل مدينة بسكرة، إضافة إلى إتخاذها كنقاط مرجعية لتعيين حدود الإيالة مع دول الجوار مثل مدينة تبسة.

رغم الخبرة العسكرية التي إكتسبتها الجزائر في حروبها مع الدول الأوروبية، إلا أنه يعاب عليها وجود خلل في النظام الدفاعي المعماري لبعض مدنها، كانت له عواقب خطيرة على أمنها تقطن له الفرنسيون واستغلوه في إخضاعها، ونقصد بها مدينة الجزائر مقر دار السلطان، ومدينة قسنطينة قاعدة بايليك الشرق أهم مقاطعات الإيالة.

أما من الناحية المعمارية، فقد سجلنا استمرار استغلال بعض النقاط التّضاريسية الهامة في النظام الدفاعي للدول التي تعاقبت على حكم البلاد الجزائرية منذ الفترة القديمة إلى يومنا هذا، مثل مدينة "المدينة" وقلعة المرسى الكبير التي لا تزال مقرا للبحرية الجزائرية.

كان لظهور سلاح المدفعية تأثير على العمارة الحربية بظهور أشكال جديدة لها، مثل الطبانات، والأبراج السهمية التي عثرنا على نماذج لها ببرج حمزة، مع مواصلة اعتماد النمط التقليدي المألوف في الفترة الإسلامية الوسيطة مثل الشكل المربع والمضلع.

إستمرار الاعتماد على البنايات الحربية التقليدية التي شاع انتشارها بالمغرب الإسلامي، كإعادة إحياء رباط جبل المائدة بوهران من طرف الباي محمد الكبير تمهيدا لفتحته الأخير لوهران أواخر القرن 18م.

جاءت العمارة العسكرية بالجزائر خلال العهد التركي مجردة من الجانب الفني الزخرفي باستثناء البنايات الملحقة بالقلع مثل قصر الداوي وقصر البايات بقصبة

الجزائر، وقصر محمد الكبير بالبرج الأحمر بوهـران إضافة إلى التكنات الإنكشارية بمدينة الجزائر.

خلصنا أيضا من خلال البحث إلى الإهتمام الواسع للسلطة التركية بالجزائر بالصناعة الحربية البحرية، التي كانت منتشرة خاصة بالمدن الشرقية والوسطى مثل عنابة وجيجل وبجاية والجزائر وشرشال لوفرة المادة الأولية بهذه المناطق، في حين تقل دور الصناعة بالجهة الغربية، وهذه الظاهرة سبق أن عرفتـها البلاد الجزائرية في الفترة الوسيطة لقلـة الغابات بها، حيث كانت تتزود حينها مصانع وهران والمرسى الكبير وهـنين بمادة الخشب من المغرب الأقصى.

تمتاز العمارة الدفاعية بالجزائر بكثرتها وتنوعها، إلا أننا خلال الزيارة الميدانية لها تلقينا صعوبات في معاينتها، ووقفنا على حالة حفظها السيئة، وبناء على هذا أبينا إلا أن نقدم جملة من الاقتراحات والتوصيات للحفاظ على هذا الموروث الثقافي المادي، وعليه نرى أنه من الضروري:

- مواصلة الجهة الوصية الممثلة "بالديوان الوطني لتسيير واستغلال الممتلكات الثقافية المحمية" جهودها لإعادة الإعتبار لبعض المواقع والمعالم الأثرية الحربية، من خلال تصنيفها لتوفير الحماية القانونية لها والتدخل لتهيئتها وترميمها، وتحضيرها لتستغل كمؤسسات ثقافية و لتساهم في تنشيط القطاع السياحي للدولة الجزائرية.

- السعى إلى استعادة المعالم التابعة للخواص وبعض مؤسسات الدولة، والتنسيق مع السلطة العسكرية للنظر في إمكانية التنازل عن البنايات الحربية التي لا تشكل فارقا على المستوى الأمني للبلاد، أو الحصول على إذن لنيل حظها من الدراسة تحت إشراف مختصين دون التأثير على خصوصية المؤسسة العسكرية الجزائرية.

وفي الأخير أدعوا أهل الاختصاص من الباحثين والطلبة إلى الإقبال على دراسة هذا النوع من العمائر، التي تبقى مجالات البحث فيها واسعة، ولتحقيق هذا المراد نأمل من السلطات المعنية التّدخل وتوفير المناخ المناسب لذلك من تسهيلات إدارية وأمنية ومادية.

الملاحق



الخريطة رقم 01: التقسيم الإداري للجزائر خلال العهد العثماني.

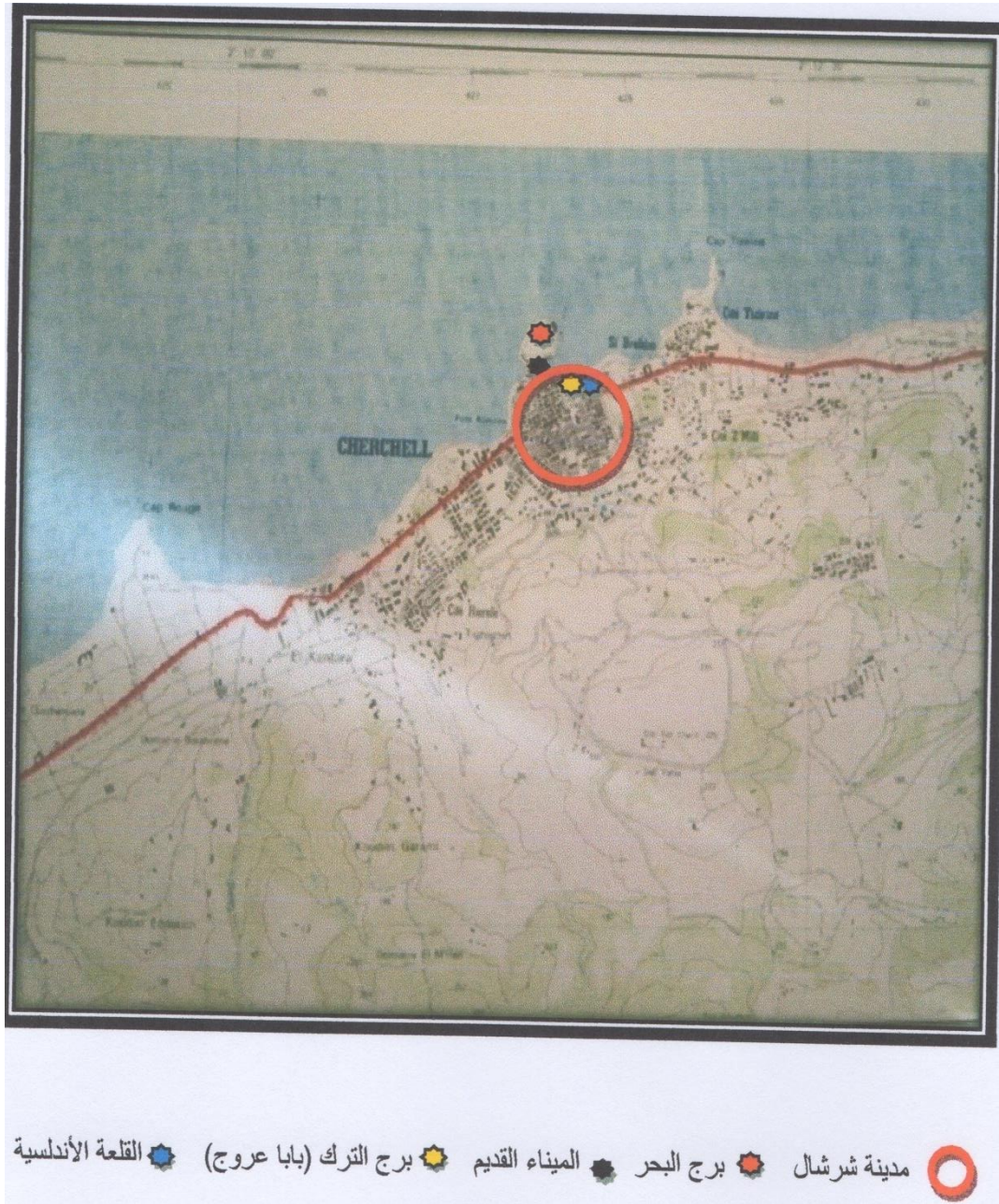
(بلجوزي بو عبد الله، أثار عمران...، ص362)



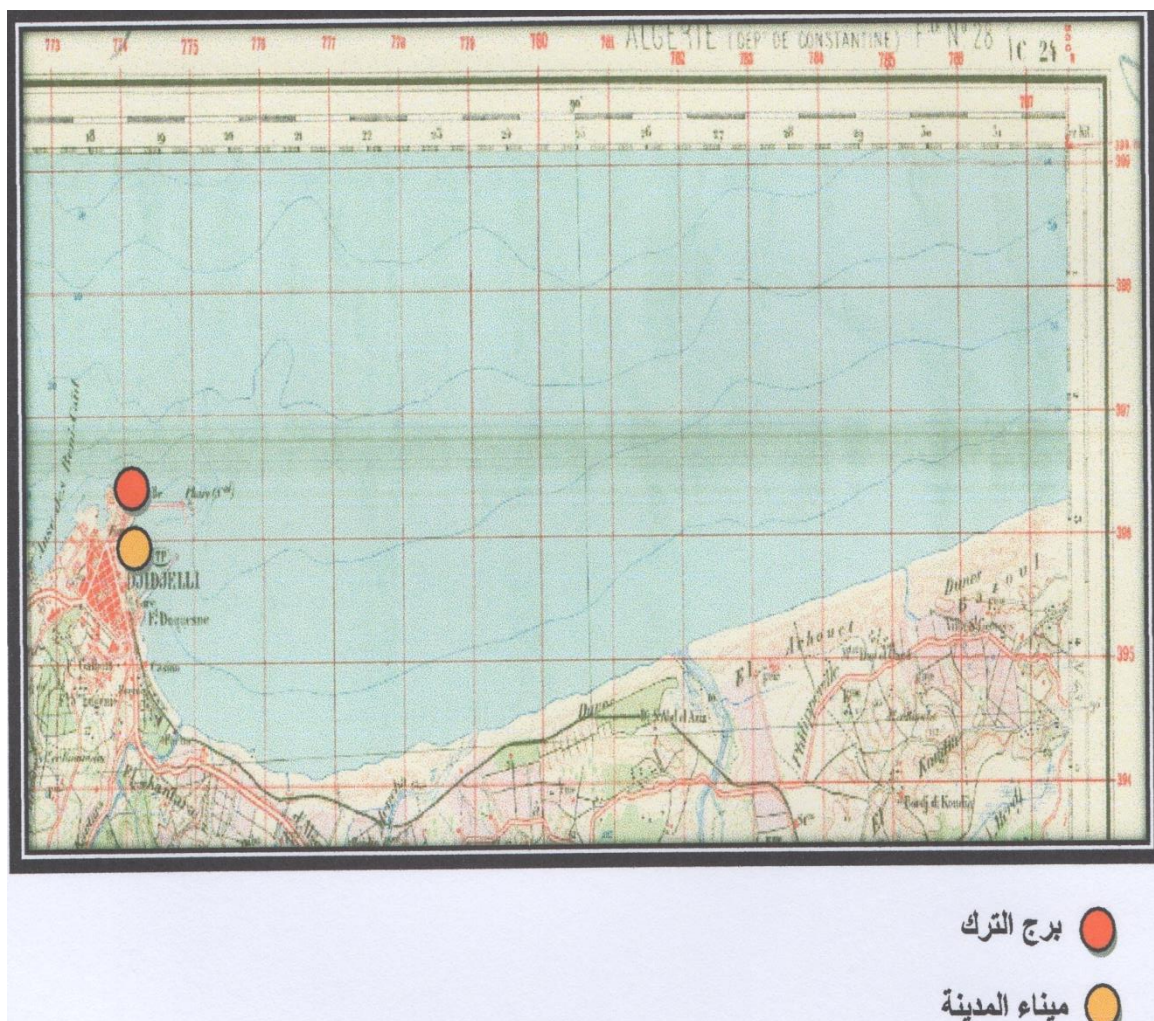
الخريطة رقم 03: موقع التحصينات الغربية لمدينة الجزائر.

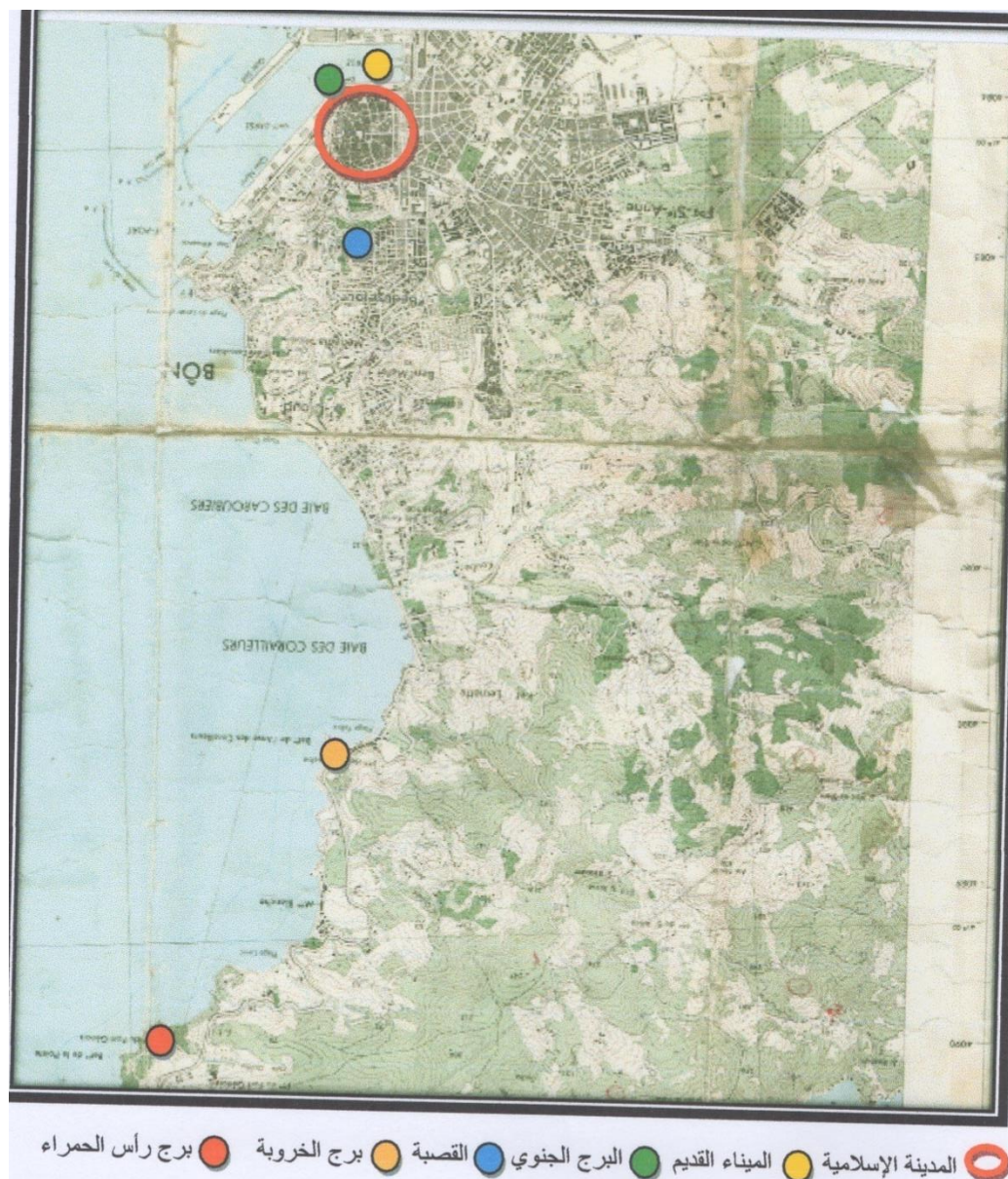


الخريطة رقم 04: تحصينات قيادة سباو - بولاية تيزي وزو.

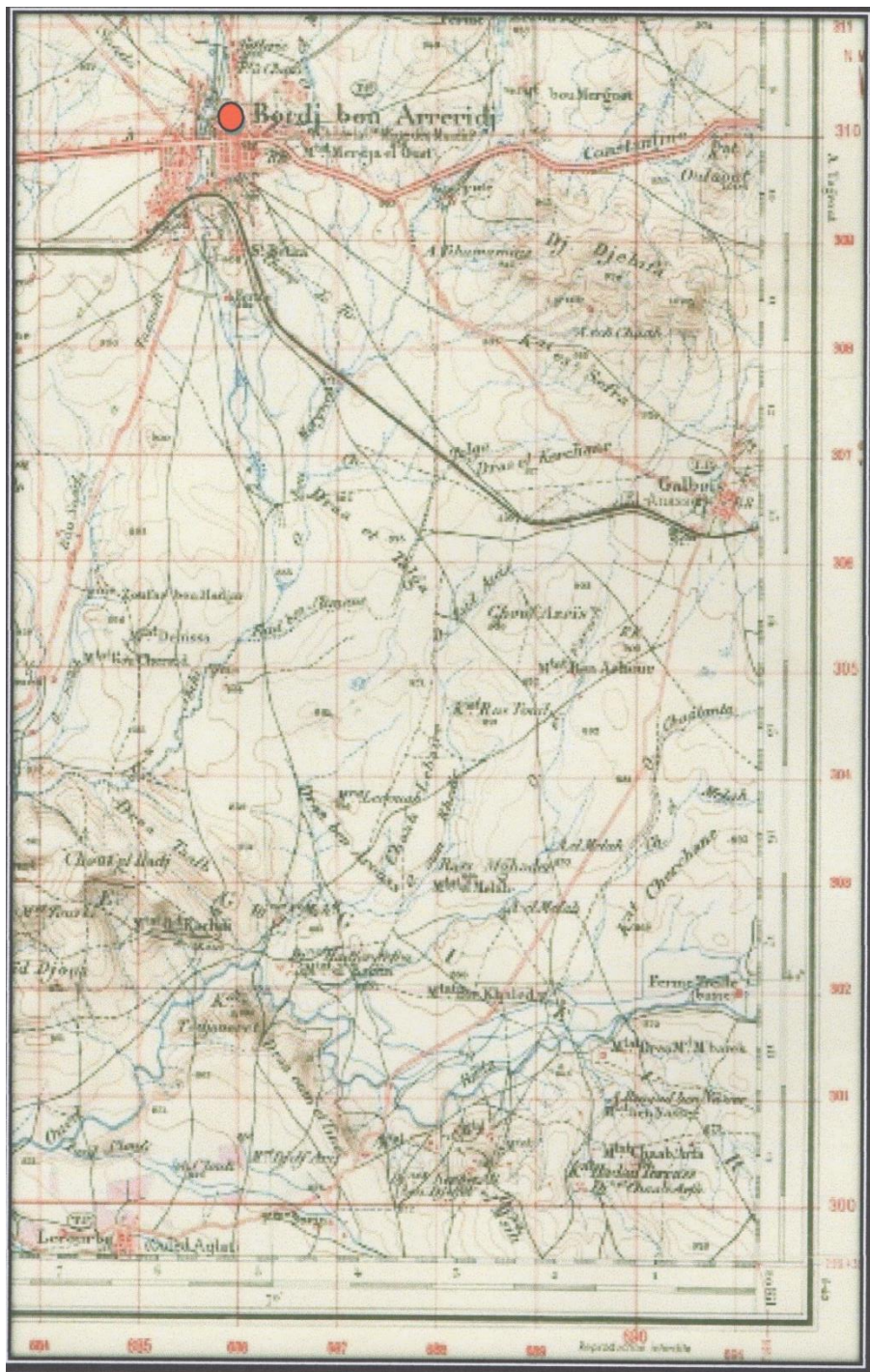


الخريطة رقم 05: موقع تحصينات مدينة شرشال.



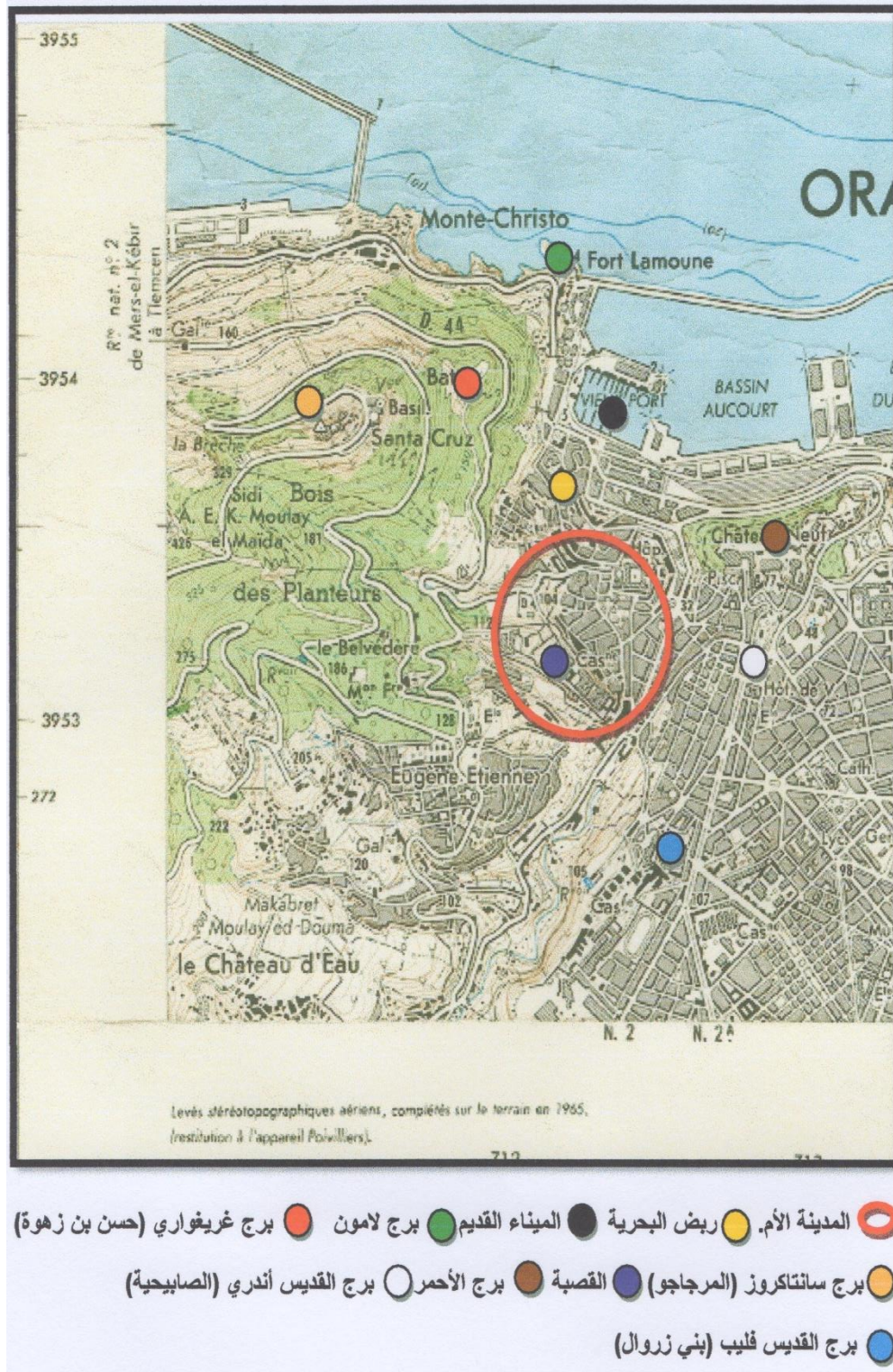


الخريطة رقم 07: موقع تحصينات مدينة عنابة.



● برج الترك (برج المقراني)

الخريطة رقم 08: موقع برج الترك بمدينة برج بوعريش.



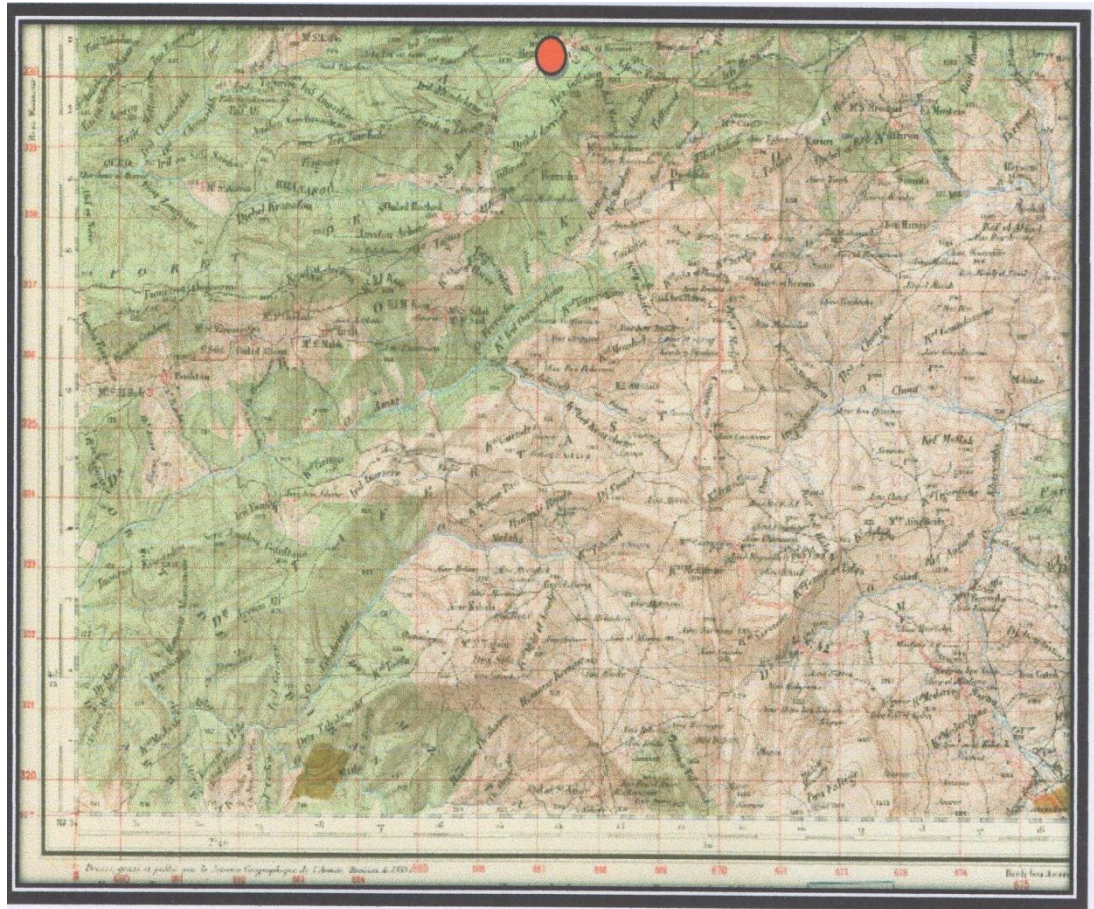
الخريطة رقم 09: موقع تحصينات مدينة وهران



الخريطة رقم 10: موقع قلعة المرسى الكبير.

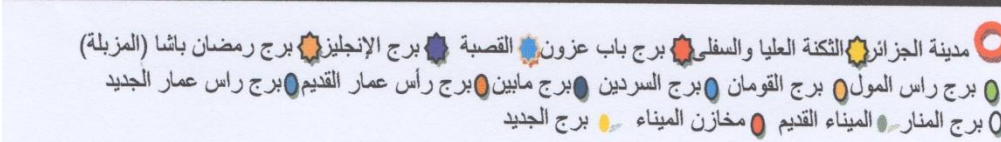


الخريطة رقم 11: موقع برج حمزة بالبويرة .



البرج التركي (بوغني)

الخريطة رقم 12: موقع برج التركي ببوغني .





سلم: 100 / 1
(من عمل الطالب)

المخطط رقم 01: مخطط لمدخل منكسر بقلعة هنين



المخطط رقم 02 : تحصينات مدينة الجزائر أواخر الحكم الإسلامي.

(بتصرف (Missoum Sakina ; **Alger...**, p.09.)



المخطط رقم 02: أسوار مدينة الجزائر ونظامها الدفاعي خلال الحكم العثماني

(Missoum Sakina ; **Alger...**, p.72.) بتصرف



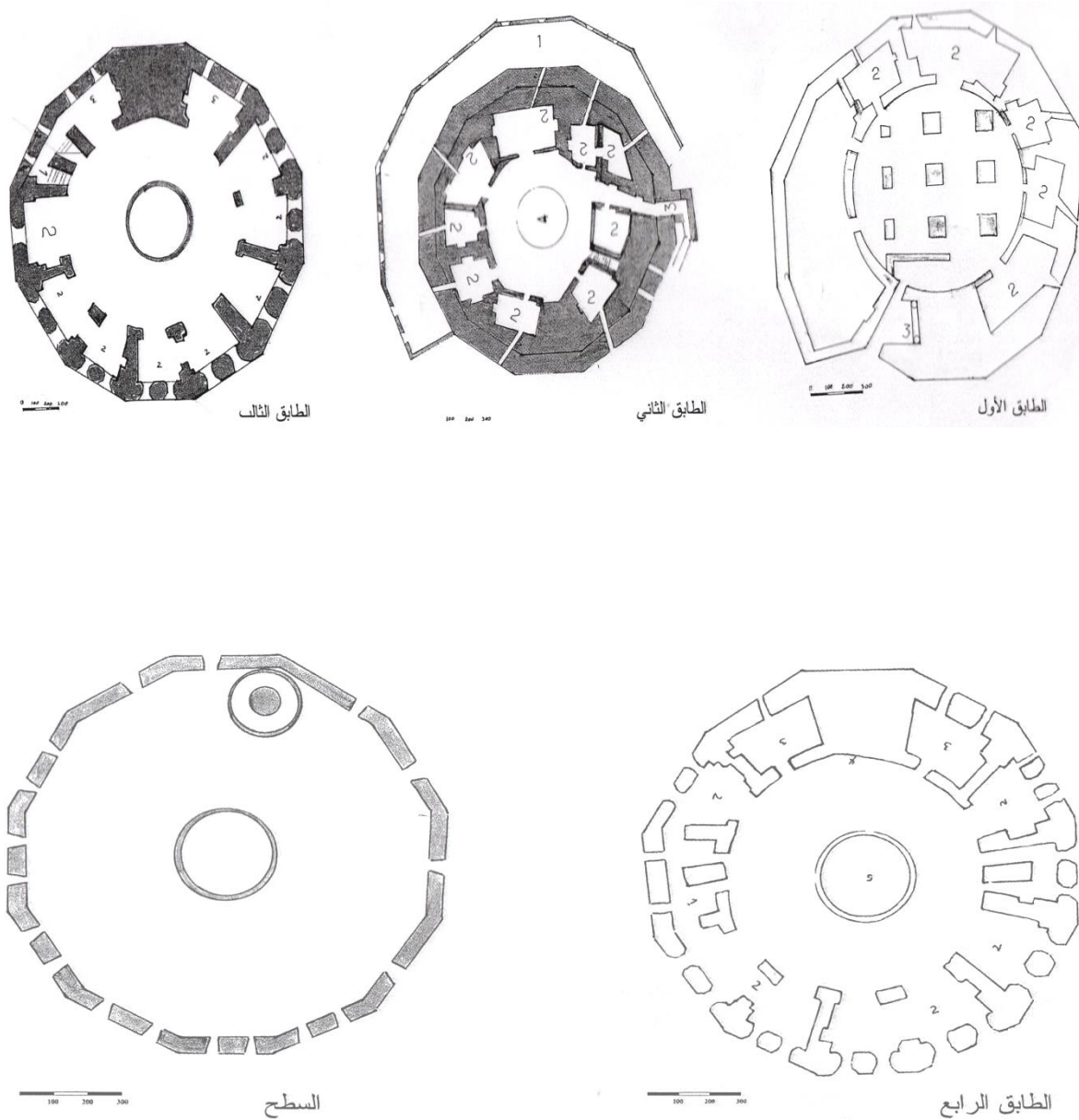
المخطط رقم 03: سور مدينة الجزائر في الفترة الفرنسية

(إليان مسلم وآخرون، القصة....، ص.35).



المخطط رقم 04: تحصينات ميناء الجزائر.

(Missoum Sakina ; **Alger...**, p.92.) بتصرف



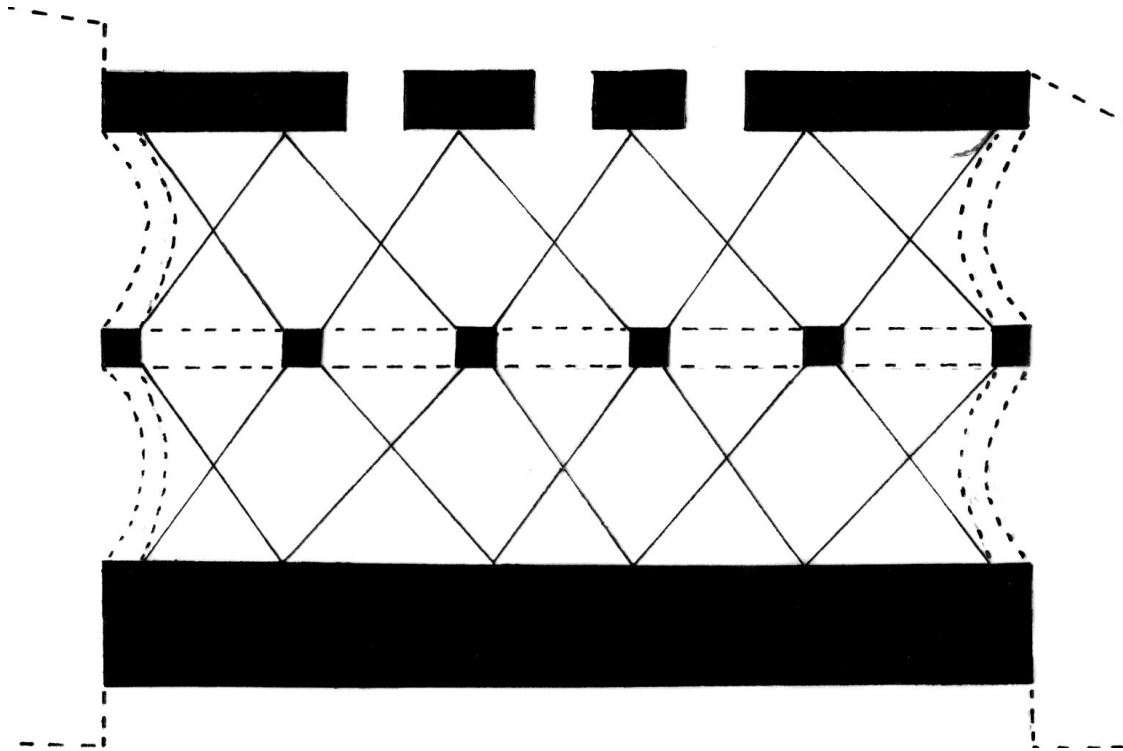
المخطط رقم 05: برج المنارة بمدينة الجزائر .

(علي خلاصي، القلاع ...، ص. 28-29)



المخطط رقم 06: النظام الدفاعي لقصبة مدينة الجزائر.

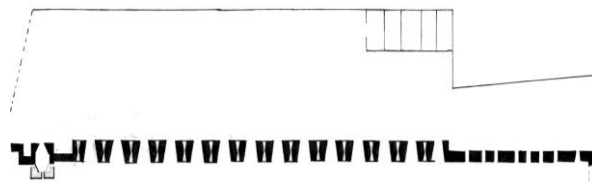
(ليليان مسلم وآخرون، القصبة....، ص. 162).



المخطط رقم 07: مدخل بطارية رقم 01 بقصبة مدينة الجزائر.

سلم: 100 / 1

(من عمل الطالب)



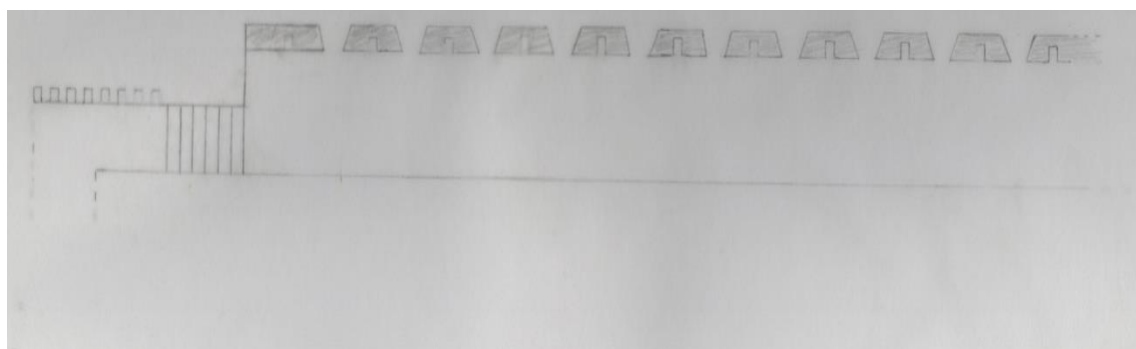
المخطط رقم 07: البطارية رقم 01 بقصبة مدينة الجزائر.

سلم: 100 / 1

(من عمل الطالب)



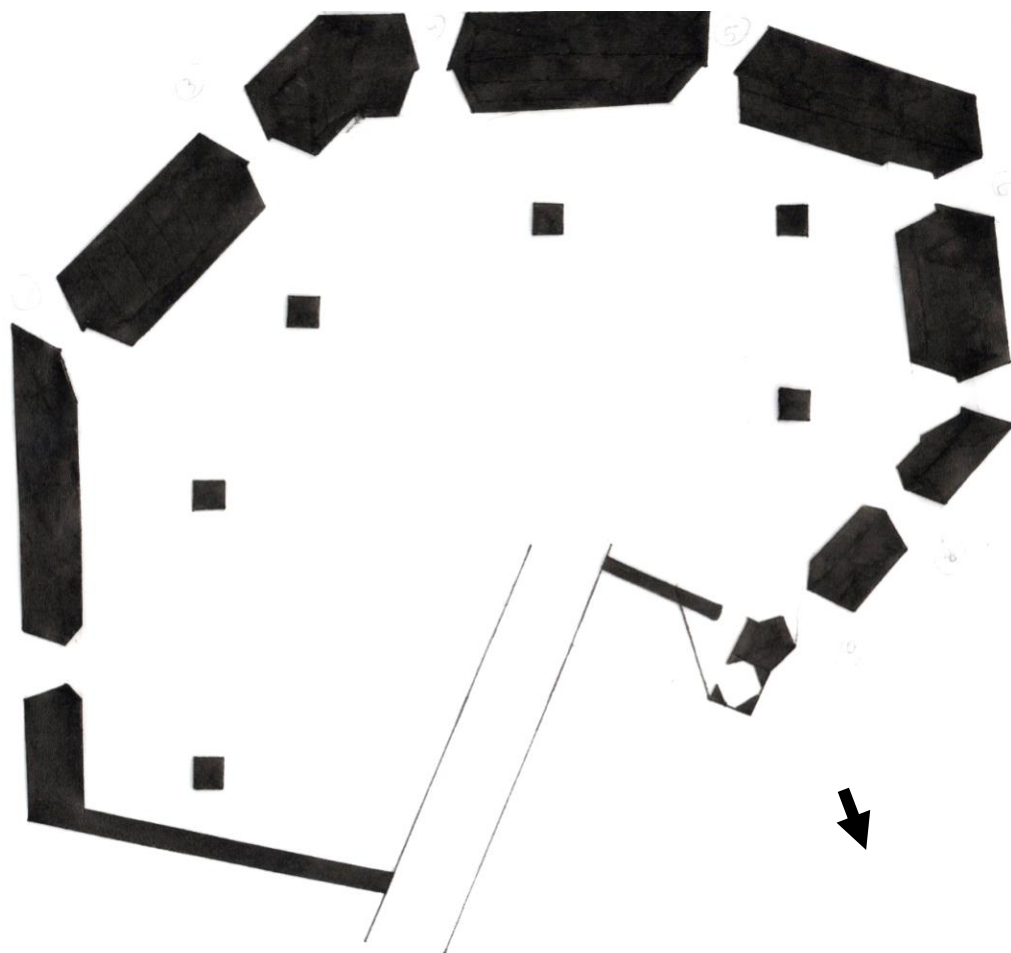
المخطط رقم: 08: المخطط المعماري للبطارية رقم (02). بقصبة الجزائر.



سلم: 200/1

المخطط رقم: 09: المخطط المعماري للبطارية رقم (03) بقصبة الجزائر

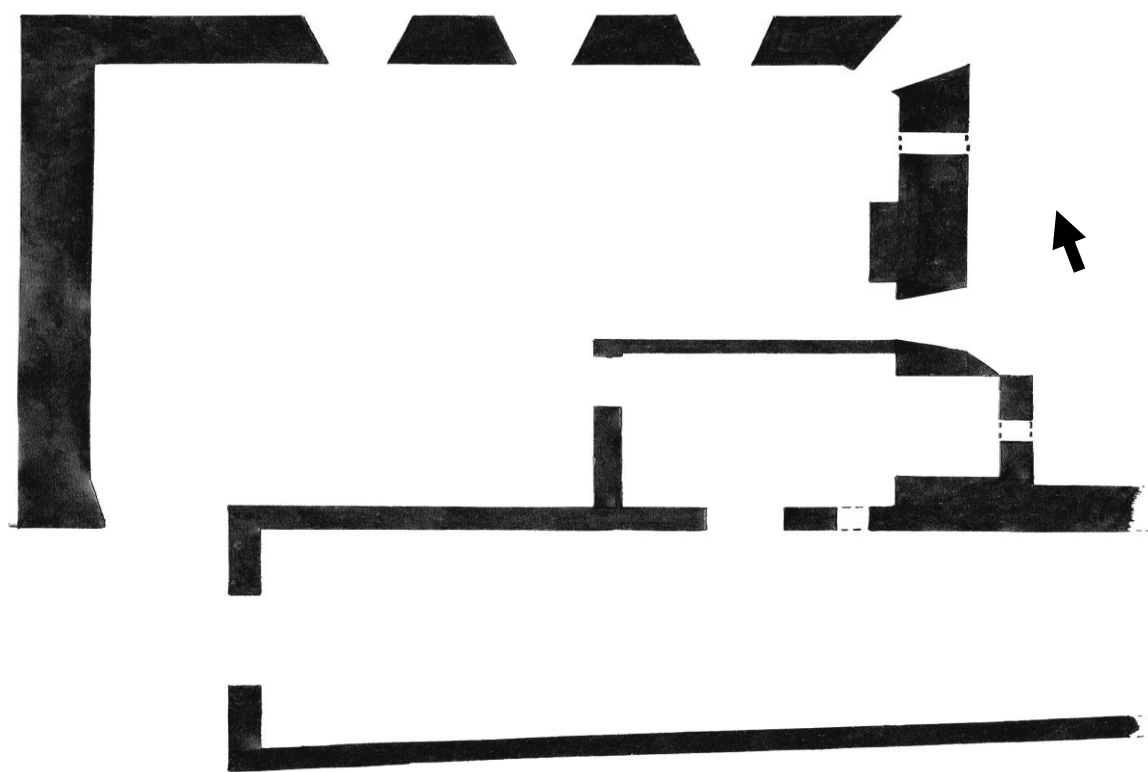
(من عمل الطالب)



سلم: 200 / 1

المخطط رقم 11: البطارية رقم 05 بقصبة مدينة الجزائر.

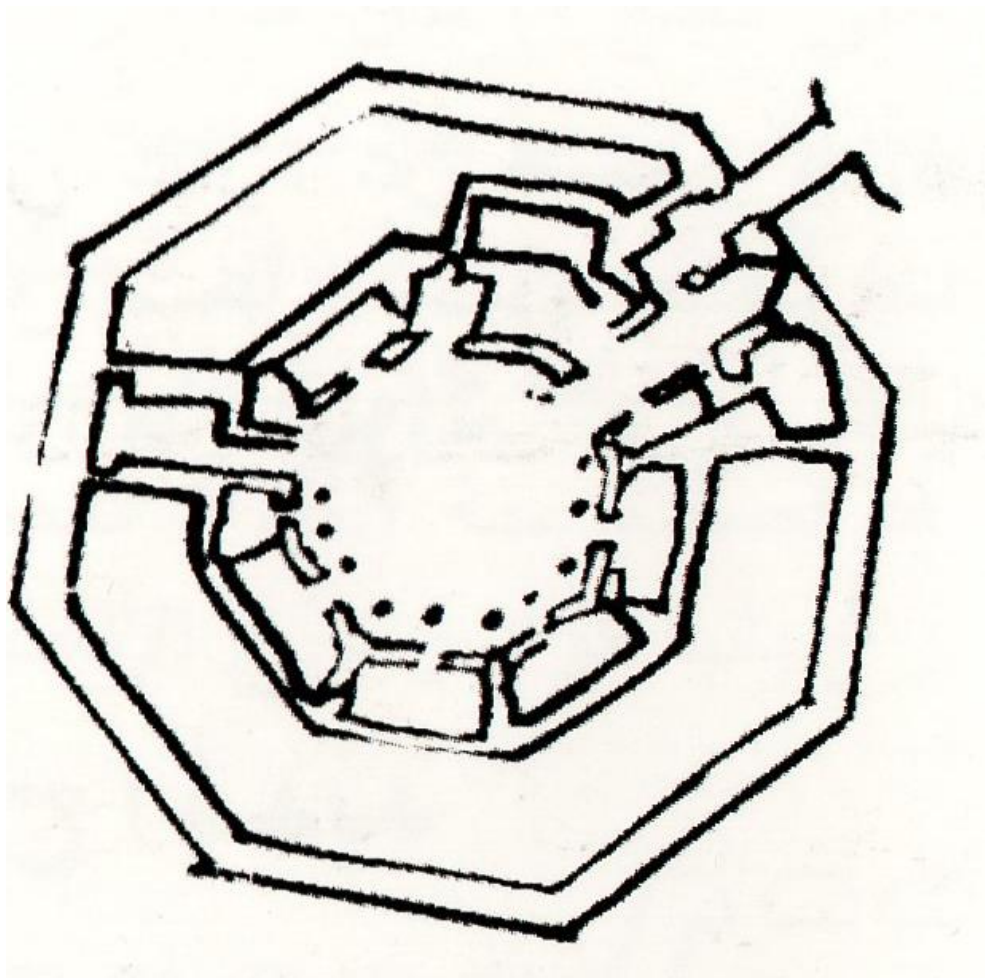
(من عمل الطالب)



سلم: 100 / 1

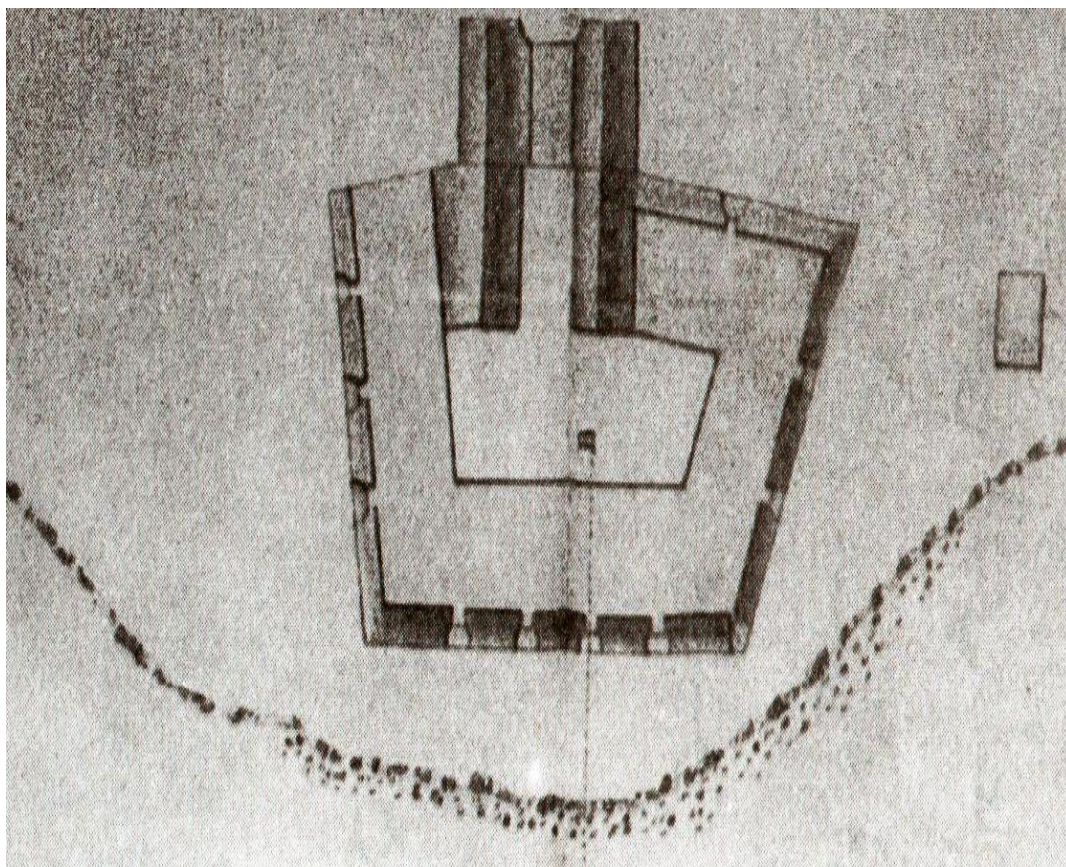
المخطط رقم 12: البطارية رقم 07 بقصبة مدينة الجزائر.

(من عمل الطالب)



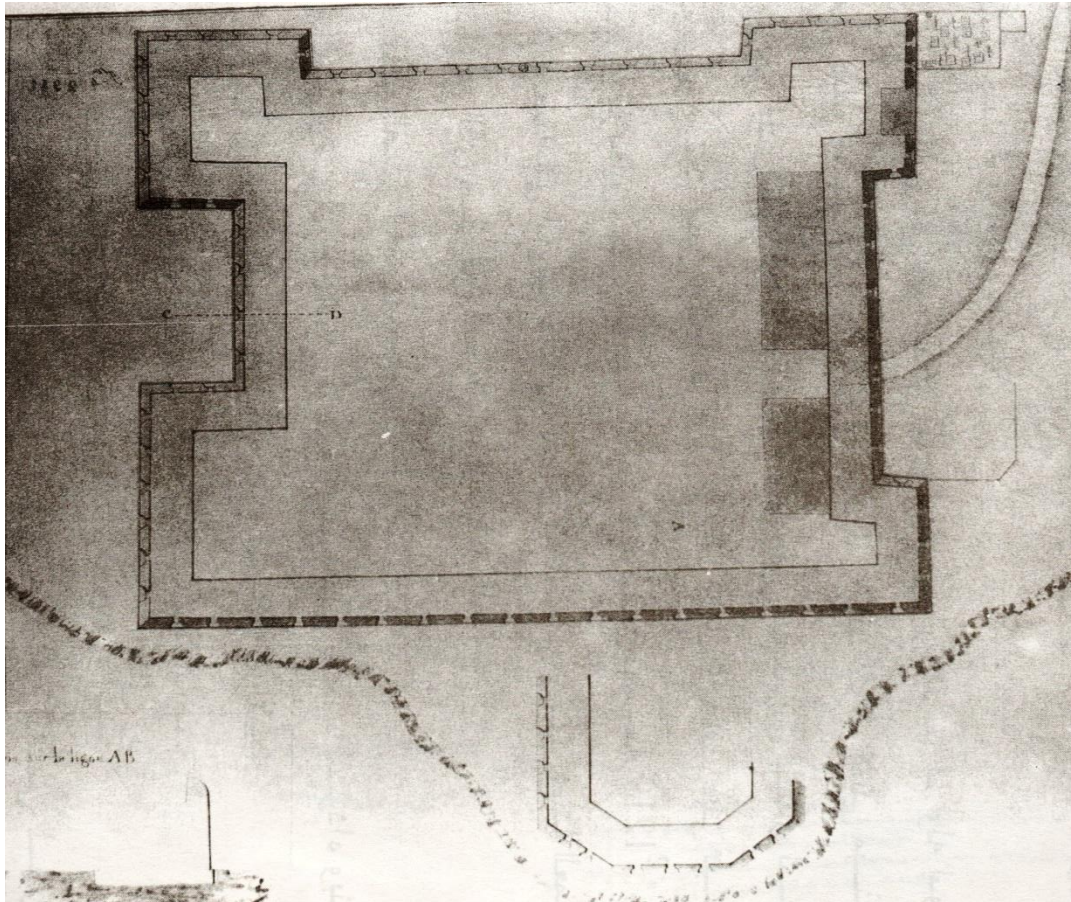
المخطط رقم 13: برج تامنفوست شرق مدينة الجزائر .

(علي خلاصي، القلاع ...، ص 99).



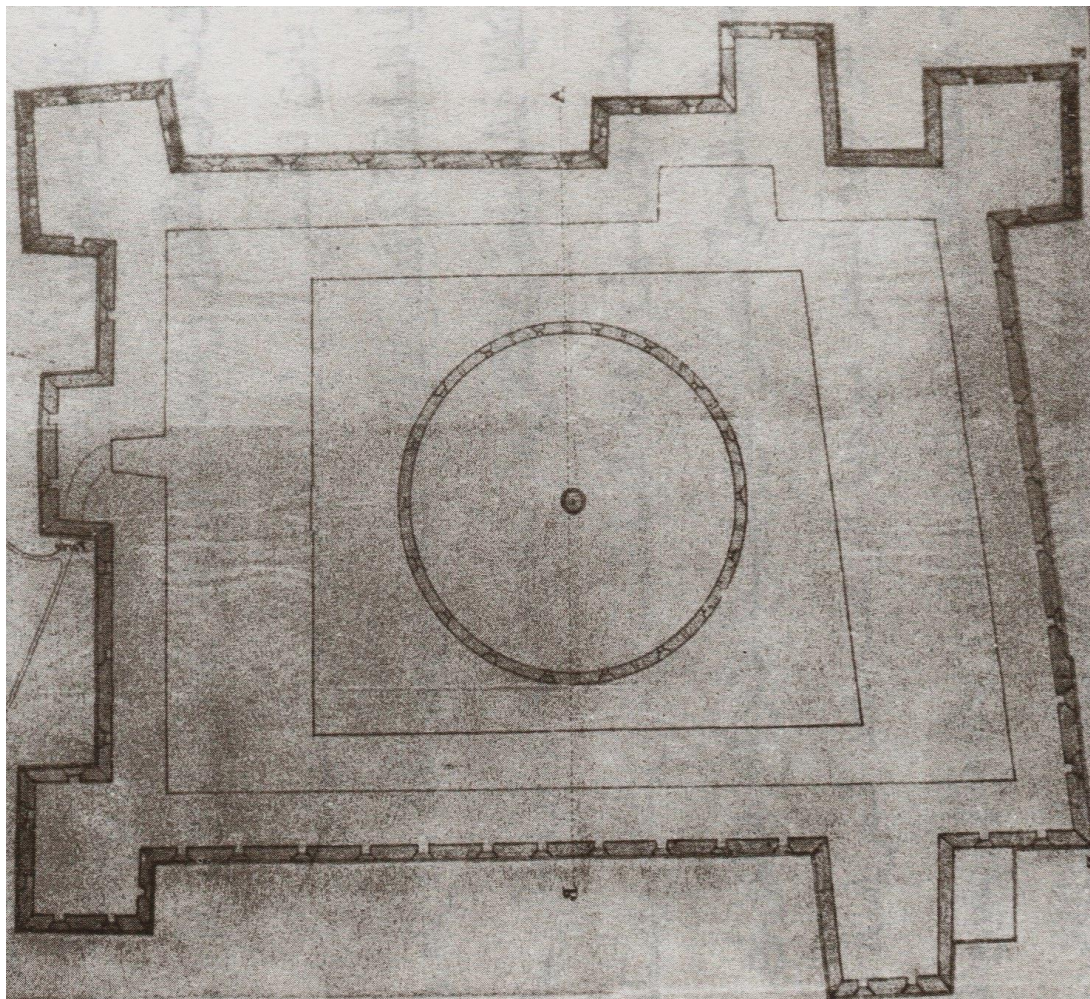
المخطط رقم 14: برج الكيفان بمدينة الجزائر.

(درياس لخضر، المدفعية...، ص 126).



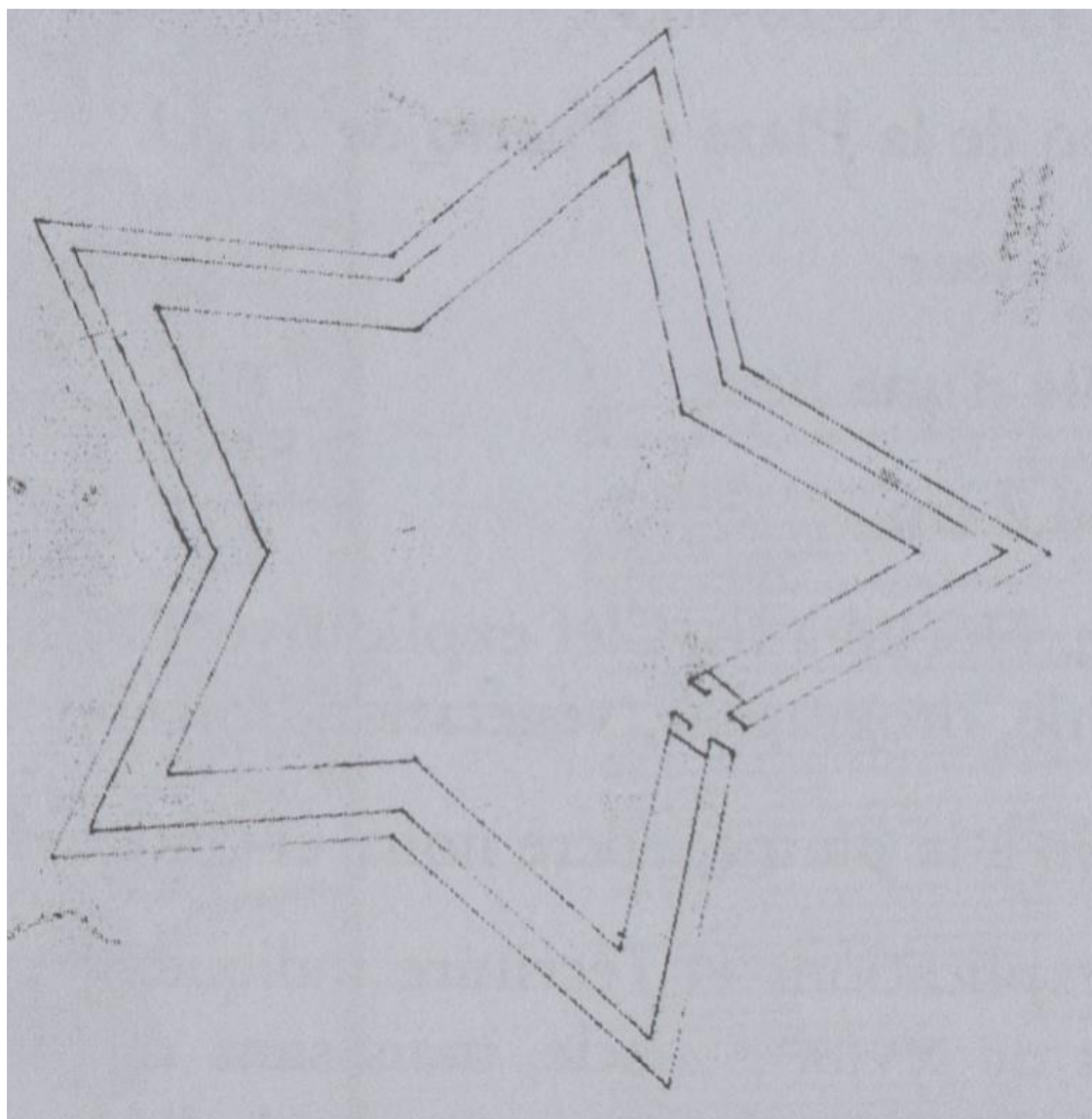
المخطط رقم 15: برج باب عزون بمدينة الجزائر.

(درياس لخضر، المدفعية...، ص 128)



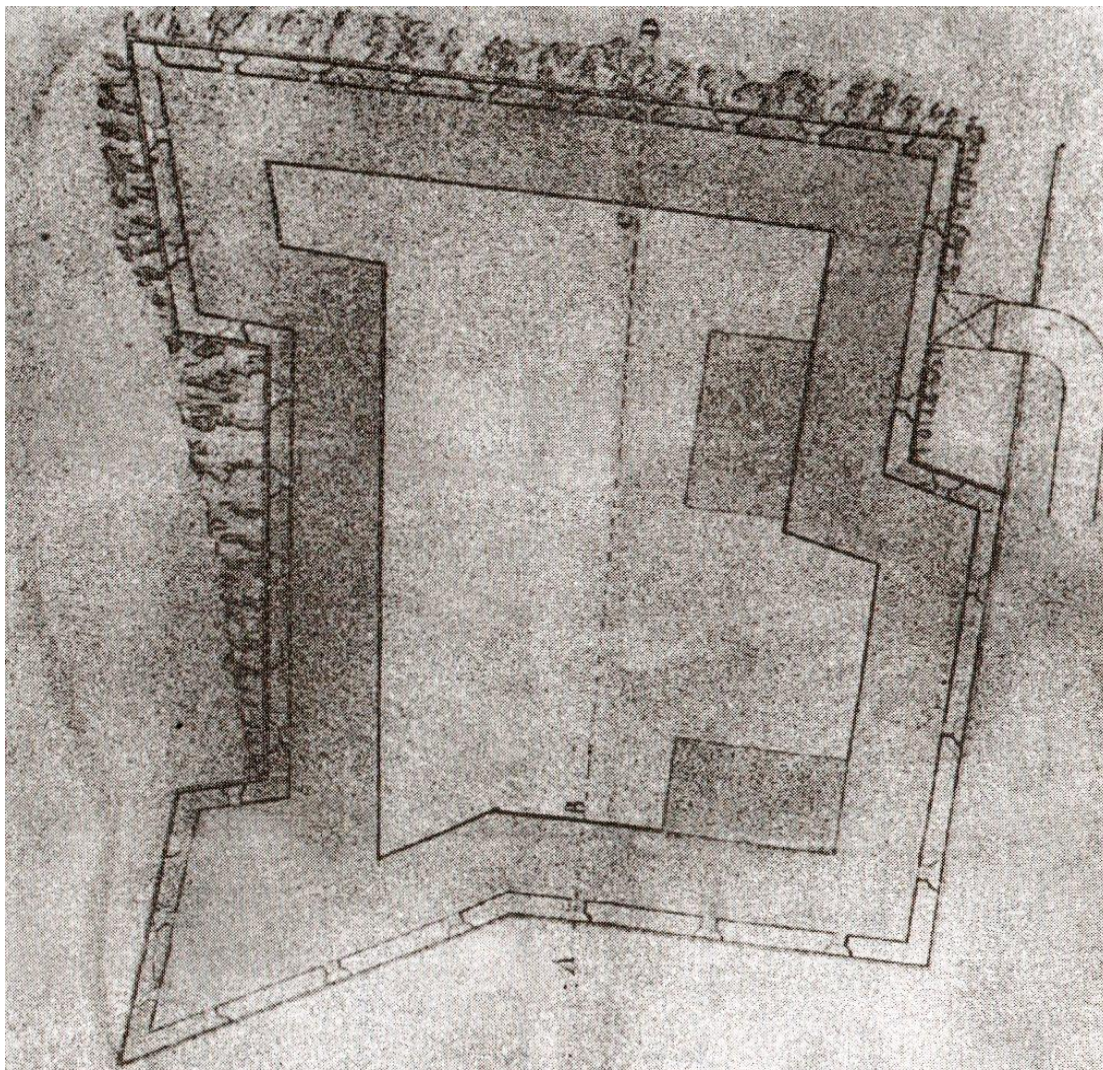
المخطط رقم 16: برج مولاي حسن (الإمبراطور) بمدينة الجزائر.

(درياس لخضر، المدفعية...، ص 131)



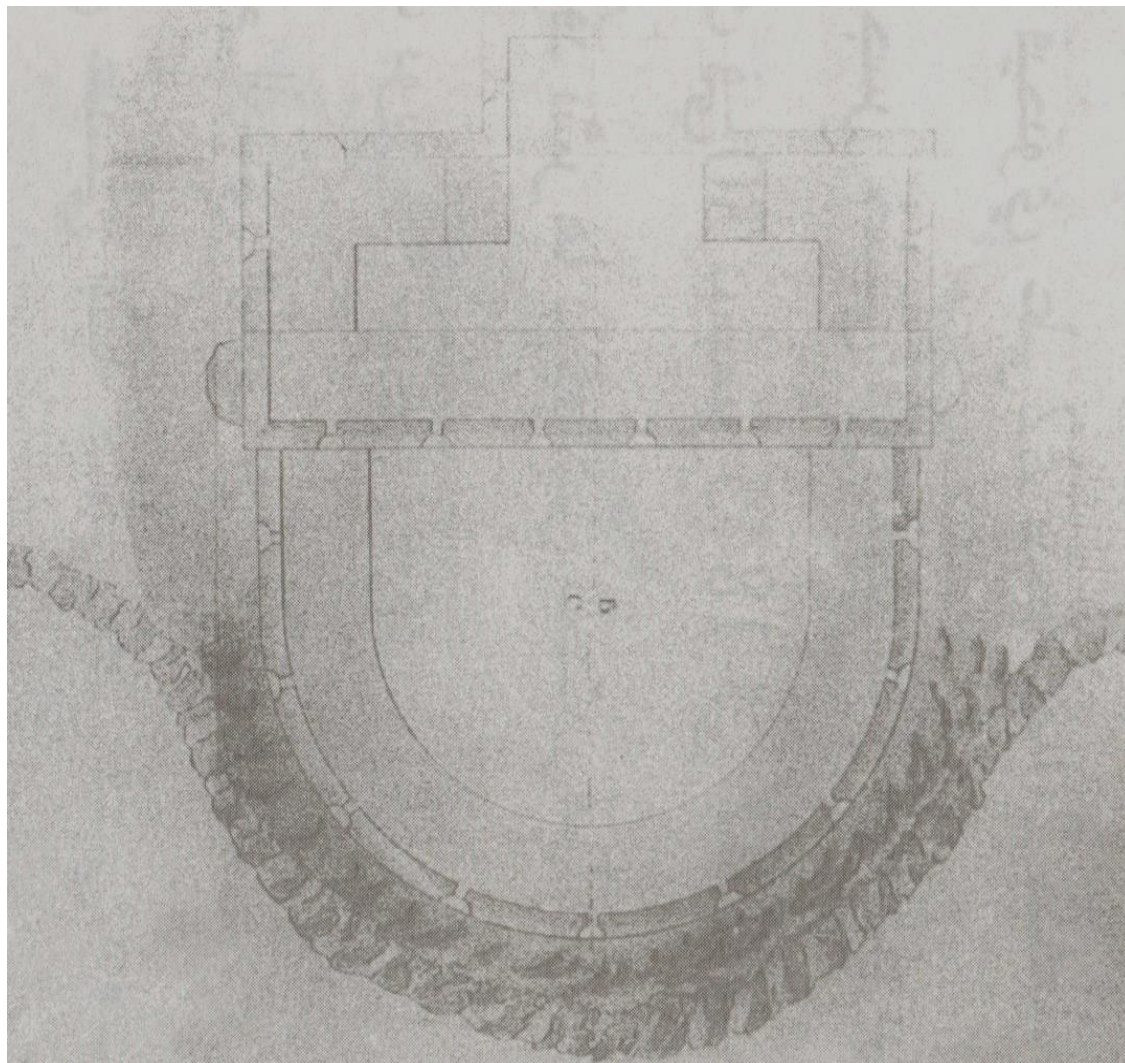
المخطط رقم 17: برج محمد باشا (النجمة) بمدينة الجزائر.

(Mikel De Epalza, Juan Bta.Vilar; **Plans Et Cartes ...**, p.327.)



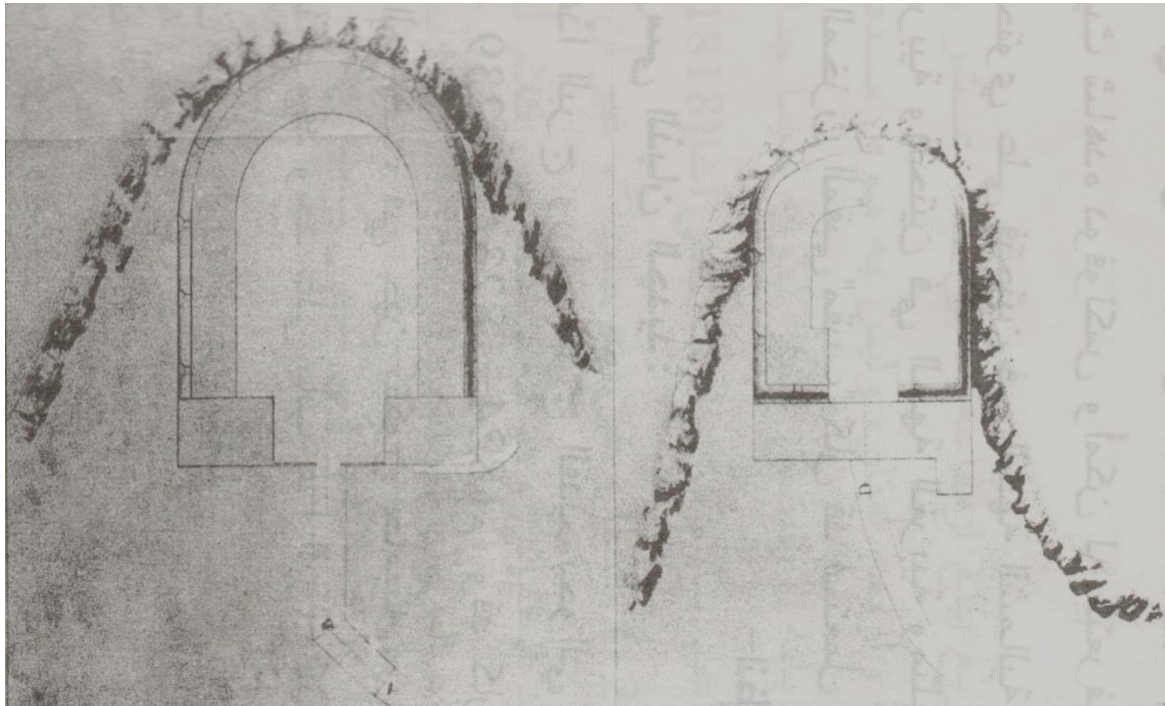
المخطط رقم 18: برج باب الوادي بمدينة الجزائر.

(درياس لخضر، المدفعية...، ص 117)



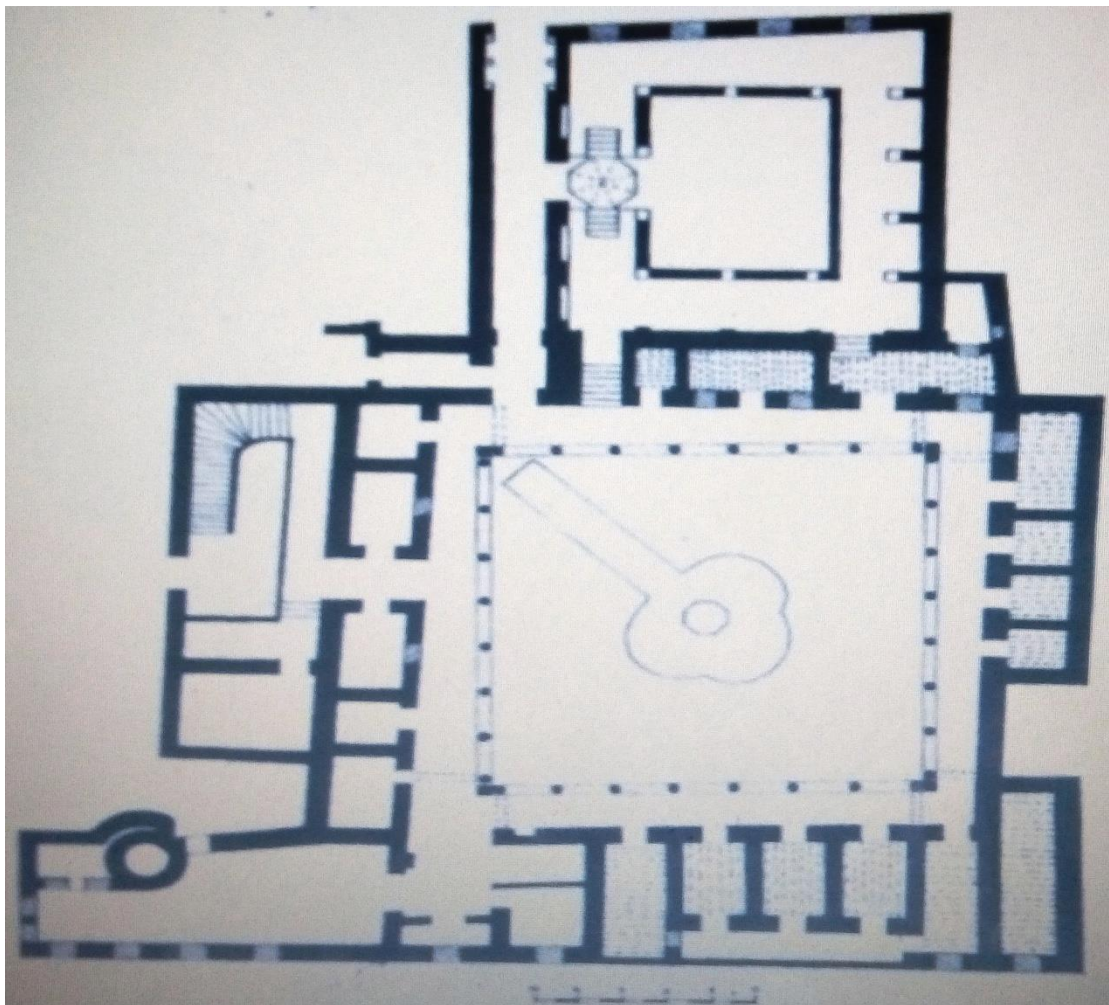
المخطط رقم 19 : برج الإنجليز (قائمة الفول) بمدينة الجزائر.

(درياس لخضر، المدفعية...، ص 114).



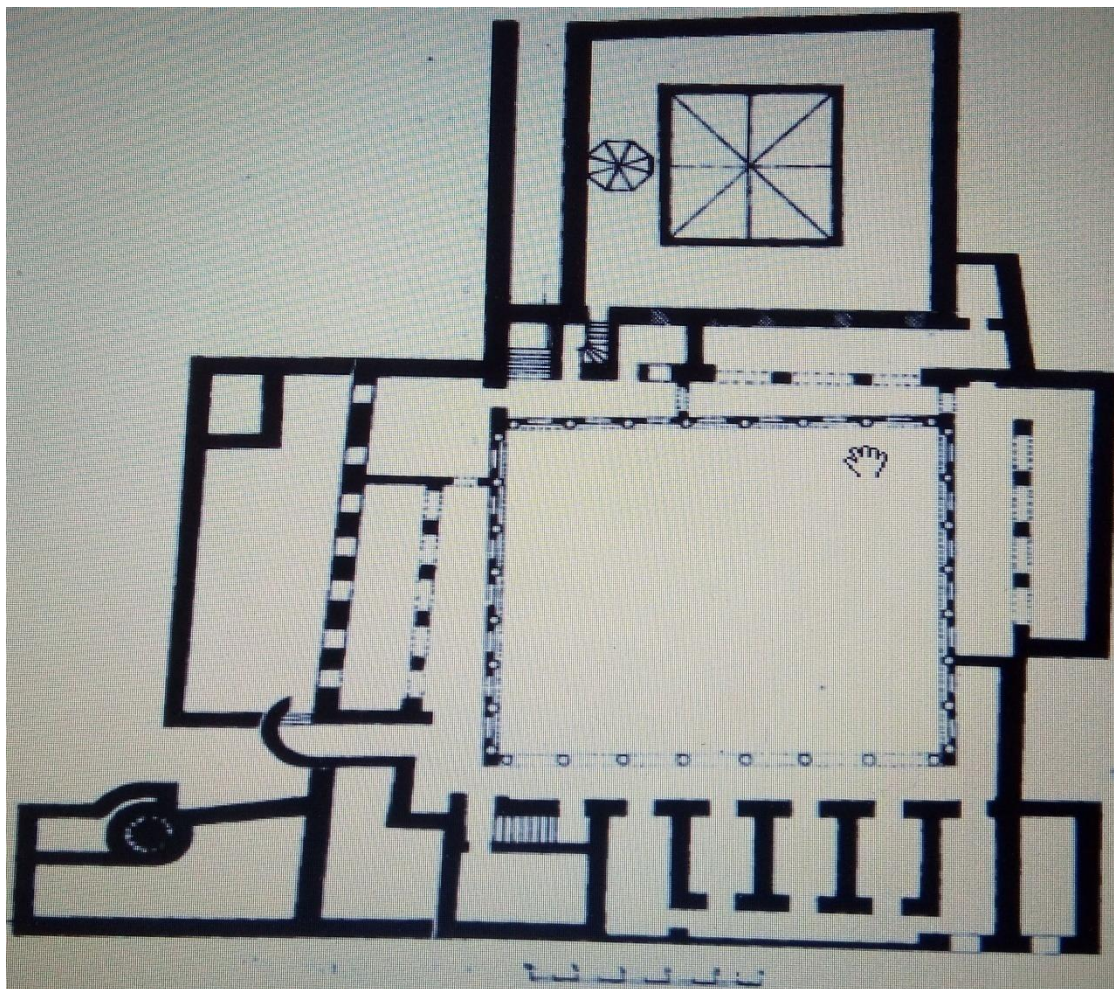
المخطط رقم 20 : برج مرسى الذبان القديم بمدينة الجزائر.

(درياس لخضر، المدفعية...، ص112)



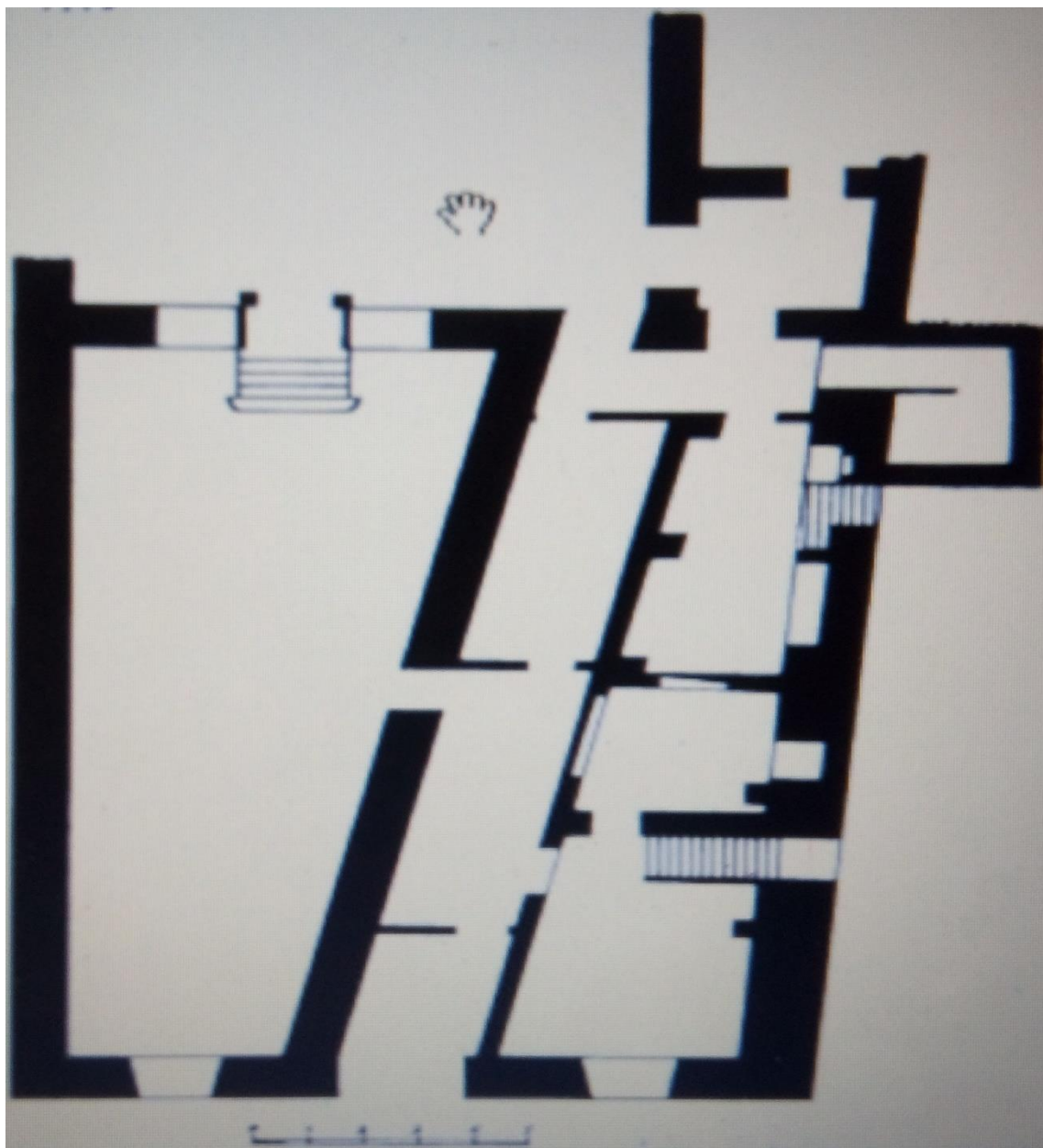
المخطط رقم 21 : الطابق السفلي للثكنة العليا بمدينة الجزائر.

(داود ميمن، الثكنات الإنكشارية ...، ص149)



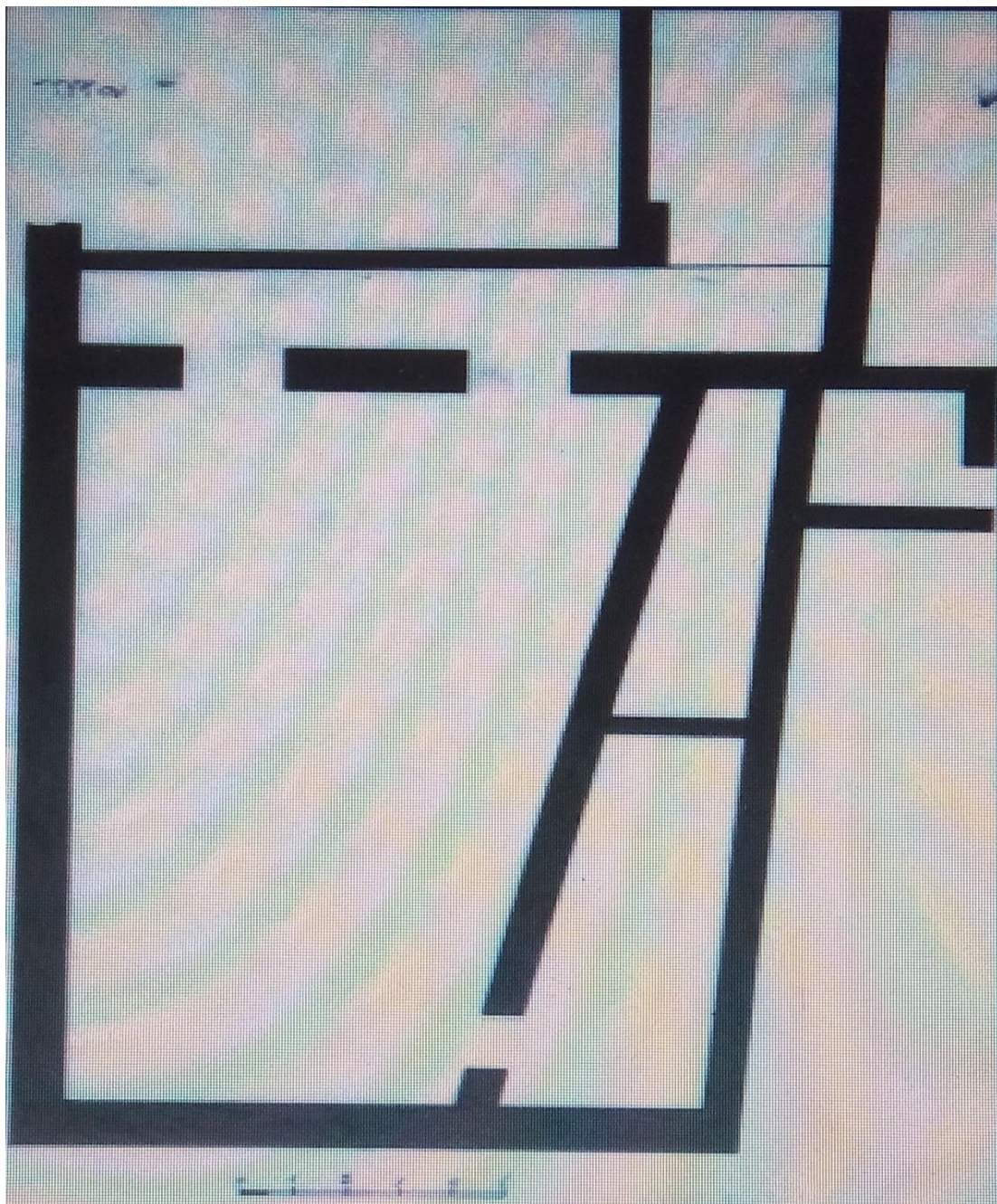
المخطط رقم 22 : الطابق العلوي للثكنة العليا بمدينة الجزائر.

(داود ميم، الشكنات الإنكشارية ...، ص 150)



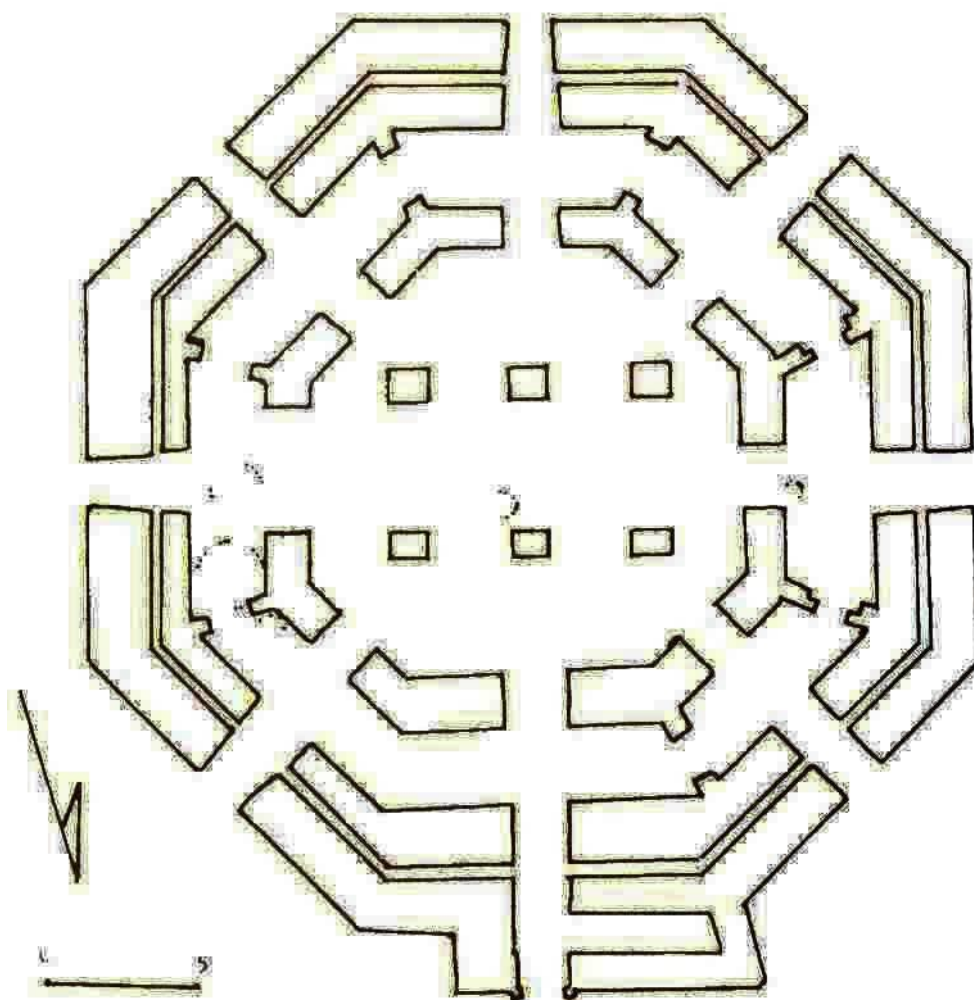
المخطط رقم 23 : الطابق السفلي للثكنة السفلى بمدينة الجزائر.

(داود ميمن، الثكنات الإنكشارية ...، ص 155)



المخطط رقم 24 : الطابق العلوي للثكنة السفلى بمدينة الجزائر.

(داود ميم، الشكنات الإنكشارية ...، ص 156)



المخطط رقم 25: دار البارود بقصبة الجزائر.

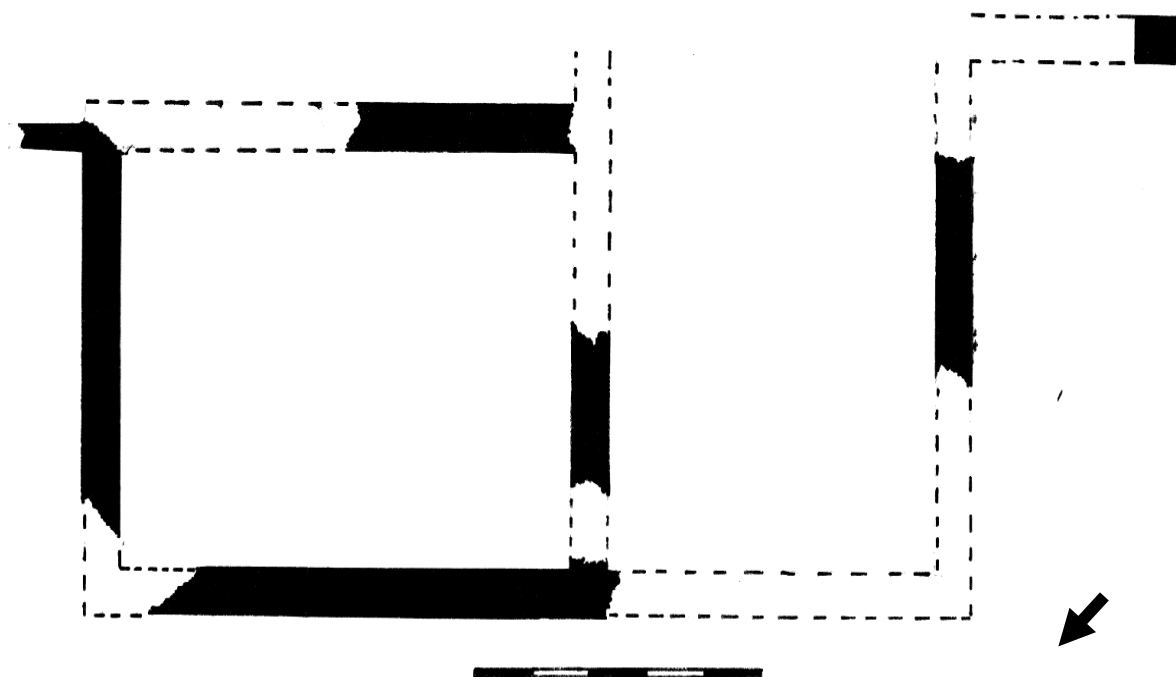
(درياس لخضر، المدفعية...، ص 59)



دار البارود بباب عزون دار البارود بالقصبة دار البارود بباب الواد

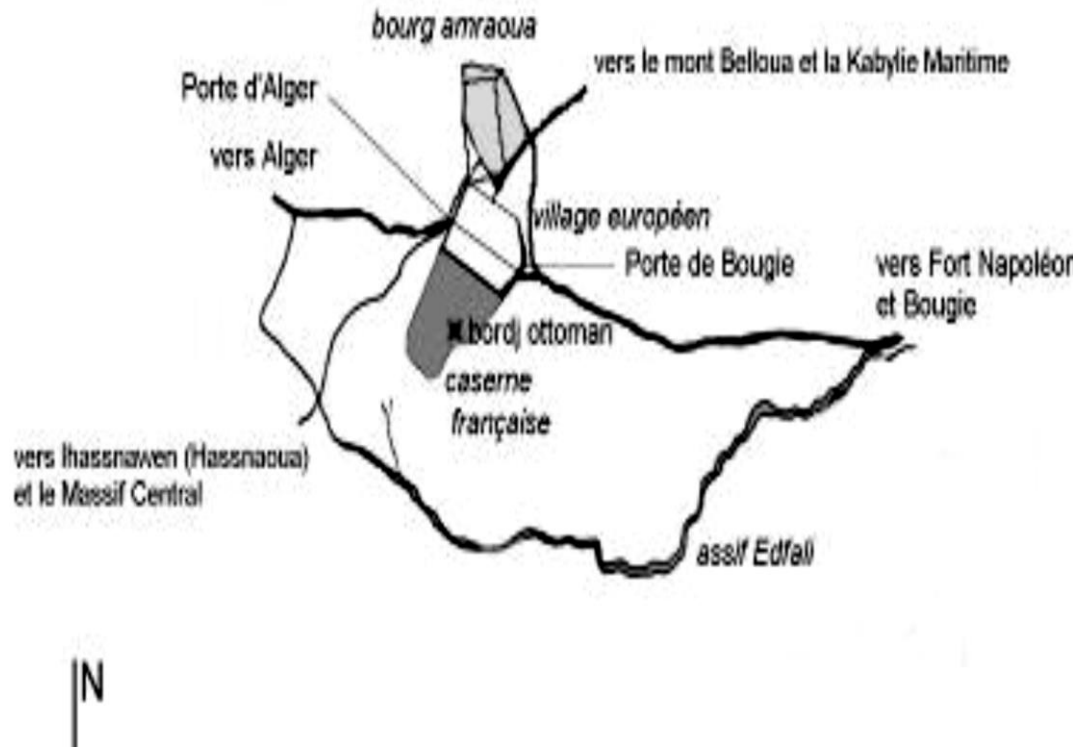
المخطط رقم 26: مواقع دور البارود بمدينة الجزائر .

(درياس لخير، المدفعية...، ص109) بتصرف



المخطط رقم 27: برج سباو بدار السلطان .

(من عمل الطالب)



المخطط رقم 28: مخطط توضيحي لموضع البرج التركي بتيزي وزو.

(Bellahsene Tarik ; **La Colonisation ...**, T.1,p.561.)

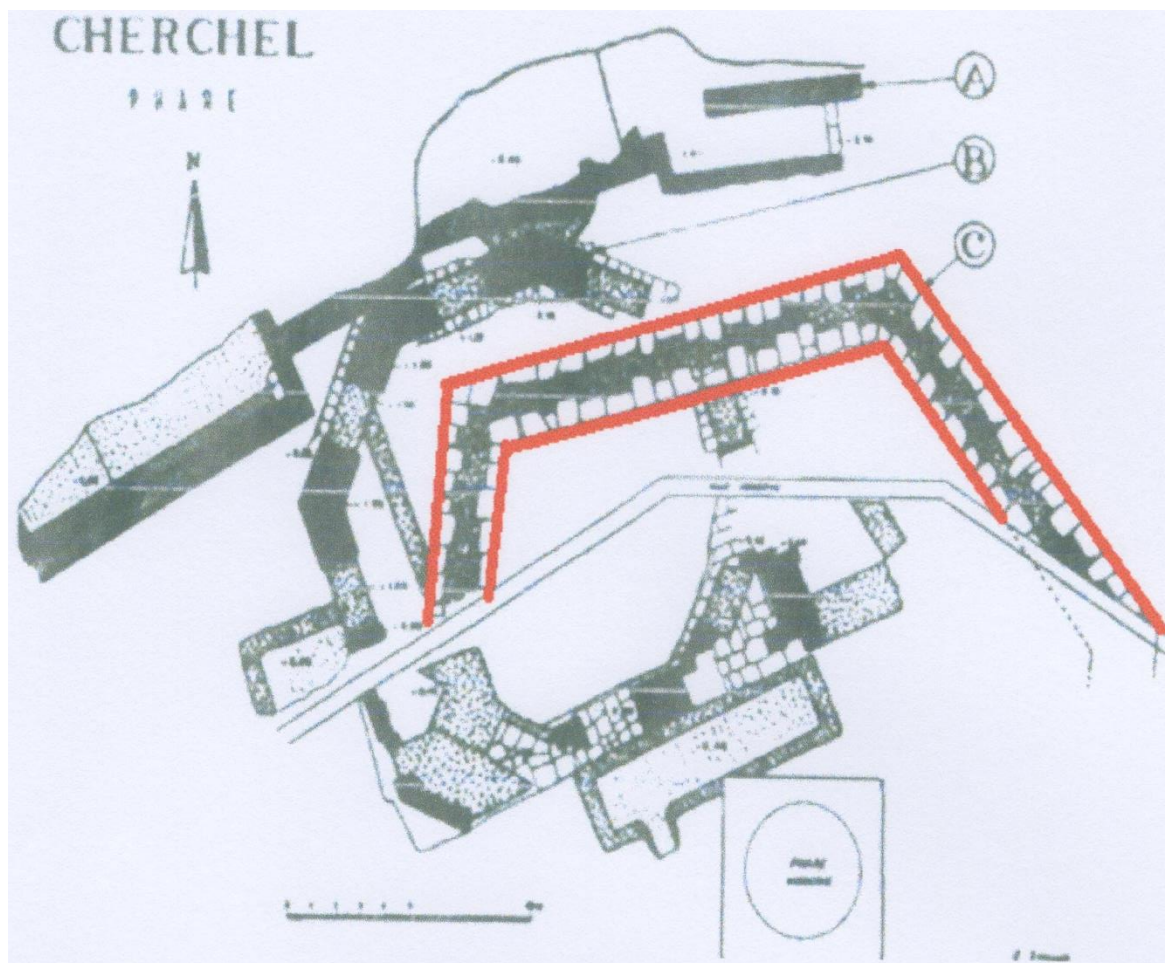


المخطط رقم 29: البرج التركي ضمن تحصينات الثكنة الفرنسية بمدينة تيزي وزو.

(Bellahsene Tarik ; la colonisation ..., t2,p24)

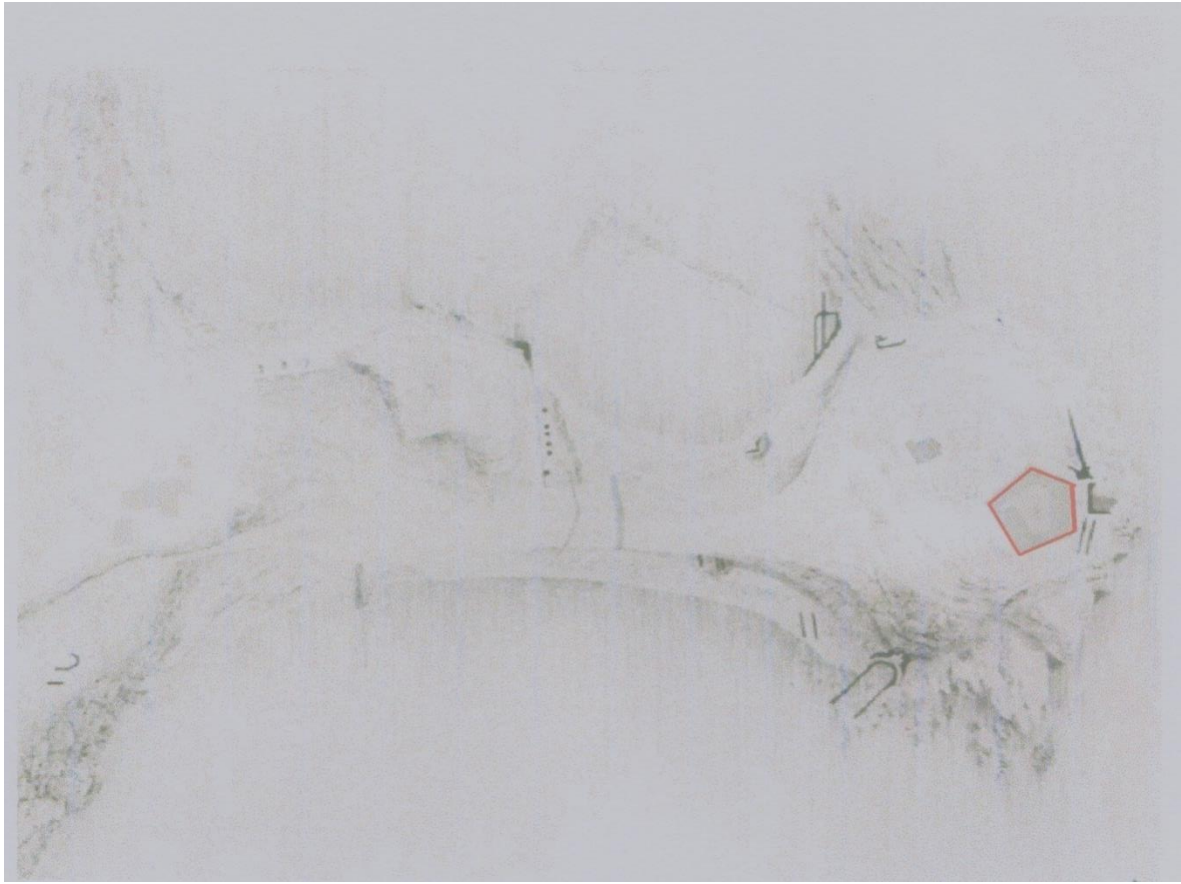


المخطط رقم 30: تحصينات مدينة شرشال في العهد العثماني.
(Ravoisie A. ;exploration...,p.46.) بتصرف



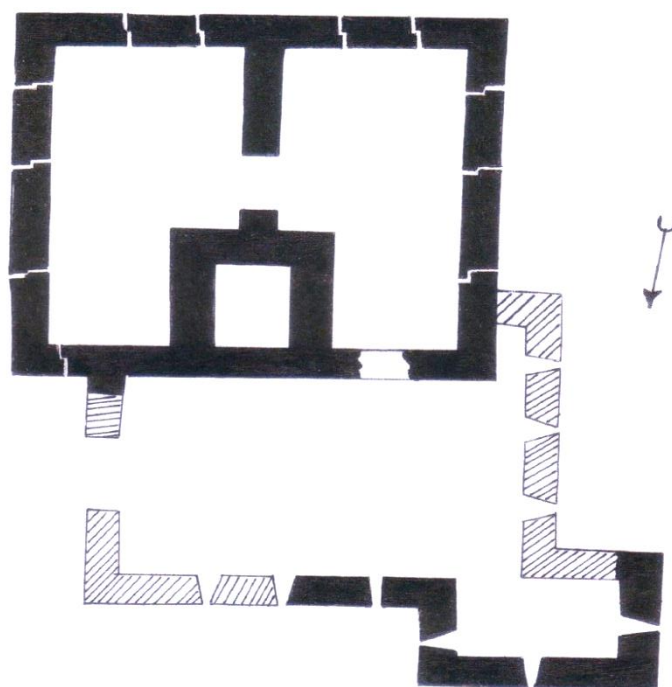
المخطط رقم 31: بقايا برج البحر بمدينة شرشال .

(شوشان لسعد، الموانئ والمراسي...، ص 342). بتصرف

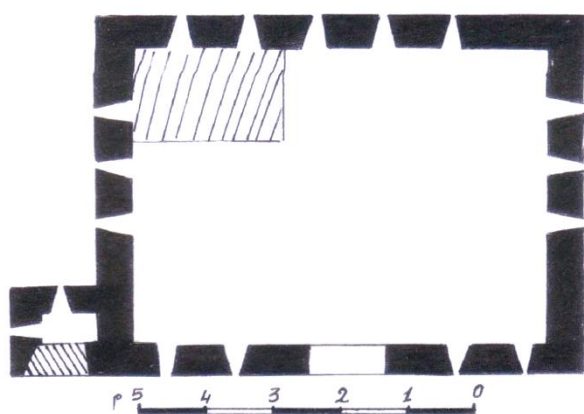


المخطط رقم 32: موقع برج البحر التركي من جزيرة جوانفيل بمدينة شرشال .

(Ravoisie A. ;exploration...,p.50



- أ -



- ب -

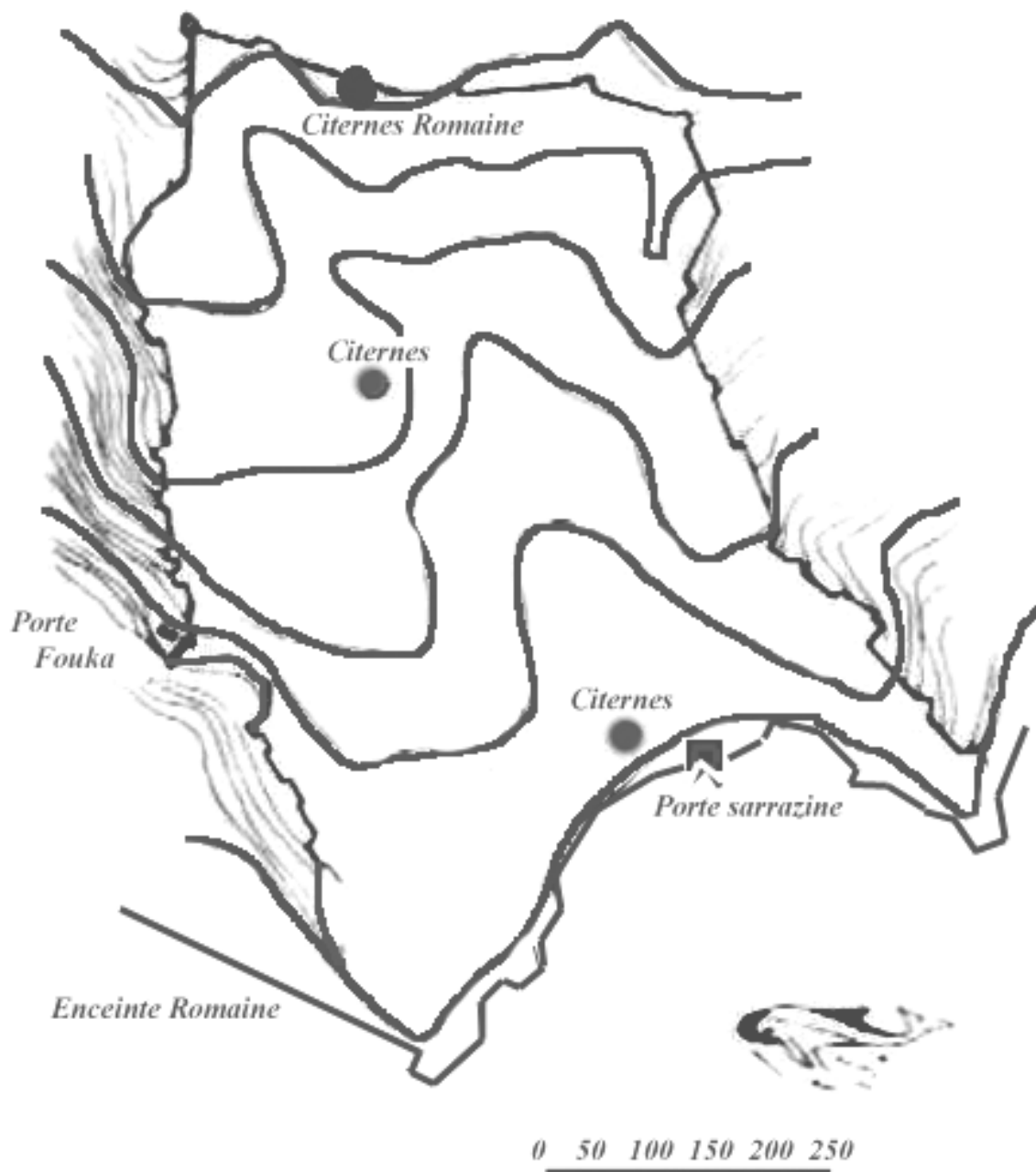
المخطط رقم 33: المخطط المعماري لبرج أنابود بمدينة شرشال .

(من عمل الطالب)

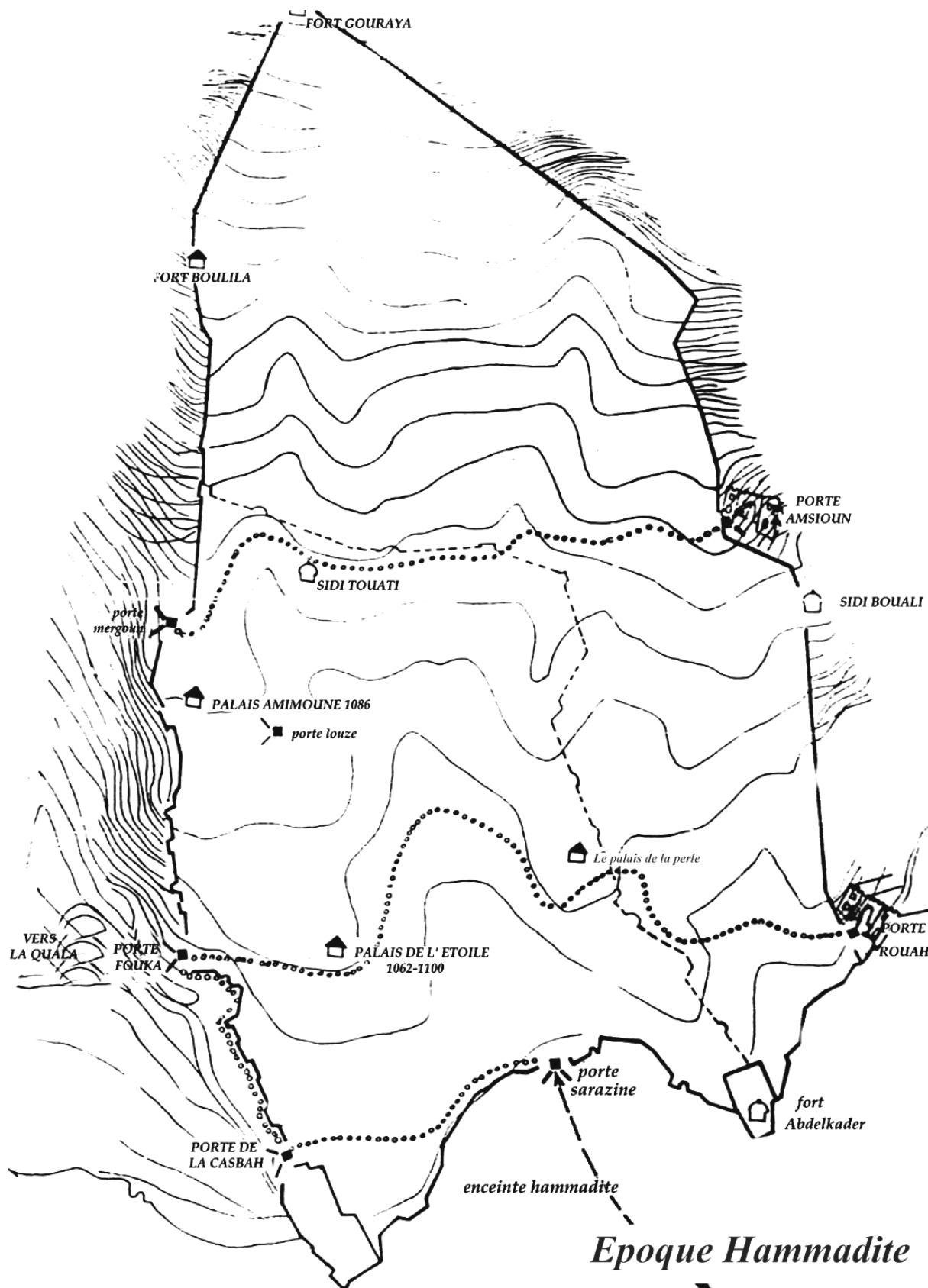


المخطط رقم 34: تحصينات مدينة قسطنطينة خلال الحكم التركي.

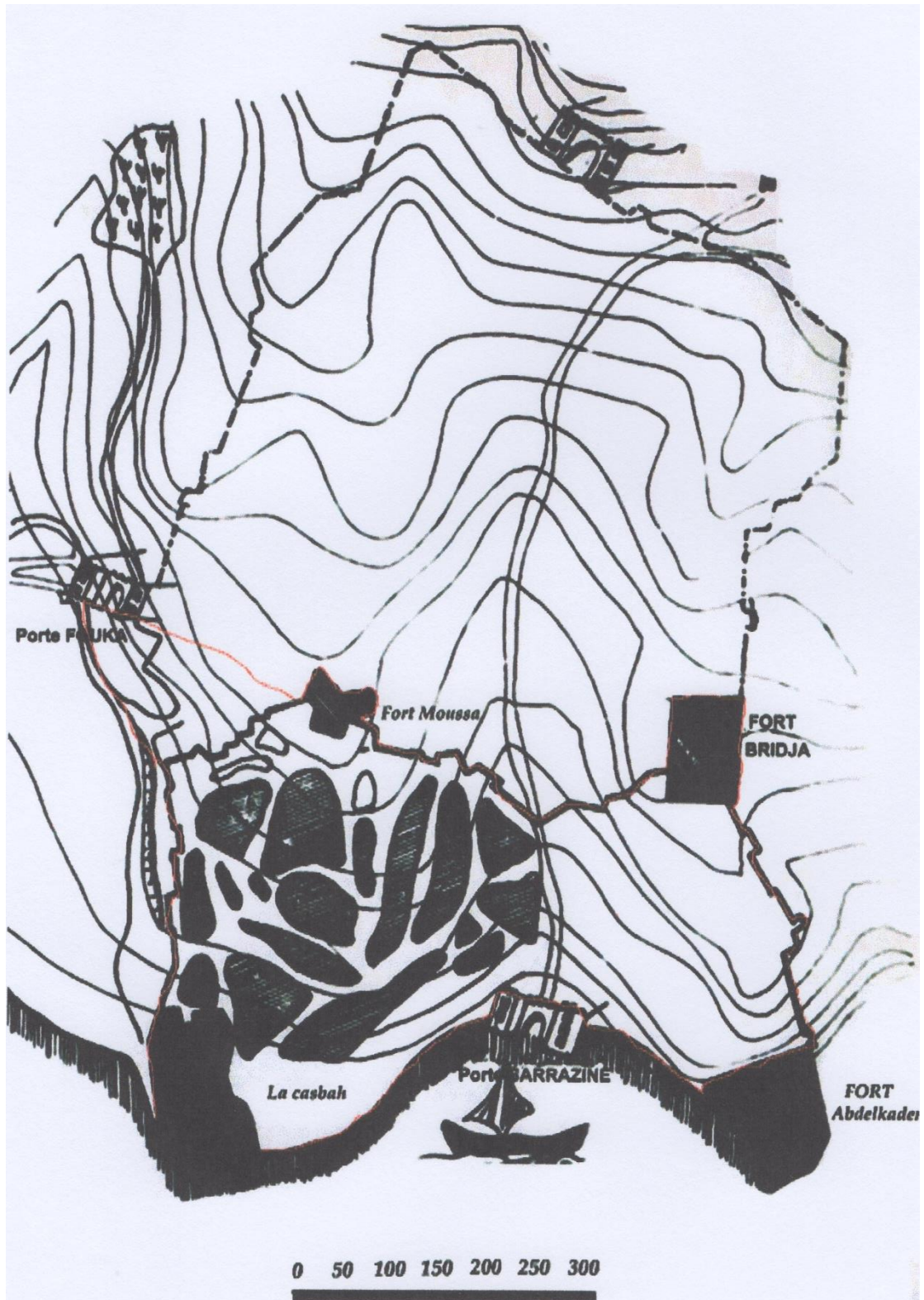
(Gsell St ;Atlas ..., Feuillet N°17,p.16) بتصريف



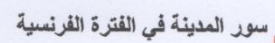
المخطط رقم 35: مخطط توضيحي لمسار سور مدينة بجاية في الفترة الرومانية



المخطط رقم 36: مخطط توضيحي لمسار مدينة بجاية في الفترة الحمادية .



المخطط رقم 37: مخطط توضيحي لمسار سور مدينة بجاية في الفترة الإسبانية والتركية.

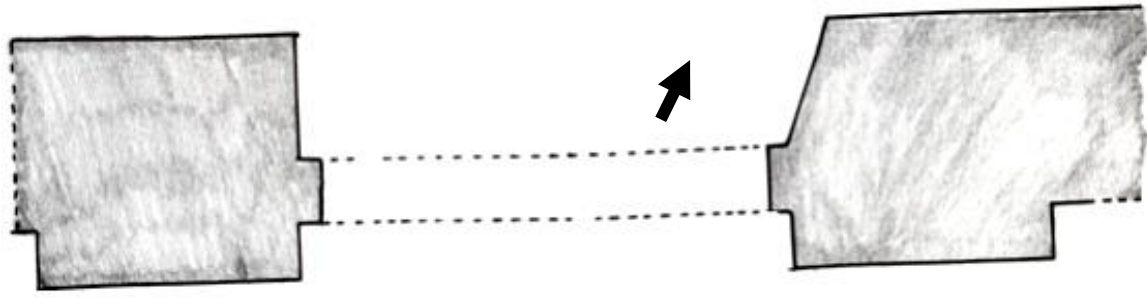


أبواب المدينة

حصون وأبراج المدينة

المخطط رقم 38: مخطط توضيحي لمسار سور مدينة بجاية في الحقبة الفرنسية

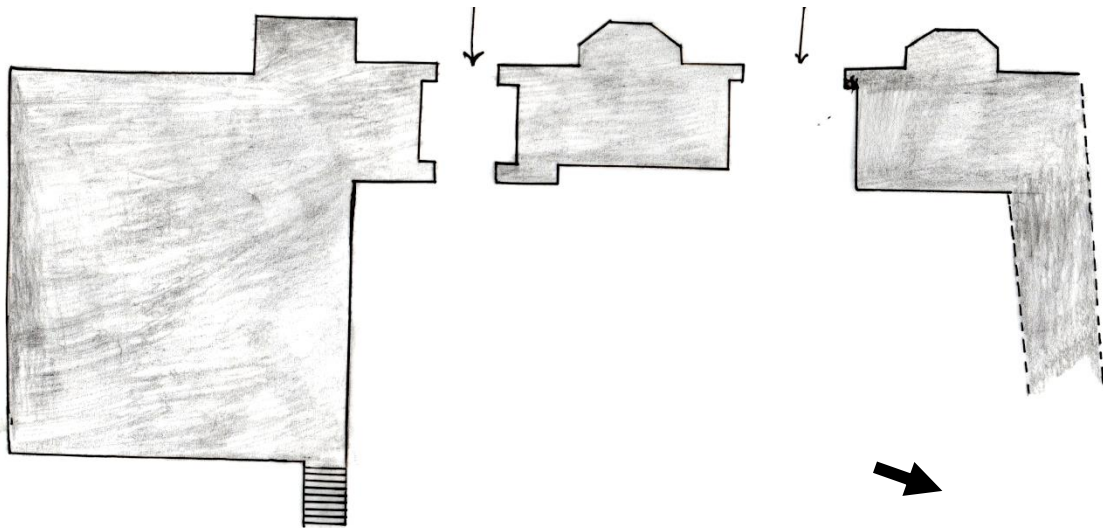
بتصرف (Gsell St.; Atlas Archéologique...,Feuillet N°7,p.3.)



سلم: 100 / 1

المخطط رقم 39: مخطط باب البحر ببجاية

(من عمل الطالب)



سلم: 100 / 1

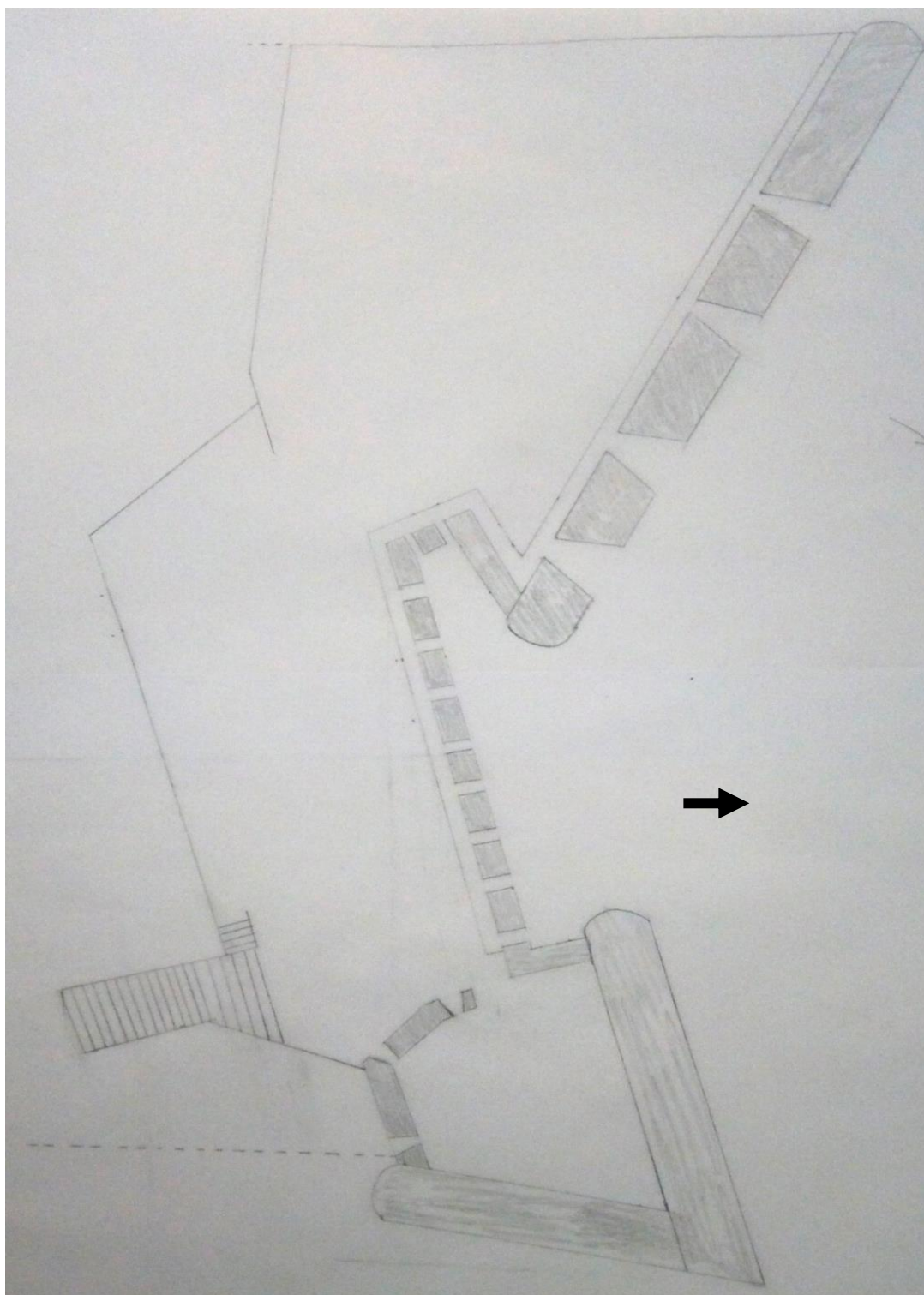
المخطط رقم 40: مخطط باب الفوكة ببجاية

(من عمل الطالب)



المخطط رقم 41: مخطط توضيحي لتحصينات قصبة بجاية

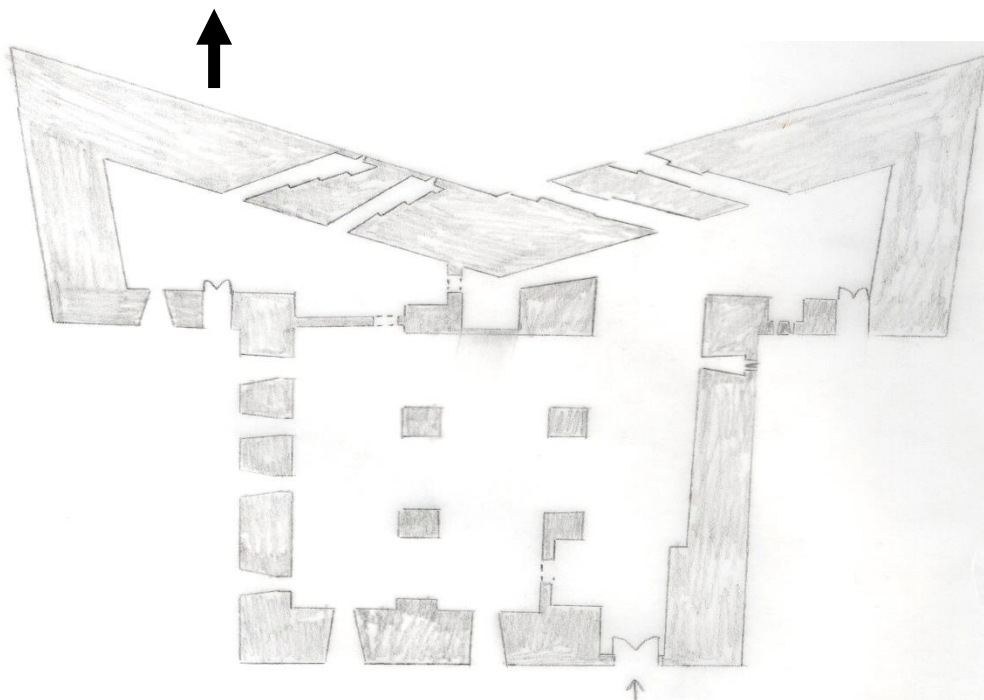
(عزوق عبد الكريم، المعالم الأثرية...ص203). بتصرف



سلم: 1/ 200

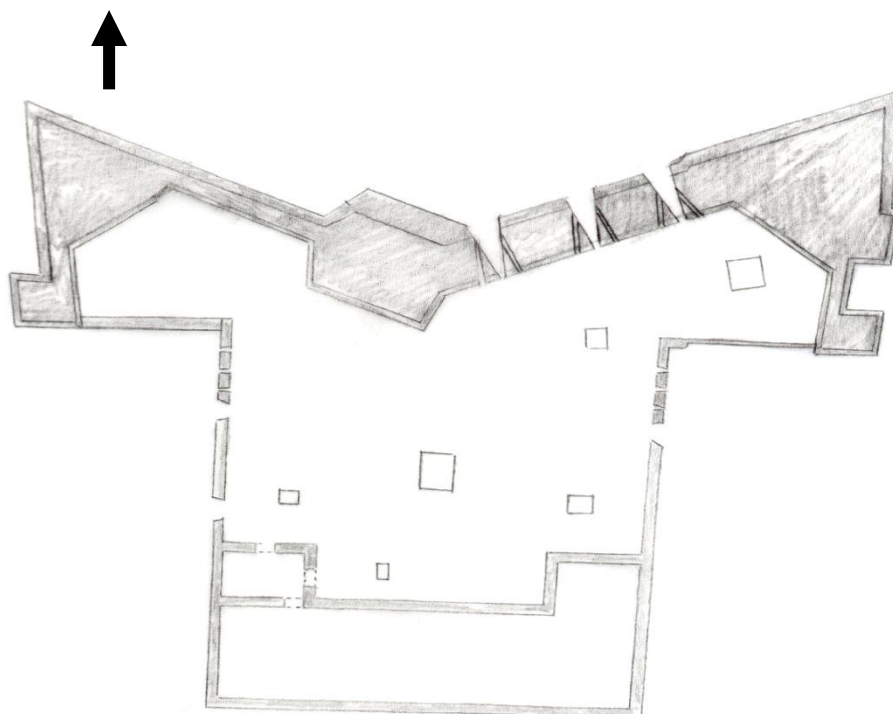
المخطط رقم 42: الحصن الإسباني بقصبة بجاية .

(من عمل الطالب)



الطابق الأرضي

سلم: 1 / 50



الطابق العلوي

سلم: 1 / 50

المخطط رقم 43: المخطط المعماري لبرج موسى ببجاية

(من عمل الطالب)



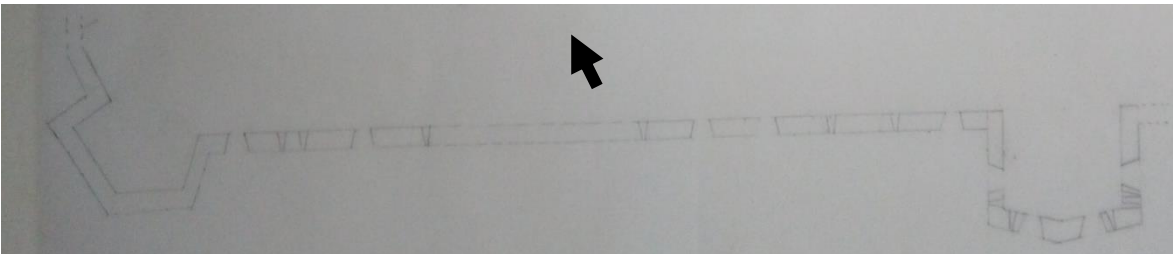
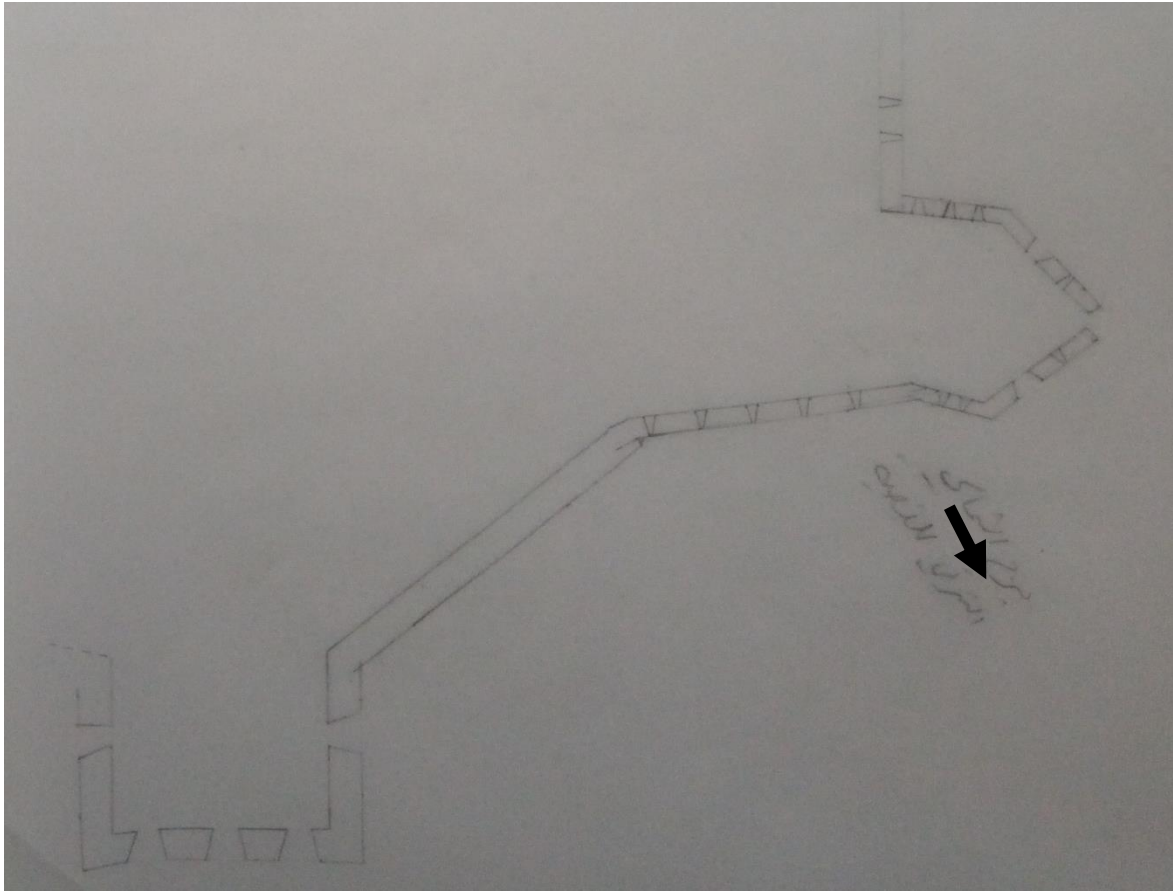
المخطط رقم 44: المخطط المعماري لبرج سيدي عبد القادر بيجاية

(عزوق عبد الكريم، المعالم الأثرية....، ص271)



المخطط رقم 45: تحصينات مدينة عنابة خلال العهد العثماني.

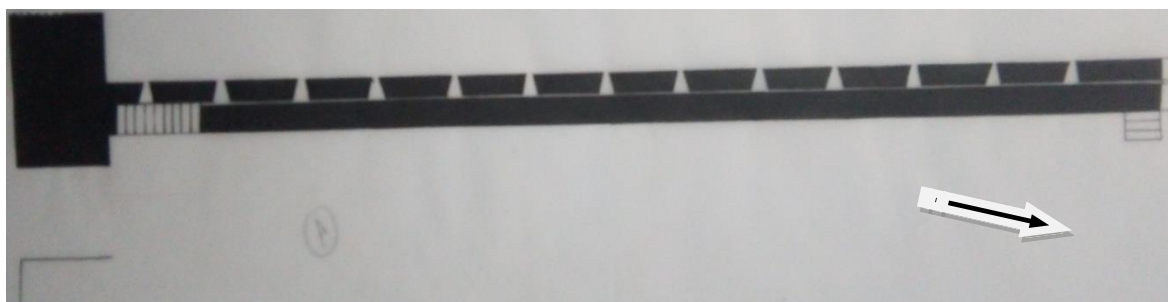
(جندلي محمد بن براهيم، **عناية...**، ص342) بتصرف



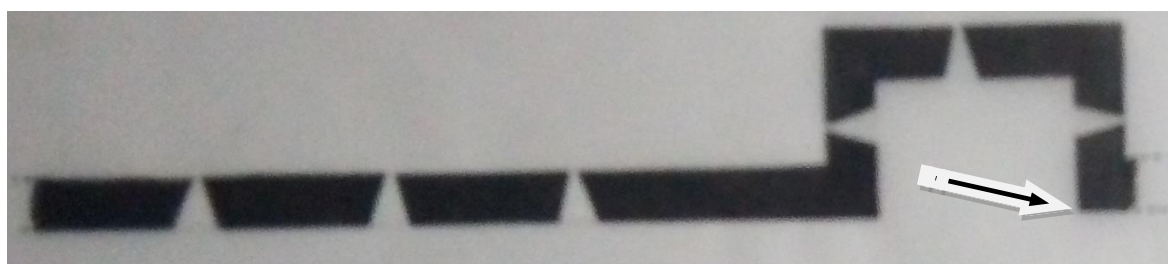
سلم: 200/1

المخطط رقم 46: تحصينات الواجهة الشرقية لقصبة عنابة

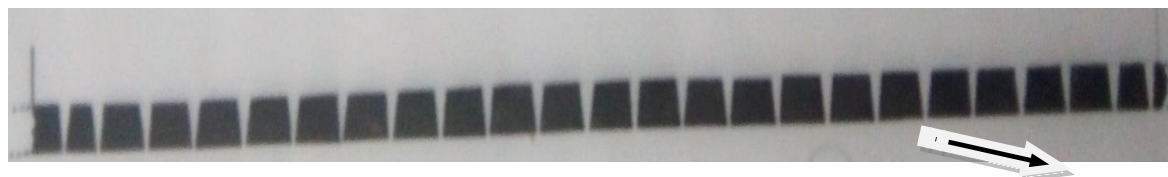
(من عمل الطالب)



1



2

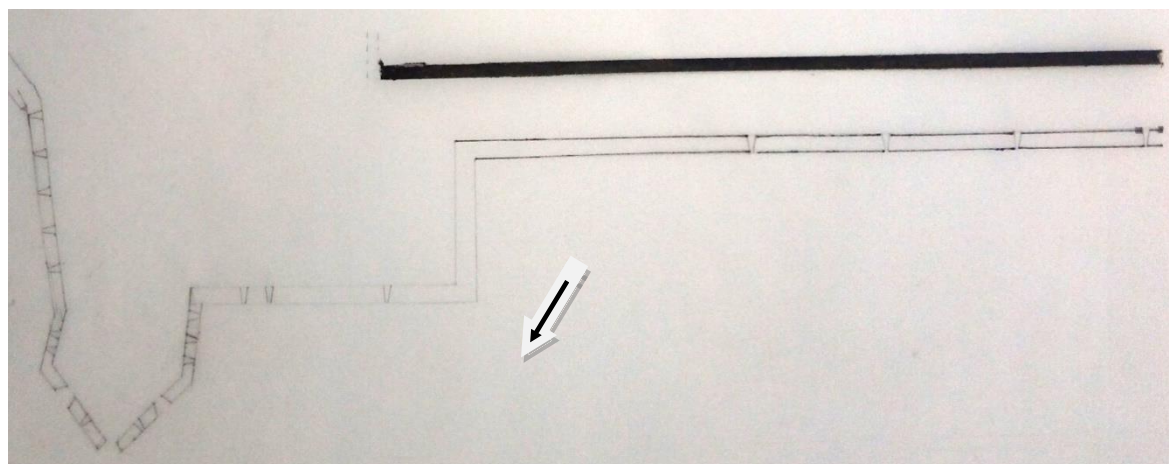
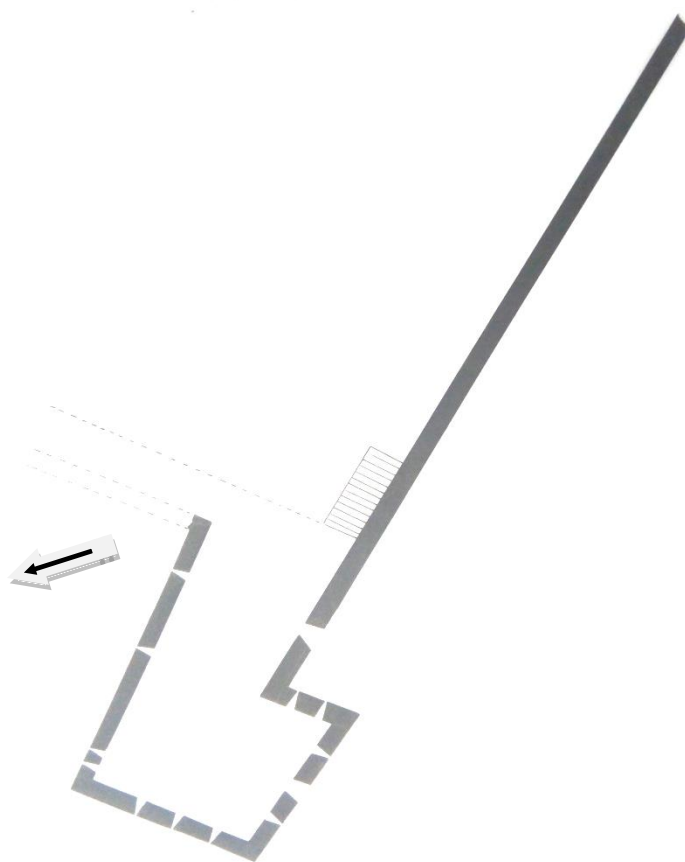


3

سلم: 1/ 100

المخطط رقم 47: تحصينات الواجهة الغربية للقنينة عناية

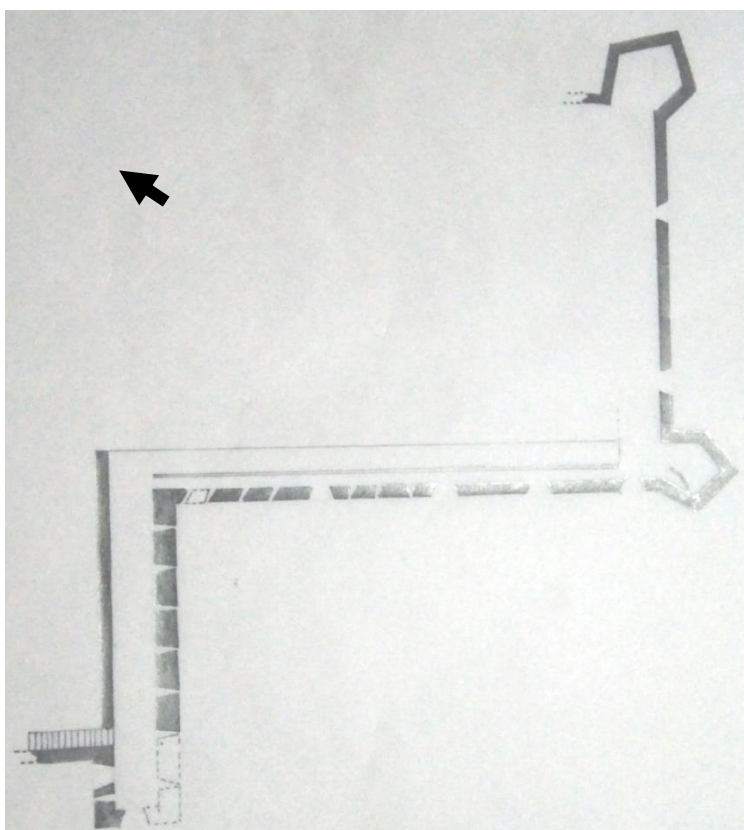
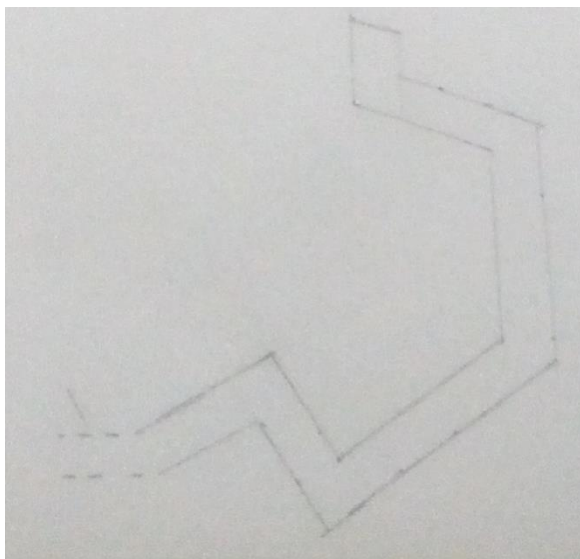
(من عمل الطالب)



سلم: 1/ 200

المخطط رقم 48-49: تحصينات الواجهة الشمالية لقصبة عنابة

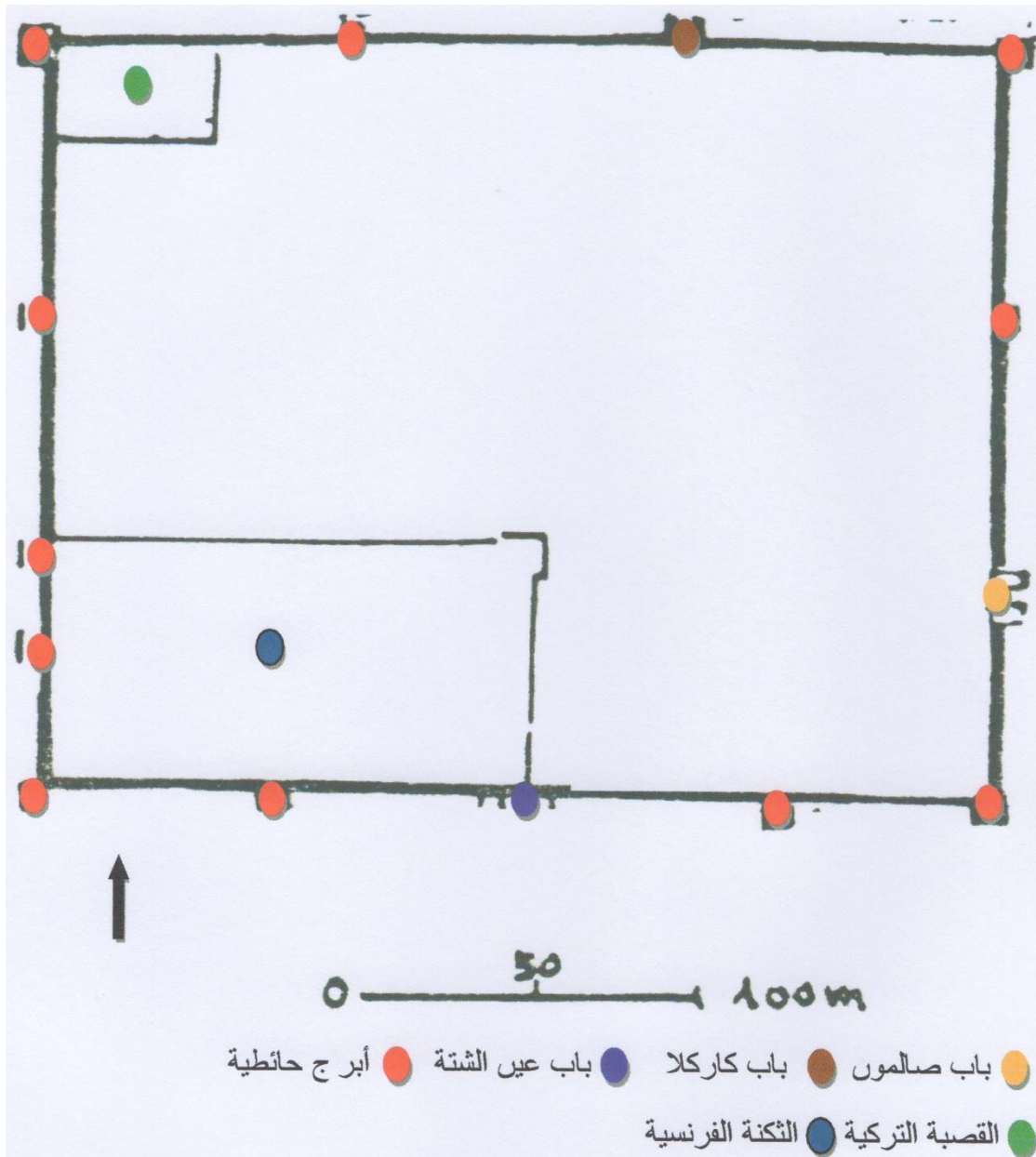
(من عمل الطالب)



سلم: 200 / 1

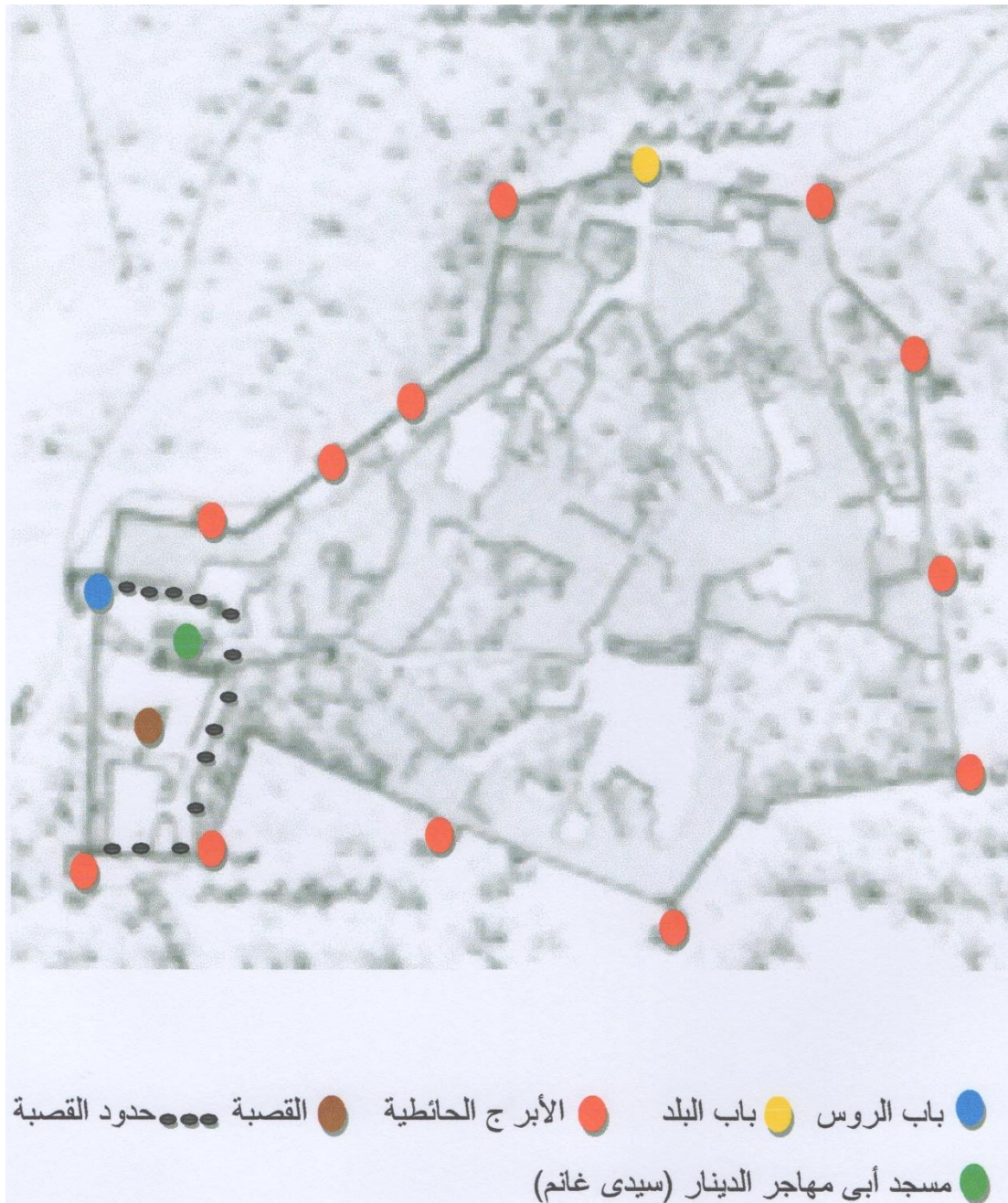
المخطط رقم 50: تحصينات الواجهة الجنوبية لقصبة عنابة

(من عمل الطالب)



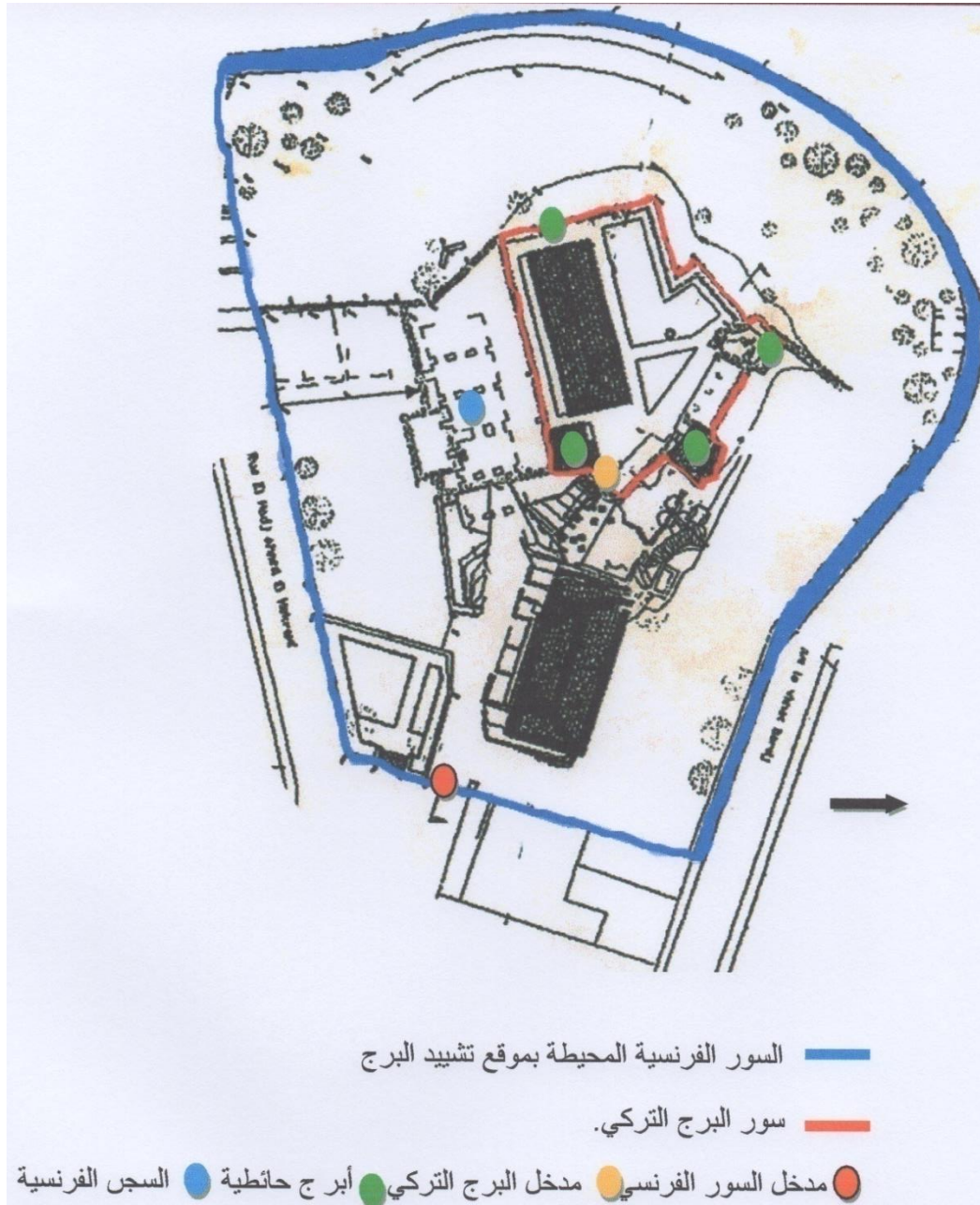
المخطط رقم 51: تحصينات مدينة تبسة. منذ القديم إلى العهد الفرنسي.

بتصرف (Bourouiba Rachid; L'architecture..., p9)



المخطط رقم 52: تحصينات مدينة ميله خلال الحكم التركي.

(بتصرف (Delamare ; Exploration ...,p.116)

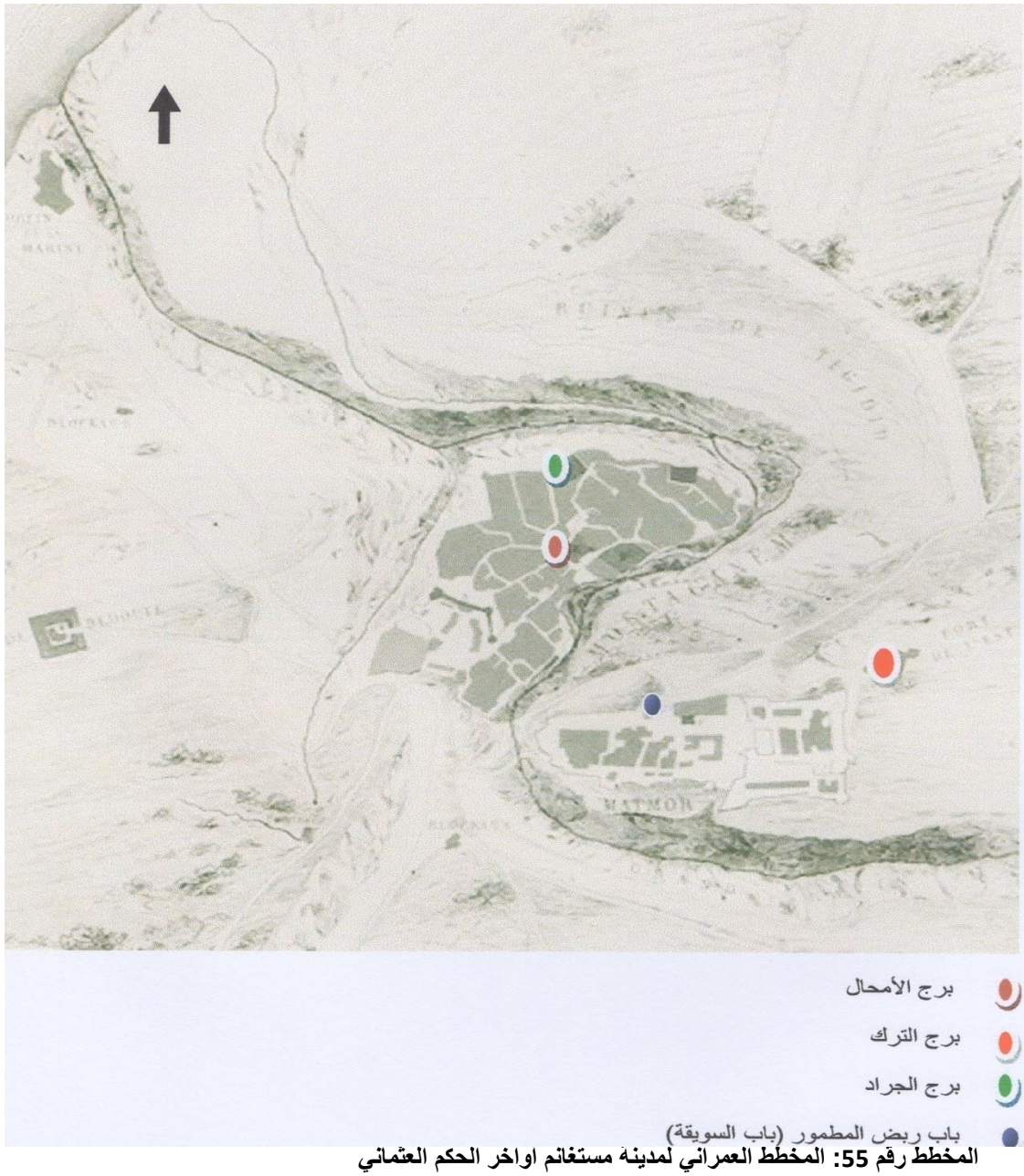


المخطط رقم 53: البرج التركي (برج المقراني) بمدينة برج بوعريش.



المخطط رقم 54: مخطط توضيحي لمسار سور قلعة بني راشد

(مركز الدراسات والإنجاز العمراني بالبلدية) بتصريف

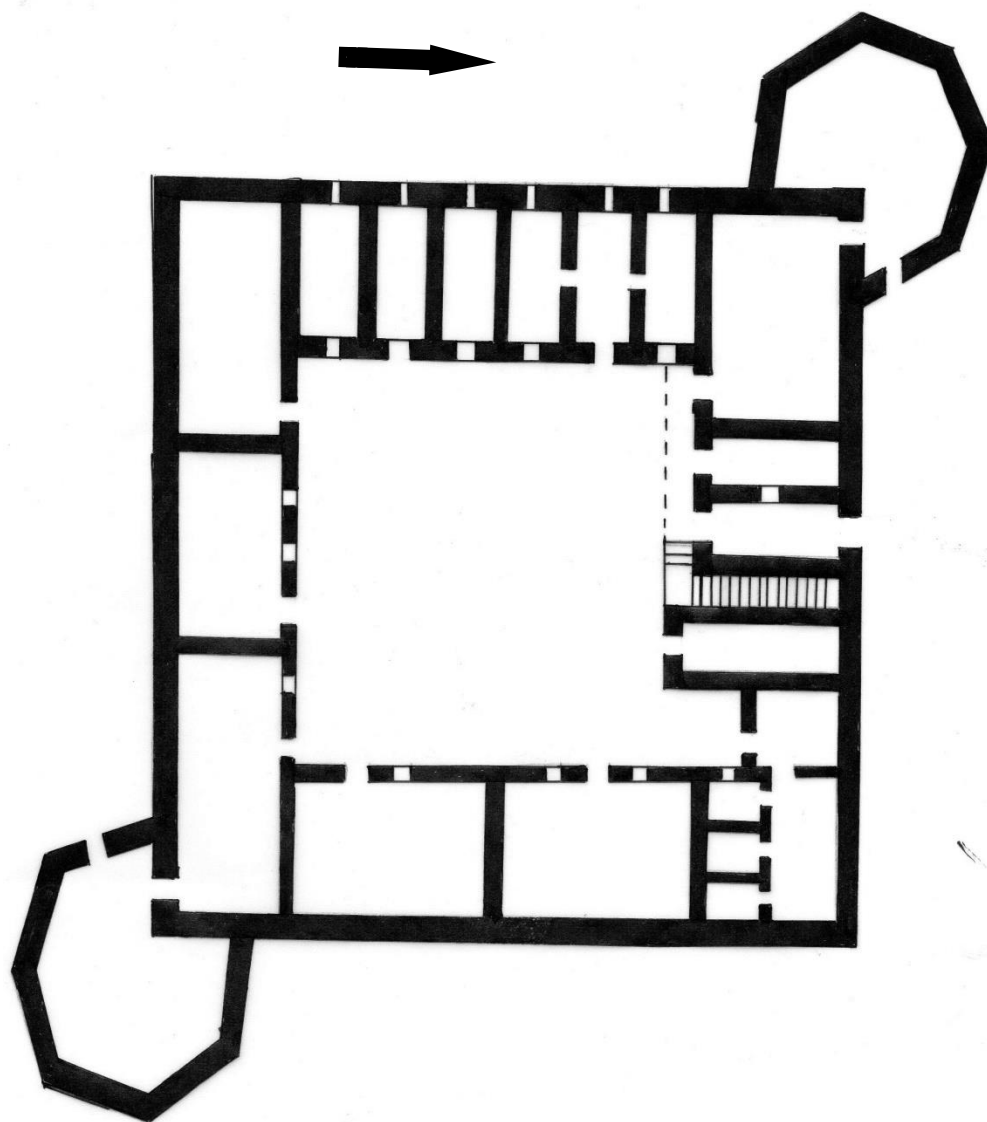


(Ravoisie A. ;Exploration Scientifique ... ,P.107)



المخطط رقم 56: التحصينات الحالية لمدينة مستغانم

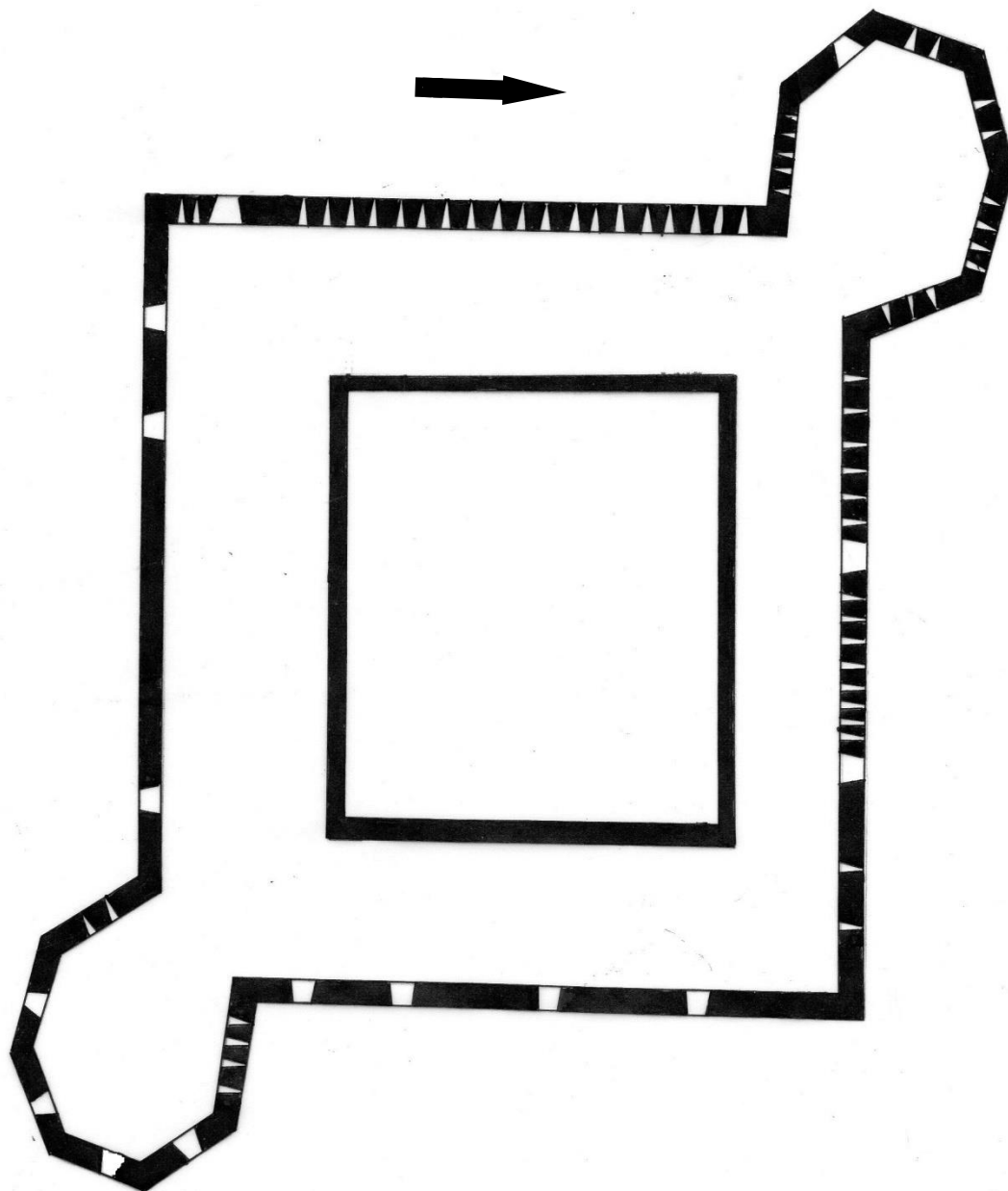
(من عمل الطالب)



سلم: 1/ 200

المخطط رقم 57: مخطط الطابق الأرضي لبرج الشرق بمستغانم

(بلجوزي بو عبد الله، دراسة أثرية...، ص151)



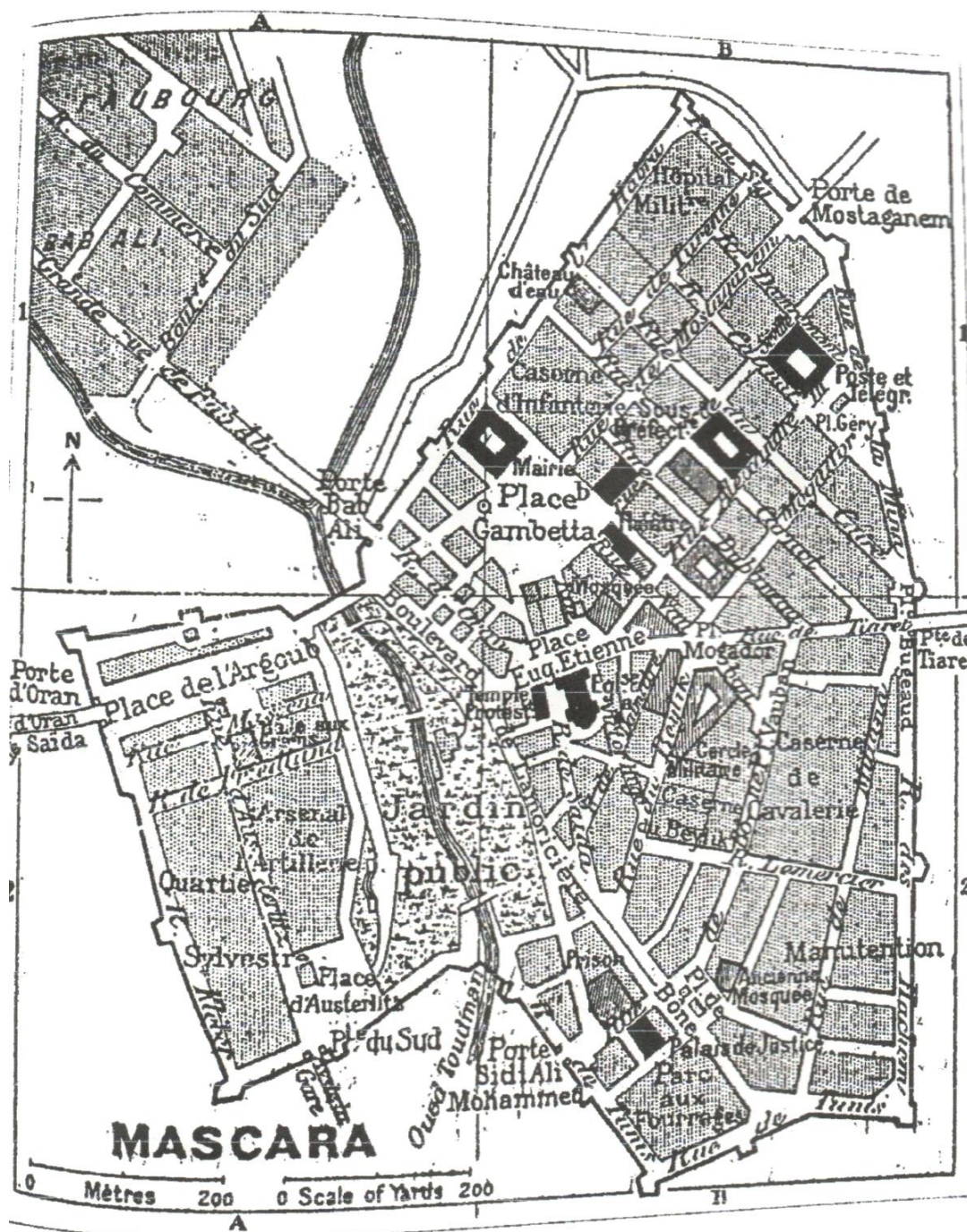
سلم: 1/ 200

المخطط رقم 58: مخطط السطح لبرج الترك بمستغانم
(بلجوزي بو عبد الله، دراسة أثرية...، ص 152)



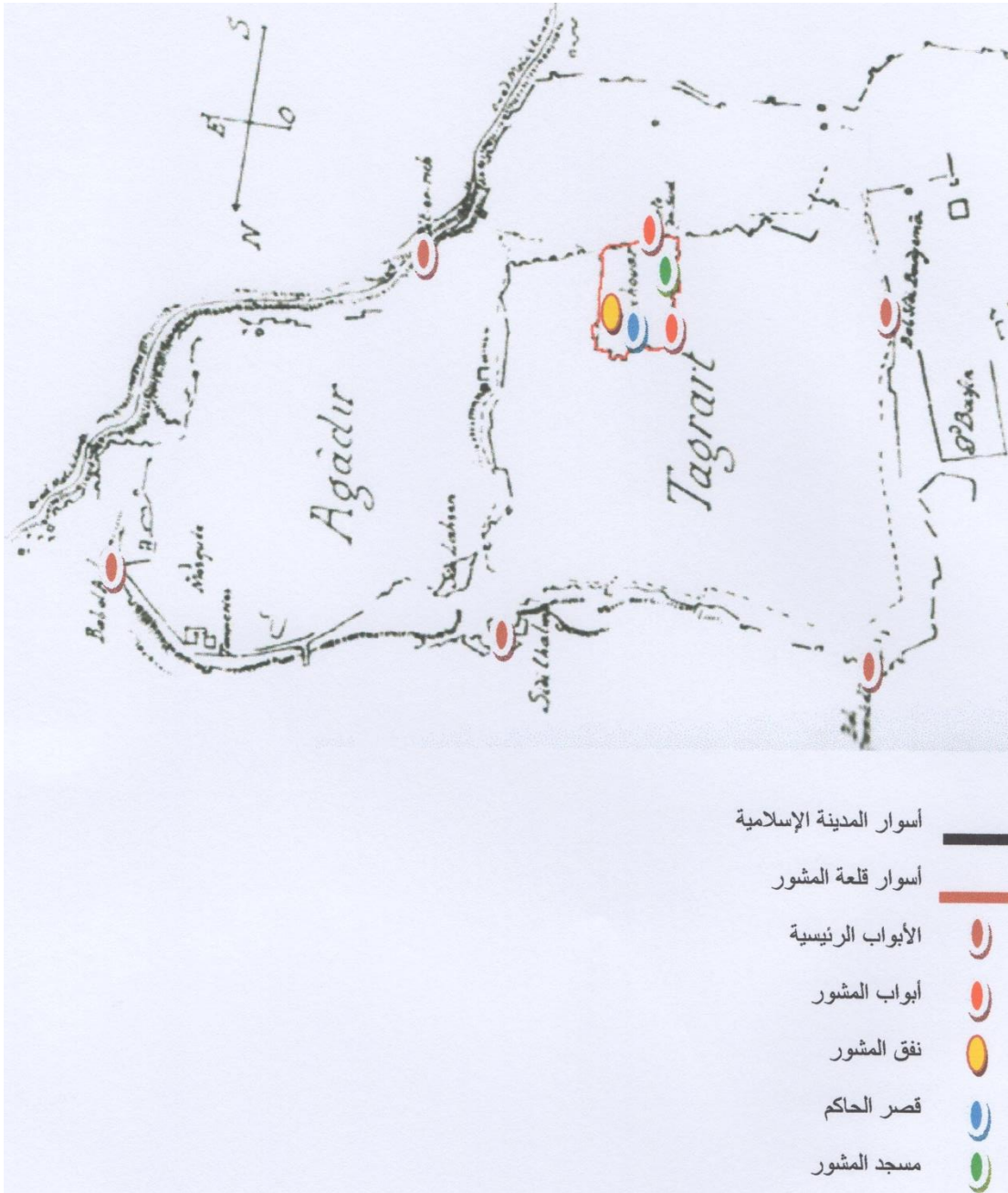
المخطط رقم 59: تحصينات مدينة معسكر قبل الإحتلال الفرنسي

(بلجوزي بو عبدالله، التحصينات الدفاعية...، ص 374)



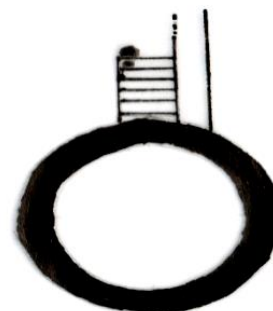
المخطط رقم 60: سور مدينة معسكر في الفترة الفرنسية.

(عدة بن داهة، معسكر عبر التاريخ...، ص 17-18)



المخطط رقم 61: مخطط توضيحي لمسار سور مدينة تلمسان الزيرية

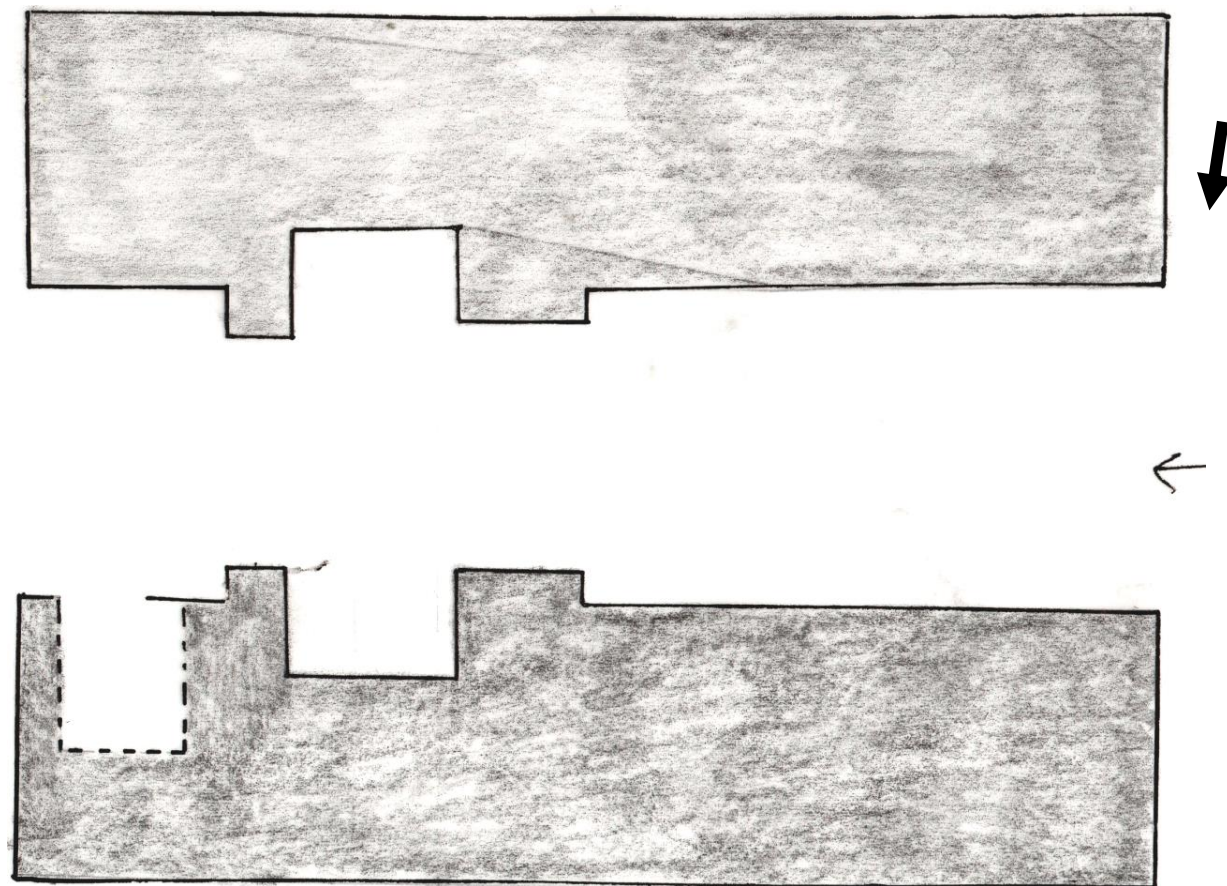
(وليم و جورج مارسى، المعالم الأثرية...، ص132)



سلم: 100 / 1

المخطط رقم 62: مخطط باب القرمادين بتلمسان

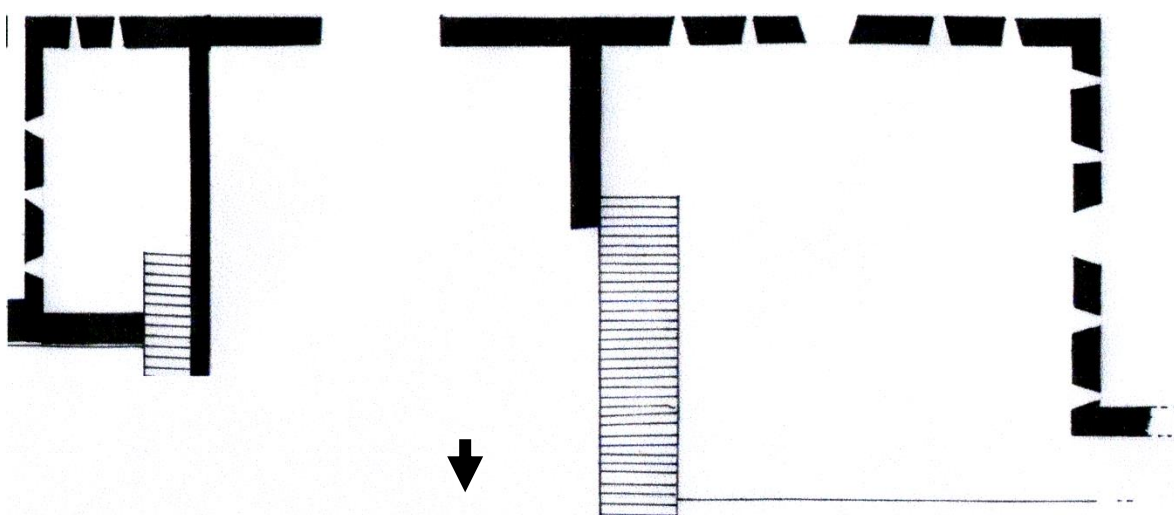
(من عمل الطالب)



سلم: 100 / 1

المخطط رقم 63: باب قلعة المشور بمدينة تلمسان

(من عمل الطالب)



سلم: 100 / 1

المخطط رقم 64: باب التوتية (الجنوبي) لقلعة المشور بتلمسان

(من عمل الطالب)

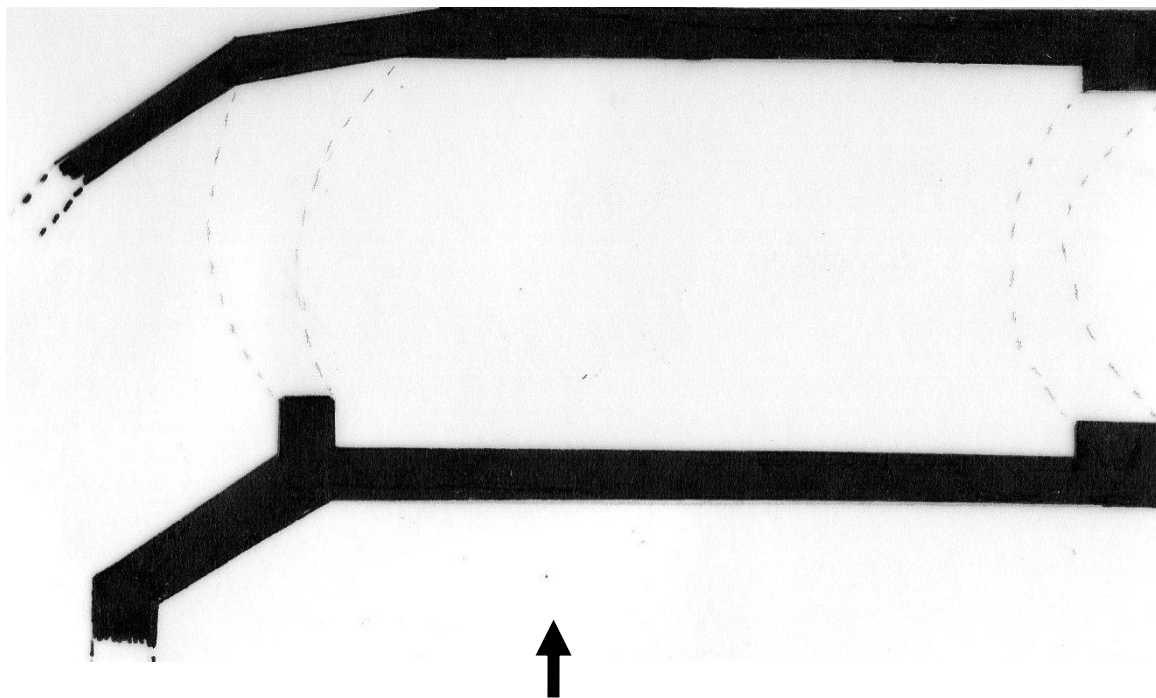


المخطط رقم 65: مخطط توضيحي لمسار سور مدينة وهران ونظامه الدفاعي نهاية الحكم الإسباني.
(Ferehat Ben Daoud Radja Halima; Etude De L'architecture ..., p.89.) بتصرف



— واد رأس العين — أسوار المدينة — باب تلمسان — باب كانتال — باب سانتون
 — باب الجيارة — باب السوق (نابليون) — حصن لامون — حصن القديس غريغوري — حصن
 سانتاكروز — القصبه — البرج الأحمر — حصن القديس أندري — حصن القديس فليب — حصن القديس
 فرديناند — برج القديسة تيراز — برج القديس ميعال — برج القديس لويس — برج القديس كارلوس

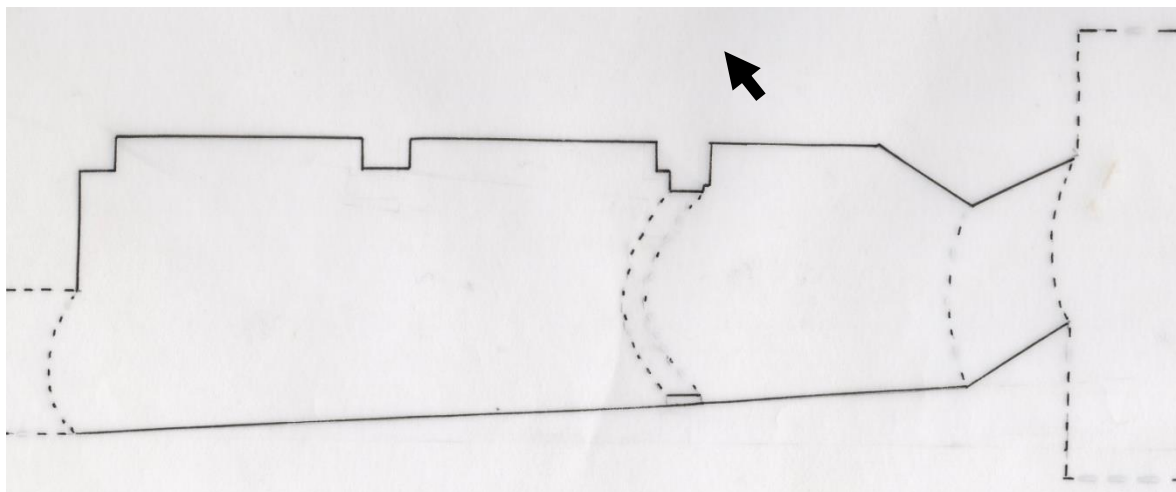
المخطط رقم 66: النظام الدفاعي لمدينة وهران خلال الإحتلال الإسباني الثاني لها
 (Mikel De Epalza, Juan Bta.Vilar; Plans Et Cartes ..., p.223.) بتصرف



سلم: 1/ 200

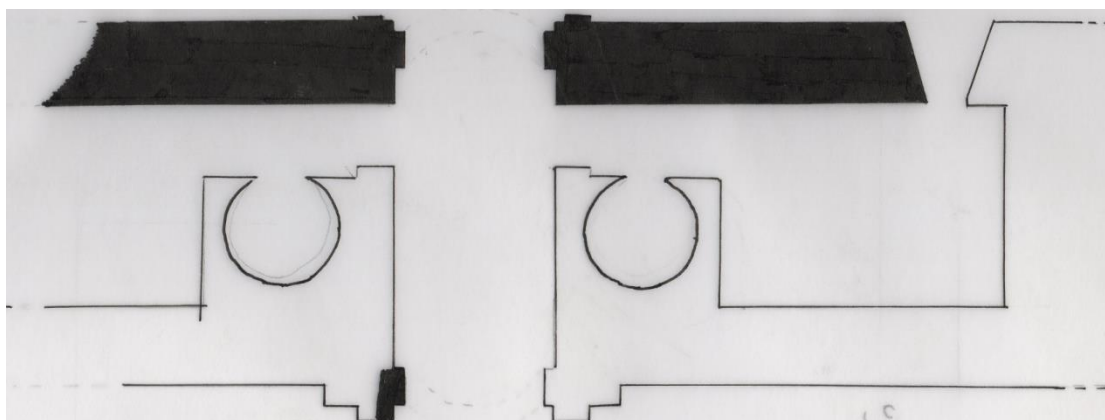
المخطط رقم 67: مخطط باب كانيستال بوهرا

(من عمل الطالب)



100/1

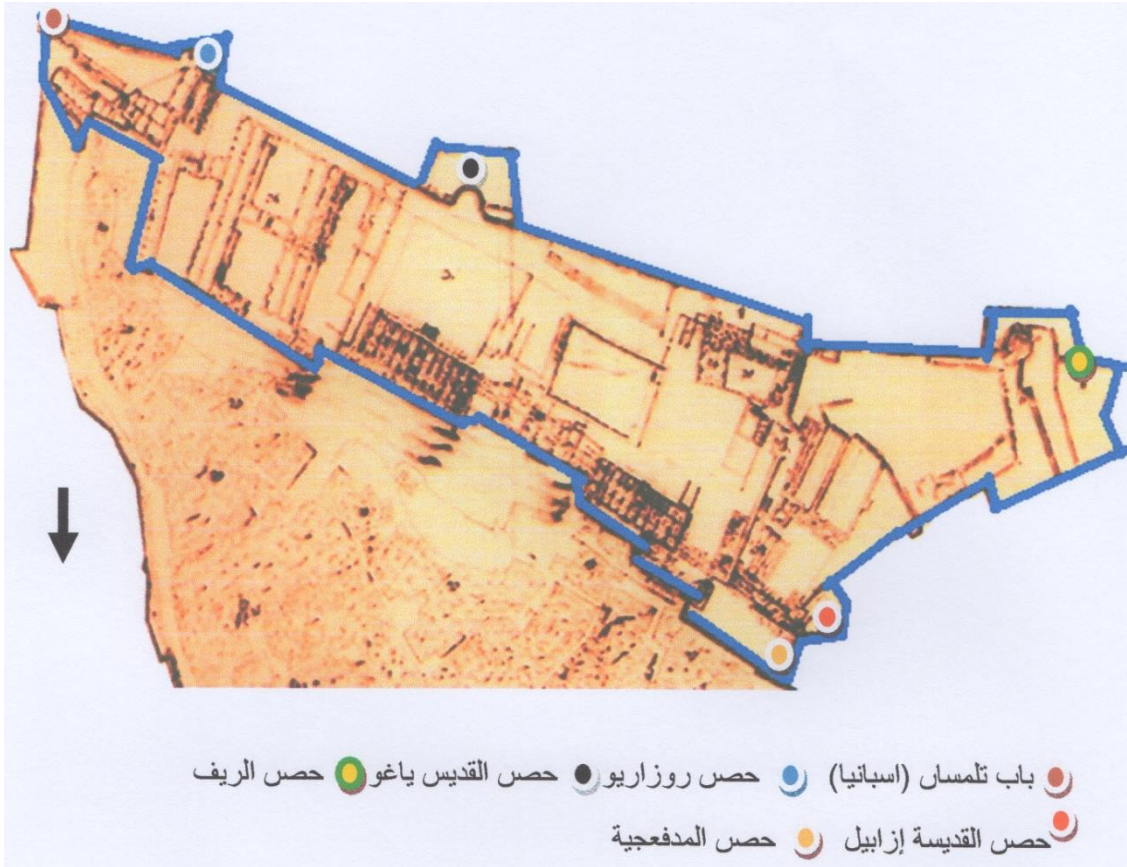
المخطط رقم 68: مخطط باب تلمسان بوهران



100/1

(من عمل الطالب)

المخطط رقم 69: مخطط باب سانتون بوهران



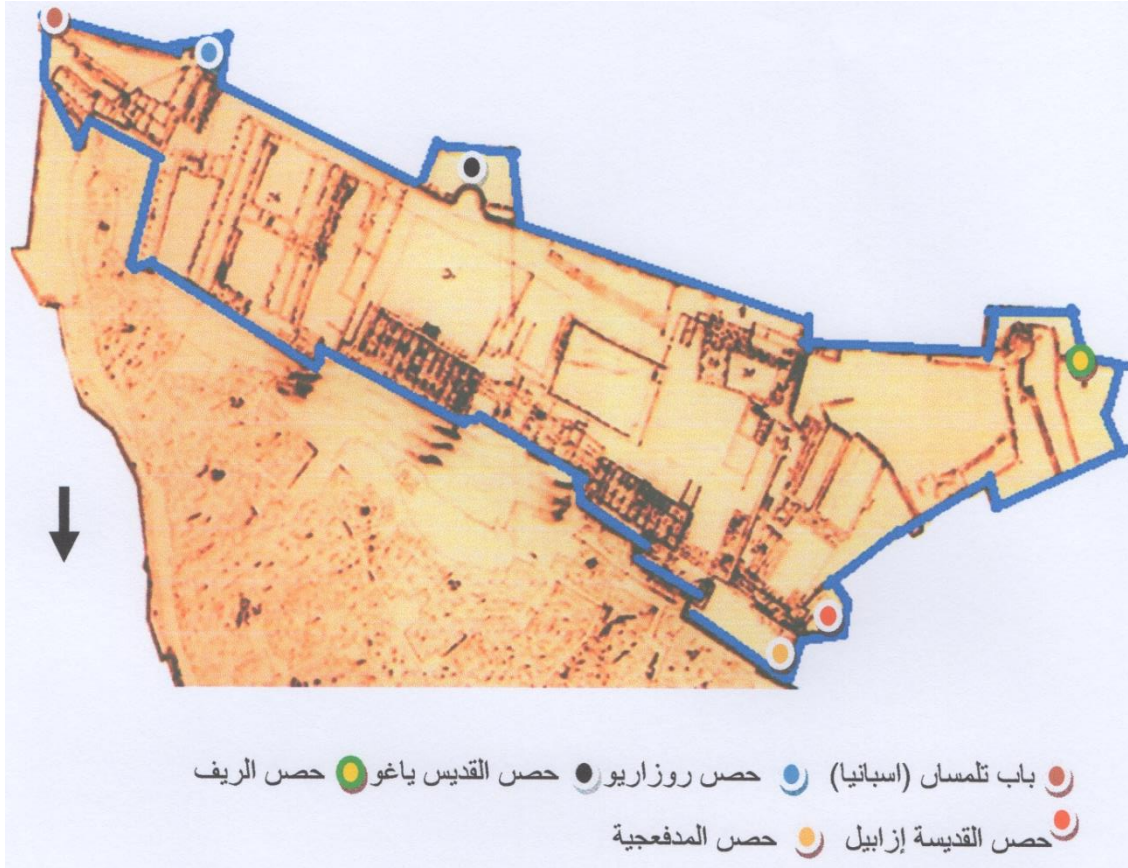
المخطط رقم 71: المخطط المعماري للقصبة ونظامها الدفاعي.

بتصرف (Mikel De Epalza, Juan Bta.Vilar; **Plans Et Cartes ...**, p221)



المخطط رقم 70: المخطط شبكة الأنفاق الرابطة بين حصون ومدينة وهران خلال القرن 18م.

(الأغا بن عودة المزارعي، طلوع سعد السعود...، ج1، ص.234).



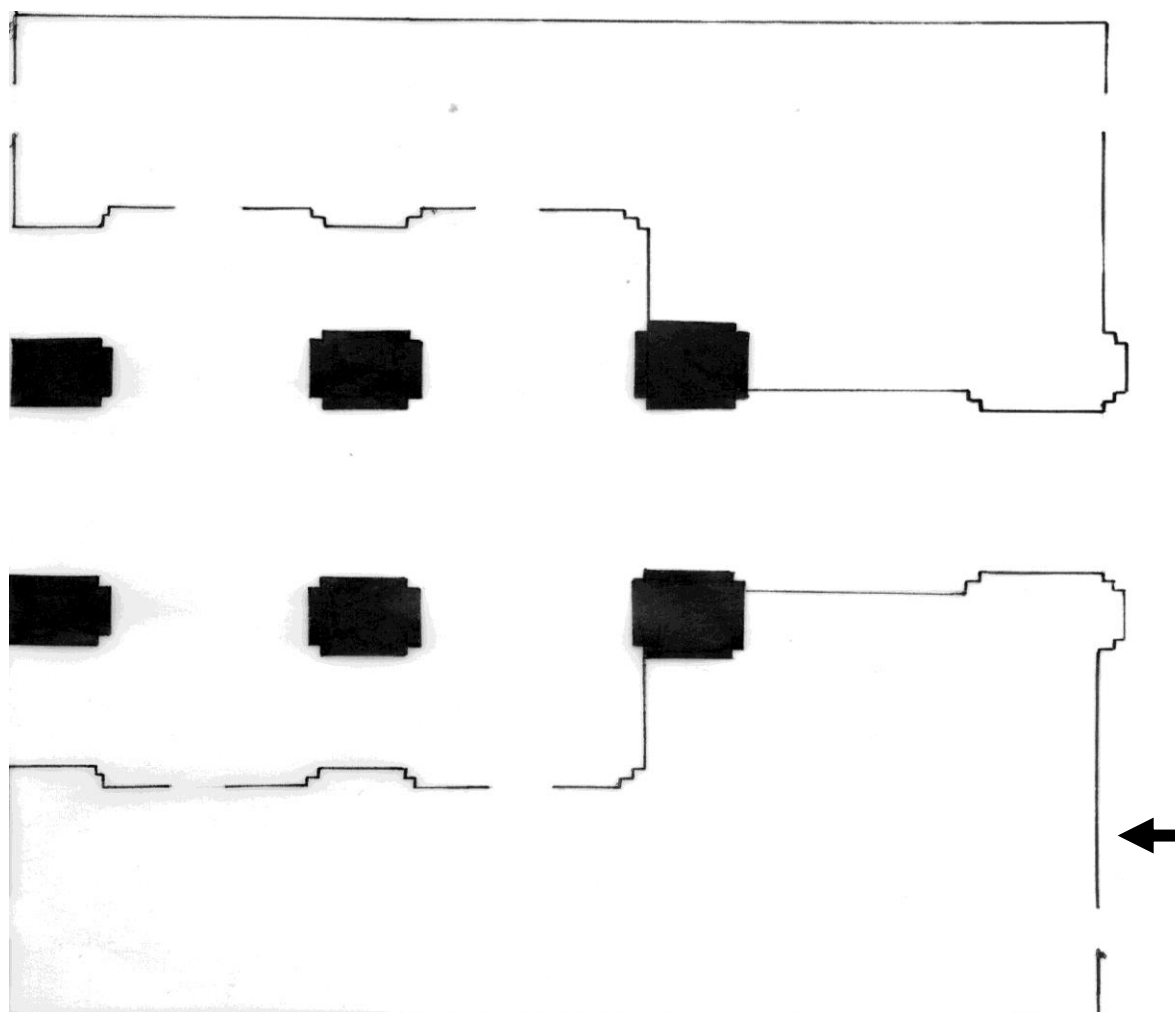
المخطط رقم 71: المخطط المعماري للقصبة ونظامها الدفاعي.

(Mikel De Epalza, Juan Bta.Vilar; **Plans Et Cartes ...**, p.221.) بتصرف



المخطط رقم 72: المخطط المعماري النهائي للبرج الأحمر خلال القرن 18م.

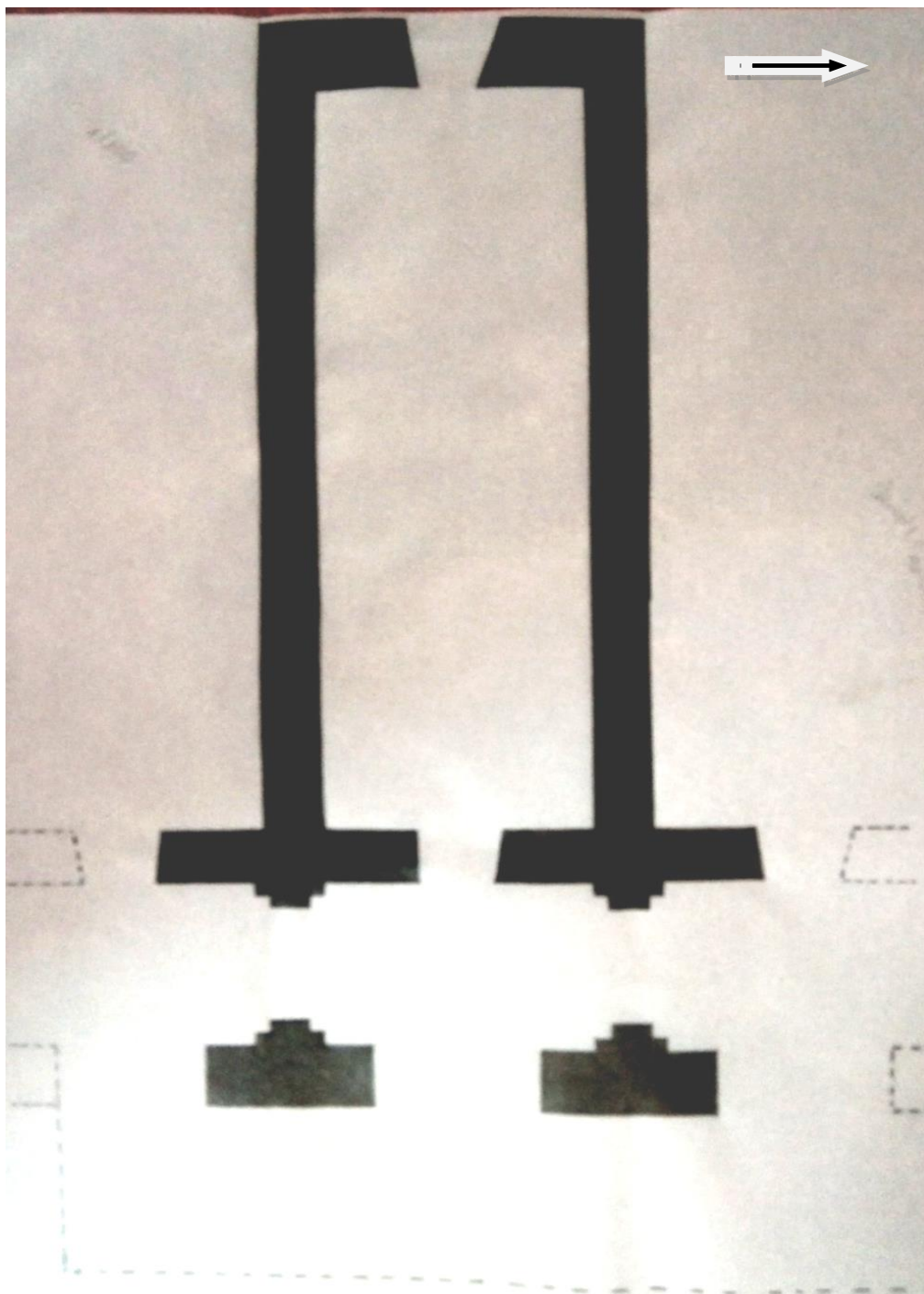
(Mikel De Epalza, Juan Bta.Vilar; Plans Et Cartes ..., p.301.) بتصرف



سلم: 100/1

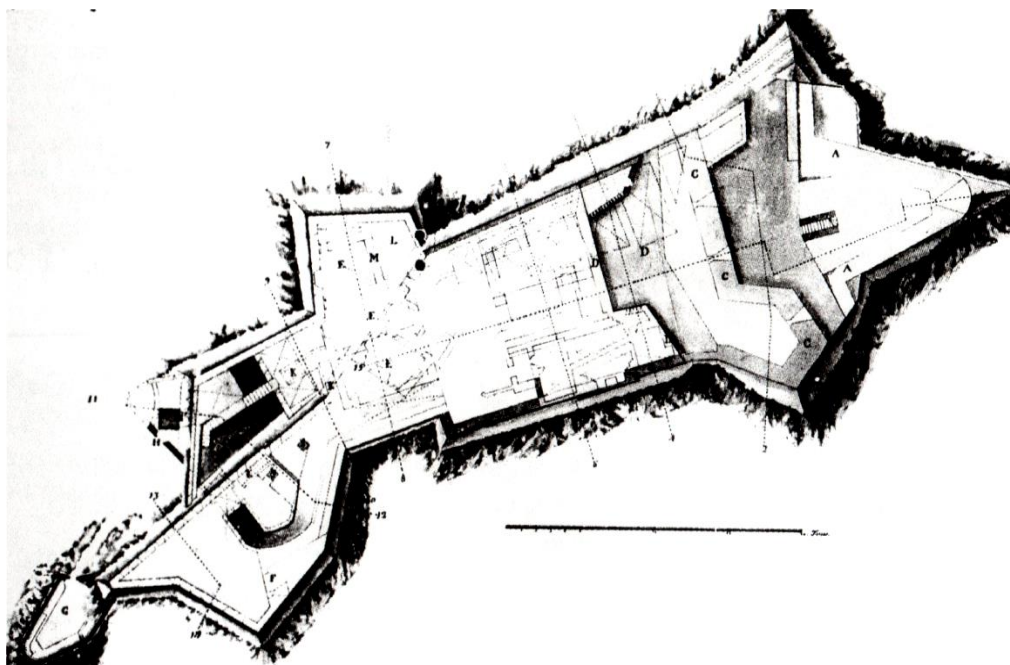
المخطط رقم 73: المدخل الرئيسي للبرج الأحمر بوهرا

(من عمل الطالب)



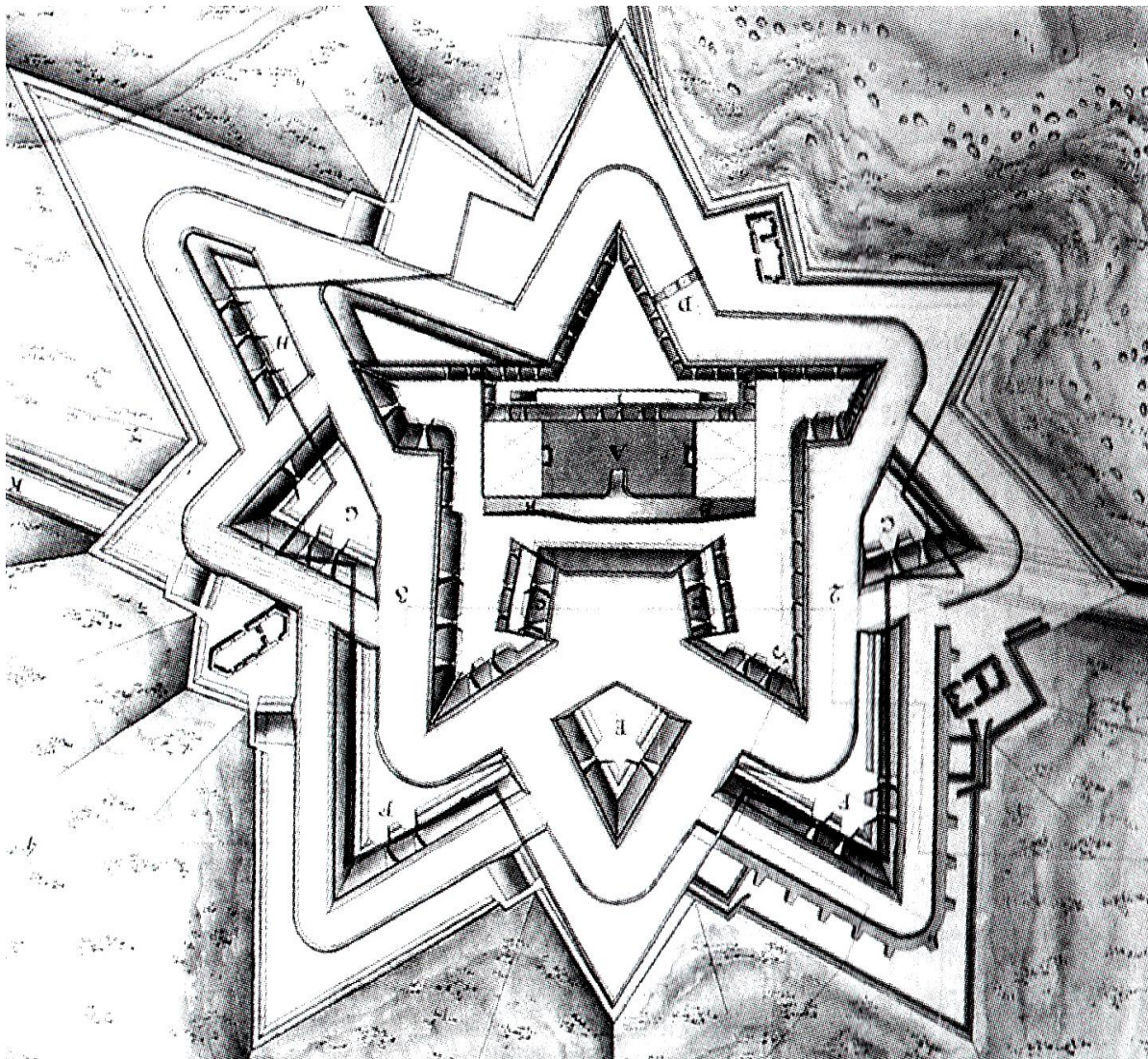
المخطط رقم 74: مخطط لقاعة من الثكنة الإسبانية بالبرج الأحمر بوهرا

(من عمل الطالب)



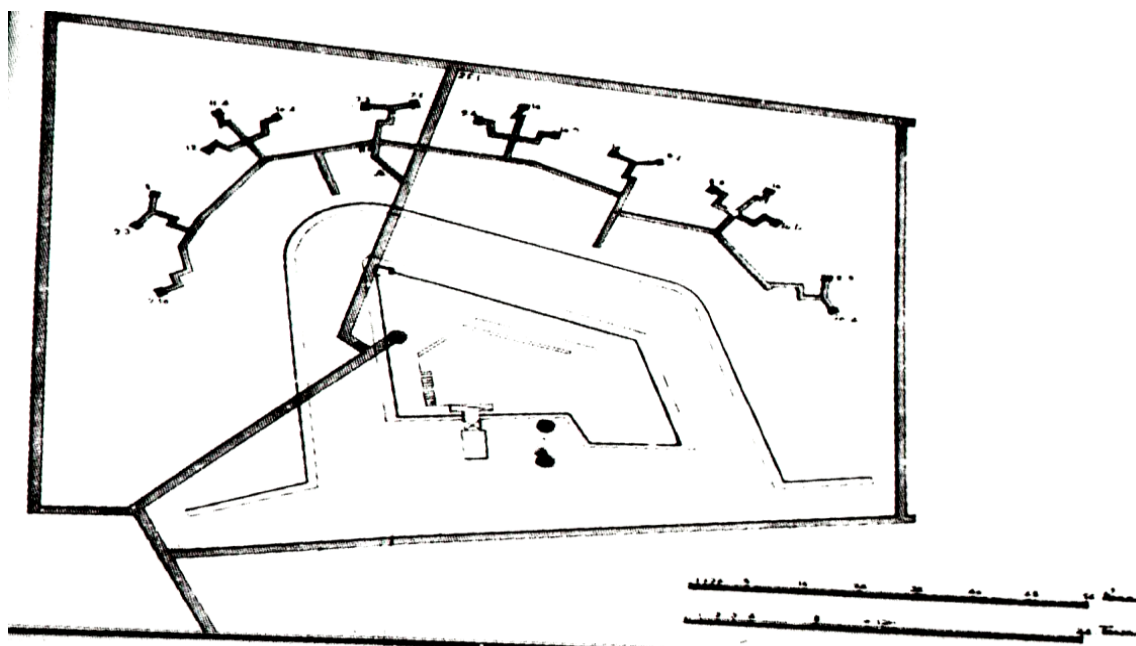
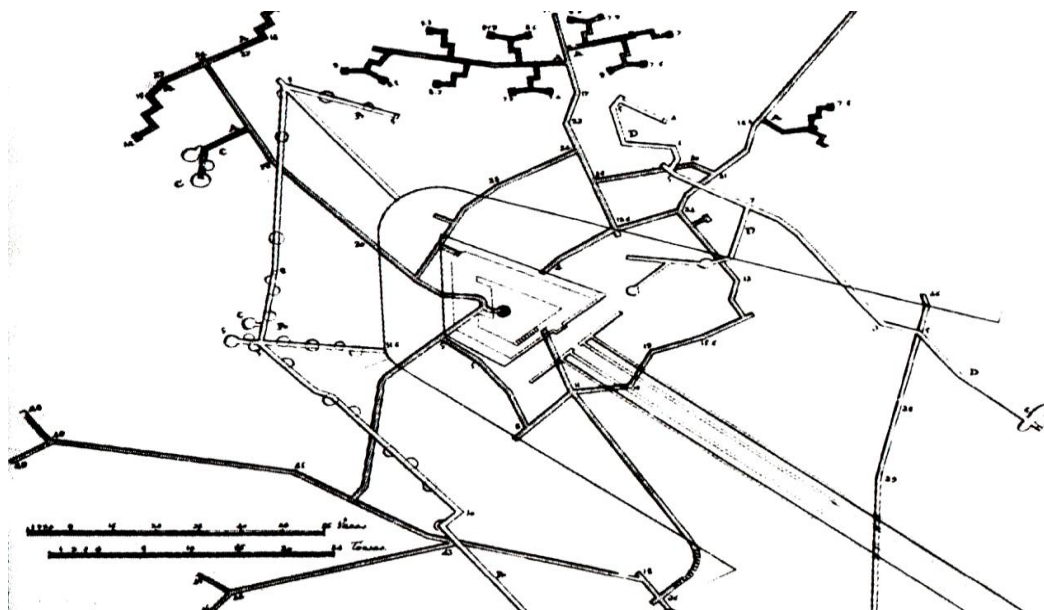
المخطط رقم 75: المخطط المعماري للبرج سانتاكروز (المرجاجو) خلال القرن 18م.

(Mikel De Epalza, Juan Bta.Vilar; **Plans Et Cartes ...**, p.261.)



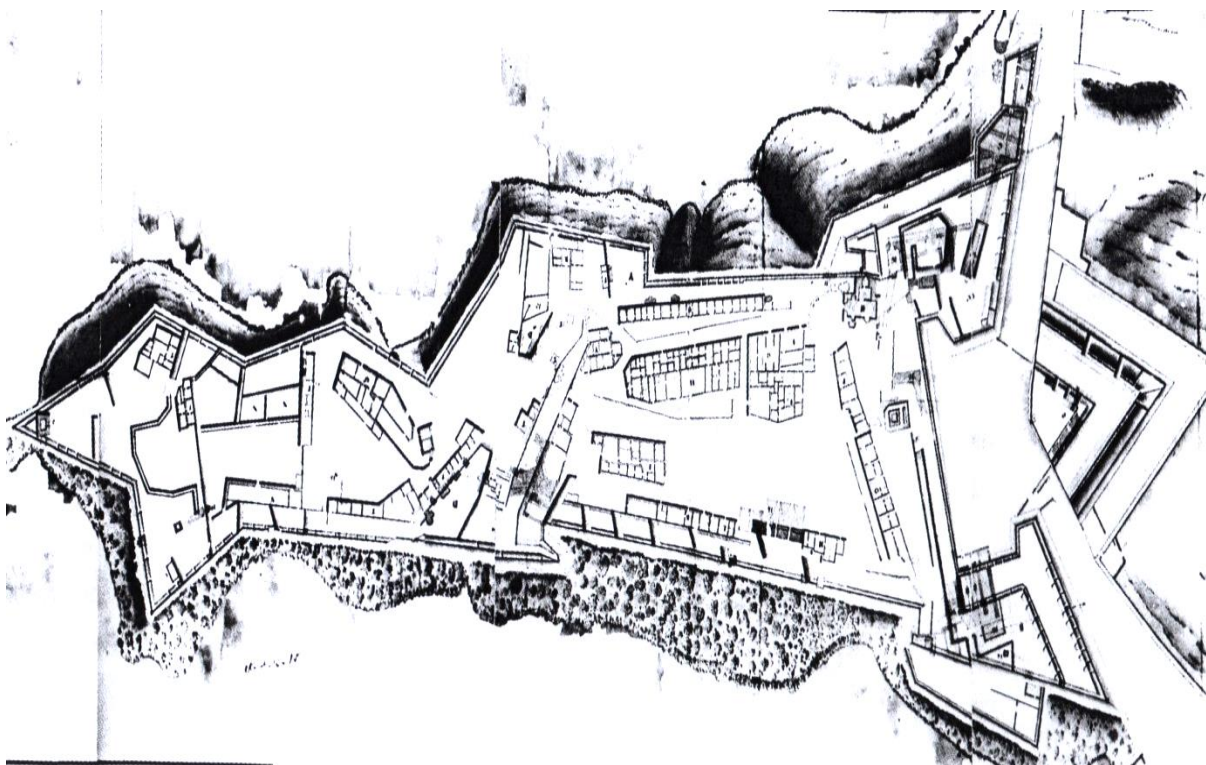
المخطط رقم 76: المخطط المعماري لحصن القديس أندري (برج الصبايحية)

(Mikel De Epalza, Juan Bta.Vilar; **Plans Et Cartes ...**, p.286.)



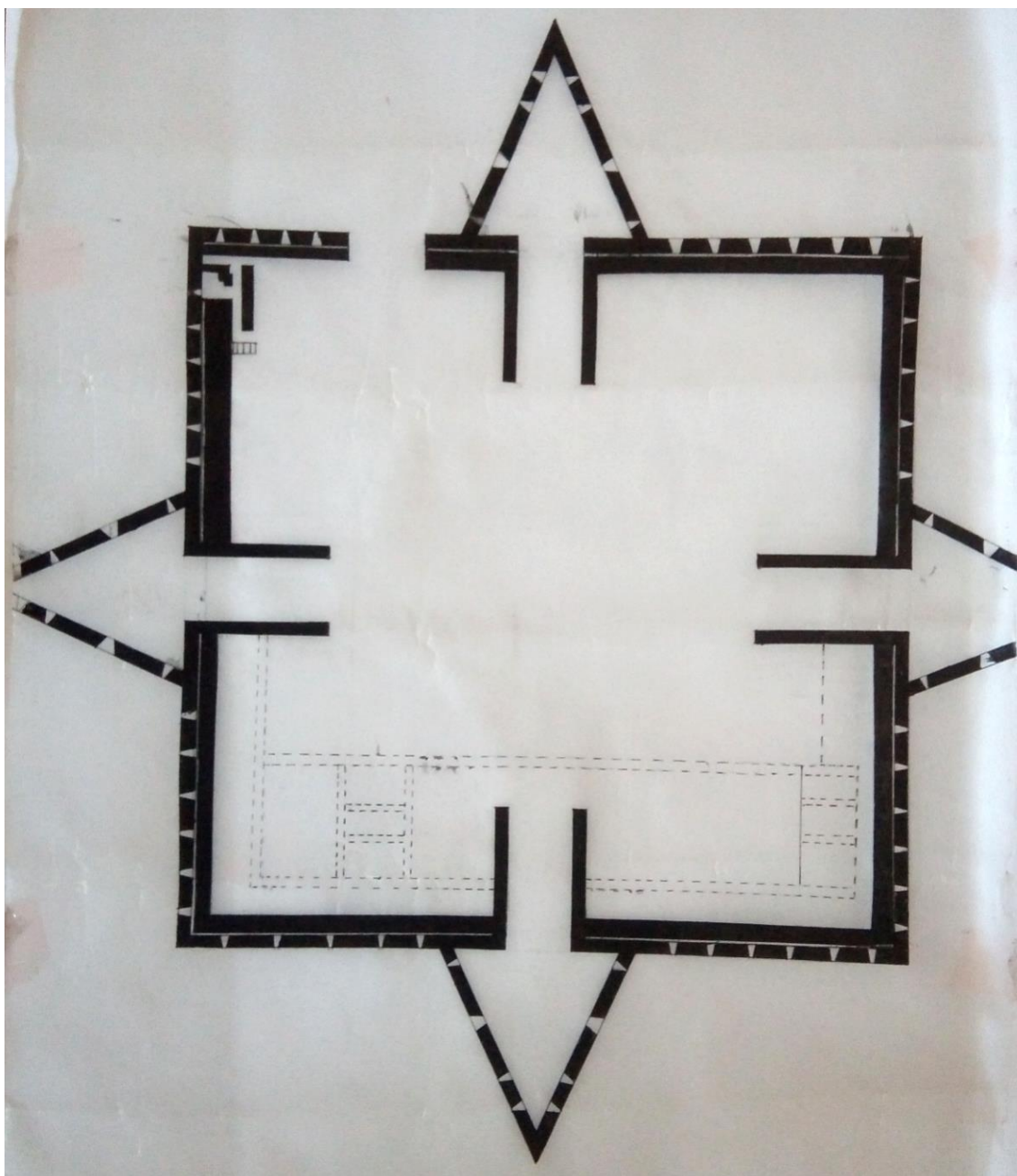
المخطط رقم 77: نماذج لأنفاق الدفاع بحصون مدينة وهران .

(Mikel De Epalza, Juan Bta.Vilar; **Plans Et Cartes ...**, p.278.288-)



لمخطط رقم 78: المخطط المعماري النهائي لقلعة المرسى الكبير خلال الاحتلال الإسباني الثاني لوهرا

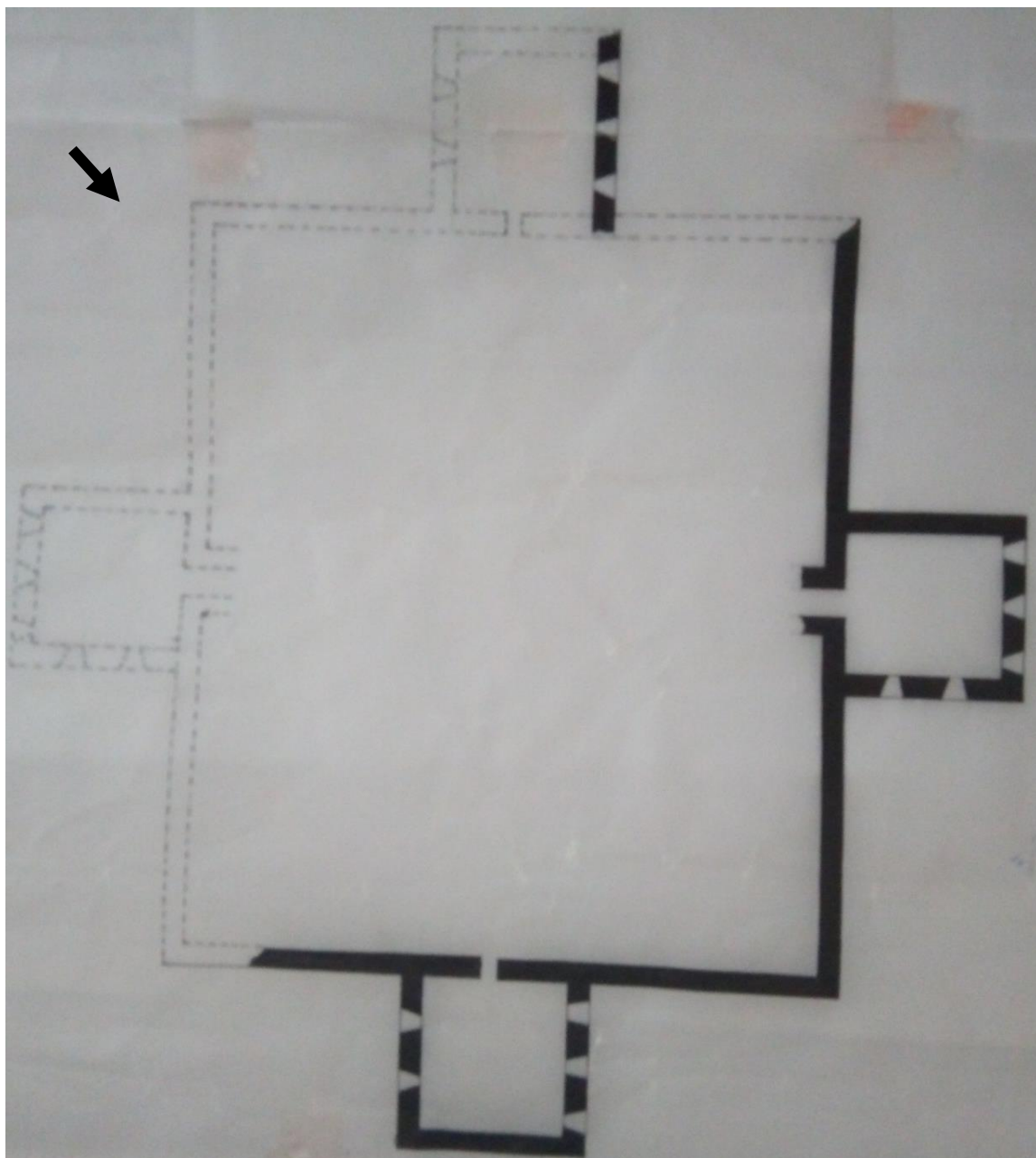
(Mikel De Epalza, Juan Bta.Vilar; **Plans Et Cartes ...**, p.205.)



سلم: 200/1

المخطط رقم 79: برج حمزة بباليك التيطري.

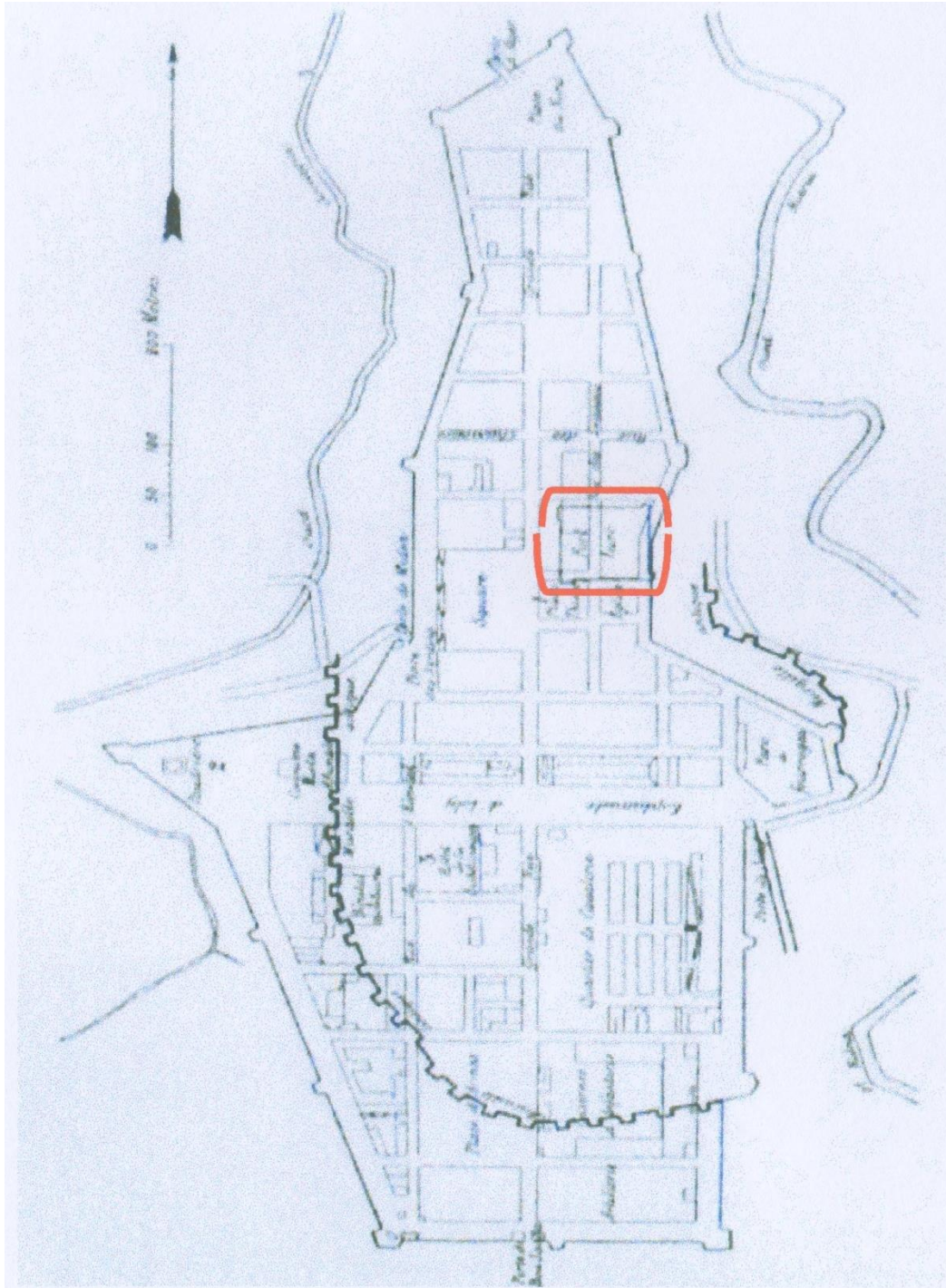
(من عمل الطالب)



سلم: 200/1

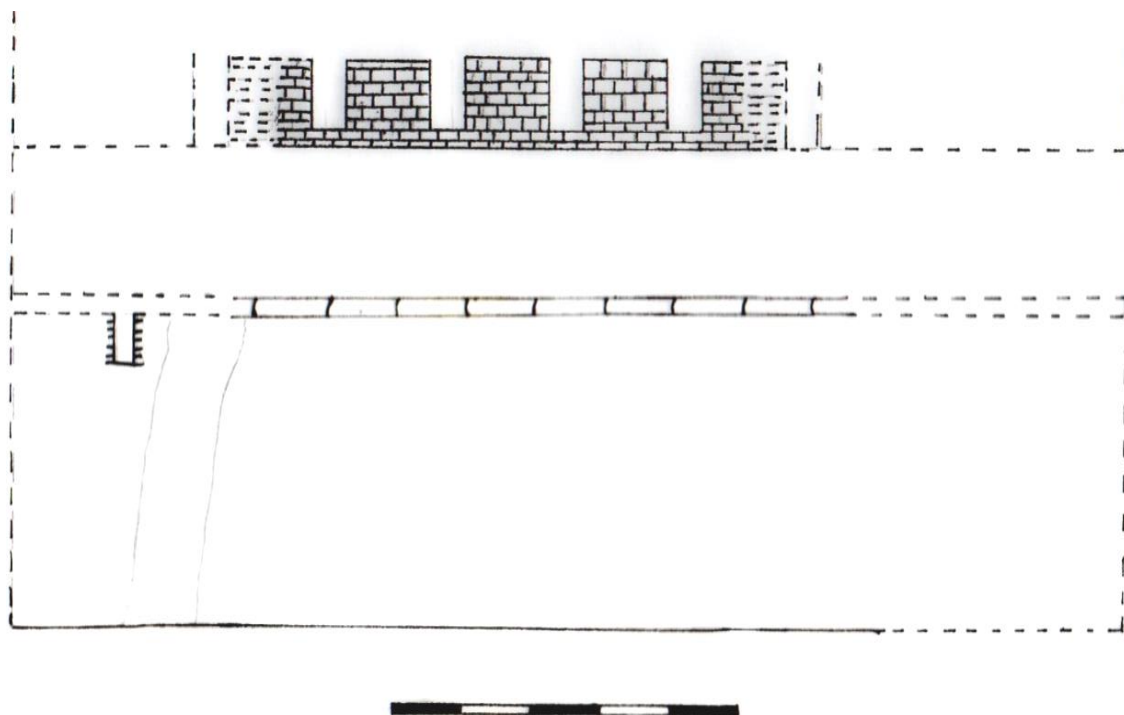
المخطط رقم 80: برج بوغني بباليك التيطري.

(من عمل الطالب)



المخطط رقم 81: موضع برج سور الغزلان من المدينة الفرنسية أو مال .

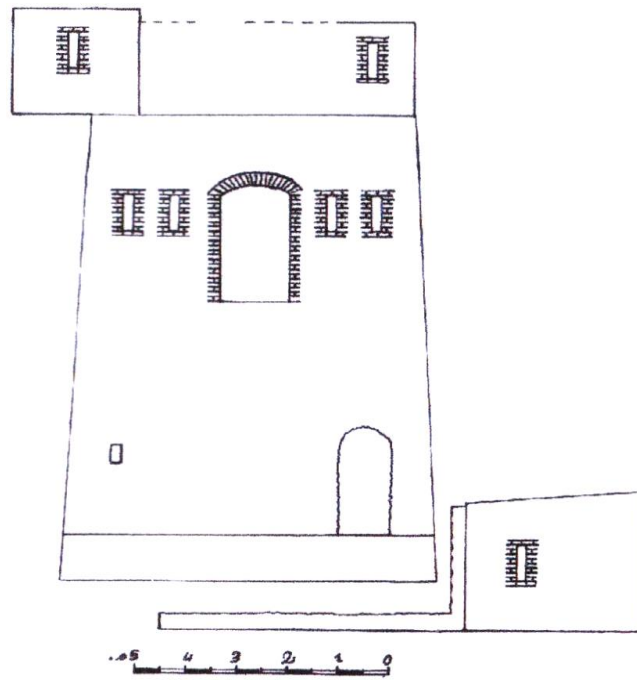
(Gzell St.; Atlas..., Feuillet N°14,p09) بتصرف



سلم: 200/1

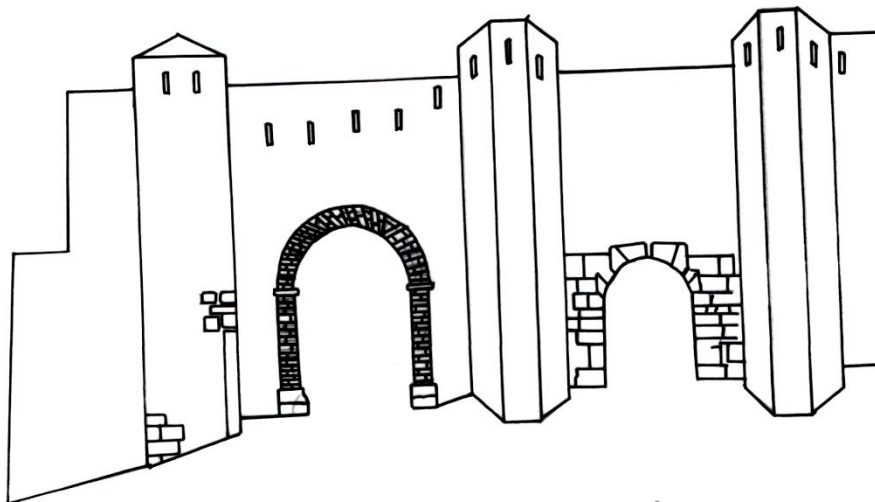
الشكل رقم 01: الواجهة الرئيسية لبرج سباو.

(من عمل الطالب)



الشكل رقم 02: الواجهة الرئيسية لبرج أنابود بمدينة شرشال.

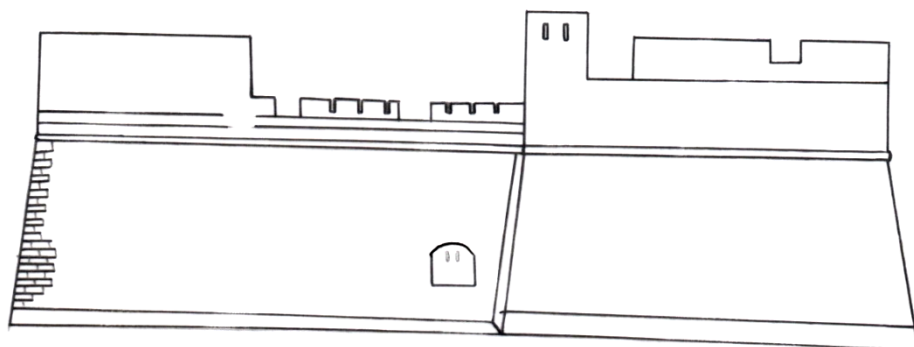
(من عمل الطالب)



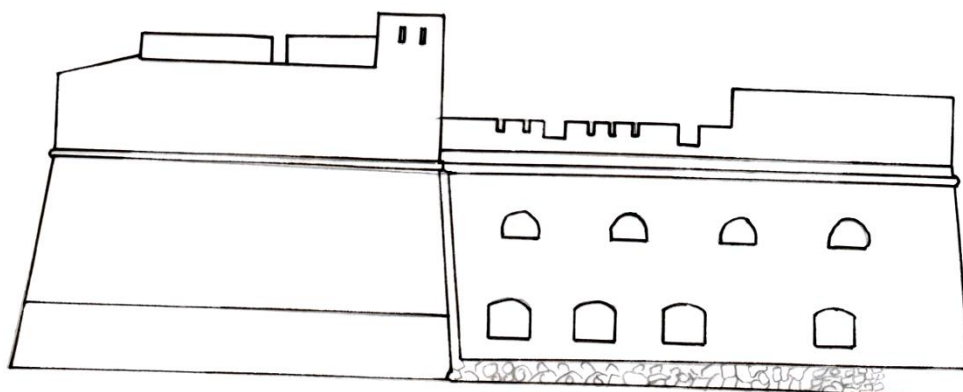
الشكل رقم 03: الواجهة الخارجية لباب الفوة ببجاية

سلم: 100 / 1

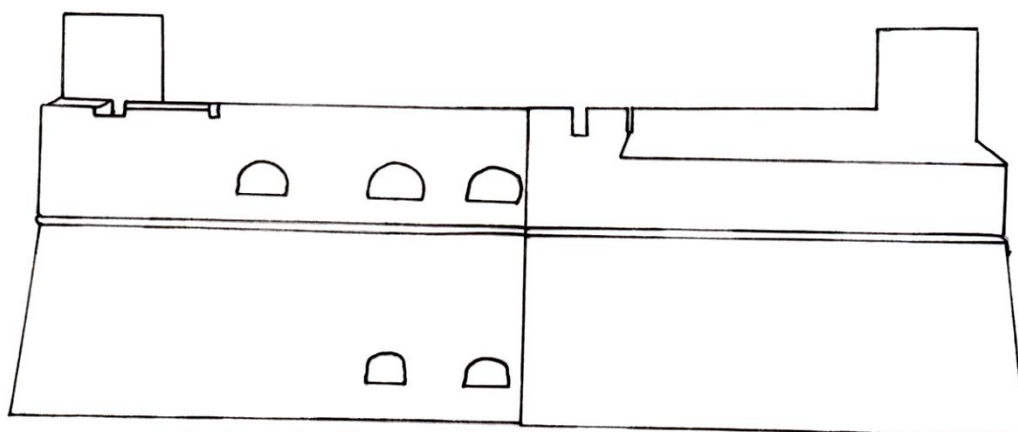
(من عمل الطالب)



الشكل رقم 04: الواجهة الشرقية لبرج موسى ببجاية
سلم: 50 / 1
(من عمل الطالب)



الشكل رقم 05: الواجهة الغربية لبرج موسى ببجاية
سلم: 50 / 1
(من عمل الطالب)



الشكل رقم 06: الواجهة الشمالية لبرج موسى ببجاية
سلم: 50 / 1
(من عمل الطالب)



الصورة رقم 01: نموذج من الشرفات الدائرية الشكل برباط سوسة



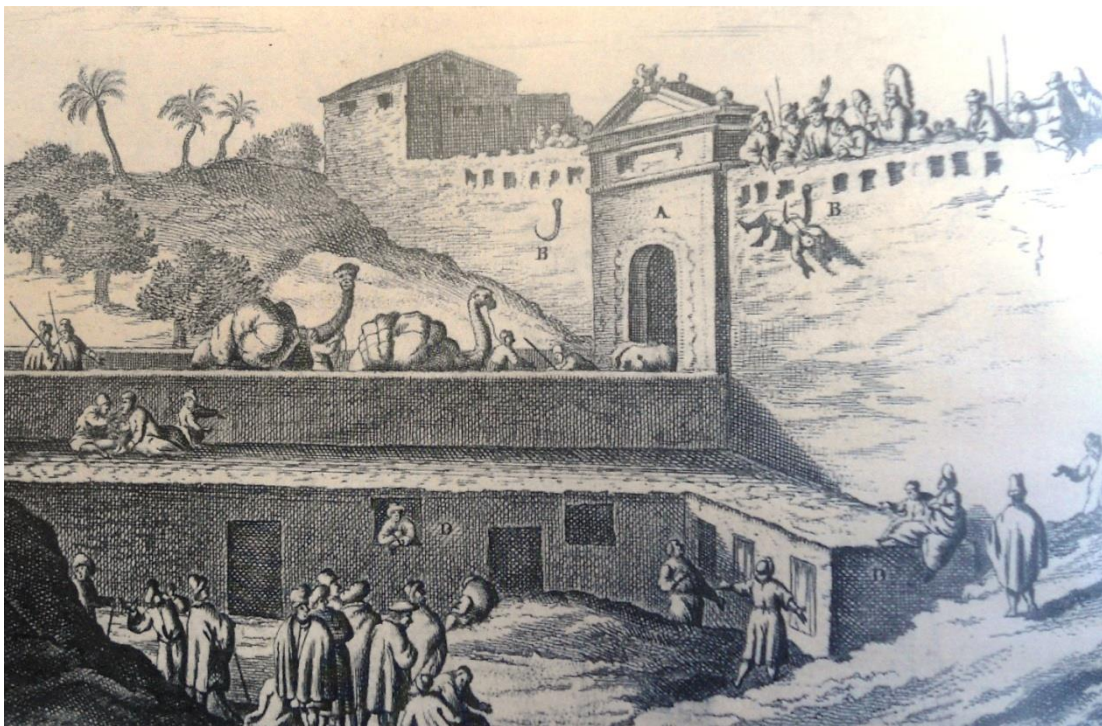
الصورة رقم 02: سقّاطة



الصورة رقم 03: مزغل



الصورة رقم 04: باب الواد بمدينة الجزائر



الصورة رقم 05: باب عزون بمدينة الجزائر



الصورة رقم 06: جانب من السور الساتر ناحية باب عزون بمدينة الجزائر



الصورة رقم 07: بطارية رقم 01 بقصبة الجزائر



الصورة رقم 08: بطارية رقم 02 بقصبة الجزائر



الصورة رقم 09: بطارية رقم 03 بقصبة الجزائر



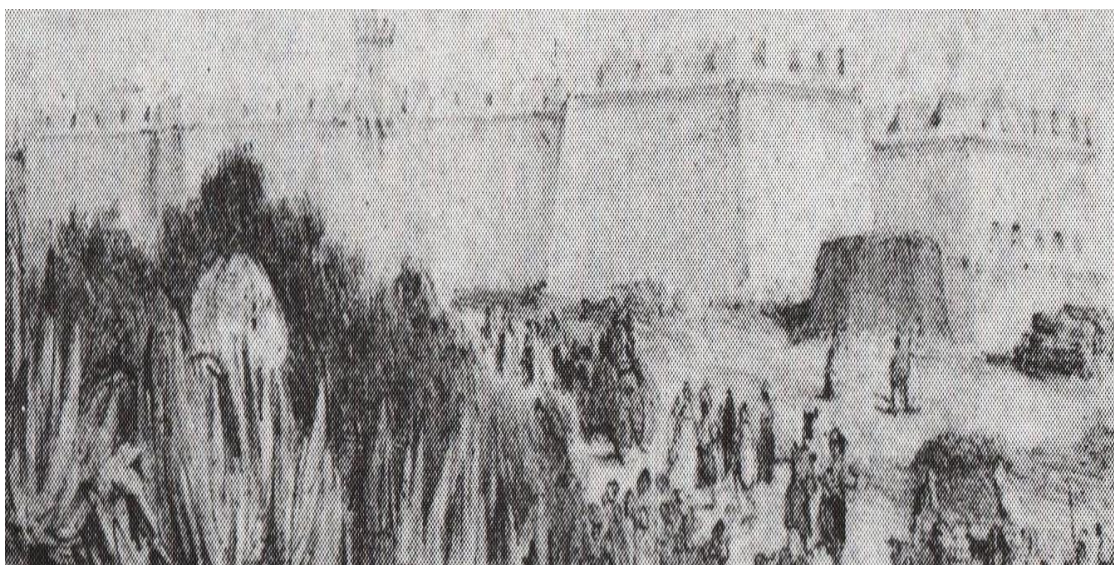
الصورة رقم 10: بطارية رقم 04 بقصبة الجزائر



الصورة رقم 11: بطارية رقم 5 بقصبة الجزائر



الصورة رقم 12: بطارية رقم 7 بقصبة الجزائر



الصورة رقم 13 برج باب عزون بمدينة الجزائر



الصورة رقم 14: برج مولاي حسن بمدينة الجزائر



الصورة رقم 15: دار البارود بقصبة الجزائر



الصورة رقم 16: بقايا جدران برج سباو



الصورة رقم 17: باب القنطرة بمدينة قسنطينة .



الصورة رقم 18: باب الجابية بمدينة قسنطينة .



الصورة رقم 19: باب البحر بمدينة بجاية



الصورة رقم 20: باب الفتوة بمدينة بجاية .



الصورة رقم 21: باب القصبة بمدينة بجاية .



الصورة رقم 22: برج المدومين بعبانة



الصورة رقم 23: باب قصبة عنابة



الصورة رقم 24: برج الخروبة بعنابة



الصورة رقم 25: جانب من أسوار ميله.



الصورة رقم 26: باب البلد بميله



الصورة رقم 27: باب الروس بميلة



الصورة رقم 28: باب الحديد بميلة



الصورة رقم 29: أبراج الواجهة الشمالية لبرج المقراني



الصورة رقم 30: برج حائطي دائري الشكل ببرج المقراني



الصورة رقم 31 مغارة البير بقلعة بني راشد.



الصورة رقم 32: بقايا برج بقلعة بني راشد



الصورة رقم 33: أسوار قلعة بني راشد



الصورة رقم 34: جانب من أسوار قلعة بني راشد



الصورة رقم 35: بقايا برج الجراد بمستغانم



الصورة رقم 36: جانب من بقايا أسوار مدينة معسكر .



الصورة رقم 37: باب القرمديين بتلمسان .



الصورة رقم 38: برج مراقبة بالمشور بتلمسان.



الصورة رقم 39: باب المشور بتلمسان.



الصورة رقم 40: باب التوتية بالمشور



الصورة رقم 41: نموذج للأبراج الحائطية بالمشور.



الصورة رقم 42: مسجد المشور.



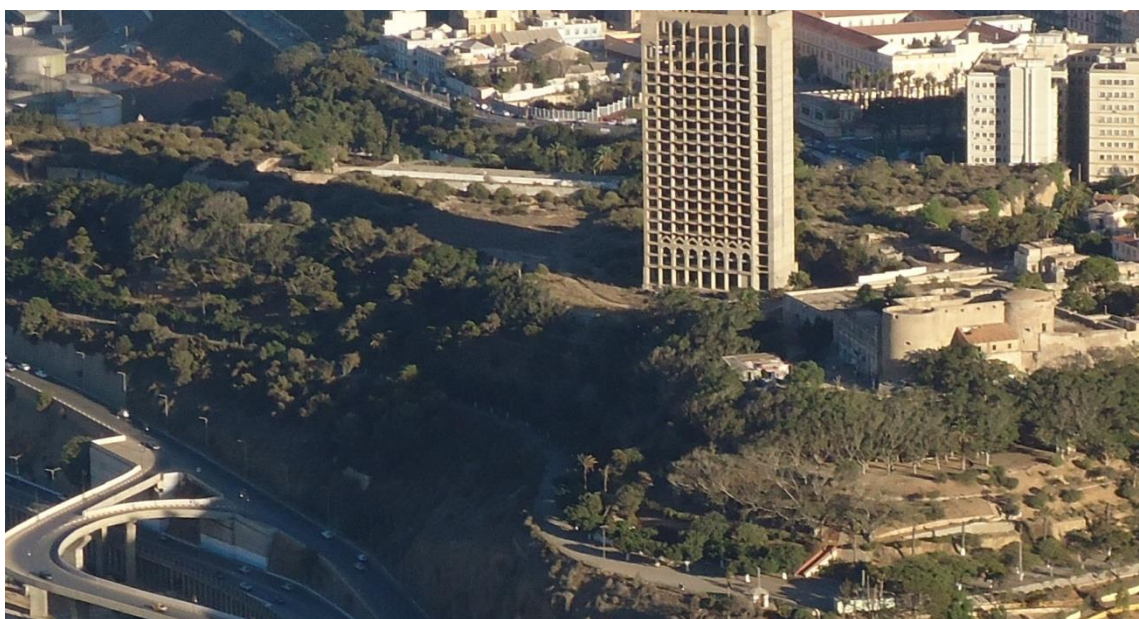
الصورة رقم 43: باب كانيستال بوهران.



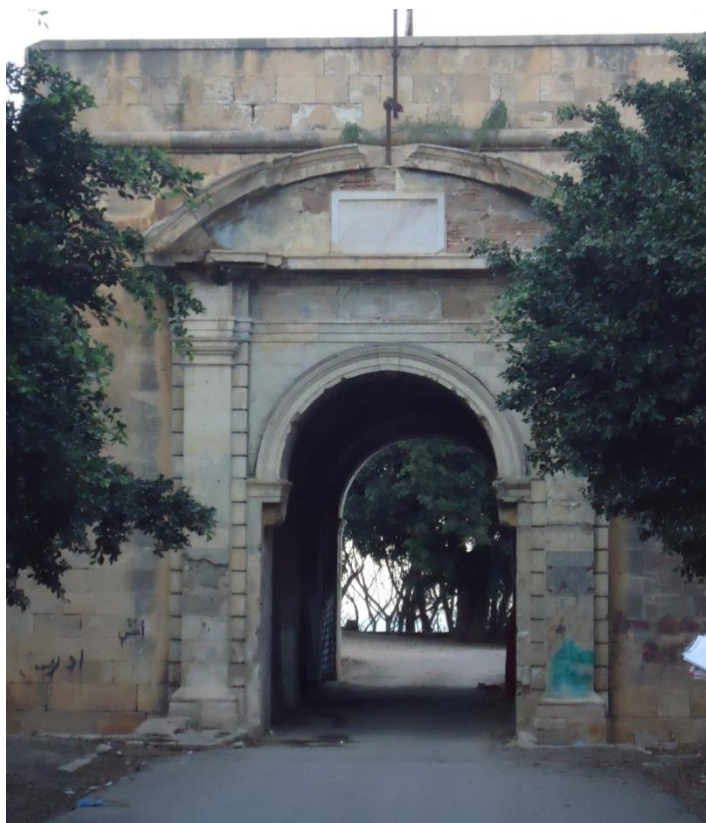
الصورة رقم 44: باب تلمسان بوهران.



الصورة رقم 45: باب سانتون وهران.



الصورة رقم 46: منظر لموضع البرج الأحمر بوهران.



الصورة رقم 47: مدخل البرج الأحمر



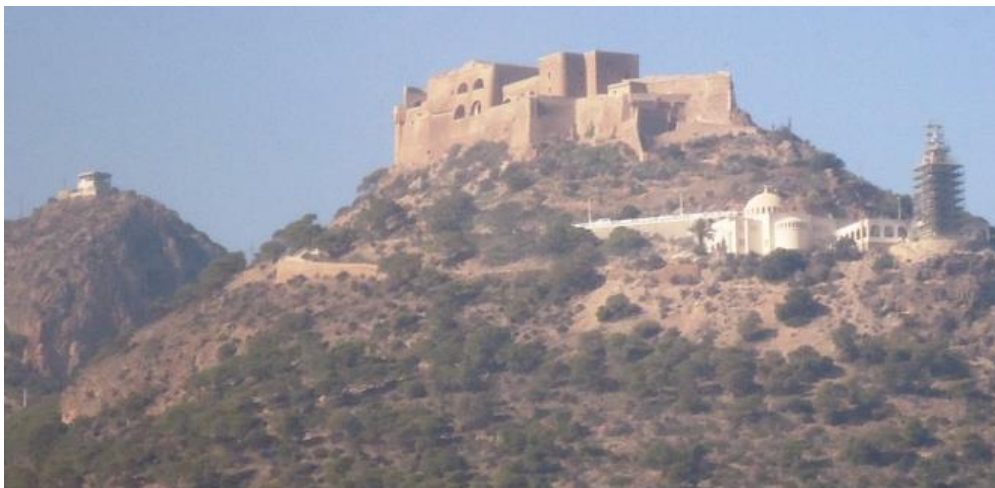
الصورة رقم 48: البرج المريني بالقصر الجديد بوهرا



الصورة رقم 49: الثكنة الإسبانية بالبرج الأحمر.



الصورة رقم 50: نموذج لأنفاق برج الأحمر.



الصورة رقم 51: برج المرجاجو بوهران



الصورة رقم 52 : الموضع الذي كان يشغله برج لامون.



الصورة رقم 53: برج حمزة بالبويرة.

- قائمة المصادر والمراجع :

1/المصادر والمراجع باللغة العربية:

أ/المصادر :

- 1- القرآن الكريم.
- 2- الإدريسي (الشريف)، المغرب وارض السودان ومصر والاندلس، مطبعة بريل، ليدن، 1863.
- 3- ابن أبي الربيع (شهاب الدين أحمد) ، سلوك المالك في تدبير الممالك، تحقيق: عارف أحمد عبد الغني، دار كنان للطباعة والنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، د.ت.
- 4- ابن حوقل النصيبي (أبو القاسم) ، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1992.
- 5- ابن خلدون (أبو زكريا يحيى) ، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق وتقديم وتعليق: عبد الحميد حاجيات، ج1، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 1980.
- 6- ابن ميمون (محمد) ، التحفة المرضية في أخبار الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق، محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
- 7- البكري (أبو عبيد الله) ، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر، د.ت.

- 8- العبدري (محمد البنسي) ، الرحلة المغربية، تقديم: سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة، الجزائر، 2007.
- 9- التلمساني (الحافظ التنسي) ، نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ملوك الدولة الزيانية الجزائرية، تقديم وتحقيق وتعليق: بوطالب محي الدين، منشورات دحلب، د.ت.
- 10- التلمساني (محمد ابن مرزوق) ، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
- 11- التلمساني (أحمد بن هطال) ، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري، حررها وقدمها: د. محمد بن عبد الكريم، ط.1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 2004.
- 12- التمجروتي (محمد الجزولي)، النفحة المسكية في السفارة التركية، تقديم: سليمان الصيد المحامي، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، د.ت.
- 13- التنسي (محمد بن عبد الله) ، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، تحقيق وتعليق: محمود آغا بوعياذ، موفم للنشر، الجزائر، 2011 .
- 14- الجزائري (محمد بن عبد القادر) ، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج1، المطبعة التجارية، الإسكندرية، مصر 1903.
- 15- الجنيرال (رشيد)، رحلة الجنرال رشيد إلى الجزائر سنة 1847، تقديم وتحقيق: الشيباني بن بلغيث، ط.1، مكتبة علاء الدين، صفاقص، تونس، 2007.

- 16- الراشدي (ابن سحنون) ، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم: المهدي البوعبدلي، مطبعة البحث قسنطينة، الجزائر، 1973.
- 17- الراشدي (أحمد بن عبد الرحمن الشقراني) ، القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، ط1، تحقيق وتقديم: ناصر الدين سعيدوني، دار العرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1991.
- 18- الزبيري (محمد العربي) ، مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1973.
- 19- الزياني (أبو القاسم) ، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برّا وبحرا، تحقيق وتعليق: عبد الكريم الفيلاي، دار المعرفة، الرباط، المغرب، 1991.
- 20- الشريف الزهار (أحمد) ، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر، تحقيق: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.
- 21- الشقراني (أحمد بن عبد الرحمن الراشدي)، القول الأوسط في أخبار بعض من حلّ بالمغرب الأوسط، تحقيق: ناصر الدين سعيدوني، ط1، لدار الغرب الإسلامي، لبنان، 1991.
- 22- العسكري (أبو راس محمد بن الناصر) ، الحل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية، تحقيق: سليمة بنعمر، ط1، دار هنين للطباعة والنشر، الجزائر، 2002.

- 23- العياشي (أبو سالم عبد الله بن محمد) ، الرحلة العياشية 1661-1663، تحقيق وتقديم: سعد الفاضلي وسليمان القرشي، مج، 02، ط. 01، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، 2006.
- 24- الفاسي (ابن أبي زرع) ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط، المغرب، 1972.
- 25- الكلونيل (أسكوت)، مذكرات الكلونيل أسكوت عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر 1841، ترجمة وتعليق: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
- 26- المزاري (الأغا بن عودة) ، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق: يحيى بوعزيز، ج1، ط.1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990.
- 27- المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط 03، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، 1991.
- 28- الناصري (محمد بن حنكلي) ، الحيل في الحروب وفتح المدائن، وحفظ الدروب، دراسة وتحقيق : نبيل محمد عبد العزيز أحمد، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، مصر، 2000.
- 29- الوزان (الحسن بن محمد الفاسي)، وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي وآخرون، ج.2، ط.2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1983.

- 30- الوهراني (مسلم بن عبد القادر) ، ذخائر المغرب العربي، تاريخ بايات وهران المتأخر، تحقيق: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.
- 31- باربروس (خير الدين) ، مذكرات خير الدين باربروس، ترجمة: محمد درّاج، ط1، الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.
- 32- بفايفر (سيمون) ، مذكرات جزائرية عشية الاحتلال، ترجمة وتقديم وتعليق: أبو العيد دودو، دار هومة، الجزائر، 2009.
- 33- خوجة (حمدان بن عثمان)، المرأة، تقديم وتعريب وتحقيق : محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006.
- 34- كربخال (مارمول) ، إفريقيا، ترجمة: محمد حجي وآخرون، ج.02، مكتبة المعارف للنشر، الرباط، المغرب، 1989.
- 35- مقديش (محمد) ، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق: علي الزاوي ومحمد محفوظ، مج، 01، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988.
- 36- مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، تحقيق وتقديم: بوزياني الدراجي، مؤسسة بوزياني للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
- 37- مؤلف مجهول، غزوة الطوسكانيين لبونة في سبتمبر 1607 م، تقديم وتعليق: د. سعيد دحماني، ط 1، مؤسسة الرجاء للنشر، قسنطينة، الجزائر، 2013.
- 38- هابنسترايت (ج. أو.) ، رحلة العالم الألماني ج.أو. هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ/1732م)، ترجمة وتعليق: ناصر الدين سعيديوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، د.ت.

39- هاينريش (فون مالتسان)، ثلاث سنوات في شمال غرب إفريقيا، ترجمة: أبو العيد دودو، ج 1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د.ت.

ب/ المراجع:

1- أحمد رجب (محمد علي)، قلاع وحصون وأسوار وبوابات المدن الأثرية الإسلامية في الهند، ط1، الدار المصرية اللبنانية، 2009.

2- أحمد فهم (محمود نديم) ، الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي البحري 648، 783 - 1250-1383، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1983.

3- البوعبدلي (الشيخ المهدي) ، تاريخ المدن، جمع وإعداد عبد الرحمن دويب، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

4- آلتر (عزيز سامح) ، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة: محمود علي عامر، ط.1، دار النهضة العربية، 1989.

5- الجهيني (محمد) ، إطلالة على العمارة الحربية في شرق العالم الإسلامي عبر العصور، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، 2007.

6- الحسن (أحمد يوسف) ودونالد (هيل)، التقنية في الحضارة الإسلامية، ترجمة: صالح خالد ساري، مكتبة الفلاح، د.ت.

7- الدراجي (بوزيان) ، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993.

- 8- الدشراوي (فرحات) ، الخلافة الفاطمية بالمغرب 296-365هـ/909-975م، ترجمة: حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1994.
- 9- الدولاتي (عبد العزيز) ، مدينة تونس في العهد الحفصي، دار سيراس للنشر، تونس، 2002.
- 10- الرباط (ناصر) ، عسكرة التعبير الفني في الشرق الإسلامي القروسطي، رياض الرايس للكتب والنشر، بيروت، لبنان، 2002.
- 11- الزبيري (محمد العربي) ، الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
- 12- العربي (اسماعيل) ، المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- 13- العربي (اسماعيل) ، دولة الأدارسة ملوك تلمسان وفاس وقرطبة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983.
- 14- العسلي (بسام) ، خير الدين بربروس والجهاد البحري 1470-1547، ط02، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1983.
- 15- المجالي (سحر عبد المجيد مناور) ، تطور الجيش العربي في الأندلس، 138-422هـ/756-1031م، ط1، عمان، الأردن، 1995.
- 16- المدني (أحمد توفيق) ، محمد بن عثمان باشا داي الجزائر، 1766-1791، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

- 17-المدني (أحمد توفيق) ، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792، ط.03، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- 18- المومني (سعد محمد) ، القلاع الإسلامية في الأردن الفترة الأيوبية، المملوكية، ط1، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1988.
- 19- المياركفوري (صفي الرحمن) ، الرحيق المختوم، ط1، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2003.
- 20- الملي (محمد مبارك) ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح: محمد الملي، ج. 3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964.
- 21- الهادي روجي (إدريس) ، الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقيا في عهد بني زيري من القرن 10 إلى 12 م، ترجمة: حمادي الساحلي، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1992.
- 22- برنشفيك (روبار) ، تاريخ إفريقيا في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15 م، ج1، ترجمة: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1988.
- 23- بلحميسي (مولاي) ، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ط، ش.و.ن.ت. 1981.
- 24- بن حموش (مصطفى) ، فقه العمران الإسلامي من خلال الأرشيف العثماني الجزائري، ط1، دار البحوث للدراسات الإسلامية، دبي، الامارات العربية، 2000.
- 25- بن داهة (عدّة) ، معسكر عبر التاريخ، ط. 01، دار الخلدونية، الجزائر، 2005.

- 26- بن قربة (صالح وآخرون)، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.
- 27- بورويبة (رشيد) ، الجزائر في التاريخ، العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني، ج.03 المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- 28- بوعزيز (يحيى) ، وهران، المؤسسة الوطنية للفنون ، الجزائر، 1985.
- 29- تيتاو (حميد) ، الحرب والمجتمع بالمغرب خلال العصر المريني 609-869هـ/ 1212-1465م، منشورات عكاظ، المغرب، 2010.
- 30- جندلي (محمد ابن ابراهيم) ، عنابة في سياق التاريخ وعمق الجغرافيا، ط.1، مطبعة المعارف، عنابة، الجزائر، 2007.
- 31- حاج صادق (محمد) ، مليانة ووليها سيدي أحمد بن يوسف، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989.
- 32- خلاصي (علي) ، قصبة مدينة الجزائر، ج1، ط1، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.
- 33- خلاصي (علي)، القلاع والحصون في الجزائر، مطبعة الديوان، الجزائر، 2008.
- 34- درّاج (محمد) ، الدخول العثماني إلى الجزائر، ط.1، الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.

- 35- درياس (الخضر)، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، ط. 1، دار الحضارة ، الجزائر، 2007.
- 36- ديفولكس (ألبارت) ، خطط مدينة الجزائر من خلال مخطوط ديفولكس والأرشيف العثماني، ترجمة وتحقيق، مصطفى بن حموش وبدر الدين بلقاضي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية، 2004.
- 37- سالم (عبد العزيز) و العبادي (أحمد مختار) ، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1969.
- 38- سبنسر (وليم) ، الجزائر في عصر رياس البحر، تعريب وتعليق: عبد القادر زبادية، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1980.
- 39- سعد الله (أبو القاسم) ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 5، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998.
- 40- سعيدوني (ناصر الدين) ، النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية 1800-1830، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.
- 41- سعيدوني (ناصر الدين) ، دراسات أندلسية، ط 01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2003.
- 42- سعيدوني (ناصر الدين) و البوعبدلي (الشيخ المهدي) ، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، ج.4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

- 43- سويد (ياسين) ، الفن العسكري الإسلامي أصوله ومصادره، ط3، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 2010.
- 44- سيف (علي سعيد) ، مآذن مدينة صنعاء حتى نهاية القرن الثاني عشر الهجري، الثامن عشر الميلادي، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، اليمن، 2004.
- 45- شارل (أندري جوليان)، تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة، ج2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1985.
- 46- شافعي (فريد) ، العمارة العربية في مصر، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، مصر، 1970.
- 47- شاکر (مصطفى) ، المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، ج1، ط2، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق، سوريا، 1997.
- 48- عاطف (منصور محمد رمضان) ، النقود الإسلامية وأهميتها في دراسة التاريخ والآثار والحضارة الإسلامية، ط1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، 2008.
- 49- عبد الفتاح (صفاء حافظ) ، الموانئ والثغور الإسلامية من الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الفاطمي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1986.
- 50- عثمان (عبد الستار)، المدينة الإسلامية، عالم المعرفة، الكويت، 1988.
- 51- عروسي (لسمر) ، أسرار البلاد في الدولة الإسلامية، العنف السياسي والعقاب المالي، ق: 04-06هـ، إفريقيا الشرق، المغرب، 2015.

- 52- عوض (عادل رفقي) و أبو العلا (محمد توفيق) ، هندسة المدن وعلوم البيئة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 2003.
- 53- عزب (خالد) ، أسوار وقلعة صلاح الدين، ط1، مكتبة زهراء الشرف، مصر، 2006.
- 54- كحّالة (عمر رضا) ، الفنون الجميلة في العصور الإسلامية، المطبعة التعاونية بدمشق، سوريا، 1972.
- 55- كونل (أرنست) ، الفن الإسلامي، ترجمة : أحمد موسى، دار صادر، بيروت، لبنان، 1966.
- 56- لوطورنو (روجي) ، فاس قبل الحماية، ترجمة: محمد حجّي ومحمد الأخضر، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992.
- 57- ليوبولدوتورس (بالباس)، المدن الإسبانية الإسلامية، ترجمة: دورو دي لابنيا، ط1، 2003.
- 58- مارسلي (وليم وجورج) ، المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان، تقديم وترجمة مراد بلعيد وآخرون، ط1، الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.
- 59- محرز (أمين) ، الجزائر في عهد الأغوات (1659.1671)، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.
- 60- محمد (حسن)، المدينة والبادية بإفريقيا في العهد الحفصي، ج.1، تونس، 1999.

- 61- محمد الصلابي (علي محمد) ، السيرة النبوية، عرض وقائع وتحليل أحداث، ج2، ط.7، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، 2015.
- 62- مسلم (إليان وآخرون)، القصة الهندسة المعمارية وتعمير المدن، ط 1، ديوان رياض الفتح، الجزائر، 1985.
- 63- مقييس (بشير) ، مدينة وهران دراسة في جغرافية العمران، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.
- 64- نشاط (مصطفى) ، السجن والسجناء، مطبعة التومي، 2012.
- 65- وزير (يحيى) ، العمران والبنيان في منظور الإسلام، ج1، ط1، روافد، الكويت، 2008.

ج/ الموسوعات والمعاجم :

- 1- الدجال (خالد بن يزيد)، الخندق، دائرة المعارف الاسلامية، ج.15، ط.01، مركز الشارقة للابداع الفكري، الامارات العربية، 1998.
- 2- عاصم (محمد رزق)، معجم مصطلحات العمارة والفنون الاسلامية، القاهرة، مصر، 2000.
- 3- علي حكيم (الحسن)، الحصار، دائرة المعارف الاسلامية، ج.13، ط.01، مركز الشارقة للابداع الفكري، الامارات العربية، 1998.
- 4- علي حكيم (الحسن)، الحصن، دائرة المعارف الاسلامية، ج.13، ط.01، مركز الشارقة للابداع الفكري، الامارات العربية، 1998.

5- قاجة (جمعة احمد)، موسوعة فن العمارة الإسلامية، ط.01، مطابع السفير التجارية، لبنان، 2000.

د/ الرسائل الجامعية:

1- بلجوزي (بوعبد الله) ، آثار وعمران حواضر بايليك الغرب في العهد العثماني، أطروحة دكتوراه العلوم في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، الجزائر، 2012-2013.

2- بلجوزي (بوعبد الله) ، دراسة لنماذج من العمارة العثمانية في مدينة مستغانم، رسالة لنيل هادة ماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، الجزائر، 2005-2006.

3- بوتشيشة (علي) ، العمارة الدينية والمدنية بمدينة وهران خلال العهد العثماني، أطروحة لنيل دكتوراه العلوم في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2015-2016.

4- بوتشيشة (علي) ، المنشآت المعمارية للباي محمد الكبير بمدينة وهران (1779-1799)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2008-2009.

5- بوطبة (محفوظ) ، دراسة أثرية لنماذج من العمارة العثمانية في مدينة شرشال، معهد الآثار، جامعة الجزائر-2، الجزائر، 2008-2009.

- 6- دحدوح (عبد القادر) ، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2009-2010.
- 7- شوشان (الأسعد) ، الموانئ والمراسي بالمغرب الأوسط خلال الفترة الوسيطة، رسالة لنيل شهادة الماجستير في علوم التراث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس، تونس، 2009-2010.
- 8- عزوق (عبد الكريم) ، المعالم الأثرية الإسلامية ببجاية ونواحيها، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، الجزائر، 2007-2008.
- 9- عشي (علي) ، التوجه البحري للمغرب الأوسط وأثره في طرق التجارة والمواصلات(2-10هـ / 8-16م)، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة باتنة، الجزائر، 2016-2017.
- 10- لعريبي (مجاهد) ، الحزام الدفاعي لمدينة الجزائر في الفترة العثمانية، برج الكيفان نموذجاً، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2008-2009.

- 11- ميمن (داود) ، الثكنات الانكشارية بمدينة الجزائر، الثكنة العليا والسفلى نموذجا،
مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، الجزائر،
2008.

ه/ المقالات:

- 1- السراج (رافعة سعيد حسين) ، « شعر السجون في العصر الأموي »، مجلة آفاق
الثقافة والتراث، العدد : 44، جامعة الماجد للثقافة والتراث ، الإمارات العربية ، 2003.
- 2- الباهي (أحمد)، « المحرس في العصر الوسيط بين المشرق والمغرب »، المجلة
التونسية للتاريخ العسكري، العدد: 03، تونس، أكتوبر 2011 ص ص. 05-15.
- 3- الزركاني (خليل) ، « فقه العمران الإسلامية »، مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد:
55، جامعة ماجد للثقافة والتراث، الامارات العربية، أكتوبر 2006 ص ص. 164-191.
- 4- السوداني (عبد الله عبد الرحيم) ، « أسوار بغداد »، مجلة المورد، العدد: 04،
الجمهورية العراقية، 1979 ص ص. 39-59.
- 5- الشكيل (علي جمعان) ، « القذائف والأسلحة النارية في الحضارة الإسلامية »،
مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد: 42، جامعة الماجد للثقافة والتراث، الامارات العربية،
2003.

- 6- الشیخی (صباح إبراهيم) ، « الإستراتيجية الحربية العربية في بلاد المغرب في القرن الخامس للهجرة والحادي عشر الميلادي »، مجلة المورد، العدد: 04، الجمهورية العراقية، 1983. ص ص. 73-78.
- 7- العربي (إسماعيل) ، «حكومة الأمير عبد القادر، إدارتها ومهامها»، مجلة الثقافة، العدد: 75، الجزائر، ماي - جوان 1983. ص ص. 219-227.
- 8- القفصي (عبد الحكيم سلامة) ، « برج الديوان ومحيطه بغار الملح بين 1828-1875 من خلال وثيقة جديدة » مدونة الآثار العثمانية، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 2005. ص ص. 45-57.
- 9- القهواتي (حسين محمد) ، «حملة السلطان سليمان القانوني على بغداد عام 1534م» مجلة المورد، العدد 04، الجمهورية العراقية، 1979. ص ص. 73-78.
- 10- المرابط (رياض) ، « دور المساجد في تشكل النظام الدفاعي المحلي بجزيرة جربة إلى نهاية العصر الوسيط »، المجلة التونسية للتاريخ العسكري، العدد: 03، تونس، 2011. ص ص. 17-24.
- 11- الهيتي (صبري فارس) ، « تخطيط مدينة بغداد »، مجلة المورد، العدد : 04، الجمهورية العراقية، 1979. ص ص. 9-20.

- 12- بلجوزي (بوعبد الله) ، «التحصينات الدفاعية في مدينة معسكر في العهد العثماني، دراسة تراثية، ج. 02، العدد: 05، مخبر البناء الحضاري، جامعة الجزائر 02، الجزائر، 2014. ص ص. 359-384.
- 13- بن حمو (محمد) ، "التحصينات العسكرية لمدينة هنين"، دراسات تراثية، ج 02، العدد: 05، مخبر البناء الحضاري، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2014. ص ص. 48-74.
- 14- بن حموش (مصطفى) ، « التشريع العمراني والمعماري في العهد العثماني» أعمال المؤتمر العالمي الرابع لمدونة الآثار العثمانية، مؤسسة التميمي للبحث العلمي، تونس، 2001.
- 15- بورابة (لطيفة) ، «الحصون الأولى بمدينة الجزائر العثمانية» ، دراسات تراثية، العدد : 4. مخبر البناء الحضاري، جامعة الجزائر 2-، الجزائر. 2014. ص ص. 280-301.
- 16- بورويبة (رشيد) ، « الطراز الموحي ومشتقاته، الحفصي، المريني، الزياني والنصري »، عن كتاب الفن العربي الإسلامي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1995.
- 17- بورويبة (رشيد) ، « القلاع والحصون والمؤسسات العسكرية التي أنشأها الأمير» ، مجلة الثقافة، العدد: 75، وزارة الثقافة، الجزائر، ماي-جوان 1983. ص ص. 87-101.

- 18- بوزرينة (سعيد) ، «التحصينات العسكرية الجزائرية المؤرخة بالكتابات الأثرية خلال العهد العثماني» دراسات تراثية، ج 2، العدد: 05، مخبر البناء الحضاري، جامعة الجزائر 2، الجزائر. ص ص.413-434.
- 19- خلف (محمد نجيب) «الأربطة» ، مجلة آثار، العدد: 06، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2007. ص ص.90-99.
- 20- دحدوح (عبد القادر) ، « منطقة تيسمسيلت بين المحطات التاريخية والمواقع الأثرية »، مجلة آثار، العدد: 08، دار المالكية، الجزائر، 2009. ص ص.121-149.
- 21- رزقي (فهيمة) ، « الاستحكامات العسكرية بمدينة عنابة، حصن المعذبين، أنموذجاً »، دراسات تراثية، ج 2، العدد: 05، مخبر البناء الحضاري، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2014. ص ص.436-448.
- 22- سالم (عبد العزيز) ، " سياسة صلاح الدين الدفاعية عن مصر في البر والبحر ضد قوى الصليبيين "، مجلة التاريخ العربي، العدد: 02، الرباط، المغرب، 1997.
- 23- سعيداني (محفوظ) ، « القوى المحلية ودورها في تثبيت الحكم العثماني في بلاد المغرب (ق18-19م) »، دراسات تراثية، العدد: 05، جامعة الجزائر 2-، الجزائر، 2014. ص ص.449-476.
- 24- سعيدوني (ناصر الدين) ، «النظام المالي الضرائبي للأمير عبد القادر» ، مجلة الثقافة، عدد 75، الجزائر، ماي-جوان، 1983. ص ص.123-132.

25- شريف (عبد القادر) ، « التحصينات العسكرية في المغرب الإسلامي »، دراسات تراثية، العدد: 05، مخبر البناء الحضاري، جامعة الجزائر-2، الجزائر، 2014.ص
ص.259-279.

26- طيان (شريفة) ، « النحاسيات في الجزائر خلال العهد العثماني » مجلة الآثار ،
العدد 08، معهد الآثار، جامعة الجزائر-2- الجزائر. 2009.ص.197-210.

27- عبد النعيم (أسامة طلعة) ، « ملامح تخطيط المدخل المنكسر في العمارة الدفاعية
بين مصر والغرب الإسلامي فيما بين القرنين الخامس والسابع الهجريين (11-13م) »
أعمال الندوة العلمية الاولى لجمعية الآثار بين العرب، القاهرة، مصر، 1999.

28- عروة (نجاهة أحمد) ، « تأملات حول مفاهيم مصطلحات، وخطة الوقاية من
المخاطر الطبيعية في التراث العمراني الإسلامي » ، مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد:
73، جامعة الماجد للثقافة والتراث، الامارات العربية، مارس 2011.ص.151-168.

29- عمارة (علاوة) ، « التطور العمراني والتجاري لمدينة بجاية في العصر الإسلامي
الوسيظ »، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، العدد: 26،الجزائر،
2008.ص.227-244.

30- غازي (محمد رجب) ، « البناء في الماء العصر الوسيط »، مجلة آفاق الثقافة
والتراث، العدد: 52، جامعة الماجد للثقافة والتراث، الامارات العربية، 2006.ص
ص.131-137.

- 31- قرقوتي (حنان إبراهيم)، «صناعات في التراث الإسلامية»، مجلة آفاق الثقافة، العدد: 44، جامعة الماجد للثقافة والتراث، الامارات العربية، 2003. ص ص. 136-163.
- 32- محرور (قاسي)، «الجزائر والصدمة الاستعمارية، تقلبات وتغيرات»، من كتاب: القصة الهندسة المعمارية وتعمير المدن، ديوان رياض الفتح، الجزائر، 1985. ص ص. 31-39.
- 33- مسلم (ليليان)، «جدول باسماء الشوارع والازقة في الوقت الحاضر وفي عهد الاحتلال الفرنسي وقبل سنة 1830»، من كتاب القصة الهندسة المعمارية وتعمير المدن. ديوان رياض الفتح. الجزائر. 1985. ص ص. 163-179.
- 34- مسلم (ليليان)، «الجزائر نشأة المدينة وتطورها قبل سنة 1830»، من كتاب: القصة الهندسة المعمارية وتعمير المدن، ديوان رياض الفتح، الجزائر، 1985. ص ص. 19-23.
- 35- نقادي (سيدي محمد)، «وظائف أسوار مدينة تلمسان العتيقة»، دراسات تراثية، ج1، العدد: 05، مخبر البناء الحضاري، جامعة الجزائر-2، الجزائر، 2014. ص ص. 345-355.
- 36- معزوز (عبد الحق)، «مدينة ميلة الإسلامية بين النصوص التاريخية والآثار المادية»، دراسات تراثية، العدد: 02، مخبر البناء الحضاري، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2008. ص ص. 195-215.

2- المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

أ/ المصادر:

- 1- Ali Efendi(Ben Hamden Ben Otsman Khodja), **Souvenirs d'un voyage d'Alger à Constantine**, Metz, France, S.D.
- 2- Chevalier d'Avrieux ; **Mémoire de Chevalier d'Avrieux**, T.05., paris, S.D.
- 3- Dr. Shaw; **Voyage dans la Régence d'Alger**, Traduit par: Mac Carthy, Paris, France, 1830.
- 4-Fray Deigo (De Haedo) ; **Histoire des rois d'Alger**, traduite et annotée : H.D. de Grammont, Adolphe Jourdan, Alger, 1881.
- 5- Fray Diego (De Haedo); **Topographie et histoire générale D'Alger**, Traduit de l'espagnol par : Dr. Monnereau et A. Berbrugger, 1870.
- 6- klein (Henn) ; **Feuillets d'El- Djezair**, T. 01, 26 édition du Tell, Alger, 2003.
- 7- Rozet et Carette ; **L'Algérie**, Paris, France, 1850.
- 8- Peyssonel et Desfontaines ; **Voyages dans la régence de Tunis et d'Alger**, T.01, Librairie de Gide, Paris, 1838.

ب/ المراجع:

- 1- Alloula (Malek) ; **Alger photographiée au XIX siècle**, édition Rais, Alger, 2001.
- 2 - Assari (Nadir); **Alger un passé à la carte** , édition Dalimen, S.D.
- 3 - Baurd (Paul); **A travers l'Algérie**, Paris, France, 1880.
- 4-Belhamissi (Moulay) ; **Marine et marins d'Alger 1518-1830**, T.02, Bibliothèque Nationale d'Algérie, Algérie 1996
- 5- Ben Mansour (Abd Elhadi); **Alger XVI- XVII siècle**, Les éditions du Cerf, Paris, France, 1998.
- 6- Berard (Victor); **Indicateur général de l'Algérie**, 03 édition, Bastide, libraire- éditeur, Paris, France, 1867.

- 7- Berbrugger (Adrien); **Les époques militaires de la Grande Kabylie**, Paris, 1857.
- 8- Bonnafont ; **Géographie Médicale D'Alger et de ses environs**, Algérie, 18399-
- 9- Bouruiba (Rachid) ; **L'architecture militaire de L'Algérie**, O.P.U., 1983.
- 10- Colin (Gabriel); **Corpus des inscriptions arabes et turques de L'Algérie**, Ernest Leroux, Paris, France, 1901.
- 11- Daumas ; **La Grande Kabylie**, Libraires de l'Université Royale de France, Paris, France, 1847.
- 12- Delamare ; **Exploration scientifique de l'Algérie pendant les Année 1840- 1842**, T.01, Imprimerie Royale, Paris, France, S.D.
- 13-Dédie (L.); **Histoire d'Oran**, Imprimerie Jeanne D'Aro, Oran, Algérie, 1927.
- 14- Fey (Henri-Léon); **Histoire D'Oran, avant, pendant et après la domination espagnole**, Adolphe Perrier, Algérie, 1858.
- 15-Golvin (Lucien); **Palais et demeures d'Alger à la période Ottomane**, EDISUD, Paris, 1988.
- 16- Gsell (Stéphane); **Cherchell antique, Iol Césarea**, Paris, 1952.
- 17- Gsell (Stéphane); **Les monuments antiques de L' Algérie**, T. 01, Ancienne Librairie Thorine et Fils, Paris, France, 1901.
- 18- Lespés (René) ; **Oran, étude de géographie et d'histoire urbaine**, Librairie Félix Alcan, 1930.
- 19- Lionel (Jules) ; **Kabylie du Djurdjura**, Ernest Leroux, Paris, S.D.
- 20- Marçais (Georges); **Villes et campagnes d'Algérie**, Editions du Tell, Algerie, 2004.
- 21 - Mercier (Ernest); **Histoire de Constantine**, Constantine, Algérie, 1903.
- 22- Mercier (Ernest); **Histoire de L'Afrique Septentrionale**, T.03, Paris, France, 1868.
- 23- Mikel de Epalza, vilar Jean Bta ; **Plans et cartes hispaniques de l'Algérie XVI^{ème} – XV III^{ème} siècle**, Institut Hispano-Arabe de Culture, Madrid, Espagne, 1988.

- 24- Missoum (Sakina); **Alger à l'époque ottomane, la madina et la maison traditionnelle**, INAS., Alger, 2003.
- 25- Nettement (Alfred); **Histoire de la Conquête d'Alger**, Librairie Jacques le Coffre, 1867.
- 26- Piesse (Louis) ; **Alger et ses environs**, librairie Hachette et C., Paris, France, 1897.
- 27- Piesse (Louis) ; **Itinéraire de L'Algérie**, Librairie Hachette, Paris, France, 1982.
- 28- Péllissier (E.) ; **Annales Algériennes**, T.01, Paris, France, 1836.
- 29- Quetin (E.); **Guide du Voyageur en Algérie**, Seconde Edition, Paris, France, 1848.
- 30- Rang(Sander); **Fondation de La Régence d'Alger**, T.02, Paris, France,1837.
- 31- Ravoisé (Amable); **Exploration scientifique de l'Algérie 1846-1850**, Firmin Didot Frères, Paris, France, S.D.
- 32- Ravoisié (Amable) ; **Exploration scientifique de L'Algérie pendant les années 1840, 1841, 1842**, Paris, France ,S.D.
- 33-Reclus,Onésime ; **Sites et Monuments, Algérie (Alger-Constantine- Oran)**, Touring- Club de France, 1902.
- 34- Régis (Louis); **Constantine voyages et séjours**, Calmann Lévy, Paris, France, 1880.
- 35- Robert (Georges) ; **Voyage à travers l'Algérie**, Imprimerie de C. Roucier et C, Paris, France, 1891.
- 36-Saadaoui (Ahmed) ; **L'architecture maghrébine à l'époque ottomane et ses rapports avec le monde méditerranée et ottomane**, Tunisie,S.D.
- 37- Saidouni (N.) ; **l'Algérois rural a la fin de l époque ottomane (1791-1830)**, Dar-El-Gharb Al-Islami, Beyrouth, 2001.
- 38-Thiboud-Landriot ; **Notice statique et historique sur le Royaume et la ville D'Alger**, France, 1830.
- 39-Vincent (Yves Boutin) ; **Aperçu historique, statistique et topographique sur l'Etat D'Alger**, 2^{ème} édition, Paris, France, 1830.

ج/ الرسائل الجامعية:

- 1- Abd Erahim (Naima); **Essai de restitution de l'histoire urbaine de la ville de Bejaia**, Mémoire de Magistère, Epau., Alger, 2002.
- 2- Bellahsene (Tarik); **la Colonisation en Algérie**, T.01, Thèse pour obtenir le grade de docteur, Université Paris 8, France, 2006.
- 3- Ferhat Bendaoud (Radja Halima); **Etude de l'architecture militaire**, Mémoire de magister, Epau., Alger, 1999-2000.
- 4- Taleb (Salima); **Les Villes algériennes au Moyen Age VII^{eme} - XV^{eme} Siecle : Bone- Cherchell- Constantine- Tébessa- Tlemcen**, Mémoire de Magistère, Epau., Alger, 1986.

د/ المقالات:

- 1- A.De Poudraguin ; « **L' Edough** », in : R. de Constantine, Année 1898.pp.117-209.
- 2- A. Maitrot de la Motte-capron ; « **La prise de Constantine par les Arabes d'Orient en l'an 654 de Jésus – Christ** », in : R.de Constantine, année 1927.pp.219-235.
- 3- Aumerat ; « **La propriété urbaine à Alger** », in : Revue Africaine, N 228, Année 1898.pp.168-201.
- 4- Bardoux (J.); « **La vie d'un consul auprès de la Régence D'Alger** », in : Revue Africaine, N 319, 1924.pp.261-286.
- 5-Berbrugger (Adrien) ; « **Epigraphie numidique** », in : Revue Africaine, N 64, Année 1867.
- 6 - Berbrugger (Adrien), « **Chronique** », in : Revue Africaine, Année 1859.
- 7- Berbrugger (Adrien) ; « **Epoque de l'établissement des turcs a Constantine** », in : Revue Africaine, N° 05, Année 1857.pp.399-402.

- 8- Berbrugger (Adrien) ; « **La colonie de Rusgunia** », ; in : Revue Africaine, Année 1859-1860.pp.36-41.
- 9-Berbrugger (Adrien) ; « **Le fort de Cherchell** », in : Revue Africaine, 1865. pp.202-206.
- 10-Berbrugger (Adrien); "**Notes sur l'emplacement de divers Ruines Romaines**", in : R. de Constantine, 1893.pp.103-124.
- 11-Berbrugger (Adrien); «**Auzia**» ; in : Revue Africaine, N 63, 1867.pp.243-251.
- 12- Bodin (Marcel); « **Notice historique sur le les arabes soumis aux espagnols pendant leur occupation d'Oran** », in: Revue Africaine, N 319/ 1924.pp.193-260.
- 13- Braudel (Fernand); « **Les Espagnols et L'Afrique du Nord de 1492 a1577** », in: Revue Africaine, N° 334, Année 1928.pp.351-410.
- 14- Brosselard (Charles); « **Les inscriptions arabes de Tlemcen** », ; in : Revue Africaine, N° 14, 1858.pp.81-94.
- 15- Bibesco (N.) ; « **Les kabyles du Djurdjura** » in : Revue des deux Mondes, Tome 62, Paris, 1866.
- 16-Camille Viré (A.) ; «**Archéologie du conton de Bordj-Menaiel**» ; in: R. de Constantine, 1898.pp.01-70.
- 17- Delphin (G.); « **Le fort Bab –Azoun** » ; in: Revue Africaine, N °252-253/ 1904 .pp.191-197.
- 18- Demaght (L.); «**Monument commératif de la prise D'Oran par les espagnols en 1732**», in : B.S.G.A.O, T. 13/ 1893.pp.177-180.
- 19-Devoulx (Albert); «**Alger, étude archéologique et topographique**» ; in : Revue Africaine, 1875/ N°20, 1876/ N° 21,1877/ N° 22,1878.
- 20 - Devoulx (Albert) ; « **La marine de la Régence D'Alger** », in : Revue Africaine N° 77, Année 1869.pp.384-420.

- 21- Devoulx (Albert); « **La Batterie des andalous à Alger** », in : Revue Africaine, Année 1872.pp.340-342.
- 22- Devoulx (Albert); « **La première révolte des Janissaires à Alger** », in : Revue Africaine, N 85, 1871.pp.01-06.
- 23- Devoulx (Albert); « **Tachrifat** », In: Revue Africaine, Imprimerie Du Gouvernement, Alger, 1852.pp.07-153.
- 24-Devoulx (Albert);« **Expédition d'Oreilly** »,in : Revue Africaine, N° 18, Année 1859. pp.436-441.
- 25- Dény (J.); « **Les Registres de solde des Janissaires conservés à la bibliothèque D'Alger** », in : Revue Africaine, N° 302-303 /1920.pp.212-260.
- 26- Dournon ; « **Constantine sous les Turcs** », in : R. de Constantine, Année 1928-1929.pp.61-177.
- 27- Dr. Reboud et A.Goyt ; « **Excursions archéologiques dans les environs de Milah et de Constantine** », in : R. de Constantine 1879/1880. pp.01-73.
- 28- Du Chastelet (Des Boys) ; « **L'Odyssée** », in : Revue Africaine, N° 62 Année 1867.pp.157-167.
- 29- Emrit (Mecel) ; « **Un astronome français à Alger en 1729** », in :Revue Africaine, Année 1940.pp.249-256.
- 30- Emrit (Mercel); « **Le voyage de la condamine à Alger** », in : Revue Africaine, Année 1954.pp.354-356.
- 31-Emrit (Mercel) ; « **Une description des Cotes barbaresques au XVII (17) Siècle** »; in : Revue Africaine, N° 90, Année 1949. pp.233-248.
- 32- Esquer (G.) ; « **Quelques peintres de la conquete d'Algérie** »; in: Revue Africaine, N° 232, Année 1929.pp.37-205.
- 33- Eva Caillart et autres ; « **Pour la sauvegarde et la mise en valeur de la Médina de Bejaia** », Rapport ; UNESCO, 2004.pp.01-58.

- 34-Federman (Henri); « **Notice sur l'histoire et l'administration du beylik de Titeri** », in : Revue Africaine, N° 62, Année 1867.pp.113-121.
- 35- Féraud (Charles) ; « **Conquête de Bougie par les espagnols** », in : Revue Africaine, N° 71/ 1868.pp.337-349.
- 36- Féraud (Charles); « **Documents pour servir a l'histoire de Bone** », in : Revue Africaine, Année 1873. pp.04-23/81-103/165-186/254-274/341-351.
- 37-Féraud (Charles); « **Histoire des villes de la province de Constantine** », in : R. de Constantine, N°03, Année 1869.pp.85-407.
- 38- Féraud (Charles); « **Monographie du palais de Constantine** », in: R.de Constantine, 1867.pp.01-96.
- 39- Féraud (Charles); « **Expédition du comte O'Reilly contre Alger en 1775** », in :R. Constantine, 1865.pp.47-63.
- 40- Féraud (Charles); « **Notes sur Tébessa** », in : Revue africaine, 1874.pp.430-473.
- 41-Féraud (Charles); «**La prise d'Alger, en 1830, d'après un écrivain musulman**», in : R.Constantine, 1865.pp.67-79.
- 42- Gain (L.); «**Notice Sur la famille de Robrini de Cherchell**», in Revue Africaine, 1873.pp.445-472.
- 43- Général (Paul. Azan) ; « **le Rapport du Marquis de Glermont-Tonnerre sur une expédition à Alger 1827** », in: Revue Africaine, N° 340/341, 1929.pp.207-253.
- 44- Général Thomas ; «**Ruines de Zeffoun**», in : Revue Africaine, N° 12/ 1858.pp.441-446.
- 45-Gorgus (A.) ; «**Notice sur le Bey D'Oran Mohammed El Kebir**», in : Revue Africaine, N° 05/07, 1857.pp.403-419/28-46.
- 46- Gsell (Stéphane); «**Notes sur quelques forteresses antiques**», in :R. Constantine, 1898.pp.249-297.
- 47-L.De Bosredon ; « **Promenade archéologique dans les environs de Tébessa** », in : R.de Constantine, 1878.pp.01-41.

- 48- Lanfreducci et Bosio ; « **costa ediscomsi di Barberia** », in : Revue Africaine, N° 322, Année 1925.pp.421-549.
- 49-Lespès (René); « **Oran ville et port avant l'occupation française 1831** », in: Revue Africaine N° 360 Année, 1934.pp.277-335.
- 50- M.C. Maitrot ; « **Théveste étude militaire d'une cité romano-byzantine 70 à 705** », in : R.de Constantine, 1878.
- 51-Marçais (Georges); «**Recherches d'archéologie musulmane, Honain** » ; in :Revue Africaine, N°337, 1928.pp.333-350.
- 52-Marial (W.); «**la Mosquée de sidi Mohammed- El- Kébir à Oran**», in : B.S.G.A.O, T. 13/ 1893.pp.153-154.
- 53-Megnaoua (Cherif); « **Les registre du caid el Beld de Constantine** », in : R.de Constantine 1928-1929.pp.01-29.
- 54- Mercier (Ernest); « **Constantine avant la conquete française 1937** », in: R.Constantine, Année 1878.pp.40-96.
- 55-Meyer (Alph.); «**Origine des habitants de la Kabylie**», in : Revue Africaine, N° 17 Année 1859.pp.357-367.
- 56- Monchicourt (Charles) ; « **Essai bibliographique sur les plans, Imprimés de Tripoli, Djerba et Tunis Goulette au 16 siècle et note sur un plan d'Alger** », in : Revue Africaine, N° 325, 1925.pp.385-418.
- 57-Monchicourt(Charles); « **La frontière Algéro-Tunisienne dans le Tell et dans la steppe** » ; in : Revue Africaine, N° 82, 1938.pp.31-137.
- 58-Neji (Djelloul) ; «**Eau et fortifications au Maghreb au Moyen Age** » ,Colloque international, université de Tunis, Tunisie, Novembre 2007. pp.213-222.
- 59-Pharaon (F.) ;« **Notice sur les tribus de la Subdivision de Médéa** » ; in: Revue Africaine, N° 10, Année 1858.pp.301-303.
- 60-Philippe (P.) ; « **L'expédition espagnole de 1541 contre Alger** » ; in : Revue Africaine, N° 200, Année 1925.

61- Primaudie (De La); << Documents inédits sur l'histoire de l'occupation Espagnole en Afrique 1506-1574>>, in : Revue Africaine, Année 1875.pp.62-496

62-Rinn (L.) ;<<Le Royaume D'Alger sous les derniers deys>>, in : Revue Africaine, N° 224, 1897.pp.121-152.

63-Robert (A.); <<Auzia place fort>>, in: R. de Constantine, 1901.pp.135-140.

64- Sacerdoti (N.) ; << La Mission à Alger du Consul de Venise Rosalem >> ; in : Revue Africaine, N° 96, 1952.pp.64-104.

65- Vallejo (Don José); << Contribution a l'histoire du vieil Oran >> ; Traduit et annoté : Jean Cazenave, in : Revue Africaine, N° 322, Année 1925.pp.323-368.

66-Vander Merschen(Michel) ;<< Morphologie des médinas maghrébines>>, U.N.E.S.CO. 1987.pp.01-101.

67-Vayssette (E.) ; <<Histoire des derniers Beys de Constantine>>, in: Revue Africaine, N° 14, 1858.pp.107-128.

68- Venture (de Paradis) ; << Alger au XVIII (18) siècle >> in: Revue Africaine, N° 224, 1897.pp.68-118.

69-waille (Victor); <<Autour des mosquées d'Alger>> ; in: Revue Africaine, N° 232, Année 1899.pp.06-13.

70-waille (Victor) ; <<Découverte archéologique au cap Matifou>> ; in : Revue Africaine, N 224, Année 1897.pp.286-296.

الفهارس

فهرس القبائل والشعوب:

- أ-**
- الأتراك: 23-41-47-64-69-71-133-151.
الاسبان : 18-19-24-29-38-47-49-147.
الأغالبة: 109.
الأندلسيون: 147.
أولاد خليف: 40.
أولاد عبد النور: 38.
البربر: 143.
البيزنطيون: 143.
الجزائريون: 26-35-48-67-97-151.
الحماديون: 322.
الروم: 122.
الزواتنة: 69.
الطائف: 86.
العباسيون: 118.
الفاطميون: 96.
الفرنسيون: 59-60-62-155-163-198-316.
القبائل الصحراوية: 78.
القبائل الكبرى: 134.
القاهرة: 88-96-119.
القيروان: 84-88-120.
الکراغلة: 67.
المرابطون: 138.
المسلمون: 94-95-101-107-108-143-146.
المسيحيون: 20-172-343-352.
الموحدون: 109-332.
الوندال: 143.
- ب-**
- بلاد القبائل: 35-69.
بنو زيان: 23-67-85.
بنو مرين: 91.
بني جناد: 61.
بني عبدي: 70.
بني هرون: 69.
- ع-**
- عبيد أقبو: 69.
- غ-**
- غريس: 74.
غليزان: 99.
- ف-**
- فرنسا: 37-54-71-77-79.
فلسطين: 97.
فليسة: 61-68-69-78-153.
- ق-**
- قبائل بني عباس: 69-75.
قبائل البربر: 84.
قبائل جرجرة: 61-69-23.
قبيلة بني ثور: 71.
قبيلة واقنون: 71.
قرطبة: 87.
قصر عين ماضي: 97-64.
قلعة بني حماد: 99.
قلعة بني عباس: 99.
قيادة سباو: 69.
- ك-**
- كتامة: 120.
- م-**
- مالطا: 56.
مخزن بوحلوان: 70.
مدينة الزوراء: 92.
مدينة بغداد: 87-96.
مدينة هراة: 91.
- ن-**
- نابولي: 56.
نهر هري رود: 91.
- ه-**
- هولندا: 56-79.
- و-**
- واد النيل: 88.

فهرس الأماكن:

خليج سيدي يحيى: 345.
جبال الصحاري: 40.
جبال بني صالح: 40.
جبل بوزريعة: 150.
جبل خليفة: 340.

-د-

دار السلطان: 34-35-59.
دلس: 19-35-66.

-ر-

رأس تامنفوست: 50-134-136.
رأس كاكسين: 60.

-ز-

زكار: 304.
زمورة: 69.

-س-

سبتة: 109.

-ش-

شاطئ سيدي فرج: 62.
شرشال: 19-21-35-71.
شرشال: 142.

-ص-

صبرة المنصورية: 88-329-120.
صدراثة: 38.

-ع-

عريب: 40.
عكا: 113.
عنابة: 114-128.
عين البيضاء: 38.

-غ-

غرناطة: 121.

-ف-

فاس: 128.

-ق-

القالا: 71.
القاهرة: 310-143.
قسنطينة: 356.

-أ-

الكوفة: 84-116-125.
المارية: 121.
البصرة: 84-116.
المدينة المنورة: 93.
المشرق الإسلامي: 109.
المنصورة: 371.
المنصورة: 85-90-106.

المهدية: 310.

الناصرية: 106.

-ب-

بسكرة: 23-38-78.
بغداد: 310.
بلاد إفريقية: 68.
بلاد الرافدين: 107.
بلاد الشام: 113.
بوزريعة: 200.
بيك التطري: 34-36-40-41-56-75.
بيك الشرق: 34-37-70.
بيك الغرب: 34-76.

-ت-

تبسة: 356.
تركية: 79-128.
تسمسليت: 103.
تقرت: 134.
تلمسان: 22-38-49-67-85-86-104.
تنس: 19-22-66.
تونس: 64-96-115.

-ج-

جبل طارق: 109.
جبل قوراية: 321-325.
جرجرة: 71.
جزائر بني مزغنة: 114-137.
جزيرة جربة: 350.
جزيرة سطفلة: 181.
جيجل: 350.
جيجل: 21.

قسنطينة: 69-74-75.
 قلعة المرسى الكبير: 19-22-26-33-49-55.
 قلعة بني راشد: 40-99.
ك-
 كدية الصابون: 50-52.
 كدية عدتى: 307-317.
م-
 متيجة: 35.
 مجانة: 69.
 مدينة الجزائر: 22-23-35-36-45-47-59-
 72-77-133-134-137-140-157.
 مدينة الرباط: 108.
 مدينة السلام: 90.
 مدينة الشام: 143.
 مدينة العباسية: 119.
 مدينة الفسطاط: 93.
 مدينة المنستير: 155.
 مدينة المهدية: 119.
 مدينة باغاية: 107.
 مدينة تبسة: 143.
 مدينة تيبازة: 142.
 مدينة طبنة: 120-121.
 مدينة واسط: 143.
 مراکش: 120.
 مرسى الخزر: 114.
 مزغران: 19-40.
 مستغانم: 22-39-63.
 مسرغين: 110.
 مصر: 113.
 معسكر: 27-30-38-39-56.
 مقاطعة وهران: 40.
 مكة: 116.
 مليانة: 22-40.
 موزاية: 40.
 ميله: 356.
ه-
 هنين: 19-114-371..
و-
 واد الحراش: 135.

واد الصومام: 51.
 واد المغاسل: 142.
 وادي الحراش: 48-50-51-54-55.
 وادي الساحل: 69.
 وادي السلي: 70.
 وادي الكلاب: 71.
 وادي جر: 304.
 وادي عمراوة: 71.
 وادي كنيس: 55.
 وادي يسر: 69.
 ورقلة: 134.
 ونوغة: 40.
 وهران: 18-22-25-27-29-31-38-76-80-
 90.

فهرس الأعلام:

أ-

ابراهيم آغا: 62.
 ابن الأحرش: 74.
 ابن الحمري: 64.
 ابن القاضي: 23-34-65-66-75.
 أبو حمو الثاني: 75.
 أحمد باشا: 175.
 أحمد باي: --37-68-69-72-317-316-
 182.
 الأمير عبد القادر: 41-73-97-103.
 الأميرال دوريا: 77.
 الباي حسن: 39.
 الباي حسين: 315-33.
 الباي محمد الكبير: 30-39-70-78-80-110.
 الجنيرال أورليي: 80-55-137.
 الجنيرال شارون: 148.
 الحاج على باشا: 174.
 الخليفة الأمير بالله: 96.
 الخليفة الحافظ لدين الله: 96.
 الخليفة المعتصم العباسي: 122.
 الخليفة المنصور الحمادي: 330.
 الخليفة المنصور العباسي: 97-125..
 الخليفة هشام بن عبد الملك: 127.

-ع-

- عبد المالك بن مروان: 114.
عبد المؤمن بن علي: 339.
عتبة بن غزوان: 51.
عثمان بن عفان: 113.
عرب أحمد: 139-140-145-151-165-170-173-179-187.
عروج: 20-22-24-34-47-66.
على آغا: 57-77-175.
على باشا ناقسيس: 173.
على خوجة: 64-65.
علي بن سليمان: 64.
عمر باشا: 187-189-58.
عمر بن الخطاب: 51-84-116.

-ف-

فليب الثالث: 53-54.

-م-

- محمد الشريف الدرقاوي: 74.
محمد بن عثمان باشا: 33-54-55-63-68-79-177-184-193.
مصطفى باشا: 170-76.
مصطفى بوشلاغم: 25-27-33-38-39.
مصطفى بومرزاق: 41.
معاوية بن أبي سفيان: 113.
موسى الأندلسي: 154.

-ي-

- يحيى آغا: 69-73.
يوسف باشا: 64.

-ر-

- رمضان باشا: 160.
رمضان توشلاق باي: 37.

- الرسول محمد (ص): 93-116-118.
السلطان أبو عبد الله: 75.
السلطان أبو يعقوب بن عبد الحق: 85.
السلطان عبد الرحمان: 64.
السلطان عبد العزيز: 75.
السلطان مولاي اسماعيل: 64.
الداي حجي أحمد: 71.
الداي حسين: 69-73-33-173.
الداي مصطفى: 72.
الدوق بيفور: 59.
الشريف مولاي محمد: 64.
المنصور: 143.
القائد رمضان: 63.
اللورد إكسموث: 168.
الماريشال ديستري: 59.
الناصر بن علناس: 341-320-353.
الورد أكسموث: 57.

-ح-

- حسان بن نعمان: 114.
حسن آغا: 154.
حسن باشا الشاوش: 64.
حسن باشا: 140-140.
حسن بن خير الدين باشا: 63.

-خ-

- خضر باشا: 195-196.
خوارزم شاه: 91.
خير الدين باشا: 22-23-31-34-47-49-51-58-66-79-95-139-146-171-182.

-ج-

- جعفر باشا: 64.

-د-

- دوكين: 59.

-س-

- سلمان الفارسي: 93.

-ش-

- شارل الخامس: 23-51-55-48-44-357-359-341.
شعبان آغا: 72.

-ص-

- صالح رايس: 172-324-341.

فهرس الخرائط والمخططات والأشكال والصور:

فهرس الخرائط:

- 519 الخريطة رقم 01: التقسيم الإداري للجزائر خلال العهد العثماني.
- 520 الخريطة رقم 02: التحصينات الشرقية لمدينة الجزائر.
- 521 الخريطة رقم 03: موقع التحصينات الغربية لمدينة الجزائر.
- 522 الخريطة رقم 04: تحصينات قيادة سباو - بولاية تيزي وزو-.
- 523 الخريطة رقم 05: موقع تحصينات مدينة شرشال.
- 524 الخريطة رقم 06: موقع برج الترك بمدينة جيجل.
- 525 الخريطة رقم 07: موقع تحصينات مدينة عنابة.
- 526 الخريطة رقم 08: موقع برج الترك بمدينة برج بوعريريج.
- 527 الخريطة رقم 09: موقع تحصينات مدينة وهران.
- 528 الخريطة رقم 10: موقع قلعة المرسى الكبير.
- 529 الخريطة رقم 11: موقع برج حمزة بالبويرة.
- 530 الخريطة رقم 12: موقع برج التركي ببوغني.
- 531 الخريطة رقم 13: موقع حصون مدينة الجزائر.

فهرس المخططات:

- 532 المخطط رقم 01: مخطط لمدخل منكسر بقلعة هنين.
- 533 المخطط رقم 02 : تحصينات مدينة الجزائر أواخر الحكم الإسلامي.
- 534 المخطط رقم 02: أسوار مدينة الجزائر ونظامها الدفاعي خلال الحكم العثماني.
- 535 المخطط رقم 03: سور مدينة الجزائر في الفترة الفرنسية.
- 536 المخطط رقم 04 : تحصينات ميناء الجزائر.
- 537 المخطط رقم 05: برج المنارة بمدينة الجزائر.
- 538 المخطط رقم 06: النظام الدفاعي لقصبة مدينة الجزائر.
- 539 المخطط رقم 07: مدخل بطارية رقم 01 بقصبة مدينة الجزائر.

- 539المخطط رقم 07: البطارية رقم 01 بقصبة مدينة الجزائر
- 540.....المخطط رقم: 08: المخطط المعماري للبطارية رقم (02). بقصبة الجزائر.
- 540المخطط رقم: 09: المخطط المعماري للبطارية رقم (03) بقصبة الجزائر
- 541المخطط رقم:11:البطارية رقم 05 بقصبة مدينة الجزائر.
- 542المخطط رقم:12:البطارية رقم 07 بقصبة مدينة الجزائر.
- 543المخطط رقم:13: برج تامنفوست شرق مدينة الجزائر
- 544.....المخطط رقم:14: برج الكيفان بمدينة الجزائر
- 545.....المخطط رقم:15: برج باب عزون بمدينة الجزائر
- 546.....المخطط رقم:16: برج مولاي حسن (الإمبراطور) بمدينة الجزائر
- 547.....المخطط رقم:17: برج محمد باشا(النجمة) بمدينة الجزائر
- 548.....المخطط رقم:18: برج باب الواد بمدينة الجزائر
- 549.....المخطط رقم: 19 : برج الإنجليز(قائمة الفول) بمدينة الجزائر
- 550.....المخطط رقم: 20 : برج مرسى الذبان القديم بمدينة الجزائر
- 551.....المخطط رقم: 21 : الطابق السفلي للثكنة العليا بمدينة الجزائر
- 552.....المخطط رقم: 22 : الطابق العلوي للثكنة العليا بمدينة الجزائر
- 553.....المخطط رقم: 23 : الطابق السفلي للثكنة السفلى بمدينة الجزائر
- 554.....المخطط رقم: 24 : الطابق العلوي للثكنة السفلى بمدينة الجزائر
- 555.....المخطط رقم:25: دار البارود بقصبة الجزائر
- 556.....المخطط رقم:26: مواقع دور البارود بمدينة الجزائر
- 557.....المخطط رقم:27: برج سباو بدار السلطان
- 558.....المخطط رقم:28: مخطط توضيحي لموضع البرج التركي بتيزي وزو
- 559.....المخطط رقم:29:البرج التركي ضمن تحصينات الثكنة الفرنسية بمدينة تيزي وزو

- المخطط رقم 30: تحصينات مدينة شرشال في العهد العثماني.....560
- المخطط رقم 31: بقايا برج البحر بمدينة شرشال561
- المخطط رقم 32: موقع برج البحر التركي من جزيرة جوانفيل بمدينة شرشال.....562
- المخطط رقم 33: المخطط المعماري لبرج أنابود بمدينة شرشال563
- المخطط رقم 34: تحصينات مدينة قسنطينة خلال الحكم التركي.....564
- المخطط رقم 35: مخطط توضيحي لمسار سور مدينة بجاية في الفترة الرومانية.....565
- المخطط رقم 36: مخطط توضيحي لمسار مدينة بجاية في الفترة الحمادية566
- المخطط رقم 37: مخطط توضيحي لمسار سور مدينة بجاية في الفترة الإسبانية والتركية.....567
- المخطط رقم 38: مخطط توضيحي لمسار سور مدينة بجاية في الحقبة الفرنسية568
- المخطط رقم 39: مخطط باب البحر ببجاية569
- المخطط رقم 40: مخطط باب الفوق ببجاية569
- المخطط رقم 41: مخطط توضيحي لتحصينات قصبة بجاية570
- المخطط رقم 42: الحصن الإسباني بقصبة بجاية571
- المخطط رقم 43: المخطط المعماري لبرج موسى ببجاية.....572
- المخطط رقم 44: المخطط المعماري لبرج سيدي عبد القادر ببجاية573
- المخطط رقم 45: تحصينات مدينة عنابة خلال العهد العثماني.....574
- المخطط رقم 46: تحصينات الواجهة الشرقية لقصبة عنابة575
- المخطط رقم 47: تحصينات الواجهة الغربية للقصبة عنابة.....576
- المخطط رقم 48-49: تحصينات الواجهة الشمالية لقصبة عنابة.....577
- المخطط رقم 50: تحصينات الواجهة الجنوبية لقصبة عنابة.....578
- المخطط رقم 51: تحصينات مدينة تبسة. منذ القديم إلى العهد الفرنسي.....579
- المخطط رقم 52: تحصينات مدينة ميلة خلال الحكم التركي.....580
- المخطط رقم 53: البرج التركي (برج المقراني) بمدينة برج بوعريريج.....581
- المخطط رقم 54: مخطط توضيحي لمسار سور قلعة بني راشد582

- المخطط رقم 55: المخطط العمراني لمدينة مستغانم أواخر الحكم العثماني.....583
- المخطط رقم 56: التحصينات الحالية لمدينة مستغانم 584
- المخطط رقم 57: مخطط الطابق الأرضي لبرج الشرق بمستغانم 585
- المخطط رقم 58: مخطط السطح لبرج لترك بمستغانم..... 586
- المخطط رقم 59: تحصينات مدينة معسكر قبل الإحتلال الفرنسي.....587
- المخطط رقم 60: سور مدينة معسكر في العهد العثماني..... 588
- المخطط رقم 61: مخطط توضيحي لمسار سور مدينة تلمسان الزيانية.....589
- المخطط رقم 62: مخطط باب القرمادين بتلمسان..... 590
- المخطط رقم 63: باب قلعة المشور بمدينة تلمسان..... 591
- المخطط رقم 64: باب التوتية (الجنوبي) لقلعة المشور بتلمسان 592
- المخطط رقم 65: مخطط توضيحي لمسار سور مدينة وهران ونظامه الدفاعي نهاية الحكم الإسباني.....593
- المخطط رقم 66: النظام الدفاعي لمدينة وهران خلال الإحتلال الإسباني الثاني لها.....594
- مخطط رقم 67: مخطط باب كانيستال بوهران 595
- المخطط رقم 68: مخطط باب تلمسان بوهران 596
- المخطط رقم 69: مخطط باب سانتون بوهران..... 596
- المخطط رقم 70: المخطط شبكة الأنفاق الرابطة بين حصون ومدينة وهران خلال القرن 18م.....598
- المخطط رقم 71: المخطط المعماري للقصبه ونظامها الدفاعي..... 599
- المخطط رقم 72: المخطط المعماري النهائي للبرج الأحمر خلال القرن 18م.....600
- المخطط رقم 73: المدخل الرئيسي للبرج الأحمر بوهران 601
- المخطط رقم 74: مخطط لقاعة من الثكنة الإسبانية بالبرج الأحمر بوهران..... 602
- المخطط رقم 75: المخطط المعماري للبرج سانتاكروز (المرجاجو) خلال القرن 18م..... 603
- المخطط رقم 76: المخطط المعماري لحصن القديس أندري (برج الصبايحية) 504
- المخطط رقم 77: نماذج لأنفاق الدفاع بحصون مدينة وهران 505
- المخطط رقم 78: المخطط المعماري النهائي لقلعة المرسى الكبير خلال الإحتلال الإسباني الثاني لوهران 506
- المخطط رقم 79: برج حمزة ببايلك التيطري.....507

- المخطط رقم 80: برج بوغني ببابلك التيطري..... 508
المخطط رقم 81: موقع برج سور الغزلان من المدينة الفرنسية..... 509.

فهرس الأشكال:

- الشكل رقم 01: الواجهة الرئيسية لبرج سباو 610.
الشكل رقم 02: الواجهة الرئيسية لبرج أنابود بمدينة شرشال. 611
الشكل رقم 03: الواجهة الخارجية لباب الفوقة ببجاية 611
الشكل رقم 04: الواجهة الشرقية لبرج موسى ببجاية 612
الشكل رقم 05: الواجهة الغربية لبرج موسى ببجاية 612
الشكل رقم 06: الواجهة الشمالية لبرج موسى ببجاية 612.

فهرس الصور:

- الصورة رقم 01: نموذج من الشرافات الدائرية الشكل برباط سوسة..... 613.
الصورة رقم 02: سقطة..... 613.
الصورة رقم 03: مزغل..... 614.
الصورة رقم 04: باب الوادي بمدينة الجزائر..... 614.
الصورة رقم 05: باب عزون بمدينة الجزائر..... 615.
الصورة رقم 06: جانب من السور الساتر ناحية باب عزون بمدينة الجزائر..... 615.
الصورة رقم 07: بطارية رقم 01 بقصبة الجزائر..... 616.
الصورة رقم 08: بطارية رقم 02 بقصبة الجزائر..... 616.
الصورة رقم 09: بطارية رقم 03 بقصبة الجزائر..... 617.
الصورة رقم 10: بطارية رقم 04 بقصبة الجزائر..... 617.
الصورة رقم 11: بطارية رقم 5 بقصبة الجزائر..... 618.
الصورة رقم 12: بطارية رقم 7 بقصبة الجزائر..... 618.
الصورة رقم 13: برج باب عزون بقصبة الجزائر..... 619.
الصورة رقم 14: برج مولاي حسن بمدينة الجزائر..... 619.
الصورة رقم 15: دار البارود بقصبة الجزائر..... 620.
الصورة رقم 16: بقايا أسوار برج سباو..... 620.

- 621..... الصورة رقم 17: باب القنطرة بمدينة قسنطينة
- 621..... الصورة رقم 18: باب الجابية بمدينة قسنطينة
- 622..... الصورة رقم 19: باب البحر بمدينة بجاية
- 622..... الصورة رقم 20: باب الفوقة بمدينة بجاية
- 623..... الصورة رقم 21: باب القصبة بمدينة بجاية
- 623..... الصورة رقم 22: برج المعدومين بعنابة
- 624..... الصورة رقم 23: باب قصبة عنابة
- 624..... الصورة رقم 24: برج الخروبة بعنابة
- 625..... الصورة رقم 25: جانب من أسوار ميله
- 625..... الصورة رقم 26: باب البلد بميلة
- 626..... الصورة رقم 27: باب الروس بميلة
- 626..... الصورة رقم 28: باب الحديد بميلة
- 627..... الصورة رقم 29: أبراج الواجهة الشمالية لبرج المقراني
- 627..... الصورة رقم 30: برج حائطي دائري الشكل ببرج المقراني
- 628..... الصورة رقم 31 مغارة البير بقلعة بني راشد
- 628..... الصورة رقم 32: بقايا برج بقلعة بني راشد
- 629..... الصورة رقم 33: أسوار قلعة بني راشد
- 629..... الصورة رقم 34: جانب من أسوار قلعة بني راشد
- 630..... الصورة رقم 35: بقايا برج الجراد بمستغانم
- 630..... الصورة رقم 36: جانب من بقايا أسوار مدينة معسكر
- 631..... الصورة رقم 37: باب القرمدين بتلمسان
- 631..... الصورة رقم 38: برج مراقبة بالمشور بتلمسان
- 632..... الصورة رقم 39: باب المشور بتلمسان
- 632..... الصورة رقم 40: باب التوتية بالمشور
- 633..... الصورة رقم 41: نموذج للأبراج الحائطية بالمشور
- 633..... الصورة رقم 42: مسجد المشور
- 634..... الصورة رقم 43: باب كانيستال بوهران
- 634..... الصورة رقم 44: باب تلمسان بوهران

- الصورة رقم 45: باب سانتون وهران.....635
- الصورة رقم 46: منظر لموضع البرج الأحمر بوهران.....635
- الصورة رقم 47: مدخل البرج الأحمر.....636
- الصورة رقم 48: البرج المريني بالقصر الجديد بوهران.....636
- الصورة رقم 49: التكنة الإسبانية بالبرج الأحمر.....637
- الصورة رقم 50: نموذج لأنفاق برج الأحمر.....637
- الصورة رقم 51: برج المرجاجو بوهران.....638
- الصورة رقم 52: الموضع الذي كان يشغله برج لامون.....638
- الصورة رقم 53: برج حمزة بالبويرة.....639

فهرس المحتويات:

مقدمة.....06

الفصل الأول: مدخل تاريخي.....43-18

18 دخول الأتراك إلى الجزائر

31..... التنظيم السياسي والإداري للجزائر خلال الحكم الترك

الفصل الثاني: الأوضاع الأمنية.....81-45

45 الأوضاع الأمنية بالإيالة الجزائرية وانعكاساتها على النظام الدفاعي

46 الأوضاع الأمنية الخارجية

63. الأوضاع الأمنية الإقليمية:

66..... الأوضاع الأمنية الداخلية:

77 العتاد الحربي ومصادره:

الفصل الثالث: مصطلحات العمارة الحربية الإسلامية.....131-83

83..... مصطلحات العمارة الحربية الإسلامية:

83..... البنايات المعمارية الحربية:

84..... مدن المعسكرات:

85..... الأسوار:

92..... الفیصل:

93..... الخندق:

96..... الأنفاق (السرايب):

99..... القلعة:

105 البرج:

108..... الرباطات:

112..... مراكز البريد:

113	دار الصناعة:
115	السجون:
117	المغارات:
118	العناصر المعمارية الحربية:
119	الأبواب:
126	الممشى:
127	حائط الممشى (الجدار الساتر):
127	الشرافات:
129	السقطة:
130	المزاغل:
131	الستائر:
304-133	الفصل الرابع: تحصينات دار السلطان
133	تحصينات دار السلطان:
133	تحصينات مدينة الجزائر:
133	أسوار مدينة الجزائر:
149	أبواب مدينة الجزائر:
149	باب الواد:
151	باب عزون:
153	باب الجزيرة:
156	باب البحر:
157	باب الجديد:
158	باب سيدي رمضان:

160	الطبانات الملحقة بسور مدينة الجزائر:
160	طبانة الحمّام المالح:
161	طبانة سيدي رمضان:
162	طبانة سركاجي:
162	طبانة طاحونة الريح:
163	طبانة باب الجديد:
164	طبانة حومة السلاوي:
164	طبانة العسل:
166	طبانة المارستان:
166	طبانة باب البحر:
167	طبانة قاع السور:
167	طبانة الجامع الكبير:
168	طبانة الأندلس:
169	طبانة سبع تبارن:
170	خندق مدينة الجزائر:
171	تحصينات ميناء مدينة الجزائر:
175	برج السردينة:
179	برج رأس المول:
181	برج المنارة:
184	البرج الجديد:
187	برج القومان (الحوال):
190	برج "مابين":
192	برج رأس عمار القديم:
193	برج رأس عمار الجديد:
194	حصون وأبراج مدينة الجزائر:
194	قصبّة مدينة الجزائر:
207	برج تامنفوست:
211	برج الكيفان:

214.....	برج الحراش:
215.....	برج باب عزون:
218.....	برج مولاي حسن:
223.....	برج محمد باشا:
226.....	البرج الجديد:
229.....	برج باب الواد:
233	برج قامة الفول:
236.....	أبراج مرسى الذبان:
236.....	برج مرسى الذبان القديم:
237.....	برج مرسى الذبان الجديد:
238.....	برج بوزريعة:
239	برج سيدي فرج:
240.....	الطبانات الخارجية لمدينة الجزائر:
242.....	الطبانات الشرقية لمدينة الجزائر:
242.....	طبانة "ربض باب عزون":
242.....	طبانة "وادي كنيس":
243.....	طبانة واد الحمير:
243.....	طبانة واد الحراش:
244	الطبانات الغربية لمدينة الجزائر:
244.....	طبانة الطابية:
244.....	الطبانة الحمراء:
245.....	طبانة سيدي الكتاني:
245.....	طبانة عيون بني مّاد:
245	طبانة قلعة الفول:
246.....	طبانة رأس النادر السفلية:
247.....	طبانة مرسى الذبان:
247.....	طبانة سيدي فرج:
248.....	تكنات مدينة الجزائر:

- 251 ثكنة المقرئين:
- 252 ثكنة باب عزون:
- 253..... ثكنة صالح باشا و ثكنة علي باشا:
- 254..... ثكنة "أوسطى موسى"
- 255..... ثكنة متاع الدروج:
- 256 الثكنة القديمة والثكنة الجديدة.
- 260..... دور البارود بمدينة الجزائر:
- 261..... دار البارود بالقصبة:
- 263..... دار البارود بباب الواد:
- 264..... دار البارود بباب عزون:
- 265..... دار الصناعة بمدينة الجزائر:
- 273..... التحصينات الشرقية لدار السلطان:
- 274 برج منايل:
- 274..... برج تازرار (برج سباو القديم):
- 275..... برج سباو (الجديد):
- 276..... البرج الأحمر:
- 277..... برج القطة:
- 277 برج مدينة دّلس:
- 277 برج بني جنات:
- 278..... برج تيزي وزو:
- 279..... برج جمعة الصهريج وحصن أرفون:
- 280..... التحصينات الغربية و الداخلية بدار السلطان:
- 280 تحصينات مدينة شرشال:
- 280..... أسوار مدينة شرشال:
- 285..... باب الجزائر:
- 285..... باب تتس:
- 286..... باب مليانة:

287	حصون وأبراج مدينة شرشال:
287	القلعة الأندلسية بشرشال:
288	حصن البحر:
290	برج شرشال (بابا عروج):
292	برج أنابود بمدينة شرشال:
296	دار الصناعة بمدينة شرشال:
298	تحصينات مدينة تيبازة:
298	أبراج مدينة تيبازة:
298	برج تيبازة:
298	تحصينات مدينة القليعة:
298	أسوار مدينة القليعة:
299	تحصينات مدينة البليدة:
299	أسوار مدينة البليدة:
301	أبواب مدينة البليدة:
301	باب الجزائر
301	باب الرحبة:
301	باب السبت:
302	باب القبور:
302	باب الزاوية:
302	باب الخويخة:
302	تحصينات مدينة مليانة:
303	أسوار مدينة مليانة:
304	برج بطلوان:

الفصل الخامس: تحصينات بايليك الشرق.....306-396.

306.....	تحصينات بايليك الشرق:
306	تحصينات مدينة قسنطينة:
306.....	أسوار مدينة قسنطينة:
309	أبواب مدينة قسنطينة:
310.....	باب القنطرة:
311.....	باب الوادي:
313	باب الجابية:
314.....	باب الرحبة:
315.....	حصون وأبراج مدينة قسنطينة:
315.....	قصبه مدينة قسنطينة:
317.....	برج المنصورة:
318.....	تكنات مدينة قسنطينة:
318	دار الإنكشارية متاع رحبة الجمال:
319.....	دار البارود:
320.....	تحصينات مدينة بجاية:
320.....	أسوار مدينة بجاية:
327.....	أبواب مدينة بجاية:
328.....	باب البحر:
329	باب الفوقة:
332.....	أبراج وحصون مدينة بجاية:
332.....	القصبه:

- 340..... برج موسى:
- 344..... برج سيدي عبد القادر:
- 346..... البرج الأحمر:
- 347..... برج البواق:
- 348 بطاريات مدينة بجاية:
- 348..... بطارية سيدي أحمد:
- 348..... بطارية سيدي حسين
- 349 دار الصناعة:
- 350..... تحصينات مدينة جيجل
- 351..... أسوار مدينة جيجل:
- 351..... برج مدينة جيجل
- 352..... تحصينات مدينة القلّ:
- 352..... برج مدينة القلّ:
- 353..... تحصينات مدينة عنابة:
- 353..... أسوار مدينة عنابة:
- 356..... أبواب مدينة عنابة.
- 356..... باب السوق.
- 357..... باب المقابر:
- 357..... - خندق مدينة عنابة:
- 358..... حصون وأبراج مدينة عنابة:
- 358..... حصن القصبة:
- 366..... الحصن الجنوبي (البلاّج):

- 367.....حصن الخروبة:
- 371.....برج القصرين:
- 375.....دار الصناعة بمدينة عنابة:
- 377.....تحصينات مدينة القالة:
- 377.....أسوار مدينة القالة:
- 377.....تحصينات مدينة تبسة:
- 377.....أسوار مدينة تبسة:
- 379أبواب مدينة تبسة:
- 379باب صولومون:
- 380.....باب كاركلا:
- 380.....باب عين الشلة (الشتة):
- 380حصون وأبراج مدينة تبسة:
- 380القصبة:
- 381.....تحصينات مدينة ميلة:
- 381.....أسوار مدينة ميلة:
- 385أبواب مدينة ميلة:
- 385.....باب البلد:
- 386.....باب الروس:
- 386.....باب الحديد:
- 387.....حصون مدينة ميلة:
- 387.....قصبة مدينة ميلة:

388..... تحصينات مدينة بسكرة:

388..... أسوار مدينة بسكرة.

389..... حصون وأبراج مدينة بسكرة:

390..... القصبة:

390 برج بسكرة:

391..... تحصينات الطريق السلطانية بايليك الشرق:

391..... برج بني منصور:

391..... برج زمورة:

392..... برج بوعريج:

394..... برج مجانة:

395 برج المسيلة:

395..... برج نقاوس:

512-398..... الفصل السادس: تحصينات بايليك الغرب.

398..... تحصينات بايليك الغرب:

398..... تحصينات قلعة بني راشد:

399..... أسوار قلعة بني راشد:

405 تحصينات مدينة مستغانم:

405 أسوار مدينة مستغانم:

407..... أبواب مدينة مستغانم:

407..... باب الجراد:

408..... ربض المطمر بمدينة مستغانم.

409	حصون وأبراج مدينة مستغانم:
409	برج الأمحال:
411	برج باب الجراد:
412	برج الترك:
417	تحصينات مدينة معسكر:
418	أسوار مدينة معسكر:
419	أبواب مدينة معسكر:
419	الباب الشرقي:
420	باب علي:
420	باب النجدة:
421	أرباض مدينة معسكر:
422	حصون وأبراج مدينة معسكر:
422	القصبية:
422	برج معسكر:
423	تحصينات مدينة تلمسان:
423	أسوار مدينة تلمسان:
430	أبواب مدينة تلمسان:
431	باب العقبة:
432	باب الجياد:
432	باب كشوط:
433	باب القرمديين:
334	باب سيدي الحلوى:
436	قصر المشور:
440	أبواب القلعة:
440	باب المشور:

باب التوتية:	441
الأبراج الحائطية لقلعة المشور:	442
سرداب قلعة المشور	443
تحصينات مدينة وهران:	446
أسوار مدينة وهران:	446
أبواب مدينة وهران:	455
الأبواب الرئيسية لمدينة وهران:	455
باب كانيستال:	457
باب تلمسان:	458
باب سانتون:	460
الأبواب الثانوية لمدينة وهران:	461
باب عمارة:	461
باب القصبة:	461
باب البحرية:	461
باب السوق:	462
باب الجيارة:	463
أبراج وحصون مدينة وهران:	463
قصبة مدينة وهران:	467
البرج الأحمر (القصر الجديد):	471
برج المرجاجو:	481
برج القديس غريغوري	484
برج لامون:	486
برج القديس أندري:	487
برج القديس فليب:	490

492.....	برج القديس فارديناند:
492.....	رباط جبل المائدة:
493.....	طبانات مدينة وهران:
494.....	أنفاق مدينة وهران:
495	قلعة المرسى الكبير:
499	طبانة مرسى أرزيو:
500	برج سيق وبرج أغبالو:
501.....	تحصينات بابليك التيطري.....
501.....	تحصينات مدينة المدية:
502.....	أسوار مدينة المدية.....
502.....	حصون وأبراج مدينة المدية:
502.....	قصة مدينة المدية.....
503.....	أبراج الطرق السلطانية لبابليك التيطري:
503.....	برج حمزة (البويرة):
507	برج بوغني:
509	برج سور الغزلان:
511.....	برج السواري.....
512	الخاتمة

الملاحق: 518-639

519.....	ملحق الخرائط.....
532.....	ملحق المخططات والأشكال.....
613.....	ملحق الصور.....
640.....	قائمة المصادر والمراجع.....

الفهارس 670-682.....

671.....	فهرس القبائل والشعوب.....
----------	---------------------------

674.....	فهرس الأماكن
673.....	فهرس الأعلام
675.....	فهرس الخرائط
675.....	فهرس المخططات والأشكال
679	فهرس الصور
696-683.....	فهرس المحتويات

- تم بحمد الله وعونه -